مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أخرجنا بالإسلام من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات ، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وشرع الإسلام وجعل له منهجاً ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله أمناً لمن تمسك به ، وسلماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولباً لمن تدبر ، وآيةً لمن توسم ، وتبصرةً لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر .

يقول العالم الجليل ابن القيم : ((من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له ، وأن تذوق ألم الوحشة في معصية ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه ، وأنك أحوج شيء إليه ، وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب)) .

وإن الحق لابس خلق السماوات والأرض ، والحق هو الشيء الثابت ، والهادف ، بخلاف الباطل ، فهو الشيء الزائل والعابث ، وإن الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ؛ **خط النقل الصحيح** ، **وخط العقل الصريح** ، **وخط الفطرة السليمة** ، **وخط الواقع الموضوعي** ، فالنقل الصحيح كلامه سبحانه وتعالى ، مع بيان المعصوم ﷺ ، والعقل الصريح ميزان أودعه الله في الإنسان ليتعرف من خلاله إلى الله ، والسماء رفعها ووضع الميزان ، والفطرة ميزان آخر نفسي متطابق مع منهج الإلهي ، وهو مركوز في أصل كيان الإنسان ليكتشف من خلالها خطأه ، قال تعالى : ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، والواقع خلق الله تحكمه القوانين التي قننها الله جل جلاله ، فإذا كانت هذه الفروع الأربعة من أصل واحد فهي متطابقة فيما بينها .



وهذا الكتاب ... كتاب ((**ومضات في الإسلام**)) من سلسلة الكتب ذات الموضوعات المتعـددة التـي صـدرت قبله وهي ((**نظرات في الإسلام**)) ، و ((**تأملات في الإسلام**)) وهو محاولـة متواضـعة للتعريف بهذا الإله العظيم ، ودينه القويم ، ونبيه محمد عليه أتم الصلاة والتسليم ، فلعل القارئ الكريم ــ كما قال ابن القيم ــ يعرفه ، فيحبه ، فيعبده ، فيسلم ويسعد في الدنيا والآخرة ، وعندئذ يحقق الغاية مـن وجوده ، لأن العبادة علة وجود الإنسـان على وجه الأرض ، وهي في أدق تعاريفها

((طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية)) ، ولعل القارئ الكريم يقف بعد قراءته ... يقف على أرض صلبة ، لا تتزلزل بسبب المتغيرات والمستجدات ، ويضـع يده على الحق الثابت والهادف الذي يقدم التصورات الصحيحة ، والعميقة ، والمتناسقة عن الكون والحياة والإنسان ، وعن حقيقة الوجود ، ومقاييس المعرفة ، وطبيعة الحق والباطل ، والخير والشـر ، والجمال والقبح ؛ لئلا يضل عقل الإنسان ، ولئلا تشقى نفسه ، ولئلا يندم على ما فات ، ولئلا يخشى مما هو آت ، بعيداً عن الشبهات ، والضلالات ، والأكاذيب والترهات في عصر العولمـة ، وثـورة المعلومـات ، وثورة الاتصالات ، وهيمنة القطب الواحد على الجوانب الثقافية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والدينيـة ، ومحاولة هذا القطب لطمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية .

وقد حرصت على أن يكون في الموضوع الواحد ؛ ركن عقدي فلسفي ، وركن من النقـل الصـحيح ؛ كتاب وسنة مع الشرح الأصولي ، وركن من سيرة النبي ﷺ ، وسـير صـحابته الكـرام ، والجوانـب المشرقة من التاريخ الإسلامي ، وركن علمي يؤكد أن النقل الصحيح يتوافق مع العقل الصـريح ، وأن الذي خلق الأكوان ، وخلق الإنسان هو الذي أنزل على عبده الفرقان ، ليكون منهجاً للإنسان ، بحيث إذا طبقه لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت .

وقد ورد في هذا الكتاب الموضوعات الكبرى التالية : موضوعات معاصـرة ، موضـوعات قرآنيـة ، موضوعات إيمانية ، موضوعات إسلامية ، موضوعات في السيرة ، موضوعات في المناسبات الدينية ، موضوعات في العبادات الشعائرية ، موضوعات فـي العبـادات التعامليـة ، موضـوعات تربويـة ، موضوعات دعوية .



وقد بينت في موضوع ((**الاستخلاف بين الوعد والشرط**)) ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وديارهم ؛ من تعاون ، وتناصر ، وتعاطف ، فهم كالجسد الواحد ، نصحة متـوادون ، وهـم بنيان واحد ، يشد بعضه بعضاً ، وهم يد على من سواهم ، سلمهم واحدة ، وحربهم واحدة ، وقد أنجـز الله وعده للمؤمنين يوم عبدوه حق العبادة ، فأطاعوه ولم يعصوه ، وشكروه ولم يكفروه ، وذكروه ولـم ينسوه ، فجعل الله منهم قادة للأمم ، بعد أن كانوا رعاة للغنم ، لكن الذي حدث أن قلب المسلمون لـدينهم ظهر المجن ﴿ ۞ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(59)**﴾ ، وقد لقي المسلمون ذلك الغي .

وقد بينت في موضوع ((**عالمية الإسلام وعولمة الغرب**)) أن العولمة كما يريدها ، ويروج لها دعاتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة ، صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ ، إنها تفضي طلاء من الذهب على الأغلال الحديدية ، وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابـة ، والشعارات البراقة ، كالحرية ، والديمقراطية ، والعدالة ، والسلام العالمي ، والتعايش السلمي ، وحقوق الإنسان ، ومكافحة الإرهاب . . . فهي علقم قديم في آنية جديدة .

وقد بينت في موضوع ((**إدارة الوقت**)) أن الوقت أساس الحياة ، وعليه تقوم الحضارة ، فصـحيح أن الوقت لا يمكن شراؤه ، ولا بيعه ، ولا تأجيره ، ولا اسـتعارته ، ولا مضـاعفته ، ولا تـوفيره ، ولا تصنيعه ، ولكن يمكن استثماره وتوظيفه ، أولئك الذين لديهم الوقت لإنجاز أعمالهم ، ولديهم أيضاً الوقت لمعرفة ربهم ، وعبادته ، والتقرب إليه ، عرفوا قيمته ، هم يستثمرون كل دقيقة من وقتهم ، ولذا فإدارة الوقت لا تنطلق إلى تغيره ، أو تعديله ، أو تطويره ، بل إلى طريقة استثماره بشكل فعـال ، ومحاولـة تقليل الوقت الضائع هدراَ من دون فائدة .

وقد بينت في موضوع ((**أسباب هلاك الأمم**)) أن من أهم هذه الأسباب ترك الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر ؛ لأنه هو القطب الأعظم في الدين ، وهو الذي بعث الله له النبيين أجمعـين ، ولـو طـوي بساطه ، وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشـت الضـلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد .

وقد بينت في موضوع ((**الجهاد في فلسطين**)) أن رفع المعاناة عن الأمة يتطلـب عـدداً كبيـراً مـن المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين ، وهذا ما يجب السعي إليه ، ولأن ينجح فـرد في إعداد مجموعة من المواطنين إعداداً إيمانياً ، وعلمياً ، وعقلياً ، وخلقيـاً ، ونفسـياً ، واجتماعيـاً ، وجسدياً أحب وأنفع من أن يلقي بنفسه في أتون نار تقول :



هل من مزيد ، إن النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل البدء ، كما يفعل أعداؤنا .

وقد بينت في موضوع ((**التحليل القرآني للحوادث**)) أن القوة لا تصنع الحق ، ولكن الحق يصنع القوة ، والقوة دون حكمة تدمر صاحبها ؛ لأنه لا يقبل ولا يعقل أن يقع في ملك الله ما لا يريد ، فلكل واقع حكمة ، وليس كل موقع من بني البشر حكيماً ، فإرادة الله التي سمحت لما حدث أن يحدث متعلقة بالحكمة المطلقة ، فلكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق إن الشر المطلق لا وجود له ، بل يتناقض مع وجود الله ، فالله عز وجل يوظف الشر الذي في بعض النفوس ، نفوس المعرضين عنه لخير كبير ، ربما لا تدرك حكمته عاجلاً .

وقد بينت في موضوع ((**إيجابيات الأحداث الأخيرة**)) أن الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، وأن هناك خسائر لحقت وتلحق بالمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة ، وأن ثمة مكاسب للطرف الآخر حققها ، وقد يحقق غيرها ، ولكن السؤال المطروح : كيف نلتمس المكاسب تحت ركام الخسائر ؟ وما من شك في أن لكل معركة خسائر ظاهرة ومكاسب خفية ، والمتأمل في التاريخ يرى صوراً للنصر انبثقت من حطام المأساة ، في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم ، وانهارت شعاراتهم ، وأخفقت مؤسساتهم وهيئاتهم ، فالحرية والديمقراطية ، والعدالة وحقوق الإنسان ، وما شابهها باتت مصطلحات محنطة من مخلفات الماضي .

وقد بينت في موضوع ((**الانتفاضة**)) أنه حينما تسلب أرض شعب ، وتنهب ثرواته ، وتنتهك حرماته ، وتدنس مقدساته ، وتداس كرامته ، وتقهر إرادته ، وتفسد عقائده ، وتفرغ قيمه ، ويزور تاريخه ، ويحمل على الفساد والإفساد ، وتمارس عليه ألوان التجهيل والتجويع والتعذيب على يد أعدائه ، أعداء الله ، أعداء الحق ، أعداء الخير ، أعداء الحياة ، عندئذ لابد لهذا الشعب أن يتحرك ليسترد حقه في الحياة الحرة الكريمة .

وقد بينت في موضوع ((**الإرهاب**)) أن أعظم ما يملكه القوي أن ينهي حياة الضعيف ، فإذا أراد الضعيف أن يقدم أثمن ما يملك ، وهي حياته ، لزلزلة كيان القوي صار هذا الضعيف أقوى منه ، وقد قيل : بدأت الحرب بالإنسان ، ثم أصبحت بين آلتين ، ثم بين عقلين ، ثم انتهت بالإنسان .



وقد بينت في موضوع ((**زلزال آسيا**)) أن الله جل وعلا زود معظم البهائم بحاسة سادسة تشعرهم بالزلزال قبل وقوعه بوقت كاف للنجاة منه ، هذا من الناحية الفيزيولوجية للحيوان ، أما من الناحية الإيمانية فالحيوان غير مكلف كالإنسان ، ولا علاقة له بالفساد في الأرض ، فهو لا يقيم حياته على قتل الآخرين ، ولا يبني غناه على إفقار الآخرين ، ولا يبني عزه على إذلال الآخرين ، والحيوانات القوية تأكل حتى تشبع ، فإذا شبعت سمحت للآخرين أن يأكلوا ، فهي لا تسعى لإفقار الآخرين ،

ولا لإضلالهم ، ولا لإفسادهم ، ولا لإذلالهم ، ولا لإبادتهم .

وقد بينت في موضوع ((**المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني**)) أننا إذا أردنا أن نستعيد دورنا القيادي في العالم ، وأن ننقل إلى الشعوب رسالة الإسلام الخالدة فعلينا أن نستجيب لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا ، وأن نجعل الوحي مرجعاً لمنطلقاتنا النظرية ، والشريعة الغراء منهجاً لسلوكنا العملي ، عندئذ يتحقق وعد الله لنا بالاستخلاف ، والتمكين في الأرض .

وقد بينت في موضوع ((**قوة المؤمن**)) أن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ، ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة ، حتى في حالة الضعف ، لذلك يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف ، عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، لصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستوره ، يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف ، تهد الجبال وتدك الحصون ، كما ترون وتسمعون ، فأنت قوي ، وهذا سر ضعفك ، وأنا ضعيف ، هذا سر قوتي . . . لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية ، بقنبلة الدرية ، أي بتربية جيل واع ملتزم ينهض بأمته ، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم .

وقد بينت في موضوع ((**السكينة**)) أنه لا سعادة بلا سكينة ، ولا سكينة بلا إيمان ، فالسكينة هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة ، وهذه السكينة تزهو بغير عون من المال ، بل بغير مدد من الصحة ، يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ، ولو ملك كل شيء ، هذه السكينة ليست ملك أحد فيمسكها أو يرسلها ، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذا دفع ثمنها .

وقد بينت في موضوع ((**أثر الإيمان في نزول الرحمة**)) أن للحسنة نوراً في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق .



وقد بينت في موضوع ((**أثر الإيمان في حياة الفرد**)) أن الإيمان ليس مجرد إعلان المرء بلسانه أنــه مؤمن ، وليس مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر ، اعتاد أن يقوم بها المؤمنون ، وليس مجرد معرفــة ذهنية بحقائق الإيمان ، وبكلمة مختصرة ليس الإيمان مجرد عمل لساني ، ولا عمل بــدني ، ولا عمــل ذهني ، إنما هو علاوة على كل ذلك عمل نفسي ، يبلغ أغوار النفس ، ويحيط بجوانبها كلها ؛ من إدراك ، وإرادة ، ووجدان .

وقد بينت في موضوع ((**المعجزات والزمن**)) أنه من رحمة الله بنا أن تلازم الأســباب مــع النتــائج يضفي على الكون طابع الثبات ، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتــة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخــذ الكون طابع الفوضى والعبثية ، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ، ولم ينتفع بعقله ، لكن مــن اعتقــد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ، ثم اعتمد عليها فقد أشرك ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً ــ في زعمه ــ على الله فقد عصى ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمــع ــ بغيــر حــق ــ أن يخرق الله له هذه السنن ، أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصــنع النتــائج ، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها ، يأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ويعتمد على الله ، وكأنها ليست بشيء ، معتقداً أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله ، وهذا التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين .

وقد بينت في موضوع ((**إنسانية الإسلام**)) أن من ملك ناصية العلم ملك ناصية العالم ، وما يجري في العالم اليوم يؤكد هذه الرؤية ، فمن ملك العلم ملك القوة ، ومن ملك القوة فرض إرادته ــ وقــد تكــون ظالمة ــ على العالم ، فالحق عند الشاردين عن الله يعني القوة ، ليس غير ، والحق عند المؤمنين بــالله هو ما جاء به الوحي في تنزيله ، وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته ، وينبغي أن يدعم بــالقوة ، ودعمه بالقوة أمر تكليفي ، وليس تكوينياً .

وقد بينت في موضوع ((**في ذكرى مولد الرسول**)) أن محمداً ــ ﷺ ــ كان عابداً متحنثاً ، وقائداً فذا ، شيد أمة من الفتات المتناثر ، وكان رجل حرب ، يضع الخطط ، ويقود الجيوش ، وكان أبــاً عطوفــاً ، وزوجاً تحققت فيه المودة والرحمة والســكن ، وكان صديقاً حميماً ، وقريباً كريماً ، وجاراً تشغله هموم جيرانه ، وحاكماً تملأ نفســه مشاعر محكوميه ، يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفدونه بأنفســهم ، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، وهي الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل



، وتغلغلت في كيانه كله ، ورأى الناس الرسول الكريم ــ ﷺ ــ تتمثل فيه هــذه الصــفات الكريمــة ، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها ، ورأوها متمثلة فيه ، ولم يقرؤوها في كتاب جامد بل رأوها في بشر متحرك ، فتحركت لها نفوسهم ، وهفت إليها مشاعرهم ، وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرســول الكريم ــ ﷺ ــ كل بقدر ما يطيق ، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل ، وكان هادياً ومربيــاً بسلوكه الشخصي ، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به .

وقد بينت في موضوع ((**الإسراء والمعراج**)) أن النفس الإنسانية مجبولة في أصــل فطرتهــا علــى الإحساس والشعور ، الشعور بلذة النعيم ، والشعور بألم العذاب ، فهي مجبولة على الركون إلى الأول ، والفزع من الثاني ، وحينما يوطن الإنسان نفســه على تحمل كل أنواع الضر والعذاب ، وهــو يــؤدي رسالة ربه ، مبتغياً بهذا وجهه ورضوانه ، لا يعني هذا أنه لا يتألم للضر ، ولا يستريح للنعيم ، فالنفس مهما تسامت فلا تخرج عن دائرة بشريتها ، ولكن حينما يفضل الإنسان الضر مهما تكــن آلامــه علــى النعيم مهما تكن لذاته إرضاء لوجه ربه ، وأداء للرسالة التي أنيطت به ، عندئذ يستحق جنة ربه إلى أبد الآبدين ، حيث يجد فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولولا أن النبــي ﷺ بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر .

وقد بينت في موضوع ((**خواطر إيمانية في ليلة القدر**)) أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، وسخر له الكون تسخير تعريف وتفضيل ، وهبه نعمة العقل ، وفطره فطرة تنــزع إلــى الكمال ، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً وشاكراً إلى رب الأرض والسماوات ، ومنحــه حريــة الاختيار ليثمن عمله ، وأنزل له كتاباً أحل له فيه الطيبات ، وحرم عليه الخبائث ، كل ذلك ليعرف ربــه فيعبده ، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة .

وقد بينت في موضوع **خطبة عيد الفطر السعيد** أن الشريعة عدل كلها ، رحمة كلها ، مصــلحة كلهــا ، حكمة كلها ، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور ، ومن الرحمة إلى القسوة ، ومن المصــلحة إلــى المفسدة ، ومن الحكمة إلى خلافها ، فليست من الشريعة ، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل .

وقد بينت في موضوع ((**الصيام**)) أن الصوم عبادة من أجل العبادات ، وقربة من أشرف القربــات ، وطاعة مباركة ، لها آثارها العظيمة والكثيرة ، العاجلة والآجلة ؛ من تزكية النفوس ، وإصلاح القلــوب ، وحفظ الجوارح من الفتن ، والشرور ، وتهذيب الأخلاق ، وفيها من الإعانة على تحصــيل الأجــور العظيمة ، وتكفير السيئات المهلكة ، والفوز بأعلى الدرجات .



وقد بينت في موضوع ((**حقائق عن الحج**)) أن يوم عرفة يوم المعرفة ويوم عرفة يوم المغفرة ، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه إنه يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق ، وبين ربه الرحيم التواب ، بين هذا الإنسان الحادث الفاني المحدود الصغير ، وبين الخالق الباقي الكبير ، وعندها ينطلق الإنسان من حـدود ذاته الصغيرة إلى رحاب الكون الكبير ، ومن حدود قوته الهزيلة إلى الطاقات الكونية العظيمـة ، ومـن حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله الرحمات على العبـاد مـن خـالق الأرض والسماوات ، ومن هنا قيل : من وقف في عرفات ، ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له .

وقد بينت في موضوع ((**الاستطاعة في الحج**)) أن الحج عبادة كبرى ، قوامها اتصال متميز بالله عـز وجل ، وأساسها معرفة وقرب ، وبذل وحب ، وسببها نزع أقنعة الدنيا المزيفة ، وتجاوز الخلـق إلـى الخالق ، وخرق النعم إلى المنعم .

وقد بينت في موضوع ((**الذوق الإسلام**)) أن الذوق والأدب ، والرقي ، والحضـارة ، والشـفافية ، والجمال ، والنظافة ، والنظام هي أصول كبيرة من أصول هذا الدين ، وإن الإسلام جاء لتنظيم الحيـاة وإدارتها والسمو بها ، فالإسلام هو الحياة الكاملة .

وقد بينت في موضوع ((**التنمية الأخلاقية**)) أن السعادة الحقيقية لا تجلب أبداً من الخارج ، وإنما هـي شعاع من نور ، يولد ، ويكبر في داخل الإنسان ، ويضيء جوانب الحياة كلها ، ويجعلهـا أكثـر قيمـة ومنطقية ، وأكثر تهيؤا للنمو والتقدم والاستمرار ، كل ذلك مرهون بأوضاع تسود فيها الأحكام الأخلاقية ، ويعلو فيها صوت الالتزام والاستقامة ، وترفرف في أرجائها إشراقات النفس .

وقد بينت في موضوع ((**صلة الـرحم**)) أن الرحم العامة رحم الدين ، ويجب صلتها بملازمة الإيمان ، والمحبة للمؤمنين ، ونصرتهم ، والنصـيحة لهم ، وترك أذيتهم ، والعدل بيـنهم ، والأنصـاف فـي معاملتهم ، والقيام بحقوقهم الواجبة ، كالقيام على معالجة المرضى ، ومواساة الفقـراء ، دون أن يمـن عليهم ، ونصرة المظلومين وغير ذلك من الحقوق المترتبة لأهل الإيمان .

وقد بينت في موضوع ((**تربية الأولاد في الإسلام**)) أن الأطفال غراس الحياة ، وقطوف الأمل ، وقرة عين الإنسان ، وزهور الأمة المتفتحة ، والبراعم الإنسانية المتألقة ، عليهم المعول فـي الحفـاظ علـى مكاسـب الأمة ، واستعادة ماضيها المجيد ، وخوض معاركها الضارية والمصيرية ضد أعدائها .



وقد بينت في موضوع ((**الامتحان الأكبر**)) أن أكبر خسارة أن يرى العبد غيره يساق في سعادة ومسرة إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، لينعم بما تلذ به العين ، وما تشتهيه النفس ، ويطرب له السمع ، ويسعد به القلب ، ثم يقاد هو في ذلة وصغار ، ومهانة وانكسار إلى نار وقودها الناس والحجارة ، حيث العقاب والعذاب ، والبلاء والشقاء ، والنكال والأغلال ، مما لا يخطر على البال ، ولا يوصف بحال من الأحوال .

وقد بينت في موضوع ((**الخطاب الإسلامي**)) أن العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى خطاب ديني ينطلق من حقائق الدين الناصعة المأخوذة من محكم الكتاب ، والسنة الثابتة ، بالفهم الصحيح ، وبمعرفة مقاصد الإسلام الكبرى ، وهذا يشار به إلى الانعتاق من سلطة النفس ، ومحدودية التفكير ، والوعي بأصول الدعوة ، وطرائق معالجة الأوضاع المتردية ، ومراعاة السنن الشرعية والكونية في منهج التغيير والإصلاح .

وقد بينت في موضوع ((**تجديد الخطاب الديني**)) أن ما يجري في العالم الإسلامي اليوم من مؤتمرات وندوات تحت اسم التجديد في الخطاب الديني هو أسلوب التفافي لإلغاء الخطاب الديني ، أو لتفريغه من مضمونه ، حتى يصبح الدين متوافقاً مع مصالح القطب الواحد في السيطرة ونهب الثروات .

* * *

وبما أن الكمال لله وحده ، وبما أن كل إنسان ، يؤخذ منه ويرد عليه ، إلا صاحب القبة الخضراء سيدنا محمد ﷺ ، فإني أنتظر من الإخوة القراء ــ كما عودوني في كتاب النظرات ، وكتاب التأملات ــ تنفيذاً لوصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال : ((أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي)) ، أن يتفضلوا بإبداء ملحوظاتهم حول مضامين الكتاب وأدلتها ، ونصوصه واستنباطاتها ، وقصصه التاريخية ودلالاتها ، وموضوعاته العلمية وارتباطاتها ؛ لآخذ بها في الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى ، فالكتاب لا يزيد على ومضات في الإسلام فإن أصبت فمن توفيق الله وفضله ، وإن لم أصب فمن تقصيري وضعف حيلتي .

فالحق فوق الجميع ، والمضامين فوق العناوين ، والحقيقة فوق الأشخاص ، فالمؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون .



يروي أن إمام لقي غلاماً وأمامه حفرة ، فقال له : إياك يا غلام أن تسقط فقال له الغلام : بل إيـــاك يـــا إمام أن تسقط ؛ إني إن سقطت سقطت وحدي وإنك إن ســـقطت ســـقط معك العالم ، لذلك ما من أحـــد اصغر من أن ينقد ، وما من أحد أكبر من أن ينقد .

ولا بد من أن أنوه أيضاً بفضل بعض الإخوة الذين أجلهم وأحبهم ، والذين شاركوا في تصميم البـــرامج التي أفرغت فيها أصول الكتاب ، والذين نفذوها وطوروها ، والذين نقحوا النصوص ودققوها ، والـــذين راجعوا الأحاديث الشريفة وخرجوها ، والذين أخرجوا الكتاب وطبعوه ، وأخص بالشـــكر **دار المكتبـــي** للطباعة والنشر والتوزيع ، على حرصها أن يقترب الكتاب من درجة الكمال .

ولا يسعني إلا أن أدعو فأقول : جزى الله عنا سيدنا محمد ﷺ ما هو أهله ، وجزى عنا أصحابه الكـــرام ما هم أهله ، وجزى عنا والدينا ، وأساتذتنا ، ومشايخنا ، ومن علمنا ، ومن له حق علينا ما هم أهله .

أعوذ بك يا رب ... أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ، وأعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ، ألتمس به أحداً سواك ، وأعوذ بك من فتنة القول ، كما أعوذ بك من فتنة العمل ، وأعوذ بك أن أتكلـــف مـــا لا أحســـن ، كما أعوذ بك من العجب فيما أحسن .

الأستاذ الدكتور

محمد راتب النابلسي



الباب الأول : موضوعات معاصرة



01 - الاستخلاف في الأرض بين الوعد والشرط

أحاديث تبين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأمصارهم :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الواحد إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) .

[متفق عليه عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

وقال أيضاً :

((المؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ مُتَوَادُّونَ ، وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ)) .

[الترغيب والترهيب للمنذري ، والبيهقي في شعب الإيمان]

وقال :

((وَالْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)) .

[البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى]

وفي الحديث أيضاً :

((والْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، ويَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، ويُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)) .

[أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

وقال أيضاً :

((إِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، لاَ يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ)) .

[انظر السيرة النبوية لابن هشام]

هذا وصف دقيق مِن قِبَل مبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون ، أو لِمَا ينبغي أن يكونوا عليه في شتى أقطارهم وديارهم ؛ مِن تعاونٍ ، وتناصرٍ ، وتعاطفٍ ، فهُمْ كالجسدِ الواحدِ ،



نَصَحَةٌ متوادُّون ، وهمْ بنيانٌ واحد يشدُّ بعضُه بعضاً ، وهمْ يدٌ على مَن سواهم ، سِلمُهم واحدة ، وحربُهم واحدة ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأمصارهم .

أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييسُ دقيقة نقيسُ بها إيماننا :

أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييسُ دقيقةٌ نقيسُ بها إيمانَنا ، أو هي أهدافٌ نضعها نصْبَ أعيننا ، وينبغي أنْ نسعى إليها .

فلا بدَّ للمسلمِ الصادقِ أن يحملَ همومَ أخوانه المسلمين في مختلف أصقاعهم وأمصارهم ، ومَن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم ، بل إنّ تطلُّعَ المسلمِ إلى أن يكون أخوانه في شتى أقطارهم أعزّةً كرماء ، يملكون أمرَهم ومصيرَهم لَهِيَ علامةٌ من علاماتِ إيمانه ، وإنّ حرصَ المسلم على أن يكونَ المسلمون متعاونين متناصرين لَهِيَ علامةٌ من علاماتِ إخلاصِه ، فالفرديةُ طبْعٌ ، والتعاونُ الجماعيُّ تكليفٌ ، والإنسانُ المؤمنُ يتعاونُ مع أخوانه المؤمنين بقدْرِ طاعته لله ، وينسلخُ منهم ، ويؤكِّد فرديتَه بقدْرِ تفلُّتِه مِن منهج الله ، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائصِ طبعِه التي هي في الأصل تُناقِضُ التكليفَ ، ليكون هذا التناقضُ ثمناً للجنة ، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائصِ طبعه ، ويحمِلُها على طاعة ربِّه يكون حينئذٍ قد أخَذ بسببٍ مِن أسبابِ دخولِ جنة ربه ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41) ﴾

(سورة النازعات)

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم :

أيها الأخوة المستمعون ، أيتها الأخوات المستمعات ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي ﴾ .

(سورة النور الآية : 55)

أنجزَ اللهُ وعدَه للمؤمنين يومَ عبدوهُ حقَّ العبادةِ ، فأطاعوه ولم يعصوه ، وشكروه ولم يكفروه ، وذكَروه ولم ينسَوه ، فجعل اللهُ منهم قادةً للأمم بعد أنْ كانوا رعاةً للغنم ، لكنَّ الذي حدَثَ أنْ قَلَبَ المسلمون لدينهم ظَهْرَ المِجَنِّ .



1ـ وصف نبينا الكريم في أحاديثه النبوية الغيَّ الذي توّعد اللهُ به المقصِّرين وبيّن أسبابه :

قال الله تعالى في كتابه :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59) ﴾

(سورة مريم)

من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام أنه وصف هذا الغــيَّ الــذي توّعــد اللهُ بــه المقصِّرين ، وبيّن أسبابه ، وكأنه صلى الله عليه وسلم بيْننا يَرى ما نَرى ، ويسمع ما نسمع ، فَعَــنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**يُوشِكُ الأمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : يا رسول الله وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُـولَ اللَّـهِ وَمَـا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)) .

[رواه أبو داود وأحمد عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذا وصف دقيق للغيِّ الذي توعّد اللهُ به المقصِّرين .

فالأمم اليوم يدعو بعضُها بعضاً لمقاتلةِ المسلمين ، وكسرِ شوكتهم ، وسلبِ ثـرواتهم ، وأخذِ أموالهم ، واغتصابِ أراضيهم ، كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها ، يأخذون منها بــلا مــانع ولا منازع ، فيأكلونها عفواً وصفواً ، ويأخذون ما في أيديهم بلا تعبٍ ينالهم ، أو ضررٍ يلحقهم ، أو بأسٍ يمنعهم .

فانظروا إلى هذا الوهَن الذي هو سرُّ الضعف ، الذي جعل الناس عبيداً لدنياهم ، عشاقاً لأوضاعهم الرتيبة ، تُحرِّكهم شهواتُهم وشبهاتُهم ، وتسيِّرُهم رغائبُهم ونزواتُهم ، وهذا هو الــوهَن ، حينما يكره الإنسان لقاء ربه ، ويترقب الموت كامناً في كل اتجاه ، فيفزع من الهمس ، ويــألم مــن اللمس ، يُؤْثِر حياةً يموت فيها كلَّ يوم موتات ، على حياة كريمة عزيزة أبدية في جنة ربِّه ، فالعجبُ كل العجب أن يكون النورُ بين أيديهم ، والرائدُ نصبَ أعينهم ، ثم هم يلحقون منهومين بركاب الأمم الشاردة عن الله ، في نهجهم وسلوكهم ، فلا يستطيعون رشاداً ، ولا يهتدون سبيلاً ، وحالهم لا يعدو ما وصفَ ذلك الشاعر بقوله :

كالعِيس في البيداء يقتلها الظمأُ والماء مِنْ فوق ظهورها محمولُ

* * *



2ـ ذكر ما يصيب المسلمين آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم وتقصيرهم :

من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومن خلال إعلام الله له ، أنه ذكر ما يصيب المسلمين ـ في آخر الزمان ـ من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم ، وتقصيرهم في طاعتهم له ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ :

((**أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) .

[سنن ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

إنها المعاصي والذنوبُ ، والمجاهرةُ بالفواحشِ والآثامِ ، والتعرُّضُ لسخطِ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ ، فإنه ما نزل بلاءٌ إلاّ بذنب ، ولا رُفع إلاّ بتوبة ، وإنه ما حصل البلاءُ العامُّ في بعض البلاد ، ولا وقعت المصائبُ المتنوعةُ ، والكوارثُ المروِّعة ، ولا فَشَتِ الأمراضُ المستعصيةُ التي لم يكن لها ذِكرٌ في ماضينا ، ولا حُبِسَ القطرُ من السماء ، إلاّ نتيجةَ الإعراضِ عن طاعة الله عز وجل ، وارتكابِ المعاصي ، والمجاهرةِ بالمنكرات ، وكلما قلَّ ماءُ الحياء قلَّ ماءُ السماء .

خطاب الرسول الكريم لقتلى بدر من المشركين :

الآن ننتقل بحضراتكم عبرَ البُعْدِ الزمانيِّ إلى السابعَ عشر من رمضان عام اثنين لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وعبْر البُعْدِ المكانيِّ إلى بدر ، وهو مكانٌ بيْن مكةَ والمدينةِ ، جرَتْ فيه أولُ معركةٍ بين المسلمين والمشركين ، ولننظر إلى النبي ﷺ وقد وقف أمام قَليب ـ بئر مهجورة ـ طُرِحتْ فيه جثثُ القتلى مِن صناديدِ قريش ، ولنستمع إليه وهو يخاطبهم .



فعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((ترَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثاً ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً ؟ فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبٍ)) .

[رواه مسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ]

يا لها من كلماتٍ بليغات ، تلك التي خاطب بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القتلى مِن كفار قريش ، بَعْدَ أنْ أمرَ بطرحهم في قليبٍ ـــ أي بئر ـــ لدفنهم ، وذلك إثرَ انتصارِ المسلمين في أولِ مواجهةٍ لهم مع أعدائهم ، انتصروا وهم قلّة قليلة مُستضعَفة ، على كثرة كثيرة مِن صناديد قريش ، وهم أشداءُ مستكبرون .

لقد كان جيشُ المسلمين في بدر ضئيلَ العَدد ، قليلَ العُدد ، فأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لا يزيدون عن ثلاثمئة ، بل يَنقصون عن ذلك ، ولكنَّ الواحدَ منهم كألْفٍ ، والألفُ مِن أعدائهم كأفٍّ ، فَهُمْ يحبُّون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة .

نوعية القيادة التي قادت جيشَ المسلمين إلى النصر عشية موقعة بدر :

استعرض الرسولُ جيشَه كما يفعل القادةُ قُبيل المعركة لاستجلاء معنوياته فقال :

((أشيروا عليَّ أيها الناس .. ويعني بذلك الأنصار ، لأنهم كانوا أكثر عدداً ، فقال له سعدُ بنُ معاذ : والله فكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : أجلْ ، فقال : قد آمنا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة لك ، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا البحر فخضتَه لخضناه معك ، ما تخلَّف منا رجل واحد .. وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً وإنا لصُبُر في الحق ، صُدُق عند اللقاء ، فصِلْ حبال مَن شئت ، واقطعْ حبال مَن شئت ، وعادِ مَن شئت ، وسالم مَن شئت ، وخذ مِن أموالنا ما شئت ، وأعطِنا ما شئت، وما أخذتَ منا كان أحبَّ إلينا ممّا تركتَ ، فلعل اللهَ يُريك منا ما تقرُّ به عينُك ، فسرْ بنا على بركةِ الله)) .

[السيرة النبوية وكتاب الثقاة لابن حبان]



هذا نموذج مِن مقاتِلِي الجيشِ عشيةَ موقعةِ بدرٍ ، إنهم على أُهْبَةِ الاستعداد للتضحية بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، دعماً للحقِّ ، ولدين الحقِّ ، ولرسول الحقِّ .

أمّا عن نوعية القيادة التي قادت جيشَ المسلمين إلى النصر عشيةَ موقعة بدر فإليكم بعضَ ما روته كتبُ السيرة : لقد كان جيشُ المسلمين ، فضلاً عن ضآلة العَدَد ، في قِلَّةٍ مِنَ العُدَد ، فليس مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحبِه سوى سبعينَ بعيراً ، والمسافةُ بين المدينة وبدرٍ تَرْبُو على مئة وستين كيلو متراً ، فأعطَى النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وسلم توجيهاً ، بأنْ يختصَّ كلُّ ثلاثةٍ براحلة ، وقال صلى الله عليه وسلم :

((**وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، فكان أبو لُبابة وعليُّ بن أبي طالب زميلَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت نوبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم** ـــ أي دورُه في السير ــ **فقالا له : نحن نمشي عنك** ــ ليظل راكباً ــ **فقال : لا .. ما أنتما بأقوى مني على السير ، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر**)) .

[أخرجه الحاكم وابن حبان عن ابن مسعود]

فمشى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه راكبان ، فهذا الذي يمشي وصاحباه يركبان هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقائدُ الجيش . فهل تُدهِشُنا بعد هذا شجاعةُ أصحابه وتضحياتُهم وإقبالُهم على الموت بعد أنْ سوَّى نفسَه بهم في كلِّ شيء ؟ وهل يُدهشنا تعلُّقهم به ، وتفانِيهم في محبَّته ، وقد كان لهم أباً رحيماً ، وأُمّاً رؤوماً ، وأخاً ودوداً ، ونبياً ورسولاً ؟ ولقد صدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة القلم)

وصف دقيق لأعداء اليوم :

والآن نعود بحضراتكم عبر البُعْدِ الزماني من السابع عشر من رمضان من العام الثاني للهجرة ، إلى العشرين من رمضان من العامِ التاسع عشر بعد الأربعمئة والألف ، وعبْر البعد المكاني من أرض المعركة في بدر قرب المدينة المنورة إلى فسطاط المسلمين ، مدينة قرب الغوطة يقال لها دمشق ، هي خيرُ بلادِ المسلمينَ للمسلمين يومئذٍ ، والتي قال عنها سيِّدُ الخلق ، وحبيبُ الحقِّ :

((**إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ قَدِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ ، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، أَلاَ وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتْ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**)) .

[أحمد عن عمرو بن العاص]



نعود بكم إلى دمشق لنتابع خطبةَ الجمعة المنقولةَ عبر الأثير .

أيها السادةُ الأعزاء ، هذا النصرُ المؤزّرُ العزيزُ الذي فرِح به ويفرحُ له المؤمنون في كلِّ عَصرٍ ومَصرٍ ، والذي نحن في أمسِّ الحاجة إليه ، لأننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كلُّ القيمِ الإنسانية ، والأعراف الدولية ، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم ، وبَنَوْا مجدهم على أنقاض الشعوب ، وغِنَاهم على إفقارها ، وقوَّتَهم على تدمير أسلحتها . إنهم يصفون المالكَ الطريدَ المشرَّدَ للأرضِ إرهابياً لا حقَّ له ، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً ، ويجعلون اللصَّ الغالبَ على المقدسات ربَّ بيتٍ محترماً ، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعي ولكنْ بالإماتةِ الجماعيةِ والقهرِ النفسيِّ ، قال تعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾

(سورة يونس : الآية 24)

بل إنّ هؤلاء المستكبرين ربَّما طالبوا الشعوبَ المستضعفةَ أنْ يلْعَقوا جراحهم ، ويبتسموا للغاصب ، وأن يَعُدُّوا حقَّهم باطلاً ، وباطلَ غيرهم حقاً ، وفي مثل هذا يقول عليه الصلاة والسلام :

((كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ؟ قَالُوا : وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وأَشَدّ مِنْهُ سَيَكُونُ ، قَالُوا : وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ؟ قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً ؟ قَالُوا : وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدّ مِنهُ سَيَكُونُ ، قَالُوا : وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ ؟ قَالُوا : وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدّ مِنْهُ سَيَكُونُ)) .

[رواه أبو يعلي من حديث أبي هريرة]

ثمن النصر يتلخص بكلمتين الإيمان والإعداد :

هذا النصرُ المؤزّرُ العزيزُ ما سرُّه ؟ ومَن يصنعه ؟ وما العاملُ الحاسمُ فيه ؟ إنّه اللهُ عز وجل ، وهذا استناداً لقوله تعالى :

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾ .

(سورة الأنفال الآية : 10)



وقوله :

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ .

(سورة آل عمران الآية : 160)

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ والآن أليس لهـذا النصـرِ الذي هو مِن عند الله قواعدُ ؟ أليست له شروط ؟ أليس له ثمن ؟

إن هذه القواعدَ وتلك الشروطَ وهذا الثمنَ تتلخَّص كلها بكلمتين : الإيمان والإعداد، أمّـا الإيمان فقد قال تعالى :

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(سورة الروم)

وأمّا الإعداد فقال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ .

(سورة الأنفال الآية : 60)

فالإيمان الذي يحمل صاحبَه على الاستقامة والعمل الصالح وحدَه شرطٌ لازمٌ غير كافٍ ، والإعداد الذي يستنفد الطاقاتِ وحدَه شرطٌ لازمٌ غيرُ كافٍ ، بل لا بد مِن الإيمـان الحـقِّ والإعـدادِ الصحيح .

علاقة الإيمان بالنصر علاقة ثابتة :

إن علاقةَ الإيمان بالنصر علاقةٌ رياضيةٌ ــ أي ثابتة ــ توضِّحها الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مئة يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(65)الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِـمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مئة صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(66) ﴾ .

(سورة الأنفال) .

يتضح من خلال هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ معادلةَ النصر في حالة قوّةِ الإيمان واحـدٌ إلـى عشَرة ، وفي حالة ضَعف الإيمان واحدٌ إلى اثنين ، وفي حالة انعدام الإيمان يكون النصـر للأقـوى عدداً وعُدَّةً ، وما يتبع ذلك ، ذلك أنّ المعركة بين حقَّين لا تكون ، لأنّ الحقَّ لا يتعدّد، والمعركة بين حقٍّ وباطل لا تطول ، لأنّ الله مع الحقّ ، والمعركة بين باطلين لا تنتهي ، وعندئذ تحدَّثْ عن العَدَد والعُدَد ، والخطط والحيل .



الإعدادُ أمرٌ إلهيٌّ قطعيُّ الثبوتِ وهو وحده شرطٌ لازمٌ غير كاف :

إن الإيمان يبدِّل طبيعةَ النفس ويغيِّر قيمَها ومطامحَها ، ويُصـــعِّد ميولَهـــا ورغباتِهـــا ، ويخفِّف مَن متاعبِها وهمومِها ، ويُقوِّي رجاءَها وأملَها ، ويقلِّب أحزانَها أفراحاً ، ومغارمَها مغـــانمَ . تؤكِّد هذه الحقيقةَ وصيةُ سيدِنا عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه إلى سيدنا سعدِ بن أبي وقَّاص رضي الله عنه : " أمَّا بعدُ ، فإني آمرك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله عز وجل على كل حـــالٍ ، فـــإنّ تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدوِّ ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمُرُك ومَن معك أن تكونـــوا أشـــدَّ احتراساً مِنَ المعاصي منكم مِنْ عدوِّكم ، فإنّ ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم مِن عدوّهم ، فإنما يُنصـــر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوةٌ ، إنّ عددَنا ليس كعـــددهم ، ولا عُـــدَّتنا كعدَّتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا بالقوة . هذا هو الإيمان .

وأما الإعدادُ فهو وحده شرطٌ لازمٌ غير كاف أيضاً ، وهو أمرٌ إلهيٌّ قطعيُّ الثبوتِ لقوله عز وجل :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

(سورة الأنفال الآية : 60)

المؤمنون بمجموعهم مأمورون بإعداد العُدَّة ، ليواجهوا بها قُوى البغيِ والكفرِ

فكلمة : ﴿ **مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ تعني استنفادَ الجهدِ ، لا بذلَ بعضِ الجهد ، والقوةُ التي ينبغي أن يُعدَّها المؤمنون جاءت في الآيةِ مُنكَّرة تنكيرَ شمولٍ ، ليكون الإعداد شاملاً لكل القُوى التي يحتاجها المؤمنون في مواجهة أعدائهم ؛ من قوةٍ في العَدد ، وقوةٍ في العُدد ، وقوةٍ في التدريب ، وقوةٍ في التخطيط ، وقوةٍ في الإمداد ، وقوةٍ في التموين ، وقوة في الاتصالات ، وقوة في المعلومات ، وقوةٍ في تحديدِ الأهداف ، وقوةٍ في دقةِ الرمي ، وقوةٍ في الإعلام ، بل إن كلمة﴿ **مِن** ﴾ التي سبقت القوةَ جاءت لاستغراقِ أنواعِ القوةِ واحدةٍ إثر واحدة ، فلقد أفادت استقصاء أنواع القُوى ، لا اصطفاءَ بعضِها ، وكلمة ﴿**وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ جاءت عطفاً للخاص المألوف وقتَ نزولِ القرآن على العامِ الذي يستغرق كلَّ الأزمان والبيئات ، والتطوراتِ والتحديات ، وهذا الإعدادُ يحققُ أهمَّ أهدافِه ، ولو لم تقعِ المواجهةُ مع العدو ، إنها رهبةُ القَويِّ التي تُقذَف في قلوب أعدائِه ، لقوله تعالى : ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ .



كلّ القوةِ في إحكامِ الرمي وإصابةِ الهدف :

قال تعالى :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ﴾ .

(سورة آل عمران الآية : 151)

وقال عليه الصلاة والسلام :

((نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرةَ شَهْرٍ)) .

[أخرجه البخاري عن جابر]

وحينما لا تَّتبع أمتُه سُنتَه من بعده ربما تُهزم بالرعبِ مسيرةَ عام . بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن القوةَ كلَّ القوةِ في إحكامِ الرمي وإصابةِ الهدف ، وهو مقياس خالد للقوة ، وهو عنصر أساسي في كسبِ المعارك مهما اختلفت أنواعُ الأسلحة وتطورت مستوياتُها الفنّيةْ ، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ :

((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)) .

[رواه مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ وَارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا لَيْسَ مِنْ اللَّهْوِ إِلَّا ثَلَاثٌ تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا)) .

[رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

الله جلّ جلاله لم يكلّفْنا أن نُعِّدَ القوةَ المكافئة لأعدائنا ولكن كلّفَنا أن نُعِدَّ القوة المتاحة :

والآن دققوا ــ أيها الأخوة ــ في هذا الاستنباط من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ، إن الله جل في عُلاه لم يكلِّفْنا أن نُعِّدَ القوةَ المكافئةَ لأعدائنا ، ولكن كلَّفنا أن نُعِدَّ القوةَ المتاحة ، وهذا من رحمة الله بنا ، وعلى الله أن ينجز وعده بالنصر .



كما أن من الواجبِ علينا أن نبحث في كل مظنَّةِ ضَعْفٍ عن سببِ قوةٍ كامنةٍ فيه ، ولــو أخلصَ المسلمون في طلبِ ذلك لوجدوه ، ولصار الضعفُ قوةً ، لأنّ الضعفَ قد ينطوي علـــى قـــوةٍ مستورةٍ يؤيِّدها اللهُ بحفظِه ورعايته ، فإذا قوةُ الضعفِ تَهُدُّ الجبال ، وتدكُّ الحصون، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ .

(سورة الفتح)

إن الحديثَ عن القوةِ النابعةِ من الضعفِ ليس دعوةً إلى الرضا بالضعفِ ، أو الســكوتِ عليه ، بل هو دعوةٌ إلى استشعار القوة حتى في حالة الضعف ، وربما صحَّت الأجســامُ بالعلــل ، فينتزع المسلمون من هذا الضعف قوةً تحيل قوةَ عدوّهم ضعفاً ، وينصرهم اللهُ نصراً مبينــاً ، قــال تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ(﴾ .

(سورة القصص)

هذه الحقائقُ المستنبَطةُ من القرآن الكريمِ هي مــنهجُ الله لخلقِــه ، وتلــك التوجيهــاتُ التفصيليةُ والتوضيحيةُ التي جاءت في سنةُ نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وهذه المواقفُ الأخلاقيةُ الرائعةُ والحكيمةْ التي وقفها المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتُنا وقدوتُنا ، وتلك البطولاتُ الفــذَّةُ التي ظهرت من أصحابه الكرامِ ، أمناءِ دعوتِه ، وقادةِ ألويته ، هذه كلُّها نضعها بين أيدي أبناءِ أمتِنا العربيةِ والإسلاميةِ ، وهي تخوض المعاركَ تِلوَ المعاركِ مع أعدائها أعداءِ الحق والخيرِ .

الصدق والإخلاص مع متابعةِ الرسول صلى الله عليه وسلم هيَ سُلَّمٌ للفلاح :

لأنَّ البكاءَ لا يُحيي الميتَ ، ولأن الأسف لا يَردُّ الفائتَ ، ولأن الحزنَ لا يدفعُ المصــيبة ، ولكنَّ العملَ مفتاحُ النجاحِ ، والصدقَ والإخلاصَ مع متابعةِ الرسول صلى الله عليه وسلم هيَ سُــلَّمٌ للفلاح ، قال تعالى :

﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

(سورة التوبة105)

هذه الحقيقةُ الأساسيةُ أشار إليها السيدُ الرئيسُ في مؤتمر القِمة الإسلامي الثاني فقــال : يواجهُ العالمُ الإسلاميُ اليومَ تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّله من قيمٍ نبيلةٍ ، وما يدعو إليــه من أخوّةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية ، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن ديننا فإنّ لنا فيه يَنبــوعَ قــوةٍ ومصدرَ إلهام في مواجهةِ كلِّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتٍ ، وقد جاء في الحديث الشريف :



((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)) .

[أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري]

وأما السلامُ الذي نُدعى إليه فنحن حريصون عليه راغبونَ فيه ، على أن يكون سلاماً عادلاً ، تُسترجَع قبلَه الأرضُ ، وتُستردُّ فيه الحقوقُ ، وتتوافرُ فيه الكرامة . وإن تعنُتَ إسرائيلَ أوصلَ عمليةَ السلام إلى طريقٍ مسدودٍ ــ كما قال السيدُ الرئيسُ ــ فهي ترفض رفضاً مطلقاً كلَّ مقومات السلامِ ، وتنهج نهجَ المراوغةِ والخداعِ ، وتستفزّ الضميرَ الإسلاميَ والعربيَ والإنسانيَ بإنشاءِ مزيدٍ من المستوطناتِ ، ويضيف السيدُ الرئيسُ قائلاً : إن الخلاص يكون في الإسلام الذي عندما كنا متمسكينَ به لم يستطع أحدٌ أن يُذلَّنا ، الإسلام دين الحق والعدالة والمساواةِ بين البشر ، الإسلام مصدُر قوةٍ لنا جميعاً ، إن هذا يفرِض علينا أن نناضلَ بكل قِوانا وبصدقٍ و إخلاصٍ لحماية الدين الحنيفِ من هذه المؤامراتِ الاستعماريةِ ، لنحفظ له مهابتَه وجلالَه ، وليبقى مصدرَ عزةٍ و قوةٍ للمسلمين ، وليبقى حافزاً لتقدُّمِهم في كل مجال .

02 - سرعة الضوء

الله جل جلاله حينما قال:

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة السجدة الآية: 5]

كان مقداره ألف سنة مما تعدون، اليوم عند الله كألف سنة مما تعدون, القرآن ليس ملك أحد، القرآن حمال أوجه، ولكن مما ورد في هذا الكتاب أن هذه الآية تشير إلى سرعة الضوء، كيف؟ .

يدور القمر حول الأرض كل شهر دورة، فلو قسنا بعده عن مركز الأرض ورسمنا هذه الدائرة التي هي مداره حول الأرض، هذه الدائرة التي يسلكها القمر حول الأرض لها طول، لو أخذنا طول محيط هذه الدائرة، وضربناه باثني عشر شهراً، هذه المسافة التي يقطعها القمر في العام، لو ضربنا هذه المسافة بألف عام، صار معنا رقم كبير ، هذا الرقم يساوي يوماً في الأرض، أي يوم هذا؟ لو قسمنا هذا الرقم على يوم أي أربع وعشرين ساعة ضرب ستين كم دقيقة؟ ضرب ستين كم ثانية؟ .

إذا قسمنا المسافة التي يقطعها القمر حول الأرض في ألف عام, وقسمناها على عدد ثواني اليوم لظهرت معنا سرعة الضوء, وهي تقارب ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، وهذه أعلى سرعة موجودة بالكون, فالشيء إذا سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً وأصبحت كتلته



صفراً، وحجمه لا نهائياً، وتوقف الزمن, فإذا سار الجسم أسرع من الضوء تراجع الزمن، فإذا قصر عن الضوء تراخى الزمن .

الآية الثانية:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة الحج الآية: 47]

أنتم تعدون السنوات وفق الأشهر القمرية، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون, أما قوله تعالى:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

[سورة المعارج الآية: 4]

ليس في هذه الآية مما تعدون، هذه سرعة أخرى للملائكة تتجاوز سرعة الضوء, على كل؛ من خلال تقسيم المسافة التي يقطعها القمر في دورته حول الأرض في ألف عام على عدد ثواني اليوم, لظهرت معنا سرعة الضوء, وهي أعلى سرعة في خلق الله عز وجل، فأي شيء قارب هذه السرعة أصبح ضوءاً، تلاشت كتلته، وأصبح حجمه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمن، وهذا ما يقوله العلماء: إن الزمن هو البعد الرابع للأشياء .

لا مجال لتفصيلات أكثر من ذلك من على هذا المنبر, أما من أراد أن يتسع في هذا الموضوع فيعلم علم اليقين، أن هذا القرآن كلام الله .

الشيء الذي وصل إليه الإنسان بعد ألف وأربعمئة عام، وقال فلان: عرف النسبية, وفلان عرف سرعة الضوء، وعرف هذه الحقائق المذهلة, إن القرآن أشار إليه حينما قال:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة الحج الآية: 47]



03 - القمر

أيها الأخوة المؤمنون, كلكم يعرف أن القمر يدور حول الأرض في كل شهرٍ قمريٍ مرة، وأنه يدور حول نفسه في وقتٍ مساوٍ تماماً لدورته حول الأرض، لذلك نحن لا نرى من القمر إلا وجهاً واحداً طوال الحياة، لأنه يدور حول الأرض وحول نفسه في وقتٍ واحد، يستكمل دورته حول نفسه في تسعةٍ وعشرين يوماً وثماني ساعات، ويستكمل دورته حول الأرض في تسعةٍ وعشرين يوماً وثماني ساعات .

لكنَّ الشيء الذي يلفت النظر هو أن القمر يقطع في كل يومٍ من دائرة سيره حول الأرض ثلاث عشرة درجة، ويتأخَّر عن شروقه في اليوم السابق تسع وأربعين دقيقة، كل يوم ، لولا هذا التأخر لبدا القمر بدراً طوال الحياة، ولكن تأخر القمر تسع وأربعين دقيقة عن شروقه السابق كل يوم، هو الذي يرينا القمر في مراتب، من هلالٍ، إلى ربعٍ، إلى بدرٍ، إلى عرجونٍ، إلى غيابٍ كامل، لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

[سورة يونس الآية: 5]

يد من؟ تخطيط من؟ تصميم من؟ من جعل القمر يتأخَّر في شروقه كل يومٍ تسعةً وأربعين دقيقة عن اليوم السابق؟ بهذا التأخُّر يبدو القمر في هذه المراتب، ليكون تقويماً في كبد السماء، لتعلموا عدد السنين والحساب .

أيها الأخوة الأكارم, كتلة القمر جزءٌ من ثمانين جزءً من كتلة الأرض، وتعادل الجاذبية على سطح القمر سدس جاذبية الأرض، فالإنسان الذي يزن على الأرض ستين كيلو غراماً، يزن على القمر عشر كيلو غرامات، لأن الجاذبية فيه أقل بست مرات من الجاذبية على الأرض .

هناك أقمارٌ تدور حول نفسها في بضع سنوات، هناك أقمارٌ تبتعد كثيراً، وهناك أقمارٌ تقترب كثيراً، ولكن التفكير السليم، ولكن التفكير الدقيق، هو أنه لو لم يكن القمر يدور حول نفسه وحول الأرض في وقتٍ واحد، ولو لم يقطع في دورته ثلاث عشرة درجة، ولولا تأخُّر شروقه تسعةً وأربعين درجة، لما كان تقويماً، ولما استفدنا منه .



كيف تكون الحياة على الأرض لو أن نظام المسافة بين الأرض والقمر اختل عن توازنهما ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون, المسافة بين الأرض والقمر لو قلَّت عن ما هي عليه الآن لارتفع البحر ولغطى اليابسة، قال تعالى:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾

[سورة الرحمن الآية: 5]

فبعد القمر عن الأرض بحسبانٍ دقيق، لو قلَّت هذه المسافة لارتفع البحر، ولغطّى اليابسة، المد والجزر يقعان بتأثير القمر، ولكن بتأثيرٍ محدود، لو اقترب القمر من الأرض لعلا البحر وغمر اليابسة، ثم انحسر عنها، وكانت الحياة على اليابسة مستحيلةً، لو اقترب أكثر لجذبته الأرض، وارتطم بها، لو ابتعد القمر عن الأرض، لانعدم المد والجزر، وللمد والجزر في البحار وظيفةٌ خطيرة، لو ابتعد أكثر وأكثر لجذبته كواكب أخرى، ولدارت الأرض حول نفسها في أربع ساعات، أي يصبح النهار ساعتين والليل ساعتين، هذا كله منطوٍ تحت قوله تعالى:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾

[سورة الرحمن الآية: 5]

أيها الأخوة المؤمنون, يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾

[سورة يس الآية: 39]

قدرَّناه منازل, قال تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 33]



كلمة أخيرة عن القمر :

هل يخطر في بال أحد طوال حياته أن القمر لن يشرق؟ قال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾

[سورة لقمان الآية: 29]

ومن آياته الدالة على عظمته، الليل والنهار، والشمس والقمر:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾

[سورة الفرقان الآية: 61]

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾

[سورة نوح الآية: 15-16]

يا أيها الأخوة المؤمنون, تربة القمر تربةٌ عاكسةٌ للضوء، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى، و يعدُّ ضوء القمر جزءٌ من ثمانية عشر جزءاً من ضوء الشمس، وهو تقويمٌ دقيق جعله الله في كبد السماء، وجعل الشمس ساعة يومية، الشمس ساعة، والقمر تقويم, قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾

[سورة الغاشية الآية: 17-23]

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

[سورة يونس الآية: 5]

04 - عالمية الإسلام ، وعولمة الغرب

عالمية الإسلام تعني أن الإسلام لم يكن يوماً للعرب ، ولم يكن القرآن يوماً لقريش ، فهو منذ اليوم الأول ؛ سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين ، أو يخاطب قريشاً ، أو يخاطب العرب أجمعين ، أو يخاطب الناس كافة ، إنما يخاطبهم بمبدأ واحد ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد وهو إخلاص العبودية لله ، والخروج من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد ، بل إن هذه الحقيقة هي فحوى دعوة الأنبياء جميعاً :



وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾

(سورة الأنبياء) .

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي ، وليس رسالة خاصة بالعرب ، إن موضوعه هو الإنسان ، أي إنسان ، ومجاله هو الأرض ، كل الأرض ، إن الله سبحانه ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون الإسلام وحدهم ، إن الله هو رب العالمين ، وهذا الدين يريد الله منه أن يرد العالمين إليه ؛ وأن ينتزعهم من العبودية للبشر ولأحكام يشرِّعها لهم أناس من البشر إلى العبودية لخالق البشر ، وهذه هي العبادة التي لا يمكن أن تكون إلا لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله ، مهما ادَّعى أنه من هذا الدين بمكان ، ولقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الاتباع هو العبادة ، فقال عن بعض المشركين :

((**إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم**)) .

[رواه أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم]

قال المغيرة بن شعبة لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسأله قبل المعركة : ما الذي جاء بكم ؟ فيجيبه : إنّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

الله هو ربّ العالمين وقد أكدت هذه الحقيقة آيات كثيرة في القرآن الكريم :

قد أكدت هذه الحقيقة آيات القرآن الكريم ، كما بينتها الأحاديث النبوية ، والسلوك النبوي الشريف ، وهي كثيرة نستعرض بعضاً منها :

إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

(سورة ص) .



وقال :

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾

(سورة التكوير) .

وقال :

وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

(سورة الأنبياء) .

وقال :

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

(سورة آل عمران) .

وقال :

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(سورة يوسف) .

وقال :

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

(سورة الفرقان) .

وقال :

وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

(سورة سبأ) .



العولمة مظاهرها وأساليبها :

أما العولمة كما يريدها ويروِّج لها دُعاتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة ، صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ . إنها تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال الحديدية ، وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابة ، والشعارات البراقة ، كالعدالة ، والديمقراطية ، والحرية ، والسلام العالمي ، والتعايش السلمي ، وحقوق الإنسان ، ومكافحة الإرهاب ، فهي علقم قديم في آنية جديدة .

لعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات ، وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات ؛ سياسة ، واقتصاداً ، وإعلاماً ، وفكراً ؛ توطئة للاستيلاء على ثروات الشعوب ، وشل قدراتها الوطنية ، ومسخ هويتها وخصوصياتها الحضارية ، وتحويل أسواقها المحلية إلى أسواق استهلاكية ، تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الأجنبية لترويج منتجاتها وتراكم أرباحها .

وقد رأينا من ذلك بدايات مؤسفة ، لا تخطئها العين ، تمثلت في شيوع التقاليد ، والأزياء ، وأنماط الحياة الغربية ، ومزاحمتها لمثيلاتها الوطنية مع ما يجلبه هذا الوافد الغربي من مفاهيم بلاده وقيمها ، ولعل هذا يوضح الصلة بين شيوع هذه المظاهر ، وبين مظاهر التخنُّث ، وضعف التدين ، وانفراط عقد الأسرة ، وانتشار المخدِّرات ، والجريمة المنظمة !

ولقد وعى القوم دروس التاريخ فقدموا القوة الناعمة ، وهي المرأة على القوة الضاربة ؛ لأنها أقل استفزازاً للآخرين ، وأقل ظهوراً لهم ، وأقدر على شلّ قدراتهم على المقاومة ، وأقتل لروح الاستبسال والمواجهة في صدورهم .

وإذا كان الأسلوب التقليدي لدى القوم قد تمثل في حمْل الآخرين على فعل ما تريد ولو باستخدام القوة المسلحة ، فإن الأسلوب الأمثل اليوم يتمثل في حمل الآخرين على إرادة ما تريد ، والإقبال عليه عن طواعية واختيار ، وهذا يتوقف بطبيعة الحال على حسن تسويقه ، وجاذبية عرضه من ناحية ، كما يتوقف على حجم الإغراء الذي تحمله الجوائز التي تقدم ثمناً لمَن يتعاونون مع القوم من ناحية أخرى !

المشكل القائم حالياً لا يكمن في مبدأ العولمة ، وإنما يكمن في نوعية هذه العولمة، وخصوصياتها ، وبنائها ، فعولمة القطب الواحد فيها خصوصيات القطب القوي الواحد ، كالاحتكار ، وإرادة الهيمنة ، وسلوكية الكيل بمكيالين ، بعيداً عن روح المشاركة ، والتنافس الحر الشريف ، ومن



خصوصيات القطب الواحد قانون تضخيم الأرباح ، ولو على حساب الأرواح ، وعدم خضوع هذا النظام للشرائع الإلهية .

05 - بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية :

مما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام ضرورة الفصل بين العالمية التي جاءت بها شريعة الإسلام ، والتي تبنى على الوازع الديني ، حيث الإسلام دين سماوي ، وليس موضوعاً من الموضوعات البشرية ، وما تحمله من رسالة حب ورحمة إلى العالم أجمع ، وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب قوى الاحتكار العاتية ، بل لحساب حفنة من المتضلعين في دماء الآخرين وأموالهم .

إن العالمية الإسلامية التي تحيل العالم إلى قرية كونية واحدة ، يتمتع الإنسان فيها بحق الاختيار ، ويسود فيها البر والقسط ، ويتفيأ الإنسان فيها ظلال العدل والرحمة ، وتصان فيها حرمات المخالفين وحقوقهم ، هذه العالمية يجب ألا تلتبس في ذهننا بالعولمة التي يدعو لها حملة المشروع الغربي ، والتي تحيل العالم إلى غابة عالمية واحدة ، يأكل القوي فيها الضعيف ، ويزداد فيه الأغنياء غنى ، والفقراء فقراً .

إن الاتجاه إلى العالمية برسالة حضارية عادلة لا حرج فيه ، ولا تثريب على دعاته ، ولكن الحرج كل الحرج إنما يكمن في روح الهيمنة ، والجشع ، والأنانية ، والابتزاز الذي تحمله هذه العولمة الجامحة ، كما يدعو إليها أباطرة العولمة وقراصنتها من غير ضابط من دين أو خلق ، فليس الحرج في التوجه إلى العالمية في ذاته ، والتعامل مع الكيان البشري كأمة واحدة ، وإنما يكمن الحرج في المشروع الذي يحمله القائمون على هذا التوجه ، عندما لا يرون في الآخرين إلا أحجاراً على رقعة الشطرنج ، يعبثون بمقدراتهم ومصائرهم كما يشاؤون ، الأمر الذي لا تقام به دنيا ، ولا يصلح به دين ، ولا يزداد به العالم إلا شقاءً فوق شقاء !

إننا ــ نحن المسلمين ــ نحمل مشروعاً حضارياً رائداً ، لُحمته الربانية ، وسُداه البر والقسط ، نبذله إلى العالمين ما داموا لا يقاتلوننا في الدين ، ولا يصادرون علينا حقنا في أن نبسط دعوتنا إلى الآخرين . فليس على دعاة الدين الحق والرسالة الخاتمة من حرج أن يطوفوا بدعوتهم في المشارق والمغارب ، يوطِّئون للحق مهاداً ، وينشرون له أعلاماً في إطار قاعدة :



﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

(سورة البقرة الآية : 256) .

وتحت خيمة الربانية التي ترعى حقوق الموافقين والمخالفين ، حتى يتفيأ العالم ظلال هذه الرحمة العامة ، يفيء إليها من هجير الظلم ، ورمضاء الأثرة والجشع والأنانية ، ويجد له موقعاً في سفينة الإسلام ، التي تمخر به عباب هذه الفتن المتلاطمة حتى ترسو على شاطئ النجاة في الآخرة .

إن مصير العولمة سيكون كمصير غيرها من الحضارات التي صالت ثم انهارت :

إن هذه العولمة في إطارها اللا ديني الجامح لَتحمل في طياتها بذور إخفاقها ، وعوامل انهيارها ؛ فإنه لا دوام لظلم ، ولا بقاء لتعسف ولا جور ، لقد حدثنا القرآن الكريم عن دول قامت ثم زالت ، وعن حضارات صالت ثم انهارت ، قال تعالى :

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة الفجر) .



وقال تعالى :

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

(سورة الفرقان) .

وقال تعالى :

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة العنكبوت) .

نص مقتبس من خطاب السيد الرئيس عن العولمة والنظام العالمي الجديد :

قال أحد حكماء الرومان حين وقف على أطلال روما : "إن أول رجل تسبَّب في خراب الإمبراطورية هو الذي بدأ يقدم لها الأسلاب والغنائم " ؛ لأنه هو الذي أثار لدى أهلها شهوة النهب والسيطرة ، وحرك شياطين الأثرة والأنانية الكامنة وراء جلودهم ، وقديماً قال نابليون : "إن



الإمبراطوريات تموت دائماً بمرض التخمة" ، أي أن جوفها يعجز عن هضم ما تلتهمه من الأقـــاليم والشعوب .

وقد أشار السيد الرئيس إلى العولمة والنظام العالمي الجديد في كلمته التي ألقاهـــا فـــي مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في الدوحة : "هو نظام دولة أو بضع دول على هذه الكرة الأرضية ، أما ما تبقى منها فهو دول سابحة في هذا النظام الغريب ، بعضها يعوم على الســـطح بصـــعوبة ، وعليه أن يثبت وباستمرار حسن النية والطاعة والالتزام ، ومع ذلك فهو دائما مخطـــئ ، ومطلـــوب منه أن يكفر عن ذنوبه ، وبعضها الآخر غارق في القاع إلى أجل غير مسمى ، وأصـــبح كـــل مـــا يتماشى مع رغبات تلك الدول الكبرى ديمقراطية وعدلاً ، وكل ما يحقق مصالحها هو حقوق إنسان ، وحضارة بشرية ، ولم يعد مستغرباً أن تصدر لوائح تحدد فيها قيمة الإنسان لدى شعب ، وما يقابلها لدى الشعوب الأخرى كأسعار العملات ".

ثم أشار إلى تلك الهجمة الشرسة التي تشنها قوى البغي والظلم على الإسلام ، فقـــال : " هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينات هو ديننا الإسلامي الحنيف ، دين الأخلاق والعدل والمحبة الذي تم تشويهه إعلامياً وتثقيفياً وتربوياً ليغدو دين القتل والتطرف والإرهاب، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام ، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة ، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم ، حتى يثبت العكس ، وغالباً ما يثبت العكس ، أما الاتهام فيبقى كما هو ، وبالتوازي حورب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف واســـتخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين ، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تنميته مـــن خـــارج الأمـــة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي ، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة ، وإسرائيل أبرع مـــن شوه هذه الصورة ، وأية صورة حقيقية أخرى ". انتهى النص المقتبس من خطاب السيد الرئيس .

هذا وإن الأهم من هذا كله أن نبعث في هذه الأمة روح المواجهة لهذه الأعاصـــير، وأن نستثير مذخور طاقاتها الإيمانية والجهادية , وأن نرشد توجيه هذه الطاقات على طريـــق المحافظـــة على الهوية ، واستئناف ما توقف من مسيرتها الحضارية .



06 - مفهوم النصر

مفهوم النصر :

مفهوم النصر من المفاهيم التي التبس أمرها على معظم المسلمين ، بل وعلى بعض المتحمسين لدعوته المباركة ، الأمر الذي أدى إلى اختلافهم في أحكامهم ومواقفهم إزاء الأحداث الجارية والمشهودة في عالمنا الإسلامي . فالبعض يظن أن النصر هو تحقيق الأهداف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية مما يسعى إليه المؤمنون ، فإذا بلغوا هذه الأهداف فهم منتصرون ، وإلا فهم منهزمون . هذا فهم قاصر لانغماسه في الحسابات المادية البحتة دون النظر إلى غيرها .

البعض الآخر يتوهم أن النصر هبة إلهية ، يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده ، من غير اشتراط الاستحقاق لهذا النصر أو الاستعداد والتهيؤ له ، وهذا فهم خاطئ لأنه مخالف لسنن الله الكونية :

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ

(سورة النساء الآية : 123) .

وقال :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

(سورة الأنفال الآية : 60) .

لكن في إطار الصراع بين المؤمنين وأعدائهم قد يستفحل الجور ، وقد ينتصر الظلم ، وقد يظهر البغي والفساد ، فأين نصر الله ؟ النصر قد يكون مبدئياً ، وقد يكون واقعياً.



أشكال النصر :

07 - النصر المبدئي :

1ـ النصر المبدئي :

يكون المسلم منصوراً نصراً مبدئياً حين يسعى لتنفيذ أوامر الله ونواهيه في جميع ما جاءت به الشريعة ، وفي جميع الظروف والأحوال ، وفي جميع الأوقات والأماكن ، وفي حدود ما لديه من إمكانات . وبعبارة أُخرى ، يكون المسلم منصوراً نصراً مبدئياً حين يكون قائماً بأمر الله لا من القاعدين ، ساعياً للدفاع عن المبدأ لا من الخاملين المخلّفين ، شاهداً أحداث الأُمة لا من المنعزلين . فحسب المسلم نصراً أن يحمل رسالة السماء إلى الناس ، أما هدايتهم فأمرها بيد الله تعالى ، وحسبه نصراً أن يعمل على إصلاح المجتمع أما صلاحه فأمره بيد الله تعالى ، وحسبه نصراً أن يقاوم الظلم أما زوال الظلم فأمره بيد الله تعالى ، وحسبه نصراً أن يكافح لاسترداد الأرض المغتصبة وثروات الأُمة المنهوبة أما ردها فأمرها بيد الله تعالى ، وحسبه نصراً أن يجاهد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله في الأرض أما إطفاء الفتنة وهيمنة الحق فأمره بيد الله تعالى .

ميزة هذا النصر أنه حتمي يتحقق لمجرد سعي المسلم له ، أياً كانت النتائج الواقعية التي يتمخّض عنها سعيه وجهاده ، وميزته أنه إرادي مقدور عليه ، فكل مسلم يستطيع تحقيقه ، ويستطيع تجنب الهزيمة ، وميزته أن المسلم يستطيع إحرازه حتى لو وقف أعداء الإسلام بكامل قواهم لقتاله وحربه ، كما هي الحال الآن :

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

(سورة التوبة)



08 - النصر الواقعي :

2ـ النصر الواقعي :

النصر الواقعي هو الفوز المشهود الذي يحرزه المسلم في عالم الواقع ، في مضمار إعلاء كلمة الله لتكون هي العليا ، فيكون المسلم منتصراً حين يحقق في الواقع مكسباً سعى إليه في سبيل الله ، أو ينال هدفاً جاهد من أجله ، وفي هذه الحالة يحرز المسلم كلا الحسنيين ، نصراً مبدئياً ، ونصراً واقعياً .

إلا أن النصر الواقعي يتوقف على الإعداد المادي والإمداد الإلهي ، إعداد العدّة وطلب النصر من الله تعالى ، وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده مع الجاهلية الأُولى ، وهذا ما يلزمنا في جهادنا مع الجاهلية المعاصرة .

والإعداد المادي يستلزم استنفار كل طاقات المسلمين ، وتنسيق قواهم البشرية والمادية والروحية ، حيث تمتلئ نفوسهم عزيمة وحيوية وإيماناً وثباتاً ، وتنطلق جوارحهم بذلاً وعطاءً وقوة ومضاءً مع تجريد النية لله تعالى ، وعقد الثقة المطلقة به سبحانه . ولو قيض للمسلمين أن يعرفوا معنى الآية الكريمة :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

(سورة الأنفال الآية : 60) .

وتحليلها الدقيق لعرفوا أن المعلوماتية اليوم والاتصالات هي من وسائل القوة ، ولعرفوا أن علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك هي من وسائل القوة ، ولعرفوا أن علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية من وسائل القوة ، وأن علم الحيوان وعلم النبات وعلم طبقات الأرض من وسائل القوة ، وعلوم الوراثة والهندسة الوراثية من وسائل القوة ، إلى ما هنالك من علوم أتقنها الغربيون فأحكموا سيطرتهم على العالم ، وأملوا عليه إرادتهم وثقافتهم وعولمتهم ، ولا حرج علينا مطلقاً أن نأخذ ما في رؤوسهم وأن ندع ما في نفوسهم ، فثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟!



بعض من وسائل قوة المسلمين :

من وسائل قوة المسلمين تشخيص الباطل ، والقدرة على تعريتــه ، والمصــابرة علــى تكذيبه وعدوانه ، ومجابهة مكره وكيده وعناده ، واليقين أنه إلى زوال لقوله تعالى :

إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

وقال :

وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

(سورة إبراهيم)

ثم الكفر بالباطل وكشف أكاذيبه ، ونزع أقنعته ؛ لأن الكفر به شرط للإيمان بالله، قال تعالى:

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ

(سورة البقرة الآية : 256) .

فإذا علم الله صدق نية المؤمنين المجاهدين في سبيله ، وثبات عقيدتهم ، وتحرر نفوسهم ، وشوقهم إلى لقائه ، وحنينهم إلى نعيمه ، عندئذ يتوفر لهم الإمداد الإلهي ، فيبطش الله بــالمجرمين بطشته الكبرى ويحقق النصر المؤمنين :

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الروم)

وقال :

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ



(سورة غافر) .



وقال :

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

(سورة النساء) .

الحكمة من تباطؤ نصرة المؤمنين والمظلومين :

إن نصرة المؤمنين والمظلومين قد تبطؤ لحكمة بالغة يعلمها الله تعالى ، وقد لا تدركها عقولنا ، أو لخير عميم ادخره لهم ، أو ليعلم الثابتين منهم على عقيدتهم ، الصابرين على آلامهم ، والموفين بعهدهم ، الصادقين في تضحياتهم ، لتكون هذه الصفوة المؤمنة حريصة على حماية النصر المرتقب ، الذي لم تنله إلا بالدماء الزكية ، والأرواح الطاهرة ، وتكون قادرة على تحمل أعبائه في إقامة الحق ، وبسط العدل ، ونشر حرية العبادة ، وإشاعة الخير بين الناس ، وتحريرهم من عبودية الطواغيت ، وقطع دابر الفتنة والفساد في الأرض :

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

(سورة مريم) .

وقال :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ

(سورة القصص) .



09 ـ قصة عبد الله بن سلام :

قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام :

يا أخوتنا في الأراضي المحتلة إليكم قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ، هـاهو ذا الصحابي الجليل عبد الله بن سلام يحدثنا عن قصته فيقول :

لما سمعت بظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذت أتحرى عـن اسـمه ، ونسـبه، وصفاته ، وزمانه ، ومكانه ، وأطابق بينها وبين ما هو مسطورٌ عندنا في الكتب ، حتى استيقنت من نبوته ، وتثبت من صدق دعوته ، ثم كتمت ذلك عن قومي اليهود ، وعقلت لساني عن التكلُّم فيـه ، إلى أن كان اليوم الذي خرج فيه النبي عليه الصلاة والسلام من مكة قاصداً المدينة ، فلما بلغ يثرب ، ونزل بقباء ، أقبل رجل علينا وجعل ينادي في الناس معلناً قدومه ، وكنت ساعتئذٍ فـي رأس نخلـة أعمل فيها ، وكانت عمتي خالدة بنت الحارث جالسة تحت الشجرة ، فما إن سمعت الخبر حتى هتفت : الله أكبر الله أكبر ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خيَّبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما فعلت شيئاً فوق ذلك !! فقلت لها أي عمة ، إنه والله أخو موسـى بـن عمـران وعلى دينه ، وقد بُعث بما بعث به فسكتت وقالت : أهو النبي الذي كنتم تخبروننا أنه يبعث مصـدِّقاً لمن قبله ، ومتمماً لرسالات ربه ، فقلت : نعم ، قالت : فذلك إذاً ، ثم مضيت من توّي إلـى النبـي عليه الصلاة والسلام ، ورأيت الناس يزدحمون ببابه ، فزاحمتهم حتى صرت قريباً منه ، وكان أول ما سمعته منه : أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيـام ، تـدخلوا الجنة بسلام، فجعلت أتفرَّس فيه ، وأتملى منه ، فأيقنت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب ، ثم دنوت منـه وشهدت أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فالتفت إلي وقال : ما اسمك ؟ فقلت : الحصين بن سلام ، قال : بل عبد الله بن سلام . فقلت : نعم عبد الله بن سلام ، والذي بعثك بالحق ما أحـب أن لي به اسماً آخر بعد اليوم ، ثم انصرفت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي ، ودعوت زوجتي وأولادي وأهلي إلى الإسلام ، فأسلموا جميعاً ، وأسلمت معهم عمتي خالدة ، وكانت شـيخةً كبيرة .

يقول عبد الله بن سلام : ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لـه : يـا رسول الله إن قومي قوم بهتانٍ وباطل ، وإني أحب أن تدعو وجوههم إليك ، وأن تسترني عنهم فـي



حجرةٍ من حجراتك ، ثم تسألهم عن منزلتي عندهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، ثم تدعوهم إلى الإسلام ، فإنهم إن علموا أنني أسلمت عابوني ورموني بكل ناقصةٍ وبهتوني ، فأدخلني النبي عليه الصلاة والسلام في بعض حجراته ، ثم دعاهم إليه ، وأخذ يحضُّهم على الإسلام ، ويحبب لهم الإيمان ، ويذكِّرهم بما عرفوه في كتبهم من أمره ، فجعلوا يجادلونه بالباطل ويمارونه في الحق ، وأنا أسمع ، فلما يئس من إيمانهم قال لهم : ما منزلة الحصين بن سلام فيكم ؟ فقالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرُنا وعالمنا ، وابن حبرنا وعالمنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : أفرأيتم إن أسلم أفتسلمون ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، أعاذه الله من أن يسلم ، فخرجت إليهم وقلت : يا معشر اليهود اتقوا الله ، واقبلوا ما جاءكم به محمد ، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، وإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ، والله إنك لشرنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا ، ولم يتركوا عيباً إلا عابوني به ، فقلت : يا رسول الله ألم أقل لك : إن قومي قوم بهتانٍ وباطل ، وإنهم أهل غدرٍ وفجور .

الحقائق الناصعة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله تضيء سبيل النصر والصبر معاً :

هذه الحقائق الناصعة المستنبطة من كتاب الله ، وسنة رسوله ، ومن السيرة النبوية ، والتي تضيء سبيل النصر والصبر معاً أضعها بين أيدي أخوتنا في الأراضي المحتلة ، فلعل الله ينفعنا بها جميعاً .

أتيت القبور فساءلتها ... أين المعظم والمحتقر؟!
وأين المذل بسلطانه ... وأين القوي على ما قدر؟!
تفانوا جميعاً فما مخبر ... وماتوا جميعاً ومات الخبر!!
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبر؟!
تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

* * *

أيها الأخوة الكرام ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيِّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

***



10 - القمح وفوائده:

فوائد قشور القمح :

إن الله تعالى جعل القمح لبني البشرِ غذاءً كاملاً ، ولكنَ عنايةَ الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أنّها جَعَلَتْ هذا القمحَ ينبتُ في كل بقاعِ الأرضِ ، ينبتُ في السهولِ ، وينبتُ في الجبالِ ، وينبتُ في الأغوارِ ، وينبتُ في الأجواءِ الباردةِ ، وينبتُ في الأجواءِ الحارّةِ ، وينبتُ في الأجواءِ المعتدلةِ ، وفي كلِّ لحظةٍ من لحظاتِ الزمنِ هناك قمحٌ على وجهِ الأرضِ ينبتُ ، ولكنَّ التصميم الإلهيَّ لهذه الثمرةِ أنه جَعَلَها كاملةَ الغذاءِ ، ففيها غلافٌ خارجيٌّ يزن تسعاً في المئةِ من مجموع وزنِها ، يُسمَّى عند الناس النُخالة ، وفيها قشرةٌ رقيقةٌ تنطوي على مادةٍ آزوتيةٍ لا تزيدُ عن ثلاثةٍ في المئة من وزنِها ، وفيها الرُّشَيْمُ الكائنُ الحيُّ الذي ينبتُ إذا توافرت له شروط الإنبات ، ووزنُه لا يزيدُ عن أربعٍ في المئة من وزنِ حبَّةِ القمحِ ، والأربع والثمانون في المئة نَشاءٌ خالصٌ ، ماذا نفعل نحن ؟ ننزعُ عن القمحةِ غلافَها ، وغشاءَها ، ولا يبقى لنا إلا النّشاءُ الخالصُ ، أمّا هذا الغلافُ الذي يسمِّيه الناس نُخالةً ، ففيه ستةُ فيتامينات ، فتامين ب1 ، ب2 ... ب6 ، وفيتامينات أخرى في هذا الغلافِ ، وفي هذا الغلافِ مادةٌ فسفوريةٌ هي غذاءٌ للدماغِ والأعصابِ ، وفي هذا الغلافِ حديدٌ يَهَبُ الدمَ قوةً وحيويةً ، ويُعِينُ على اكتسابِ الأوكسجين مِنَ الرئتين ، وفي هذا الغلافِ الكلسيوم الذي يبني العظامَ ، ويقوّي الأسنانَ ، وفي هذا الغلافِ السيليكون الذي يقوّي الشعرَ ويزيدُه قوةً ولمعاناً ، وفي هذا الغلافِ اليودُ الذي ينشط عملَ الغدّةِ الدَرَقِيَّةِ ، ويُضفي على آكلِه السكينةَ والهدوءَ ، وفيه البوتاسيوم ، والصوديوم ، والمغنيزيوم ، تدخلُ هذه المعادنُ كلُّها في تكوينِ الأنسجةِ ، والعصاراتِ الهاضمةِ ، أما نحن فننزعُ عن حبَّةِ القمحِ قشرَها ، ونرميه للبهائمِ ، ونأكلُ هذا النشاءَ الصافيَ الذي هو كما وَصَفَه بعضُ الأطباءِ بأنّه غراءٌ جيدٌ للمعدةِ ، وهو يذمُّه بهذا الوصف ، وهذا التصميم الإلهي لنا أنْ نأكلَ القمحَ بقشره ، حتى نستفيدَ مِن هذه الموادِ التي أودَعَهَا اللهُ في قشرةِ القمح .

إذا غُلِيَتْ هذه القشورُ بالماءِ الساخنِ كانتْ مهدئةً للسعال والزكامِ ، وإذا شُرِبَ هذا المغليُّ كان قابضاً للأمعاءِ ، وكان دواءً لتقرُّحاتِ المعدةِ وللزحار ، وهو غذاءً للجلدِ ووقايةً له من أمراضِه ، وعلى رأسها الأكزيما .

لذلك حينمَا نأكلُ كما أرادَ اللهُ لنا أنْ نأكلَ ، وحينما نطبِّقُ سنَّةَ النبي عليه الصلاة والسلام في الأكل ، نضمن لأنفسنا الصحةَ والبُعدَ عن الأمراض .



سئل الصحابي الجليل سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ : " هَلْ رَأَيْتَ النَّقِيَّ ــ الطحين المنخول ــ قَالَ : مَا رَأَيْتُ النَّقِيَّ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : فَهَلْ كَانَ لَهُمْ مَنَاخِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مُنْخُلاً حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كُنَّا نَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مِنْهُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ " .

[ابن ماجه عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ]

وورد في الأثر أن أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله نخل الدقيق.

11 - إدارة الوقت

لقد عرفتَ قيمةَ الوقت ، فجعلتَه ظرفاً لبطولاتٍ تعجزُ عن صنعَها الأممُ والشعوبُ، حتّى أقسمَ اللهُ في عليائه بِعُمُرِكَ الثمين ، فقال تعالى :

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة الحجر)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، أمناءِ دعوتِه ، وقادةِ ألويتِه ، الذين ربّاهم عليه الصلاةُ والسلام تربيةً جَعَلَتْ منهم أبطالاً ، وحَمَلَتْ أحدَهم على أن يقول : " والله لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، ولو علمتُ أن غداً أجلي ما قدرتُ أن أزيد في عملي " .

[حاشية السِّنْدي على سنن النسائي مِن قول عليٍّ]

سورة العصر ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يريدُها خالق البشرية :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، وأحثُّكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير .

أيها الأخوة الأحباب ، في القرآن الكريم سورةٌ قصيرةٌ ، كان الـرَّجلانِ مِـن أصـحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا الْتَقَيَا لم يتفرَّقا حتى يتلوَ أحدُهما على الآخر هذه السورة ، وكان الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله تعالى يقول : " لو تدبَّر الناسُ هذه السورة لَكَفَتْهُم ".



هذه السورةُ ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية ، كما يريدُها خالق البشرية ، فعلى امتدادِ الزمانِ في جميعِ العصور ، وعلى امتدادِ المكانِ في جميع الدهور ، ليسَ أمامَ الإنســانِ إلا مــنهجٌ واحدٌ رابحٌ ، وطريق واحد سالك إلى جنةِ الخُلدِ ، وكلُّ ما وراء ذلك ضياعٌ وخسارةٌ وشقاء .

أيها الأخوة الكرام ، لعلكم تسألون : ما هذه السورة ؟ إنها سورة العصر ، قال تعالى :

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾

(سورة العصر)

لقد أَقْسمَ اللهُ جلّ جلالُه بمطلق الزمن ، العصر ، لهذا الإنسانِ الذي هو في حقيقته زمنٌ ، فهو بِضْعَةُ أيام ، كلما انقضى يومٌ انقضى بِضْعٌ منه ، وما مِن يوم ينشقّ فجرُه إلا وينادي : يا ابن آدم ، أنا خلقٌ جديدٌ ، وعلى عملِك شهيدٌ ، فتزوَّدْ منِّي ، فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

لقد أقسمَ اللهُ بالزمن للإنسان أنّه في خُسرٍ ، بمعنى أنَّ مُضِيَّ الزمنِ وحدَه يستهلكُ عُمُــرَ الإنسان الذي هو رأسُماله ووعاءُ عملِه الصالحِ الذي هو ثمنُ الجنة التي وَعَدَه اللهُ بها.

شرح تفصيلي لسورة العصر :

أيها الأخوة الأحباب ، هلِ الخسارةُ في العُرْفِ التِّجاريِّ إلا أنْ تُضَيِّعَ رأسَ مالِــكَ مِــن دون تحقيقِ الربحِ المطلوب ، لكنّ الإنسانَ إذا استثْمرَ الوقتَ فيما خُلِقَ له ، يستطيع أنْ يتلافَى هــذه الخسارةَ وذلك بالإيمانِ والعملِ الصالحِ ، والتواصي بالحقِّ ، والتواصي بالصّبرِ . قال تعالى :

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

(سورة العصر)



12 - الإيمان

1ـ الإيمان :

أولاً : الإيمان ، ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ، إنّ الإيمانَ هو اتصالُ هـذا الكـائنِ الإنسـانيّ الصغيرِ الضعيف الفاني المحدود ، بالأصل المطلقِ الأزليّ الباقي ، الذي صدرَ عنه هذا الوجـودُ ، وعندئذٍ ينطلقُ هذا الإنسانُ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابةِ الكون الكبير ، مِن حدودِ قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة ، من حدود عمره القصير إلى امتدادِ الآبادِ التي لا يعلمُهـا إلا اللهُ ، هذا الاتصالُ فضلاً على أنه يمنحُ الإنسانَ القوةَ ، والامتدادَ ، والانطلاقَ ، فإنه يمنحُه السـعادةَ الحقيقيةَ التي يَلْهَثُ وراءها الإنسانُ ، وهي سعادةٌ رفيعةٌ ، وفرحٌ نفيسٌ ، وأُنْـسٌ بالحيـاةِ ، كَـأُنْسِ الحبيبِ بحبيبِه ، وهو كَسْبٌ لا يعدِلُه كسبٌ ، وفقدانُه خسرانٌ لا يعدِلُه خسرانٌ ، وعبادةُ إلـهٍ واحـدٍ ترفعُ الإنسانَ عن العبوديةِ لسواه ، فلا يذلّ لأحد ولا يحني رأسَه لغير الواحد القهار ، فليس هنـاك إلا قوةٌ واحدةٌ ، ومعبودٌ واحدٌ ، وعندئذٍ تنتفي مِن حياةِ الإنسانِ المصلحةُ والهوى ، ليحـلّ محلَّهـا الشريعةُ والعدلُ .

الاعتقادُ بكرامةِ الإنسانِ ، وهو مِن لوازمِ الإيمانِ ، الاعتقاد بكرامة الإنسـان عنـد الله يرفع من قيمته في نظر نفسه ، ويثيرُ في نفْسهِ الحياءَ مِنَ التّدنّي عنِ المرتبةِ التي رَفَعَهُ اللهُ إليها .

13 - وعملوا الصالحات

2ـ العمل الصالح :

ثانياً : العملُ الصالحُ ، ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ .

لأنّ الإيمانَ أيها الأخوة ، حقيقةٌ إيجابيةٌ متحركةٌ ، كان العملُ الصالحُ هو الثمرةَ الطبيعيةَ للإيمان ، فمَا إنْ تستقرَّ حقيقةُ الإيمانِ في ضميرِ المؤمنِ حتّى تسعَى بذاتِها إلى تحقيق ذاتِهـا فـي صورةِ عملٍ صالحٍ ، فلا يمكنُ أنْ يظلَّ الإيمانُ في نفسِ المؤمنِ خامداً لا يتحرّك ، كامناً لا يَتَبَدَّى ، فإنْ لم يتحرّكِ الإيمانُ هذه الحركةَ الطبيعيةَ فهو مزيَّفٌ ، أو ميتٌ، شأنُه شـأنُ الزهـرةِ ، ينبعـثُ أريجُها منها انبعاثاً طبيعياً ، فإنْ لم ينبعثْ منها أريجٌ فهو غيرُ موجود .

العملُ الصالحُ أيها الأخوة ، ليس فلتةً عارضةً ، ولا نزوةً طارئةً ، ولا حادثةً منقطعةً ، إنما ينبعثُ عن دوافعَ ، ويتّجهُ إلى أهدافٍ ، ويتعاونُ عليه المؤمنون .



صفاتُ العملِ الصالحِ :

الإيمانُ أيها الأخوة ، ليس انكماشاً ، ولا سلبيةً ، ولا انزواءً ، ولا تَقَوْقُعاً ، بل هو حركةٌ خَيِّرَةٌ نظيفةٌ ، وعَمَلٌ إيجابيٌّ هادفٌ ، وعمارةٌ متوازنةٌ للأرض ، وبناّء شامخٌ للأجيال، يتّجهُ إلى الله ، ويليقُ بمنهج الله ، ورَحِمَ اللهُ عمرَ بنِ عبد العزيز إذ يقول : " إن اللّيل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما ، ويأخذان منك ، فخذ منهما " .

يا أخوتنا الأحباب ، كلما اتَسعتْ رقعةُ العملِ فشملتْ أعداداً كبيرةً من بَني البشرِ حتى دخلتْ فيه الأممُ والشعوبُ ، وكلّما امتدّ أمدُ العملِ وطالَ حتى توارثتْ ثمارَه أجيالٌ وأجيالٌ ، وكلما تغلغلَ العملُ في كيانِ الإنسانِ كلِّه ؛ الماديّ ، والنفسيّ ، والاجتماعيّ ، والروحيّ ، حتى تحقَّق به وجودُ الإنسان ، وتألّقتْ من خلاله إنسانيتُه ، وكان كما أريد له أن يكون ، إذاً كلما اتسعتْ رقعةُ العمل ، وعَمَّ خيره ، وطالَ أمدُه ، واشتدَّ تأثيرُه ، كانَ أعظمَ عندَ الله .

هذه صفاتُ العملِ الصالحِ ، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم أَخْرَجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النور ، ومِن دَرَكَاتِ الجاهليةِ إلى أعلى مراتبِ الإنسانية ، وغيَّر وجهَ التاريخِ البشريّ كله ، إلى اليوم ، وإلى ما شاء الله ، في ثلاث وعشرين سنة ، أقامَ فيها ديناً جديداً ، وربَّى عليه جيلاً فريداً ، وأنشأ أمّةً مثاليةً ، وأسّسَ دولةً عالميةً ، في هذا الزمن اليسير ، على الرغم مِن كلّ الصعوباتِ والعوائقِ التي اعترضتْ سبيلَه مِن أوّل يومٍ .

ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزانِ الحقِّ ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند الله كلما كثرتْ العوائقُ في سبيله ، وعظُمتِ الصوارفُ عنه ، وقَلَّ المُعينُ عليه .

ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزان الحقِّ ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند الله حينما تَفْسُدُ المجتمعاتُ ، وتضطرب الأحوالُ ، فيجور الأمراءُ ، ويتجبّرُ الأقوياءُ ـ كما ترون ـ ويترفُ الأغنياءُ ، ويداهِن العلماءُ ، وتشيع الفاحشةُ ، ويظهرُ المنكرُ ، ويختفي المعروفُ ، وفي الحديث عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**)) .

[أخرجه مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ]



سنن وأقوال عن أهمية التوفيق في إنفاق الوقت :

أيها الأخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين ، هنا محلُّ الإشارةِ إلـى أنّ الإنسـانَ إذا رُزِقَ التوفيقَ في إنفاقِ وقتهِ يستطيعُ أنْ يُطيلَ عمرَه إلى ما شاء الله بعد موته ، فيحيا وهو ميت ، ويؤدّي رسالتَه وهو تحت التراب ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**)) .

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

فكيف إنْ لم يكن له عملٌ أصلاً ووافتْه المنيّةُ ؟!!

في حديثٍ آخرَ تضمّنَ تفصيلاتٍ لهذه الثلاث ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ ، وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**)) .

[رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة]

وأخرجَ مسلمٌ في صحيحه أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال :

((**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**)) .

[رواه مسلم والنسائي وغيرهما عن جرير بن عبد الله]

فوَيْلٌ ، ثم ويلٌ ، ثم ويلٌ ، لِمَن انقضتْ آجالُهم ، وضلالاتُهم وآثامُهم باقيةٌ مِن بعدهم ، وهنيئاً ، ثم هنيئاً ، ثم هنيئاً لِمَن كانوا تحت الثرى ، والناسُ مهتدُون بهديهم سعداء بأعمالهم .

قال صاحب الحكم العطائية : " رُبَّ عُمُرٍ اتَّسعت آمادُه ، وقلَّتْ أمدادُه ، ورُبَّ عُمُرٍ قليلةٌ آمادُه ، كثيرةٌ أمدادُه ، ومَنْ بورك له في عُمره أدركَ في يسيرٍ مِنَ الزمنِ مِنَ المِنَنِ ما لا يدخلُ تحتَ دائرةِ العبارةِ ، ولا تلحقُه وَمْضَةُ الإشارةِ " .



14 - وتواصوا بالحق

3ــ التواصي بالحق :

ثالثاً : التواصي بالحق ، ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ** ﴾ .

أيها الأخوة الأعزاء ، أيتها الأخوات العزيزات ، ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ** ﴾ ، لأنَّ النهوضَ بالحقِّ عسيرٌ ، والعوائقَ كثيرةٌ ، والصوارفَ عديدةٌ ، فهناك هوى النفوسِ ، ومنطقُ المصلحةِ ، وظروفُ البيئة ، وضغوطُ العمل ، والتقاليدُ ، والعاداتُ ، والحرصُ ، والطمعُ ، عندئذٍ يأتي " التواصي بالحق " ، ليكونَ مذكِّراً ، ومشجِّعاً ، ومحصنّاً للمؤمنِ الذي يجدُ أخاه معه يوصيه ، ويشجِّعه ، ويقف معه ، ويحرصُ على سلامته ، وسعادته ، ولا يخذُله ، ولا يسلبُه ، وفضلاً عن ذلك ، فإن" التواصي بالحق " ينقِّي الاتِّجاهاتِ الفرديةِ ، ويَقِيها ، فالحقُّ لا يستقرّ ، ولا يستمرّ إلا في مجتمعٍ مؤمنٍ ، متراصٍ ، متعاونٍ ، متكافلٍ ، متضامن .

أيها الأخوة الكرام في كل مكان ، فالمرءُ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ يكمِّل نفسَه ، وبالتواصي بالحقِّ يكمِّل غيرَه ، وبما أنّ كيانَ الأمةِ مبنيٌّ على الدِّينِ الحقِّ الذي جاءنا بالنَّقلِ الصحيح ، وأكّده العقلُ الصريحُ ، وأقرَّه الواقعُ الموضوعيّ ، وتطابقَ مع الفطرة السليمة ، فلا بد أنّ يستمرَّ هذا الحقُّ ويستقرَّ ، حتى تشعرَ الأمةُ بكيانها ورسالتها ، " فالتواصي بالحق " قضيةٌ مصيريةٌ ، فما لم تتنامَ دوائرُ الحقِّ في الأرض ، تنامتْ دوائرُ الباطلِ وحاصرتْه ، "فالتواصي بالحق " يعني الحفاظَ على وجودِه ، والأداءِ لرسالته .

15 - وتواصوا بالصبر

4ــ التواصي بِالصَّبْر :

رابعاً : التواصي بالصبر ، ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ .

لقد شاءتْ حكمةُ الله جل جلاله أنْ تكون الدنيا دارَ ابتلاءٍ بالشَّرِّ والخيرِ ، ودارَ صراعٍ بين الحقِّ والباطلِ ، لذلك كان التواصي بالصبر ضرورةً للفوزِ بالابتلاءِ ، والغلبةِ في الصراعِ .



إذاً : لا بد مِنَ التواصي بالصبر على مغالبةِ الهوى ، وعنادِ الباطل ، وتحمّـلِ الأذى ، وتكبّدِ المشقةِ ، لذلك يعدُّ الصبرُ وسيلةً فعالةً لتذليلِ العقباتِ ، ومضاعفةِ القدراتِ ، وبلوغِ الغاياتِ ، قال تعالى :

إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ

(سورة النساء)

إدارة الوقت :

أيها الأخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين ، العبرةُ ليست في إنفـاقِ الوقـتِ ، بـل فـي استثماره ، فالوقتُ إذا أنفقناهُ ضاعَ ، أما إذا استثمرناهُ فسينمو ، ويُؤتِي ثمارَه في مستقبلِ حياتنـا ، وللأجيال القادمة .

إذاً كيف يُنفقُ المسلمُ الزمنَ إنفاقاً استثماريّاً ؟ لئلاّ تُحقَّق به الخسارةُ ، إنَّ هذا ما يسـمَّى في المصطلح الحديث إدارة الوقت ، وهو موضوعُ الخطبةِ اليومَ .

يا أخوتنا الأحباب ، الوقتُ في حياةِ المسلمِ عبادةٌ ممتدَّةٌ ، أمّا الوقتُ في الثقافةِ الغربيةِ ، والنظرياتِ الماديةِ ، فإنه لا يخرج عن نطاقِ المثل الشائع : " الوقت هو المال " ، وإذا وَازَنَّا هـذه العبارةَ بقولِ الحسنِ البصري رحمه الله تعالى : " أدركتُ أقواماً كان أحدهم أشحَّ على عمـره منـه على دراهمه ودنانيره " . نَستنتجُ أنّ الوقتَ عندَ المسلمِ أغلى مِنَ المالِ ، ذلك أنّ المسلمَ يُـدرك أنّ المالَ يمكنُ تعويضُه ، بينما الوقتُ لا يمكن تعويضُه .

أيها الأخوة الكرام ، الإنسانُ حينما يَحرقُ مبلغاً كبيراً مِنَ المال يُحكَـم عليـه بالسَّـفَهِ، ويُحْجَر على تصرفاتِه ، ولأنه مركَّبٌ في أعماقِ الإنسانِ أنّ الوقتَ أثمنُ مِنَ المالِ ، بدليلِ أنه يبيـعُ بيتَه الذي يسكنُه ولا يملكُ شيأً سِوَاهُ ليُجريَ بثمنِه عمليةً جراحيةً ، متوهِّماً أنّها تزيـدُ فـي حياتِـه سنواتٍ عدةً ، فالوقتُ عندَ كلّ إنسانٍ أثمنُ مِنَ المال ، وبناءً على هذه المُسَلَّمَةِ فإنّ الذي يُتلفُ وقتَـه أشدُّ سَفَهاً مِنَ الذي يُتْلِفُ مالَه .



إدارةُ الوقتِ هِي فعلُ ما ينبغي ، على الوجهِ الذي ينبغي ، في الوقتِ الذي ينبغي، الوقتُ مِن ذَهَبٍ ، بل أغلى من الذهب ، بل هو لا يُقدَّر بثمن ، إنه أنت ، ويُعَدُّ الوقتُ أحدَ أربعةِ مواردَ أساسية في مجال الأعمالِ ؛ المواد ، والمعلومات ، والأفراد ، ثم الوقتُ الذي يُعدّ أكثرَها أهميةً ، لأنه كلما تَحَكّمَ الفردُ في وقتِه بمهارةٍ وإيجابيةٍ استطاعَ أن يستثمرَه في تحقيقِ أقصى عائدٍ ممكنٍ مِنَ المواردِ الأخرى ؛ حيث إنّ الفردَ عندما يديرُ وقتَه بشكلٍ فعّالٍ هو في الحقيقة يديرُ نفسَه ، وعبادتَه ، وعملَه ، ودنياهُ إدارةً فعّالةً .

أيها الأخوة ، كي نكونَ واقعيّين ، إنْ لم يكنْ بالإمكانِ استثمارُ كلِّ الوقتِ ، فعلى الأقلِّ يمكنُ أنْ نستثمرَ أكبرَ قدْرٍ منه .

وعلى الرغمِ مِن هذه الأهميةِ الكبيرةِ للوقتِ ، فإنّ أكثرَ العناصرِ والمواردِ هدراً ، وإنّ أقلَّها استثماراً ، سواء من الجماعات ، أو من الأفراد ، هو الوقتُ ، ويعود هذا لأسبابٍ عدّةٍ ، أهمّها عدمُ الإدراكِ الكافي للخسارةِ الكبيرةِ المترتبةِ على سُوءِ إدارتِه .

الوقت هو رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسانِ فرداً ومجتمعاً :

أيها الأخوة ، الوقتُ مَوْرِدٌ نادرٌ ، لا يمكن تجميعُه ، ولأنّه سريعُ الانقضاءِ ، وما مضى منه لا يرجع ، ولا يعوَّض بشيء ، كان الوقتُ أنفسَ وأثمنَ ما يملكُ الإنسانُ ، وترجعُ نفاستُه إلى أنه وعاءٌ لكلِّ علمٍ ، ولكلِّ عملٍ ، ولكلِّ عبادةٍ ، فهو في الواقعِ رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسانِ ، فرداً ومجتمعاً .

مِنْ هذا المنطلق يعدُّ الوقتُ أساسَ الحياةِ ، وعليه تقومُ الحضارةُ ، فصحيحٌ أنّ الوقتَ لا يمكن شراؤُه ، ولا بيعُه ، ولا تأجيرُه ، ولا استعارتُه ، ولا مضاعفتُه ، ولا توفيرُه، ولا تصنيعُه ، ولكن يمكن استثمارُه وتوظيفُه ، أولئك الذين لديهم الوقتُ لإنجازِ أعمالِهم ، ولديهم أيضاً الوقتُ لمعرفةِ ربِّهم ، وعبادتِه ، والتقرّبِ إليه ، عرفوا قيمتَه ، هم يستثمرون كلَّ دقيقةٍ مِن وقتهم ، ولذا فإدارةُ الوقتِ لا تنطلقُ إلى تغييرِه ، أو تعديلِه ، أو تطويرِه ، بل إلى طريقةِ استثمارِه بشكلٍ فعّالٍ ، ومحاولةِ تقليلِ الوقتِ الضائعِ هَدْراً مِن دون فائدةٍ .

أيها الأخوة الأعزاء ، أيتها الأخوات العزيزات ، يؤكِّد بعضُ العلماءِ منذ زَمَنٍ قديم أنَّ الوقتَ يمرُّ بسرعةٍ محدّدةٍ وثابتةٍ ، فكلُّ ثانيةٍ أو دقيقةٍ ، وكلُّ ساعةٍ تشبهُ الأخرى ، وأنّ الوقتَ يسيرُ إلى الأمامِ بشكلٍ متتابع ، وأنه يتحركُ وَفقَ نظامٍ معيَّن مُحكَم ، لا يمكن إيقافُه ، أو تغييرُه ، أو



زيادتُه ، أو إعادةُ تنظيمه ، وبهذا يمضي الوقتُ بانتظامٍ نحو الأمام ، دون أيِّ تأخيرٍ أو تقديم ، ولا يمكن بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ إيقافُه أو تراكمُه أو إلغاؤُه أو تبديلُه أو إحلالُه ، إنّه موردٌ محدَّدٌ يملكُـه الجميعُ بالتساوي ، فعلى الرّغم مِنْ أنّ الناسَ لم يُولَدوا بقدراتٍ أو فُرَصٍ متساويةٍ ، فـإنهم جميعـا يملكون الأربعَ والعشرين ساعةً نفْسَها كلَّ يومٍ ، والاثنينِ والخمسينَ أسبوعاً كلَّ عام ، وهكـذا فـإن جميعَ الناس متساوون في ناحيةِ المُدَّة الزمنية ، سواء أكانوا من كبار الموظفين أم مِن صـغارهم ، مِن أغنياء القوم أم مِن فقرائهم ، لذلك فالمشكلةُ ليستْ في مقدار الوقتِ المتوفّر لكلٍّ مِـن هـؤلاء ، ولكنْ في كيفيةِ إدارةِ الوقت المتوفّر لديهم واستخدامِه ، وهل يستخدمونه بشكلٍ جيِّدٍ ومفيدٍ في إنجاز الأعمالِ المطلوبةِ منهم ، أو يهدرونه ، ويضيِّعونَه في أمور قليلة الفائدة ؟

إدارة الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ ثم تحقيقُه :

إنّ إدارةَ الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ ، ثم تحقيقُه ، قال تعالى :

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ 

(سورة الملك)

لا شكّ أنّ مَنْ يمشي إلى هدفٍ وغايةٍ واضحةٍ أهدى مِمَّن يَخبِطُ خَبْطَ عشـواء ، هـذه حقيقة .

أيها الأخوة الكرام ، الوقتُ نعمةٌ عظيمةٌ ، تؤكِّد السُّنّةُ المطهّرةُ ما جاء في القرآن الكريم مِن أنّ الوقتَ مِنْ نِعَمِ الله على عباده ، وأنهم مأمورون بحفظه ، مسؤولون عنه ، فعَنْ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**)) .

[رواه البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ**)) أيْ الذي يُوَفَّقُ لذلك قليـلٌ ، فقـد يكون الإنسانُ صحيحاً ، ولا يكون متفرِّغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ، ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا ــ الصحةُ والفراغُ ــ فغلَبَ على الإنسان الكسلُ عن الطاعة فهو المغبونُ ، والغبنُ أنْ تشتريَ بأضعافِ الثمنِ ، وأنْ تبيعَ بأقلّ مِن ثمنِ المِثْل .



أيها الأخوة الكرام ، الوقتُ مسؤوليةٌ كبرى ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)) .

[رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

أيها الأخوة الكرام ، الوقتُ وعاءُ العبادةِ ، فالصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُّ ونحوُها عباداتٌ محددَّةٌ بأوقاتٍ معيَّنةٍ ، لا يصحّ تأخيرُها عنها ، وبعضُها لا يُقْبَل إذا أُدِّيَ في غير وقته ، فهي مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالوقتِ ، الذي هو عبارة عن الظرفِ أو الوعاء الذي تُؤَدَّى فيه . ومما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحثِّ على أداءِ العباداتِ في وقتِها قولُه حين سئل :

((أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) .

[متفق عليه عن ابن مسعود]

16 - الوقت في حياة النبي

الوقت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام :

كان عليه الصلاة والسلام مِن أَشَدِّ الناسِ حِرْصاً على وقته ، وكان لا يَمضي له وقــتٌ مِن غير عَمَلٍ لله تعالى ، أو فيما لا بدّ له لصلاحِ نفسه ، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنــه يصف حالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((كان إذا أَوَى إلى مَنْزله جَزَّأ دُخولَه ثلاثة أجزاء : جُزءاً للّه ، وجُزءاً لأهْله ، وجُزءاً لنَفْسه ، ثم جَزَّأ جُزْءَهُ بَيْنَهُ وبين الناس ، فَيردَ ذلك على العامَّة بالخاصَّة)) .

[ابن سعد في الطبقات الكبرى ، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

أيها الأخوة الكرام ، وفي السنة النبوية الشريفة إشارات إلى أهمية الوقت :

عن أبن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)) .

[أخرجه الحاكم في المستدرك ، وابن أبي شيبة ، والمنذري في الترغيب والترهيب عن ابن عباس]

بل في حديث رائع عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



((إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)) .

[أخرجه أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

لابن القيم رحمه الله تعالى قول في قيمة الوقت في حياة المسلم ، يقول : "فالعارفُ ابنُ وقتِه ، فإنْ أضاعَه ضاعت عليه مصالحُه كلها ، فجميعُ المصالحِ إنما تنشأ مِنَ الوقت ، فمتَى أضاعَ الوقتَ لم يستدرِكْه ، فوقتُ الإنسانِ هو عمرُه في الحقيقة ، وهو مادةُ حياتِه الأبديةِ في النعيم المقيم ، ومادةُ المعيشةِ الضنكِ في العذابِ الأليمِ ، وهو يمرّ أسرعَ مِن مَرِّ السحاب ، فما كان مِن وقتِه لله وبالله فهو حياتُه وعمرُه ، وغيرُ ذلك ليس محسوباً مِن حياته ، وإنْ عاشَ فيه عيشَ البهائم ، فإذا قَطَعَ وقتَه في الغفلةِ والشهوةِ والأماني الباطلةِ ، وكان خيرُ ما قطعه بالنوم والبطالة ، فموتُ هذا خيرٌ له مِن حياته ، وإذا كان العبدُ وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عَقَلَ منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله" .

من جَهِل قيمةَ الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران يتذكّر فيهما قيمةَ الوقت :

أيها الأخوة الكرام ، من جَهِل قيمةَ الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران ، يتذكّر فيهما قيمةَ الوقت .

1ـ ساعةُ الاحتضارِ :

الموقف الأول : ساعةُ الاحتضارِ ، حينَ يودِّع الدنيا ويستقبلُ الآخرة ، ويتمنّى لو مُنِحَ مهلةً من الزمن ، وأُخِّر إلى أجلٍ قريبٍ ليُصلِحَ ما أفسدَ ، وليتداركَ ما فاتَ قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

(سورة المنافقون)

ويأتي الرد الإلهيّ : ﴿ **وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(11)** ﴾ .



2ـ في الآخرة :

الموقف الثاني : في الآخرة ، حيث تُوفَّى كلُّ نفسٍ ما عملتْ وتُجزَى بما كسبت ، ويدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، هناك يتمنّى أهلُ النارِ لو يعودون إلى دارِ التكليفِ ، ليعملوا عملاً صالحاً ، ولكنْ هيهاتَ هَيهاتَ ، فقد انتهى زمنُ العمل ، وجاء زمنُ الجزاءِ ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ

(سورة فاطر)

القرآنُ يحذِّر مِن الغفلة والتسويف أشدَّ التحذير :

أيها الأخوة الكرام ، أيها الأخوة الأحباب ، القرآنُ يحذِّر مِنَ الغفلة أشدَّ التحذير ، قال تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

(سورة الأنعام)

آفةٌ أخرى أيها الأخوة ، تصيبُ الناسَ ، إنها التسويفُ ، غداً ، وبَعْدَ غدٍ ، وسوف أتوبُ ، وبعْدَ انتهاء العام الدراسي ، وبعد تأسيسِ المحلِّ ، وبعْد الزواج ، آفة أخرى هي التسويف ، قال الحسن البصري رحمه الله : "إيّاكَ والتسويفَ ، فإنّك بيومِك ، ولستَ بغدِك ، فإنْ يكن غدٌ لك ، فكنْ في غدٍ كما كنتَ في اليوم ، وإنْ لم يكن لك غدٌ ، فلنْ تندمَ على ما فرَّطتَ في اليوم" . وقيل لعالم جليل : أوصنا ، فقال : احذروا (سوف) فإنها جند من جنود إبليس ، ولله دَرُّ مَنْ قال :



تَزَوَّدْ مِنَ التّقوى فإنّكَ لا تــدري ... إذَا جَنَّ لَيْلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْـر
فَكَمْ مِن سَلِيمٍ مَاتَ مِن غيرِ عِلّةٍ ... وكَمْ مِن سقيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ
وكَمْ مِن فتًى يُمسي ويُصبحُ آمناً ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يَـدْرِي

* * *

17 - قصة عبد الله بن رواحة

عبدُ اللهِ بن رواحةَ ، صحابيٌّ جليل ، القائدُ الثالثُ في معركةِ مؤتةَ ؛ ففيما تروي بعض السيرُ ، حين قُتل زيدٌ ، القائدُ الأولُ ، ثم قُتل جعفرُ ، القائدُ الثاني ، وجاء دورُه في القيادة ، وكـان شاعراً ، تردَّد قليلاً في حَمْلِ الراية ، وقال هذين البيتين :

يا نفسُ إلاّ تُقْتَلي تَمُـوتِي ... هذا حِمَامُ الموتِ قدْ صَلِيت
وما تمنَّيتِ فقد لقِيــتِ ... إنْ تفعلي فِعْلَهُمَا هُدِيــتِ

* * *

ثم أخذَ الرايةَ ، وقاتلَ بها حتى قُتِلَ ، وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فقال :

((أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، لَقَدْ رُفِعُوا لِي فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَاراً عَنْ سَرِيرِ صَاحِبَيْهِ ، فَقُلْتُ : بِمَ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَعْضَ التَّرَدُّدِ وَمَضَى)) .

[مجمع الزوائد وقال : أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة ، وانظر حلية الأولياء والسيرة النبوية وتفسير القرطبي]

قرأتُ البيتين ، وعددتُ الزمنَ ، فكان الزمنُ عشرَ ثوانٍ فقط .

أرأيتم أيها الأخوة إلى هذا التردُّدِ الذي لا يزيد عن عَشْرِ ثوانٍ ، كيف أنّه هَبَطَ بمنزلـةِ صاحبِه في الجنة ، مع أنّه بَذَلَ حياتَه في سبيل الله ، إنَّ هذه القصة إنْ صحَّتْ تؤكِّد قيمةَ الوقتِ في حياة المسلم .



18 - والشمس تجري لمستقر لها

الشّمسُ هي الزمانُ :

أيها الأخوة الكرام ، إلى الموضوع العلمي كما تعوَّدتم ، يقول الله تعالى :

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة يس)

الشّمسُ الزمانُ ، وهي سببُ حصوله ، ومُنْشَعَبُ فروعِه ، وأصوله ، وكتابُــه بأجزائِــه وفصولِه ، لولاها ما اتَّسقتْ أيامُه ، ولا انتظمتْ شهورُه وأعوامُه ، ولا اختلف نورُه وظلامُه ، قال تعالى :

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة يس)

في مَوْقِعٍ معلوماتيٍّ في حقلِ الإعجازِ العلميِّ في الكتاب والســنة وَرَدَتْ هــذه الحقــائقُ المذهلة ، ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ .

إنّ الشمسَ نجمٌ عاديٌّ ، يقع في الثلثِ الخارجيّ لشعاعِ قرصِ المجرّة اللَّبنيــة ، وهــي تجري بسرعة تقدر بمئتين وثلاثين كلم في الثانية حولَ مركزِ المجرةِ اللبنيةِ ، الذي يبْعُدُ عنه ثلاثين ألف سنة ضوئية ، ساحبةً معها الكواكبُ السيَّارةُ ، التي تتبعُها حيث تُكمِلُ دورةً كاملةً حول مجرّتها ، فمنذُ ولادتِها التي ترجع إلى خمسةِ مليارات سنة تقريباً أكملتْ الشمسُ وما تبعَها من نجوم ثمــاني عشرةَ دورةً حولَ المجرةِ اللبنية ، التي تجري نحوَ تجمّعٍ أكبرَ هــو كُــدْسُ المجــرات ، وكُــدْسُ المجراتِ يجري نحو تجمّعٍ أكبرَ هو كُدْسُ المجراتِ العملاقُ ، والكُدسُ المجموعةُ الكبيــرةُ ، فكــل جِرمٍ في الكون يجري ويدورُ حولَ جرمٍ آخرَ ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة الطارق)



أي كلُّ نجمٍ يدورُ حولَ نجمٍ آخرَ ، ويرجعُ إلى مكانِ انطلاقهِ النسبيِّ ، وهـذه الحقيقـةُ تنتظمُ الكونَ كلَّه ، قال عز وجل : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** ﴾ .

تكرر الآية الكريمة التالية ستُّ مرات في كتاب الله :

إنّ مستقرَّ الشمسِ هو أجلُها المسمّى ، والمقدّرُ لها مِنَ العزيزِ العليم ، أي الوقت الـذي فيه ينفذُ وقودُها فتنطفئُ ، وهذا المعنى لمستقرّ الشمس نستنتجُه من الآية الكريمة التالية:

ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ

(سورة الرعد)

وقد تكررت هذه الآية الكريمة ستَّ مرات في كتاب الله ، وهذه المواضع هي :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ

(سورة الرعد الآية : 2)

وقال :

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ

(سورة فاطر)

وقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(سورة لقمان)



وقال :

وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨

(سورة يس)

وقال :

لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

(سورة يس)

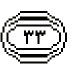
وقال :

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ

(سورة الزمر)

وهناك موضع آخر ، وهو قوله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ



(سورة الأنبياء)

تكرار الآية السابقة كي نتوقف عند الإعجاز العلميِّ الكامنِ فيها :

تكرار الآية السابقة ربما كي نتوقف عند الإعجاز العلميِّ الكامنِ فيها ، فحتى القرنِ التاسعِ عشر كانت المعلوماتُ الفلكيةُ تقول بأزليّةِ النجومِ ، أما تقديرُ العزيزِ العليمِ فهو بأنّ للشمسِ



أجلاً مسمًّى كَكُلِّ المخلوقاتِ ، ولم يكشفْ عِلمُ الفَلَكِ إلاّ في القرن العشرين أنّ النجوم تولَدُ ، وتنمو ، وتكبُر ، وتهرم ، وتموت ، وقد أشار القرآن الكريم إلى موتِ الشمسِ بالتحديد فقال :

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۞

(سورة التكوير)

تكوير الشمس يعنى موتَها ـــ قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : "والصواب مِن القول عندنا في ذلك أن التكوير جمْعُ الشيء بعضه على بعض ، ومنه تكوير العِمامة ، وجمعُ الثياب بعضها إلى بعض ، فمعنى قوله تعالى (كورت) جُمِعَ بعضُها إلى بعض ، ثم لُفَّتْ ، فرُمِيَ بها ، وإذا فُعِل بها ذلك ذَهَب ضوءُها " .

يقدّر علماء الفلك أنَّ عمُرَ الشمس الحالي هو أربع مليارات سنة ونيِّف ، ويبقى فيها من الطاقة ما يمكّنها من أن تضيء لمدة ستة مليارات سنة أخرى ، فينبغي ألا نقلق ، وبعد ذلك تكون قد استنفدتْ وقودَها ، فتدخل في فئة النجوم الأقزام ، ثم تموت ، وبموتها تنعدم إمكانية الحياة في كوكب الأرض ، وينتهي الزمن بالنسبة للأرض ، بمعنىً من معانيه .

19 - أسباب هلاك الأمم

في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات ، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات ، وكثرة الأطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية ، والنظر في فقه السنن الكونية حتى حصل من جرّاء ذلك زلل بالأقدام ، وخطل أقلام ، وضلال إفهام ، وتشويش وحيرة عند كثير من أهل الإسلام ، مما يؤكد أهمية المرجعية الموحدة للأمة الواحدة التي ينبغي أن ترتكز في تحقيق أهدافها على صحة المعتقد ، وسلامة المنهج ، والعناية بمصالح الأمة الكبرى ، ومقاصد الشريعة العظمى ، باعتدال في الرؤى ، وتوازن في النظر ، وأسلوبٍ عالٍ في الطرح والحوار ، قال تعالى :

وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ

[سورة النساء : الآية 83]



هذه الآية تشير إلى المرجعية الواحدة للأمة الواحدة .

أيها الإخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين : هذه الأحداث التي هزت العالَم ألا تنتظمها قوانين وسنن إلهية لا تتبدل ولا تتغير ؟ قال تعالى:

فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا

[سورة فاطر : الآية 43]

فما هي أسباب هلاك الأمم في ضوء القرآن الكريم وسنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم ؟

من أبرز أسباب هلاك الأمم **كثرة الفساد** ، **وكثرة الخبث** ، قال تعالى :

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا

[سورة الإسراء : الآية 16]

قال علماء التفسير : أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده ، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوا به ، ففسقوا ، أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم ، وعصوه ، وكذبوا رسله ، فحق عليها القول ، أي وجب عليها الوعيد ، فدمرناها تدميراً ، وقد أكد الله التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم ، فإن قال قائل : إن الله أسند الفسق في هؤلاء القوم بخصوص المترفين دون غيرهم في قوله تعالى :

أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا

[سورة الإسراء : الآية 16]

مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع ، قال المفسرون : هناك جوابان ؛ الأول : أن غير المترفين تبعوا لهم ، كما قال الله تعالى :

وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠

[سورة الأحزاب : الآية 67]

والجواب الثاني : أن بعضهم إن عصى الله ، وبغى ، وطغى لم ينكر عليه الآخرون هذه المعصية وهذا الفسق والفجور فإن الهلاك عندئذ يعم الجميع ، كما قال تعالى :



وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ

[سورة الأنفال :الآية 25]

وكما جاء في الحديث الصحيح من حديث أم المؤمنين زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**)) .

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، ابن ماجه ، أحمد]

فأول أسباب هلاك الأمم كثرة الفساد في الأرض ، وكثرة الخبث ، قال تعالى :

ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ

[سورة الروم : الآية 41]

سبب آخر من أسباب هلاك الأمم الكفر بنعم الله عز وجل ، وعدم القيام بواجب شكرها ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ

[سورة النحل : الآية 112]

وقد ورد في الأثر القدسي : " إني والإنس والجن في نبأ عظيم ، أخلق ويُعبد غيري ، وأرزق ويُشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي ، وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي ، وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل محبتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي ، لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب " .



سبب ثالث من أسباب هلاك الأمم من خلال القرآن والسُّنة : ظهور النقص ، والتطفيف في الكيل والميزان ، ومنع حق الله ، وحق عباده ، ونقض العهود والمواثيق ، والإعراض عن أحكام الله تعالى ، هذه كلها مجتمعة في حديث شريف يبين المرحلة التي وصلنا إليها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) .

[ابن ماجه]

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم معنا يرى تقصير الأمة الإسلامية .

ومن أسباب هلاك الأمم : **التنافس في الدنيا** ، والرغبة فيها ، والمغالبة عليها .

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .....قال : ((**فَوَ اللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**)) .

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، ابن ماجه ، أحمد]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)) .

[رواه الإمام مسلم]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا** ....)) .

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد ، الدارمي]

ومن أسباب هلاك الأمم : **التعامل بالربا ، وانتشار الزنا** ، فإن هذا مما يخرب البلاد، ويهلك العباد ، ويوجب سخط الرب عز وجل .



عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....قَالَ : ((**مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)) .

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد ، الدارمي]

قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

[سورة البقرة]

وانتشار الزنا سبب لظهور أمراض لم تكن في الأمم السابقة ، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، عدد المصابين بمرض الإيدز في العالم يتجاوز أربعين مليوناً .

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام : ومن أسباب هلاك الأمم : **تقصير الدعاة في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتقصير الأمراء في إزالة المنكرات .**

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ**)) .

[رواه أبو داود]

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا ، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ ، فَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ قَالَ : تَأَذَّيْتُمْ بِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ**)) .

[البخاري ، الترمذي ، أحمد]



والتعبير الحديث : نحن جميعاً في قارب واحد .

قال الإمام الغزالي : الأمر بالمعروف والنهي عم المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو الذي بعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمَّت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإن لله وإنا إليه راجعون .

ومن أسباب هلاك الأمم : **ترك الجهاد** ، **والإخلاد إلى الأرض** .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**)) .

[أبو داود ، أحمد]

الأخذ بأذناب البقر ، والرضا بالزرع علامة على الإخلاد إلى الأرض ، والانغماس في الملذات ، وترك الجهاد هو سبب الذل والهوان .

أيها الأخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين : ومن أسباب هلاك الأمم : **مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم** ، قال تعالى :

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

[سورة النور : الآية 63]

وقد قال الله عز وجل :

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ

[سورة الأنفال :الآية 33]

أي ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة في حياتهم ، في علاقاتهم ، في كسب أموالهم ، وفي إنفاقها في تجارتهم ، في بيعهم في شرائهم ، في علاقاتهم ، في أفراحهم، في أتراحهم ، في حلِّهم ، في سفرهم ، ما دام منهج النبي مطبقاً في حياتهم فهم في مأمن من عذاب الله ، وفي مأمن آخر :



وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

[سورة الأنفال :الآية 33]

وفي حديث طويل عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((.... **وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**)) .

[أحمد]

ومن أسباب هلاك الأمم : الغلو في الدين ، والغلو هو التنطع ، ومجاوزة الحد ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا**)) .

[مسلم ، أبو داود ، أحمد]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((..... **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**)) .

[النسائي ، ابن ماجه ، أحمد]

أيها الأخوات المستمعات ، أيها الإخوة المستمعون : نجاح أمة الإسلام هو انتصارها على أعدائها اللئام ، والذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر ، والذي نحن في أمسّ الحاجة إليه أننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية ، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم ، وبنوا مجدهم على أنقاض الشعوب ، وغناهم على إفقارها ، وقوتهم على تدمير أسلحتها ، إنهم يصفون المالك للأرض الطريد المشرد إرهابياً لا حق له ، والمتمسك بدينه القويم أصولياً ، ويجعلون اللص الغالب على المقدسات رب بيت محترماً ، يملكون الأرض لا بالإحياء الشرعي ، ولكن بالإماتة الجماعية ، والقهر النفسي ، فيا ويلهم ، قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ
وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ

[سورة يونس : الآية 24]

أيها الأخوة الكرام في كل مكان : هؤلاء المستكبرون ربما طالبوا الشعوب المستضعفة أن تلعق جراحها ، وأن تبتسم للغاشم ، وأن تعد حقها باطلاً وباطل المعتدي حقاً ، في مثل هذا يقول عليه الصلاة والسلام : ((**كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ، ولم تنهوا عن منكر ؟ قالوا : أو كائن**



ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده ، وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ، ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون)) .

[الفردوس بمأثور الخطاب]

وضع مؤلم جداً ، ونحن المسلمين ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعدَّ لهم ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الموسَّع ، أسرنا ينبغي أن تتماسك ، أمهاتنا ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن ، طالبنا ينبغي أن يتفوق ، معلمنا ينبغي أن يحمل رسالة يسعى لتحقيقها ، عاملنا ينبغي أن يتقن ، فلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها ، موظفنا ينبغي أن نعطيه حقه ، وينبغي له أن يتفانى في خدمة المواطنين ، وقاضينا ينبغي أن يعدل ، وعالمنا ينبغي أن يؤثر خدمة أمته على حظوظه من الدنيا ، وداعيتنا ينبغي أن ينصح ، لا أن يمدح ، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة ، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة ، وكذب ، وكسب للوقت ، ليس غير ، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج ومصانعنا ينبغي أن تطور ، وأرضنا ينبغي أن تستصلح ، ومياهنا ينبغي أن يرشَّد استهلاكها ، وهذا لا يكون إلا بإيمان بالله يحملنا على طاعته ، وإيمان باليوم الآخر يحملنا على ألا نظلم بعضنا بعضاً ، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة ، وهذا نوع من الجهاد البنائي لا تقطف ثماره عاجلاً بل آجلاً ، مثلاً حينما تقول لطالب : واظب على دراستك ، كن متفوقاً ، خطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة ومستقبلها لاستكسل هذا ، وآثر سماع الأخبار ، وأن يكون منفعلاً ، لا فاعلاً ، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها.

أيها الأخوة الكرام : هاهنا يبرز معنى الجهاد البنائي بمفهومه الواسع الذي هو بذل أقصى الوسع ، واستفراغ الطاقة في تحصيل المراد والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة .

أيها الأخوة الكرام : نريد حلاً ، هل من ورقة عمل توضع بين أيدي المسلمين ؟ أول نقطة في ورقة العمل العودة إلى القرآن والسُّنة للعلم والعمل معاً ، لا بد من العلم لنقل هذه المرحلة التي نحياها الآن حتى لا نؤذي من حيث نريد الإصلاح ، حتى لا نفسد من حيث نريد الإصلاح ، لا بد العلم لفهم العلماء الربانيين ، لا بد من فهم صحيح ، وعمل صادق ، ولا سيما أن الجهل قد يودي بصاحبه إلى الشرك ، وإلى الإفساد من حيث لا يشعر ، ولا يريد ، هذه **النقطة الأولى** في ورقة العمل .



النقطة الثانية : تجديد الإيمان ، نحن لا نظن أن الأمة قد نبذت الإيمان بالكلية ، ولكن نقول الإيمان يزيد وينقص ، ويتجدد ويبلى ، ويقول عليه الصلاة والسلام :

((**إن الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب**)) .

[ورد في الأثر]

أي كما يبلى الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم ، نحن في أمس الحاجة إلى تجديد للإيمان ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، نحتاج إيماناً يعرفنا بربنا، نحتاج إيماناً يجدد في قلوبنا التوكل على الله والثقة بالله وحده ، والرجاء فيه وحده ، والاعتماد عليه وحده ، والتوكل عليه وحده ، واليقين فيه وحده ، نحتاج إيماناً إن استقر في قلوبنا نطقت به ألسنتنا ، وصدقته أعمالنا .

في الدعاء الشريف : " اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ، ومن التسليم إلا لك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن الرجاء إلا فيما عندك ، ومن الصبر إلا على بابك ، ومن الذل إلا في طاعتك " .

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**)) .

[البخاري مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد ، مالك]

النقطة الثالثة في ورقة العمل التي ينبغي أن تكون بين أيدينا هي الأخوة الإيمانية بالعقيدة الصحيحة ، وبالأخوة الصادقة أقام النبي صلى الله عليه وسلم دولة :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

[سورة الحجرات : الآية 10]

وأقام دولة :

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)) .

[البخاري ، مسلم ، أحمد]

أين الأخوة الإيمانية ؟ أين أمة الجسد الواحد ؟ نخشى أيها الإخوة أن ينظر المسلم إلى وضع إخوانه المؤمنين فيهز كتفيه ، ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه ، لا من قريب ولا من بعيد، ما دام هو آمناً في سربه ، معافىً في بدنه ، عنده قوت يومه .



النقطة الرابعة في ورقة العمل تحويل العلم إلى عمل ، العلم ما عُمِل به ، العلم في الإسلام وسيلة لا غاية ، تحويل العلم إلى عمل فإن العلم إذا خالف العمل بُذرت بذور النفاق في القلوب قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

[سورة الصف]

ينبغي أن نحول المنهج العلمي الرباني إلى واقع عملي يتألق في دنيانا سمواً ، وروعة، وحركة ، وبناءً ، أن نتحرك في هذه المرحلة إلى الدعوة إلى الله ، نريد أن نُسمع العالم كله عظمة هذا الدين ، وحقيقة هذا الدين ، قم أيها الموحد دثر العالم كله ببردتك ذات العبق الطاهر ، قم وضم العالم كله إلى صدرك ، وأسمعه خفقات قلبك الذي وحد الله جل وعلا، قم واسق الدنيا كأس الفطرة ، فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها ، نريد الآن أيها الإخوة من كل مسلم غيور أن يبذل الغالي ، والرخيص والنفس والنفيس لدين الله تبارك وتعالى ، فإن لم تعمل الآن ، وإن لم تحمل الآن هموم أمتك ، وإن لم تتحرك الآن لنصرة دينك متى تتحرك ؟ لا تأكل ملء بطنك ، ولا تنم ملء عينيك ، ولا تضحك ملء فمك ، وكأن الأمر لا يعنيك .

أيها الأخوة الكرام : النقطة التالية في ورقة العمل أن نجدد الثقة المطلقة بوعد الله الصادق ، بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينصر دينه ، دققوا في هذه الآية :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ

[سورة القصص : الآية 4]



الآن دققوا :

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

[سورة القصص]

هذا وعد من الله عز وجل للمستضعفين ، يقول الله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

[سورة إبراهيم]

آية تهديد ووعيد ، ولكن أعظم ما فيها شفاء لقلوب المظلومين ، وتسلية لخواطر المكلومين ، فكم ترتاح نفس المظلوم ، ويهدأ خاطره حينما يسمع هذه الآية ، ويعلم علم اليقين أن حقه لا يضيع ، وأنه سوف يُقتص له ممن ظلمه ، ولو بعد حين ، وأنه مهما أفلت الظالم من العقوبة في الدنيا ، فإن جرائمه مسجلة عند من لا تخفى عليه خافية ، ولا يغفل عن شيء، الموعد يوم الجزاء والحساب ، يوم العدالة يوم يؤخذ للمظلوم من الظالم ، ويُقتص للمقتول من القاتل ، يوم تُجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، ولكن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته :

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ

[سورة إبراهيم : الآية42]



أي تنقى أبصارهم مفتوحة مبهوتة ، لا تتحرك الأجفان من الفزع والهلع ، ولا تطرف العين من هول ما ترى :

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ

[سورة إبراهيم : الآية43]

أي مسرعين ، لا يلتفتون إلى شيء ممن حولهم ، وقد رفعوا رؤوسهم في ذل وخشوع، لا يطرفون بأعينهم من الخوف والجزع ، وقلوبهم خاوية خالية ، منكل خاطر من هول الموقف ، ما أعظم بلاغة القرآن ، وما أروع تصويره للمواقف ، حتى كأنك ترى المشهد ماثلاً أمامك .

أيها الأخوة الكرام : تخيلوا وأنتم تقرؤون هذه الآية مصير الطغاة الظلمة الذين انتهكوا أعراض المسلمين ، وسفكوا دماء الأبرياء ، وقتلوا الأطفال ، وشردوا النساء ، وهدموا المساجد والمنازل ، وردموا الآبار ، وجرفوا المزارع .

تذكر أيها الأخ الكريم من عاث في الأرض فساداً ، ومن أذاق إخواننا في فلسطين صنوف العذاب والقهر والظلم ، تذكر أن الله فوقهم ، وأنه سوف يقتص منهم ، ويرينا فيهم ما يثلج الصدور ، إن شاء الله تعالى ، ويتحقق لنا وعد الله سبحانه وتعالى:

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

[سورة المطففين]

أيها الأخوة الكرام : هذا الواقع الأليم الذي تحولت فيه الأمة إلى قصعة مستباحة من كل أمم الأرض أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** ....)) .

[أبو داود ، أحمد]

تصور أيها الأخ منظر الطيور حينما يقدم لها الطعام بعد جوع شديد ، تصور مشهد الطيور وهي تتقاتل ، وتتقاذف ليلتقط كل طائر مصيره من هذه القصعة ، انظر إلى الكلام النبوي بعين التدبر :

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ**



غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) .

يقول السيد الرئيس أيها الإخوة في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بالدوحة : إننا نشهد المزيد من إزهاق الأرواح في منطقتنا ، ونرى الأمة العربية والإسلامية تزيد إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع ، والكثير من الظلم والاضطهاد ، كما رأيناها تبتعد أكثر وأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين ، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً ، ويشرعن قتلها ، وتدميرها للغير ، وبنظرة متأملة في العقود الماضية نرى أن نقلة تراجعية كبيرة إلى الوراء قد تمت بالنسبة إلى دول المنطقة ترافقت مع ظهور مفاهيم جديدة مختلفة ، وخاصة بالعقد الماضي ، وفي مقدمتها مفهوم النظام الدولي الجديد ، أو ما يسميه البعض بالعولمة ، فالإسلام تجاوز منذ ظهوره الحدود الجغرافية ، والقوميات ، والثقافات المختلفة ، ولكنه لم يلغها ، بل أكد على الالتزام بالوطن والأمة ، بانياً ذلك على أسس سليمة مختلفة عن مفهومات العولمة .

ويمكن أن تكون العولمة حالة مليئة بالإيجابيات إذا استندت إلى ما استند إليه الإسلام من العدل والمساواة إضافة إلى مبادئه السمحة الأخرى .

انتهى كلام السيد الرئيس .

هذا هو الأقصى يُهوَّد جهرَتنا ... ولبؤسه تتحدث الأخبار
المال مقتسم والعِرض مُنتهَك ... والقَدْر محتقر والدم طوفان
أين الملايين من أموال أمتنا ... فما لها في مجال الفعل برهان
هل عندكم نبأ مما يعد لكم ... أم خدَّر القوم لعَّابٌ و فتَّان
ذل وضعف وتمثيل و ملحمة ... ما ذاقها في ميادين الدهر إنسان
الخمر تُشرب و الأوتار صاخبة ... وللميوعة فينا القدر و الشان
أما لنا في كتاب الله من عظة ... فقد دعانا لنصر الحق قرآن
أما لنا في طلوع الفجر من أمل ... أما تبدد عنا الشك و الران
يا أمتي مزقي الأغلال وانتفضي ... فالمجد لا يمتطيه اليوم وسنان
عودي إلى الله فالأبواب مشرعة ... وعزة الله للأواب عنوان
واستبسلي فشعاع الفجر منتشر ... وإن تجاهل نور الفجر عميان

أيها الأخوة الكرام : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةِ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((**بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ ، وَاخْتَالَ ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ ،**



وَاعْتَدَى ، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا ، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا ، وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ)) .

[الترمذي]

20 - وظيفة الكائنات الحية في التربة

ثمة شيء لا يصدق ، إن متراً مكعباً من التربة التي نستخدمها للزراعة فيه ما يزيد على مائتي ألف من الديدان العنكبية ، وعلى مئة ألف من الحشرات فقط في متر مكعب ، وعلى ثلاثمائة من ديدان التربة العادية ، وعلى آلاف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية في الدقة ، وإن غراماً واحداً من هذه التربة يحتوي على عدة مليارات من البكتريا ، مخلوقات متناهية في الدقة على شكل عصيات ، على شكل كريات ، على شكل لوالب بعضها يحتاج إلى الأكسجين ، وبعضها لا يحتاج ، بعضها عارٍ ، وبعضها له أهداب تمكنه من الحركة ، إن هذا المصنع العجيب ذو حركة دائمة يقوم بمهمات هي من أكثر المهمات غموضاً واستغلاقاً حتى اليوم .

هذه الكائنات ما وظيفتها ؟ يعرف العلماء بعض الوظائف ، أما وظائفها بالضبط فما تزال سراً حتى الآن ، هذا المصنع ذو حركة دائمة يقوم بمهمات من أكثر المهمات أهمية ونفعاً للإنسان .

الآن دقق ، لو أن الجنس البشري كله أبيد عن آخره لبقيت الحياة مستمرة ، أما هذه الكائنات لو أُبيدت لانتهت الحياة من سطح الأرض كله ، فربما كان وجود هذه الكائنات أخطر من وجود الإنسان ، كل شيء نأكله على نحو مباشر ، أو غير مباشر إنما أصله من النبات الأخضر ، تتساقط الأوراق فتأتي الرياح ، وتوزع هذه الأوراق المتساقطة على أنحاء التربة كلها ، وتأتي مليارات الكائنات المجهرية فتلتهمها ، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أكبر منها ، هي وحيدات الخلية ، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أرقى منها هي البكتريا ، يتم هذا على ثلاث مراحل وهذه العمليات الحيوية تحتاج إلى الهواء ، فمن أين يأتي الهواء داخل التربة ؟

وظيفة الديدان أن تفتح أنفاقاً في التربة ، فالديدان والقوارض وكل الحيوانات التي تعيش في باطن التربة مهمتها فتح هذه الأنفاق .

أيها الأخوة : هذه الديدان تلتهم التراب ، وتفرز السماد ، ولا يعلم إلا الله كم من الأطنان تنتجها الديدان في الهكتار الواحد ، وكم من أطنان الأسمدة تنتجها الديدان في الكيلو متر المربع



الواحد ، إنه كون عظيم ، وخالق عظيم ، وشرع حكيم ، فأين نذهب ؟ ما الـذي يصـرفنا عـن الله سبحانه وتعالى ، وعن تطبيق أمره !

هذه بعض الحقائق المذهلة في متر مكعب من التربة ، قال تعالى :

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

[سورة الإسراء : الآية 85]

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ

[سورة البقرة : الآية 255]

في الغرام الواحد عدة مليارات من البكتريا ، ما الذي يجري تحت التراب لا يعلمـه إلا الله ، إنها معامل ، كائنات ، عمليات كيماوية معقدة ، معادلات ، ونحن لا ندري ، ليس لنا إلا أن نقطـف الثمار ، ونأكلها ، وأن نجني الخضراوات ، ونأكلها ، وأن نحسب المحاصيل ، ونأكلها ، وعلـى الله الباقي ، قال تعالى :

وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ

[سورة إبراهيم : الآية 34]

خلق الله الأرض وما فيها ، وما فوقها ، وما تحتها ، وما عليها من أجل أن نعرفـه ، فـإذا عرفناه فقد حققنا الهدف من خلقنا ، وإن لم نعرفه فيا حسرة علينا ، قال سبحانه :

يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

[سورة يس : الآية 30]



21 - الجهاد في فلسطين

بطولات ومواقف مشرفة لأمهات مسلمات :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، هذه الخطبة موجهة إلى أخوتنا المجاهدين في الأراضي المحتلة .

أمٌّ من فلسطين تقول لولدها وهو في ريعان الشباب : يا بني الشهادة في سبيل الله شرف ، الشهادة في سبيل الله وسام ، وأنا اليوم مسرورة بك لأنني سأغدو أم شهيد ، ثم تقول: أناشد أخواتي الفلسطينيات أن يقفن من وراء أبنائهن ، وأزواجهن ، وأخوانهن ، وآبائهن يشاركنهم في الجهاد بالصبر والثبات وتربية الأبناء على موائد القرآن ، ليس حفظاً فقط ولكن تطبيقاً وعملاً ، وأن يزرعن الإيمان في قلوبهم ، هذا الإيمان الذي سيدفعهم حتماً إلى مقارعة أعداء الله ، فإذا غرسنا بذرة الخير في الطفل فسوف يعرف ما له وما عليه ، وسيعرف كل معاني الخير ويتعلق بها ، وليس لنا خير في هذه الدنيا سوى ديننا الذي هو عصمة أمرنا كله وبعد ذلك لا يصعب عليه شيء ، وسيحمل سلاحه ويحمي هذا الدين .

أناشدكم يا أخواتي ، يا نساء فلسطين الصابرات الصامدات ألا تبخلن على الله بفلذات أكبادكن ، فو الذي نفسي بيده لهو أرحم منا بهم ، فلا تبخلن على أبنائكن بالجنة التي وعدها الله للشهداء والمجاهدين ، فهذه فرحتنا نحن وأبناؤنا وأخواننا وأزواجنا وآباؤنا أن نفوز بإحدى الحسنيين .

ذكرتنا هذه الأم بتلك المرأة التي دخلت أحداً وهي تقول : ما فُعل برسول الله ؟ فاستقبلها من يخبرها باستشهاد ولدها ، وتبقى تقول : ما فعل برسول الله ؟ هي ليست غير مكترثة بولدها ، لكن هدفها وأملها وعيونها متعلقة بالهدف الأسمى ، ويأتيها آخر ليقول لها : لقد استُشهد زوجك ، فتقول : ما فعل برسول الله ؟ وثالث يقول لها : لقد استشهد أخوك ، وتجيب ما فعل برسول الله ؟ وتأتي لتكحل عينها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو حيٌّ يرزق ، فتنظر إليه وتدمع عيناها ، إنها دموع الإيمان والوفاء لهذا الدين ، ولصاحب هذه الرسالة ، إنها دموع الحب والتضحية ، تنظر إلى رسول الله وتقول : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله ، لا أبالي إذا سَلِمتَ بمن هلك .



ذكرتنا هذه المرأة بالخنساء التي استقبلت أربعةً من أولادها شهداء ، فقالت كلمتها الرائعة الشهيرة : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً ، وأرجو الله أن يجمعني معهم في مستقر رحمته .

ذكرتنا هذه المرأة بأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما حينما جاءها ولدها يقول لها : يا أماه ! لا أخاف من القتل ، ولكنهم لؤماء ، فإن قتلوني صلبوني ، قالت : يا بني اذهب ، فإن الشاة إذا ذبحت لا يضرها السلخ بعد الذبح .

مواقف عن بطولات خالدة :

بطولة أخرى ؛ زهرة نديَّة فوَّاحة ، وغصن بانٍ غضّ ، وقطرة ندى في فجر يوم ربيعي ، تربط الحزام الناسف على الخاصرة الفتية ، تغطيه بثوب الإباء ورفض الضيم ، وتنسل من بين طوابير الجفاة أغلاظ الأكباد المدججين بالسلاح من مجرمي العدو ، تنسل مودعة الأرض بأخمص قدمها ، سائرة وبكل ثقة إلى حيث الموت والتمزيق ، رافضة إتاحة الفرصة للعاطفة وللذكريات ولخفقات القلب أن تعبث بخطواتها المتروية ، السائرة إلى النهاية التي تقطعها من كل صلة بهذا العيش ، وأمانيه ، وأحلامه ، وأمها ، وأبيها ، وأخوتها ، وأخواتها ، وصديقاتها ، والحديقة ، واللعبة ، ضاربة وفي آخر لحظة مثلاً يحتذى ، وقدوة خالدة ، قائلة لأمها : غداً يأتيك خُطّاب لي كثر .

فإلى أصحاب الزنود السمر والعضلات المفتولة ، أليس عاراً وشناراً ، وفضيحة وذبحاً للرجولة ؛ أن تنهض طفلة بريئة وادعة نظرت إلى الموقف بعين جردتها من كل أنانية وطمع فقدّرت أنه لا بد من عمل شيء لمجد هذه الأمة ودينها ؟! وكأنها تقول للكرام الأحرار العظماء من أبناء أمتها : هذا هو لحمي ، وعظمي ، وعصبي ، ودمي ، وخصلات شعري أجعله لثاماً يغطي وجه القاعدين عن البذل ، المؤثرين للدعة والراحة . قال معاذ بن عفراء :

((**يا رسول الله ، ما يضحك الربَّ من عبده ؟ قال : غمس يده في العدو حاسراً، قال: فألقى درعاً كانت عليه ، فقاتل حتى قتل**)) .

[ابن أبي شيبة والبيهقي عن معاذ بن عفراء]



عن أبي إسحاق السبيعي قال : سمعت رجلاً سأل البراء بن عازب : أرأيت لو أن رجلاً حمل على الكتيبة ، وهم ألف ، ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال البراء : لا ، ولكن التهلكة أن يصيب الرجل الذَّنْب فيلقي بيده إلى التهلكة ، ويقول : لا توبة لي .

[ذكره ابن حزم في المحلى]

ولم ينكر أبو أيوب الأنصاري ولا أبو موسى الأشعري أن يحمل الرجل وحده على العسكر الجرار ، ويثبت حتى يقتل .

وقصة أبي أيوب في القسطنطينية معروفة مشهورة ، وفيها أن رجلاً من المسلمين حمل على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس ، وقالوا : سبحان الله ! يلقي بيديه إلى التهلكة ؟ فقام أبو أيوب ، فقال : أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، إنما نزلت فينا معشر الأنصار ، لما أعز الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سراً : إن أموالنا ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية .

مواقف أخرى عن أبطال اشتروا الآخرة بالدنيا :

في بعض المصادر أن البراء بن مالك أمر أصحابه أن يحملوه على ترسٍ على أَسِنَّة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة ، فاقتحم إليهم ، وشد عليهم ، وقاتل حتى فتح باب الحديقة ، وجرح يومئذٍ بضعةً وثمانين جرحاً .

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث صهيب المعروف ، قول الغلام للملك الذي عجز عن قتله : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، وفيه أن الملك فعل ما أمره به ، فمات الغلام ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام .

هذا الغلام قد أرشد الملكَ إلى الطريقة التي يتحقق بها قتله ، ثم نفذها الملكُ ، وتحقق بها ما رمى إليه الغلام من المصلحة العظيمة العامة من إيمان الناس كُلِّهم بالله بعدما بلغهم خبره ، وما أجرى الله له من الكرامة .

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :



((الذين يلقون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ، ويضحك إليهم ربك ، إن ربك إذا ضحك إلى قومٍ فلا حساب عليهم)) .

[رواه ابن أبي شيبة و الطبراني ، وابن المبارك في الجهاد عن أبي سعيد الخدري]

كما روى ابن أبي شيبة عن مدرك بن عوف الأحمسي قال : كنت عند عمر رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ورجل شرى نفسه ، فقال مدرك بن عوف : ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين ، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال عمر: كذب أولئك ، ولكنه ممن اشترى الآخرة بالدنيا .

وقال محمد بن الحسن الشيباني في السير : أما من حمل على العدو فهو يسعى في إعزاز الدين ، ويتعرض للشهادة التي يستفيد بها الحياة الأبدية ، فكيف يكون ملقياً نفسه إلى التهلكة ؟ ثم قال : لا بأس بأن يحمل الرجل وحده ، وإن ظن أنه يقتل ، إذا كان يرى أنه يصنع شيئاً ، فيقتل أو يجرح أو يهزم ، فقد فعل ذلك جماعة من الصحابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، ومدحهم على ذلك .

قيل لأبي هريرة : ألم تر أن سعد بن هشام لما التقى الصفان حمل فقاتل حتى قتل وألقى بيده إلى التهلكة ، فقال : كلا ، ولكنه تأوّل آيةً في كتاب الله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله .

البحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه :

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في مسألة " حمل الواحد على العدد الكثير من العدو أن الجمهور صرحوا بأنه إذا كان لفرط شجاعته ، وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرئ المسلمين على أعدائهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهورٍ فممنوع ، لا سيما إن ترتب على ذلك إضعاف المسلمين ".

ومن التضليل والتحيز في المصطلح أن يسمى هذا " إرهاباً " إذا كنا سنجاري الصيغة العالمية في إدانته ، أما إذا صح لنا تقسيم الإرهاب إلى إرهاب مذموم ، وإرهاب محمود ، فهذا ممكن ، وليكن الدفاع عن الأوطان ، والأعراض ، والأديان ، من الإرهاب المحمود " تُرْهِبُون به عدوَّ الله وعدوَّكم " والمسألة بكل حال هي مسألة مصطلح .



إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضى بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف ، إذاً يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قـوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون :

أنـت قويّ وهذا سر ضعفك   وأنا ضعيف وهذا سر قوتي

يا عابدَ الحرمين لَوْ أَبْصرتنا   لعلمتَ أَنَّكَ بالعبـــادة تلعبُ

مَنْ كان يَخْضُب خَدَّه بدموعه   فنحورنا بدمائنـــا تتخضب

* * *

سبل الجهاد المتاحة لنا دعماً لجهاد أخوتنا في الأراضي المحتلة :

والآن أتوجه إلى الأخوة المؤمنين في العالمين العربي والإسلامي : مـا سـبل الجهـاد المتاحة لنا دعماً لجهاد أخوتنا في الأراضي المحتلة ؟

1ـ مقاطعة البضائع الأجنبية :

من موقع معلوماتي أنقل لكم الإحصاء التالي ، وأضع بين أيديكم الحقيقة التالية : شركة واحدة من شركات الدخان في بلد يدعم العدو تربح من مبيعاتها للعالم الإسلامي ثمانين مليـون دولار يومياً ، يعود على الكيان الصهيوني منها تسعة ملايين دولار كل يوم بحسب اتفاق بينهما ، فما القول بأرباح بقية شركات الدخان ، وشركات المطاعم المنتشرة في شتى بقاع العالمين العربي والإسلامي ، وشركات المشروبات الغازية التي تحقق أرباحاً فلكية ، وشركات السيارات التي يتصـدر الإعـلان عنها معظم المحطات الفضائية في العالم العربي ؟!

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض لو لم تتلق توجيهاً من قيادة بلدك بضرورة المقاطعة ، والتمس لها العذر إذا شئت ، ألا تستطيع أن تمتنع ذاتياً عن شراء بضاعة من صنع بلد يدعم العـدو المجرم بأسلحة فتاكة يبيد بها الشعب الفلسطيني ، تتساءل بعدها ماذا نفعل لنصرة أخوتنا في فلسطين ؟ وهل تظن أن أحداً يجبرك على شراء هذه البضائع ، أو يسألك لمَ لمْ تشتر ؟ هذا نوع من الجهـاد الداعم لجهاد أخوتك في الأراضي المحتلة وهو متاح لك .

2 ـ اقتطاع مبلغ من أموالنا وإرساله بطريقة نظيفة وآمنة إلى أخوتنا في فلسطين :



أيها المسلم في شتى بقاع الأرض يقول الرسول الكريم في الحديث الصحيح :

((مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبِيلِ الله فقد غَزَا)) .

[متفق عليه عن زيد بن خالد الجهني]

ألا تستطيع أيها الأخ المسلم أن تقتطع من مالك مبلغاً ترسله في قناة نظيفة آمنة بعد البحث عنها إلى أخوتك في الأراضي المحتلة ، وقد هدمت بيوتهم ، ودمرت ممتلكاتهم ، وجرفت مزارعهم ، وأتلفت أدويتهم ، وأعدم رجالهم رمياً بالرصاص ، وسيق أبناؤهم إلى السجون والمعتقلات ، وقطعت عنهم الكهرباء ، فتلفت مدخراتهم الغذائية ، وقطعت عنهم المياه فشربوا المياه المالحة ، أتهنأ في حياتك ، وأنت معافى في أهلك وولدك ، آمناً في بيتك ، عندك قوت يومك ، وأخوتك في الأراضي المحتلة يعانون ما يعانون ، تسمع بأذنك أخبارهم ، وترى بعينيك أحوالهم ، إنك إن لم تحمل همهم ، ولم تتحرك نحوهم ، فأنت أولاً لست من المسلمين بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يمسِ ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم)) .

[أخرج بعضه السيوطي في الجامع الصغير عن ابن مسعود ، وأبو نعيم في الحلية عن أنس]

وإذا ظننت أن الذي أصابهم لن يصيبك فأنت واهم ، لأن أطماع أعدائنا لا تقف عند حد ، وكتب زعمائهم تصرح بأطماعهم من دون مواربة أو حياء ، وتقول بعدها : ماذا أفعل ؟ ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض يقول الرسول الكريم في الحديث الصحيح :

((مَنْ خَلَفَ غَازِياً في أَهْلِهِ بخير فَقَدْ غَزَا)) .

[البخاري و مسلم عن زيد بن خالد الجهني]

ألا تعلم أن عدداً كبيراً من أبناء أخوتنا في الأراضي المحتلة يدرسون في جامعات عربية وأجنبية ، وأنه قد قطعت عنهم الإمدادات من أهليهم بسبب سياسة الحصار والإفقار التي يمارسها العدو الصهيوني على أهلنا في فلسطين ، فهل تعلم أنك إذا خلفت هؤلاء الأهل في أبنائهم بخير فلك مثل أجرهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وتقول بعدها : ماذا أفعل ؟ ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

3 ـ إلغاء كل أنواع الترف والبذخ ومشاركة أخوتنا في فلسطين مصابهم :

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض ألا يقتضي انتماؤك لهذه الأمة التي حينما استجابت لربها جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ، والتي حينما قصرت في أداء رسالتها تطبيقاً ودعوة ذاقت



وبال أمرها ، ولقيت الغي الذي توعدها الله به حيث أضاعت الصلاة ، واتبعت الشهوات ، ألا يقتضي انتماؤك لهذه الأمة التي لا يدرى أولها خير أم آخرها أن تشارك أخوانك في فلسطين مصابهم ، فتلغي كل ألوان البذخ والترف ، علماً بأن هذا السلوك يتنافى مع منهج المؤمن ، والمسلمون في أحسن حال ، فكيف إذا كان جيرانك المؤمنون في أسوأ حال ، فهذه الحفلات التي تقام في ردهات الفنادق ، وفي أبهاء المطاعم ، وفي حدائق المزارع ، والتي تبذل فيها الأموال الطائلة في مناسبات وفي غير مناسبات ، فتحول هذه الأموال الطائلة لمن هدمت بيوتهم ، وقتل رجالهم ، وأسر شبابهم ، وهم قابعون في العراء ، لا يجدون من ينصفهم ولا من يرحمهم ألم يصلك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام :

((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى**)) .

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن النعمان بن بشير]

وتقول بعد هذا : ماذا أفعل ؟ ويا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

وقد جاء في حاشية الدسوقي أنَّ : " من كان يملك فضل طعام ورأى جائعاً وتركه حتى مات فإنْ كان صاحب الطعام متأولاً أي يظنه لا يموت فإنَّه يدفع ديته من عاقلته (أقاربه) وإن كان عامداً فقد جاءت روايتان في المذهب ، إحداهما : أنه يدفع ديته من ماله الخاص ، والرواية الثانية : أنَّه يقتص منه على أنه قاتل " .

4 ــ الالتجاء إلى الله والتضرع له والتذلل على أعتابه :

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض بقي باب رابع من أبواب الجهاد المفتحة أمام كل واحد منا ؛ هو باب الالتجاء إلى الله ، والتضرع له ، والتذلل على أعتابه ، وقد ورد في صحيح مسلم :

((**إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلي السماء الدنيا فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ حتى يطلع الفجر**)) .

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

ألا تملك أيها المسلم أن تتوب إلى الله توبة نصوحاً ، ثم تدعو الله بصدق وتضرع وإخلاص لأخوانك في فلسطين أن ينصرهم على أعدائهم أعداء الله ، وأعداء الحق ، وأعداء الخير ، وأعداء البشرية ، أعداء الحياة الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فاسأل الله في دعائك أن يصب عليهم سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد .



آيات تؤكد نصر الله تعالى لعباده المؤمنين :

قال تعالى :

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ

فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

(سورة الإسراء)

وقال :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

(سورة إبراهيم) .



وقال :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

(سورة آل عمران)

ثم إنني لأسمح لنفسي أن أتكلم عن حقيقة مرة ، لتصحو الرؤوس من وهم مريح: هؤلاء الأعداء الأقارب والأباعد ، حققوا شروطاً صعبة جداً ، بنوا بها قوتهم ، خلال مئات من السنين ، فأملوا بسبب قوتهم إرادتهم وثقافتهم على بقية الشعوب ، فأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة .

علينا أن نعد لأعدائنا ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الواسع :

نحن المسلمين ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعد لهم ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الواسع ، فأسرنا ينبغي أن تتماسك ، وأمهاتنا ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن ، وطالبنا ينبغي أن يتفوق ، ومعلمنا ينبغي له أن يحمل رسالة سامية يسعى لتحقيقها ، وعاملنا ينبغي أن يتقن ، وفلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها ، وموظفنا ينبغي أن نعطيه حقه ، وينبغي له أن يتفانى في خدمة دافعي الضرائب ، وقاضينا ينبغي أن يعدل ، وعالمنا ينبغي أن يؤثر خدمة أمته على حظوظه من الدنيا ، وداعيتنا ينبغي أن ينصح لا أن يمدح ، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة ، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة وكذب وكسب للوقت ليس غير ، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج ، ومصانعنا ينبغي أن تتطور ، وأرضنا ينبغي أن تستصلح ، ومياهنا ينبغي أن يرشد استهلاكها ، وهذا لا يكون إلا بإيمان بالله يحملنا على طاعته ، وإيمان باليوم الآخر يحملنا على ألا نظلم بعضنا بعضاً ، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة ، وهذا نوع من الجهاد لا تقطف ثماره عاجلاً بل آجلاً .



وحين تقول لطالب : واصل دراستك وكن متفوقاً ، وخطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة ومستقبلها ، لاستثقل هذا ، وآثر سماع الأخبار ، وأن يكون منفعلاً لا فاعلاً ، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها . وهنا يبرز معنى " الجهاد " بمفهومه الواسع الذي هو بذل أقصى الوسع وغايته ، واستفراغ الطاقة في تحصيل المراد . والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة . وأن علاج الجرح المفتوح على أهميته يجب ألا ينسينا التفكير في مستقبل أجيالنا التي سوف تتساءل : هل تركنا لها شيئاً آخر غير الجراح ؟!

النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده :

ينبغي أن يفكر الفرد الواحد في الموقع الذي يفرغ فيه طاقته ، ويؤدي من خلاله دوره ورسالته ، وبتحديد هدفه يبدأ بالمسير إليه وبخطى ثابتة يقطع مراحل منه ، فيكون قد رسم الهدف وحدد الطريق وبدأ السعي ، وهذا يوصل وفق السنة الربانية إلى الهدف ، ومن ثم تتزايد الأعداد الإيجابية التي تمارس دورها بشكل صحيح بدلاً من أن تتساءل هذه الأعداد فقط ماذا نعمل ؟ ثم لا تعمل شيئاً .

ولا ينبغي ألا يكون تفكير الفرد الواحد دائماً هو أن يرفع المعاناة عن الأمة كلها ، فالواحد القادر على رفع المعاناة كلها هو الله عز وجل . أما البشر فيكفي أن يستفرغ المرء جهده وطاقته ولا يدخر منها شيئاً في موقع معين ، ثم لا يضيره أن تتحقق النتائج على يد غيره بعد وضع الأساس وبدء البناء .

إن رَفْع المعاناة عن الأمة يتطلب عدداً كبيراً من المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين ، وهذا ما يجب السَّعْي إليه ، ولأن ينجح فرد في إعداد مجموعة من المواطنين إعداداً إيمانياً وعلمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وجسدياً أحب وأنفع من أن يلقي بنفسه في أُتون نار تقول : هل من مزيد ، إن النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده ، كما يفعل أعداؤنا .



الأندلس فلسطين العرب الأولى ، داهمها الخطب ، وفعل بها الفرنجة ما يفعله الصهاينة اليوم بالشعب الفلسطيني ، فقال أحد شعرائها يستصرخ المسلمين في المشرق ، وكأن التـــاريخ يعيــد نفسه :

يا راكبين عتاق الخيل ضامـــــرة	كأنها في مجال السبق عقــبان
وحاملين سيوف الهند مرفهـــــــة	كأنها في ظلام النقع نيــــران
و راتعين وراء البحر في دعــــةٍ	لهم بأوطانهم عز و سلطـــــان
أعندكم نبأ من أهـــــل أنـــــدلس	فقد سرى بحديث القوم ركبـان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم	قتلى و أسرى فما يهتز إنســان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهــــم	عليهم في ثياب الذل ألـــــــوان
يا رب أمٍ وطفلٍ حيل بينهمـــــا	كما تفرق أرواح و أبـــــــدان
وطفلة مثـــــل حسن الشمـــس إذ	طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهــــةً	والعين باكية والقلب حيــــــران
لمثل هذا يبكي القلب من كمــــدٍ	إن كان في القلب إسلام وإيمــان

* * *

علينا أن نتعرف إلى أفكار وتصورات عدونا وأهدافه القريبة والبعيدة :

من الإعداد لعدونا الذي أمرنا به أن نتعرف إلى أفكاره وتصـــوراته وأهدافــه القريبــة والبعيدة ، فمن هذا المنطلق أن شارون قال لصحفي إسرائيلي في سنة 1982 : إنه لن يكون أفضل من ترومان الذي قتل نصف مليون ياباني بقنبلتين جميلتين ، قال : ربما سيكرهني العالم وسيخشاني بدلاً من أن أشتكي إليه ، وربما يخاف من ضرباتي الجنونية بدلاً من أن يعجب بروحــي الجميلـــة ، وليرتجف مني وليعامل بلدي كبلد مجانين ، وليقل : إننا متوحشون ، وإننا نمثل خطر الموت لجميــع الجيران ، وإننا جميعنا غير أسوياء ، ونستطيع أن نغرس أزمة فظيعة إذا قتل طفل واحد منــا ، وأن نفجر بسبب ذلك آبار البترول في جميع الشرق الأوسط"!

وقد قال مندوب لصحيفة ، وهي واحدة من أشهر ثلاث صحف في بلد يدعم أعداءنا : لا توجد قيم ولا أخلاق ، وإنما هي القوة ، والقوة وحدها ، ومنذ خمسة آلاف سنة والقوي يفــرض مــا يريد ، وكلما أمعن في القوة كسب أكثر ، فنحن حينما استأصلنا الهنود الحمــر ، والإنكليــز حــين



استأصلوا سكان استراليا الأصليين نجحنا في حسم المعركة . بينما البِيْض في جنوب أفريقيا لأنهم كانوا أرحم ، ولم يستأصلوهم بالكلية انقلبوا عليهم ، وانتصروا في النهاية !

أرأيتم إلى الفكر التي ينطلق منه أعداؤنا ومن يدعمهم ؟ ونحن نقول استناداً إلى الحق الذي هو وحي السماء : القوة لا تصنع الحق ، ولكن الحق يصنع القوة ، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها ، قال تعالى :

فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ

(سورة الحشر)

نتائج الظلم :

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها ، ولا تقدير ردود أفعالها ، وذلك أن ردود فعل المقهورين والمظلومين كشظايا القنابل تطيش في كل اتجاه ، وتصيب من غير تصويب .

إن ردود أفعال المظلومين والموتورين لا يمكن التحكم في مداها ولا اتجاهها ، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول ، مخترقة شرائع الأديان ، وقوانين الأوطان ، وتكفر أول ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول والحقيقي هو نزع فتيل الظلم الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت ، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور والنظر في مشروعيتها أو نتائجها .

حين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا حقوقهم فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب توقعها . والدليل على صدق هذا الكلام أنهم قالوا بلسان كبير مجرميهم : ليست مشكلتنا اليوم مشكلة أمن بل مشكلة بقاء لذلك جاءت ضربتهم ضربة من فقد صوابه .

يقول السيد الرئيس في كلمته القيمة في مؤتمر القمة المنعقد في بيروت : " من لا يمتلك الفكر المضاد للإرهاب لا يستطيع أن يكافح الإرهاب ، ولا أن يتحدث عنه ، ولا نستطيع أن نرى الإرهاب الأصغر ونتعامى عن الإرهاب الأكبر ، وأي طرح للإرهاب في العالم ولا تكون إسرائيل هي محوره فهو طرح ناقص غير موضوعي ".



22 - قصة صلاح الدين الأيوبي

صورة مشرقة من ماضينا :

أخوتي المؤمنين ، أعزائي المستمعين ، في غمرة الألم الساحق والاقتراب من اليأس القاتل ، وفي غفلة عن ماضي هذه الأمة المشرق ، ينبغي أن أضع بين يدي حضراتكم صورة مشرقة من ماضينا ، لا أسوقها تغنياً بها فالاكتفاء بالتغني بالماضي من صفات الأغبياء بل لتكون باعثاً للأمل في النفوس ، ودافعاً لعمل مثمر نستعيد به مجد أمتنا وألق حضارتنا .

يوم تمّ فتح مدينة القدس من قبل المسلمين وبقيادة البطل صلاح الدين ، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين ، وها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح ، والوجوه قد عمها البشر ، ونسمع الألسنة وقد لهجت بالشكر ، لقد علت الرايات ، وعلقت القناديل ، ورُفع الأذان ، وتُلي القرآن ، وصفت العبادات ، وأُقيمت الصلوات ، وأديمت الدعوات ، وتجلت البركات ، وانجلت الكربات ، وزال العبوس ، وطابت النفوس ، وفرح المؤمنون بنصر الله .

وها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى ، فإذا المسلمون وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض ، لا تتفاوت مقاعدهم ، ولا يمتاز أميرهم عن أحد منهم ، قد خشعت جوارحهم ، وسكنت حركاتهم هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة ، استحالوا رهباناً خُشعاً كأن على رؤوسهم الطير في حرم المسجد ، وها هو ذا خطيب المسجد محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر ، ويلقي خطبته ، ولو ألقيت على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرساناً ، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة ، لقد افتتحها بقوله تعالى :

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

(سورة الأنعام)

وها نحن أولاء نستمع إلى فقرات من خطبته :

" أيها الناس ابشروا برضوان من الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا ، لما يسّره الله على أيديكم ، من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرها من الإسلام ، بعد



ابتذالها في أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مئة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه ، من رجس الشرك والعدوان .

ثم قال محذراً : إياكم عباد الله أن يستزلكم الشيطان ، فيُخيل إليكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، لا والله وما النصر إلا من عند الله ، فاحذروا عباد الله بعد أن شرَّفكم الله بهذا الفتح الجليل ، أن تقترفوا كبيرة من مناهيه ، انصروا الله ينصركم ، خذوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء " .

جرائم أعدائنا جعلتنا نصحو بعد غفلة :

وها نحن أولاء نخرج من المسجد الأقصى ، ونلتقي بأحد الفرنجة الذين شهدوا فتح القدس ، وها هو ذا يحدثنا فيقول : إن المسلمين لم يؤذوا أحداً ، ولم ينهبوا مالاً ، ولم يقتلوا مُسالماً ولا مُعاهداً ، وإن من شاء منا خرج وحمل معه ما شاء ، وإنا بعنا المسلمين ما فضُل من أمتعتنا فاشتروها منا بأثمانها ، وإننا نغدو ونروح آمنين مطمئنين ، لم نرَ منهم إلا الخير والمروءة ، فهم أهل حضارة وتمدُّن ، وصدق من قال : " ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم " . أخوتي المؤمنين ، يقول الله عز وجل في محكم كتابه :

وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

(سورة البقرة الآية : 216) .

من يدري أن هذه المحنة الشديدة التي يمر بها المسلمون ، وراءها منحة ثمينة من رب العالمين ، وأن هذه الشدة التي نزلت بالمؤمنين وراءها شدة إلى الله رب العالمين ، وأن كبير مجرمي العدو سخره الله من دون أن يريد ، ومن دون أن يشعر لتوحيد المسلمين ، وشحذ هممهم ، وبث روح البطولة والتضحية فيهم ، وأن كبير مجرمي العدو سخره الله من دون أن يريد ، ومن دون أن يشعر لنعود إلى ديننا ، والى قرآننا ، وإلى سنة نبينا ، لنصحو بعد غفلة ، ولنقوم بعد قعود ، ولنتحرك بعد سكون ، ولنتعاون بعد تنافس ، ولنصطلح بعد خصام .



ولأن الإيمان بالله لا يكون إلا بعد أن نكفر بالطاغوت ، لقد أعاننا أعداؤنا بجرائمهم التي يشيب لهولها الولدان ، أن نكفر بهم ، وبحضارتهم ، وبمنجزاتهم ، وأن نلتفت إلى ديننا وحضـــارتنا وأبناء جلدتنا .

عداتي لهم فضل علي ومنـــة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعالـــيا

23 - التحليل الإسلامي للحوادث

أيها الأخوة ، هناك مقولة توحيدية تملأ النفس أمناً ورضىً ، وهي أنّ كل شـــيء وقـــع أراده الله ، وأنّ كل شيء أراده الله وقع ؛ لأنه لا يمكن ولا يُعقَل أن يقع في مُلك الله ما لا يريـــد ، فلكل واقع حكمة ، وليس كل مُوقع من بني البشر حكيماً ، إرادةُ الله التي سمحت لما حدث أن يحدث متعلقة بالحكمة المطلقة ، أي أن الذي حدث لو لم يحدث لكان نقصاً في حكمة الله ، ولكان اللهُ مَلُوماً ، فلكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقَةَ الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 26)

لم يقل : بيدك الخير والشر .

أيها الأخوة الأحباب ، الشرُّ المطلَقُ لا وجودَ له ، بل هو يتناقض مع وجود الله ، فـــالله عز وجل يوَظِّف الشرّ الذي في بعض النفوس ، نفوسِ المعرضين عنه لخيرٍ كبيرٍ ، ربما لا تُـــدرَك حكمتُه عاجلاً ، ولا أدلَّ على ذلك مِن حديثِ الإفكِ ، حيث اتُّهِمَتْ السيدةُ عائشةُ رضي الله عنهـــا ، بنتُ الصِّدِّيق ، وزوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتُّهِمَتْ في أثمنِ ما تملك الأنثـــى ، فكـــان التفسيرُ التوحيديُّ القرآنيُّ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ ﴾

(سورة النور الآية : 11)



ليست العبرة في التصديق وعدمه بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليله:

التفسير التوحيدي للحوادث لا يُلغِي المسؤوليةَ ، لذلك قال تعالى :

﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة النور)

إنّ القضيةَ الأساسيةَ في التعاملِ مع الأحداثِ الجِسامِ ليس تصديقَ وقوعِها ، أو عدمَ تصديقِهِ ، فطبيعةُ العصر من حيث التواصلُ الإعلاميُّ المذهِلُ ، وثورةُ المعلومات المتفجرة ، واجتماعُ الأممِ والشعوبِ في غرفةٍ إعلاميةٍ واحدةٍ ، يُلْغي موضوعَ التصديق ، أو عدم التصديق ، ولكنّ العبرةَ في التعاملِ مع الأحداث الجِسامِ ، تحليلُها التحليلَ الصحيح ، ثم اتخاذُ موقف ، والانطلاقُ لعملٍ من خلالِ هذا الموقفِ ، ولنضربْ على ذلك مثلاً :

لو أنّ صاحبَ سيارةٍ في أثناءِ قيادته لها تألّقَ ضوءُ الزيت في لوحةِ البياناتِ التي أمامه ، فالمشكلةُ ليست في تصديق التألُّق ، أو عدمِ تصديقه ، لقد رأى تألُّقَه بأمِّ عَيْنِهِ ، ولكنّ المشكلةَ في فَهْمِ هذا التألُّق ، وتحليلِه ، والسلوكِ الذي يُبنَى على هذا الفَهْمِ والتحليل ، فلو فَهِمَ التألُّقَ على أنّه ضوءٌ تزينيٌّ ، فتابعَ السَّيْرَ ، لاحترقَ المحرِّكُ ، وتكلّفَ لإصلاحه مبلغاً كبيراً، وتعطّل السيرُ إلى هدفه ، أما إذا فَهِمَ هذا التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ ، أوقفَ السيَّارةَ ، وأضافَ الزيتَ ، وسلِمِ محرِّكُ السيارةِ من الاحتراقِ ، وتابَعَ سَيْرَهُ إلى هدفه ، فالعبرةُ لا في التصديق وعدمِه ، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه .

التحليل الإسلامي والإضاءة القرآنية للحوادث تتجلى في آيات قرآنية لا تحتاج إلى تفسير :

الآن أيها الأخوة ، إلى التحليلِ الإسلامي ، والإضاءةِ القرآنيةِ لِمَا حَدَثَ ، ولِمَا يحدثُ ، ولِمَا سوف يحدثُ ، آياتٌ قرآنيةٌ لا تحتاج إلى تفسير ، قال عز وجل :



مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

وقال عزّ مِنْ قائلٍ :

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

(سورة الحج)

و : (ثُمّ) على التراخي . قال عز وجل :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ

(سورة القصص)

قال تعالى :

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ

(سورة الأحزاب)



في الخندق :

وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

(سورة الأحزاب)

وقال سبحانه :

قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة الأنعام)

وقال سبحانه :

أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ

(سورة آل عمران الآية : 165)

وقال سبحانه :

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

.



24 - إيجابيات في الأحداث الأخيرة

إلى الموضوع الساخن والضاغط ، من السهل جداً أيها الأخوة أن نعاين السلبيات ، وما أكثرها في الأحداث الأخيرة ، ولكن ليس من السهل ولا متاحاً لكل إنسان أن يكتشف الإيجابيات فيها ، لأنها تحتاج إلى بعد نظر ، وإلى قوة بصيرة ، وهذا ليس متاحاً لمعظم الناس ، يضاف إلى ذلك أنه من منطلق العقيدة الإسلامية الصحيحة أن كل شيء وقع أراده الله ، بمعنى أنه سمح به فقط ، فلا يقبل ، ولا يعقل أن يقع في ملك الله ما لا يريد ، وأن كل شيء أراده الله وقع ، فهو فعال لما يريد ، وأن إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة ، لأن كمال الله مطلق ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ

(سورة آل عمران الآية : 26)

يضاف إلى ذلك أن لكل واقع حكمة ، ولو كان الموقع غير حكيم ، لأن الله جلت حكمته يوظف الشر الذي تنضح به نفوس المعرضين بالخير المطلق ، ولأن الشر المطلق لا وجود له في الكون ، بل هو يتناقض مع وجود الله ، قال تعالى :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

(سورة القصص)

دققوا :

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

(سورة القصص)



يوظف الشر الذي تنضح به نفوس المعرضين للخير المطلق ، وبناء على هذا سنحاول تلمس الحكمة الربانية في الأحداث الأخيرة منطلقين من قوله تعالى :

فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

(سورة النساء)

في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم وسقطت شعاراتهم :

أيها الأخوة الأحباب ، من الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح أن هناك خسائر لحقت وتلحق بالمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة ، وثمة مكاسب للطرف الآخر حققها ، وقد يحقق غيرها ، ولكن السؤال المطروح : كيف نتلمس المكاسب تحت ركام الخسائر ؟ وما من شك أن لكل معركة خسائر ظاهرة ومكاسب خفية ، والمتأمل في التاريخ يرى صوراً للنصر انبثقت من حطام المأساة ، إذاً تفاءلوا ، وكان عليه الصلاة والسلام يحب التفاؤل .

أيها الأخوة الكرام ، في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم وسقطت شعاراتهم، وأخفقت مؤسساتهم وهيئاتهم ، فالحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان وما شابهها باتت مصطلحات محنطة من مخلفات الماضي ، وكادت هذه القيم الغربية البراقة تصرف النفوس عن قيم الدين الأصيلة ، وتخطف الأبصار عن مضامين وحي السماء ، فلما سقطت مبادئ القوم وقيمهم لم يبق في ساحة القيم إلا قيم الدين ، ولم يبق من خلق إلا خلق أهل الإيمان ، كما أن الأحداث الأخيرة وسعت دائرة المقت للغرب البعيد ولمبادئه ولحضارته ، وكثرت من سواد الرافضين لأفكاره ومبادراته ، وأن كثيراً من المفاهيم والأنماط والسلوكيات الاجتماعية سيعاد النظر فيها ، أعني تلك التي صُدِّرت لنا من الغرب على مستوى الرجل والمرأة ، وعلى مستوى الأسرة والعلاقات والنشاطات ، فالمقت للغرب البعيد سيسري على مقت صادراتهم الفكرية وأنماط حياتهم الاجتماعية ، ولا مجال اليوم ولا غداً لمن كانوا ينظرون للغرب عامة على أنه قبلة الفكر ونموذج القيم ، فقد كشفت حقيقة القوم ، وآن الأوان للمسلمين أن يعتزوا بقيمهم الإسلامية وأنماط حياتهم الاجتماعية .

وأما الآلة العسكرية فليست كما يقولون لحفظ العدل والسلام ، بل للتدمير والاحتلال ، ولا تفرق بين مدني وعسكري ، وأن الآلة الإعلامية تلبست بالكذب والتزوير والاستخفاف بالعقول .



أنواع الجهاد :

اتضح للمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة أن الجهاد بمضامينه الشمولية والعميقة لا يمكن أن يكون ردّ فعل مرتجل على خطر طارئ ، إنما هو سلوك مستمر لكل أفراد الأمة بصرف النظر عن الظروف المحيطة .

1ــ جهاد النفس والهوى :

الجهاد الأساسي هو جهاد النفس والهوى ذلك أن المهزوم أمام شهواته وأمام حظوظه لا يمكن أن يقاوم عدواً ، أخذاً بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾

(سورة الرعد الآية : 11) .

ما لم تكن مشاريع التغيير منطلقة من داخل النفس فإنها لا تنجح إطلاقاً .

2ــ الجهاد الدعوي :

الجهاد الثاني الجهاد الدعوي ، ذلك أن الإنسان الذي لا يعلم من هو ، ولا يعلم سر وجوده ، ولا غاية وجوده ، ولا يعرف ربه ، ولا يعلم مراده منه ، ولا يعلم حقيقة الحياة الدنيا الفانية ، ولا عظم الآخرة الباقية ، مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يقاوم عدواً ، أخذاً بقوله تعالى :

﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢ ﴾

(سورة الفرقان) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " وجاهدهم به أي بالقرآن " ، فالجهاد الكبير إنما هو الدعوة ، والبيان بالحجة والبرهان ، وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن ، إنه حجة الله على خلقه ، ومعه تفسيره وبيانه الذي هو السنة .

3ــ الجهاد البنائي :

الجهاد الثالث : هو الجهاد البنائي ، وهو أن كل مسلم في موقعه عليه أن يطور علمه وخبرته ، وأن يتقن عمله ويحسنه ، وأن يضع إنجازه هذا في خدمة المسلمين ، فإذا كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى واحد يموت من أجلها هي في أمسّ الحاجة إلى ألف إنسان يعيش من أجلها ، أخذاً بقوله تعالى :



﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60) .

فالمؤمنون بمجموعهم مأمورون بإعداد العدة ليواجهوا بها قوى البغي والعدوان ، فكلمة ما استطعتم تعني استنفاذ الجهد ، لا بذل بعض الجهد ، والقوة التي ينبغي أن يعدّها المؤمنون جاءت منكرة تنكير شمول ، ليكون الإعداد شاملاً لكل القوى التي يحتاجها المؤمنون في مواجهة أعدائهم من قوة في العَدد ، وقوة في العُدد ، وقوة في التدريب ، وقوة في التخطيط ، وقوة في الإمداد ، وقوة في التموين ، وقوة في الاتصالات ، وقوة في المعلومات ، وقوة في تحديد الأهداف ، وقوة في دقة الرمي ، وقوة في الإعلام ، بل إن كلمة من التي سبقت القوة جاءت لاستغراق أنواع القوة واحدة إثر واحدة .

4ـ الجهاد القتالي :

لقد أفادت استقصاء أنواع القوى لا اصطفاء بعضها ، وكلمة من رباط الخيل جاءت عطفاً للخاص المألوف وقت نزول القرآن على العام الذي يستغرق كل الأزمان والبيئات والتطورات والتحديات ، وهذا الإعداد يحقق أهم أهدافه ، ولو لم تقع المواجهة مع العدو ، إنها رهبة القوي تقذف في قلوب أعدائه ، لقوله تعالى : ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ . هذا فضلاً عن البناء العلمي والاقتصادي والاجتماعي ، وهذا كله مما يعنيه الجهاد البنائي ، إذا تحقق جهاد النفس والهوى ، وتحقق الجهاد الدعوي ، وتحقق الجهاد البنائي ، وكان جهداً يومياً مستمراً ، وجهداً واعياً مخلصاً ، عندئذ وبعد تحقق هذه الشروط الثلاثة ينتظر أن ينجح الجهاد القتالي .

التعاون والمشاورة الجماعية من سمات المسلمين ومن خصائص دينهم :

أيها الأخوة الكرام ، من المكاسب الخفية في الأحداث الأخيرة تقاربنا ووحدتنا ، ولاشك أن المسلمين يعيشون حالة من الفرقة لا يحسدون عليها ، ولكن الأحداث إذا ما استثمرت توحد كلمتهم ، وتجمع شملهم ، فالخطر يحيط بهم جميعاً ، والمخطط يستهدفهم جميعاً ، وفرقتهم وتناقضهم أمضى سلاح يلعب به أعداؤها الصهاينة ، وحينما تجتمع أو تتقارب تبدأ في السير على الطريق



الصحيح لمقارعة أعدائها ، ولاشك أن عاطفة المسلم في المشرق حينما تلتقي مع عاطفة المسلم في المغرب شيء عظيم ، وهذا ما بدأنا نلمسه في هذه الأحداث الأخيرة ، والمؤمل أن تتنامى هذه المشاعر وأن تستثمر .

ومن المكاسب الخفية للأحداث الأخيرة التفكير الجماعي والمشورة ، والتفكير للخروج من الأزمة غانمين ، وليس مجرد سالمين ، هذه إيجابية طالما غفل عنها المسلمون ، إذ اعتادوا على التفكير الأحادي والمشاريع الفردية ، وهذه مع أهميتها لا بد من أن تكون جماعية ، فقد قال الله عز وجل :

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ

(سورة المائدة الآية : 2) .

والتعاون والمشاورة الجماعية من سمات المسلمين ومن خصائص دينهم .

أيها الأخوة الكرام ، لقد كان لهذه الأزمات أثر في تحريكها وتقريب وجهات النظر ، والمأمول أن تزيد هذه الإيجابية ، وأن تستثمر ، وأن يتم التعاون على الخير والمشورة لصالح الإسلام وقضايا المسلمين .

من مكاسب المسلمين :

ومن مكاسب المسلمين من خلال هذه الأحداث الأخيرة أنها أحيت في نفوسهم مشاعر العزة بالإسلام ، فقد كانت الضربة من القسوة بحيث أيقظت نيام المسلمين ، وأذكت مشاعر الغافلين ، وبات المسلمون في شتى أقطارهم يشعرون بأنهم وحدهم الهدف الحاضر والمستقبل ، وتجددت مفاهيم الولاء والبراء عند المسلمين ، وأحسَّ المفرطون من المسلمين بحاجتهم إلى التوبة والعودة إلى الدين ، ولقد كان صلف القوم سبباً في إشعال هذا الفتيل .

ومن مكاسب المسلمين في الأحداث الأخيرة أن الفرصة مواتية للدعوة إلى الدين الحق ، وكشف محاولة الأعداء لتشويه صورة الإسلام ، ونبي الإسلام ، وبلاد المسلمين ، والفرصة مناسبة لدعوة المسلمين للتمسك بدينهم ، فقد باتت الآذان مهيأة لسماع هذا أكثر من أي وقت مضى ، فهل يستثمر المسلمون عامة والدعاة والعلماء والمفكرون خاصة هذه الفرصة المواتية للدعوة ؟



إن الدعوة إلى الدين الحق دعوة إلى الثوابت ، وقد أشار إلى هذا السيد الرئيس في مؤتمر القمة الذي عقد مؤخراً في بيروت فقال : طالب بعضهم بالتنازل عن بعض الحقوق بحجة استيعاب العاصفة ، وكان البعض يعتقد بأنه بذلك ينحني للعاصفة ، لكنهم لم يفرقوا بين الانحناء للعاصفة واقتلاع الجذور من الأرض ، حتى قبل أن تأتي العاصفة ، عندما تقتلع الأمة من جذورها ، فأي ريح خفيفة سوف تأخذها إلى المجهول ؟ عندما تكون هناك عواصف نحن بحاجة أكثر إلى التمسك بالثوابت والمبادئ التي هي جذورنا ، فالعاصفة مهما استمرت سوف تنتهي ، وعندما نحاول الوقوف بعد غياب العاصفة ، ولن نستطيع الوقوف إن لم تكن لنا جذور ، وبالتالي عندما تكون هناك عواصف فيجب أن نتمسك أكثر بالثوابت ، فالعواصف تأتي وتذهب أما الثوابت إذا ذهبت فلن تعود ، عدا عن أن هذه العواصف متبدلة بتبدل المصالح " ، انتهى قول كلام السيد الرئيس .

جزئية النظر ومحدودية الفهم للدين من أشد آفات المسلمين فتكاً بهم :

إن من أشد آفات المسلمين فتكاً بهم جزئية النظر ومحدودية الفهم للدين ، كل أخذ جانباً واستغرق فيه حتى صار لا يرى غيره ، وأصيب بالعمى عن رؤية غير ما هو فيه ، وقد يستفحل هذا الداء فلا يرى هؤلاء في الميدان أحداً غيرهم ، يتصرفون حينئذ على أنهم الذين يمثلون وحدهم المسلمين ، وأنهم وحدهم الذين يحملون الراية ، وعلى الآخرين أن يتبعوهم ، وينقادوا إليهم ، ومن أسباب هذا الداء الانغلاق على النفس والجهل بواقع المجتمع ، وبواقع المسلمين ، والجهل بما عند الآخرين ، وعدم التواصل ، والتحاور معهم .

أيها الأخوة الكرام ، أوجّه الخطاب لكل مسلم : أنت أيها المسلم مدعو للمساهمة في استثمار هذه الأزمة ، فماذا قدمت ؟ هل ساهمت بكلمة طيبة ؟ هل تقدمت بمقترح مفيد ؟ هل فكرت في مشروع نافع للأمة ؟ هل أعنت ملهوفاً ؟ هل دعوت من قلب مخلص لمكروب؟ أي نوع من المساهمة قدمت لنفسك ولأمتك ؟ هل تصدق أو يصح أن تقول : لا أستطيع عمل شيء ، هل ترضى أن تكون رقماً هامشياً في أمتك ؟ هل يكفيك أن تدير موجات المذياع بحثاً عن آخر الأخبار ، ثم ماذا ؟ أو تنظر بسلبية إلى المشاهد الدامية عن أخوانك المؤمنين ، وهم يقتلون ، وتحتل أرضهم ؟ إنها دعوة إلى المساهمة :

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ



(سورة فصلت)

والإسلام مسؤوليتنا جميعاً ، وكيد الأعداء يستهدفنا جميعاً ، وحقوق المسلمين علينا جميعاً .

25 - الانتفاضة

واجبنا نحو الانتفاضة المباركة :

إذا كانت مكة محط حج بيت الله الحرام فماذا عن مسرى سيد الأنــام ؟ إنـه المسـجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، ولا يعلم إلا الله ماذا يجري حوله من جرائم يندى لها جبين الإنسانية ، ويفرَق من هولها وحوش الغاب .

قَتْلُ امرئٍ في غابةٍ　　　جَريمةٌ لا تُغْتَفَرْ

وقَتْلُ شعبٍ مسـلمٍ　　　مسألةٌ فيها نَظَرْ

* * *

الحقيقة أنه لا بد أنْ نشكر أطفال الانتفاضة ، بل الواجب على كل مسلم أنْ يقـدِّم لهـم الشكرَ ؛ حيث جعلوا لنا قضيةً نستطيع أن نتوحَّد حولها ونتحدّثَ عنها ، ونحزنَ مِن أجلها ونتجمـعَ بسببها ، لقد رفعونا عن كثير من همومنا الصغيرة التي كانت تستنزفنا فيما مضى .

إنّ الانتفاضة مباركةٌ لأنها حرَّكت القضيةَ داخلَ فلسطينَ ، وداخلَ الأرض المحتلة ، فقد أصبح اليهودُ يشعرون حقّاً بعقدة ، فهذه الأرضُ ليست بلا شعب ـ كما قيل لهم ـ فهم يفاجئون أنـه يخرج عليهم شابٌّ من الأرض نفسها في فلسطين ، هو أكثر حماساً مـنهم لهـذه الأرض ، وأكثـر تضحية ، وأكثر إصراراً ، وأكثر صدقاً في حمايتها والشعور بقداستها ، حتـى الصـبية الصـغار أصبحوا يدافعون عنها بهذه الطريقة التي لم تكن مألوفة في التاريخ كلِّه، لقد حافظتْ الانتفاضةُ علـى معنويةِ المسلمِ وشعوره بالانتماءِ ، وشعوره بالعطاء ، وكونه يتقي الله قدرَ المستطاع ، ويبـذل كـل جهده في البلاء ، هذه الانتفاضة جعلتْ العالَم كلَّه ، وليس العالم العربي والإسـلامي فحسـب يبـدأ بإعادة حساباته ، ويتفهَّم قضيةَ المسلمين ، لقد كانت الانتفاضةُ اختراقاً جيداً للكيان الصهيوني ، فمِن خلال مشاهدة الناس للأطفال وهم يتلقون الرصاصَ الحيَّ بصدورهم ورؤوسهم ، وليس في أيديهم إلا الحجارة ، شعروا أنَّ هناك مشكلة حقيقة ، هؤلاء الأطفال ما تحرّكوا عبثاً ، وما تصدَّوا لعباً ، فحيننا



تُسْلَب أرضُ شعبٍ ، وتُنهَب ثرواتُه، وتُنتهَك حرماتُه ، وتُدَنَّس مقدساته ، وتُداسُ كرامتُــه ، وتُقهَــر إرادتُه ، وتفسد عقائده ، وتفرغ قِيَمُه ، ويُزوَّر تاريخُه ، ويُحمَل على الفساد والإفساد ، وتُمَارَس عليه ألوانُ التجهيل والتجويع والتعذيب على يد أعدائه ، أعداء الله ، أعداء الحقِّ ، أعداء الخير ، أعــداءِ الحياة ، عندئذٍ لا بد لهذا الشعب أن يتحرّك ليستردَّ حقَّه في الحياة الحرة الكريمة .

كانت الانتفاضةُ فرصةً لتعبير الناس عن مشاعرهم ، ونفضِ الغبار عن قلوبهم ، وتجديد الولاء لدينهم وأمتهم ، وتوحيد همومهم حول قضيتهم الكبرى ، والقضاء على الاهتمامات الجانبيــة ، والخلافات الجزئية ، ومحاولة مخاطبة الأمة كلها ، ومخاطبة العالم من ورائها بالقضية العادلة .

الانتفاضة انتفاضةٌ عفويةٌ :

إنّ كلَّ قطرةِ دمٍ تُراقُ من طفل فلسطيني ينبغي أنْ نشعر أنها تُمتصُّ من أجسادنا، ومِــن أولادنا ، ومِن أهلنا ، وأنّ كلَّ شهيد يَذهب هو من أقرب الناس إلينا ، ولا يجوز أبداً أن يكون نَفَسُــنَا قصيراً ، حيث إنه إذا طال علينا الأمدُ بدأ الناسُ يتساءلون : إلى متى ولماذا ؟ ثم بعــدها ينشــغلون بهمومهم ، وقضاياهم الخاصة ، وأُسَرِهِمْ ، وتجاراتهم ، ووظائفهم ، ويغفلون عن أولئك المــرابطين في الثغور على مدى الزمان ، وهؤلاء الصبيةُ الصغارُ الذين قاموا بهذا العمل رفعوا عبئاً ومسؤوليةً كبيرةً عن المسلمين في كل مكان ، وتصَدَّوا لواجبٍ لا يستطيع غيرُهم أنْ يتصــدّى لــه ، فكــونُهم يلجؤون إلى هذه الوسيلة البسيطة الساذجة العادية التي تدلّ على أنّ الانتفاضــةَ انتفاضــةٌ عفويــةٌ ، انتفاضة القهر ، والحرمان ، والأذى ، والطغيان ، وأنّ الإنسانَ قد وصل إلى درجة لا يصبر عليها ، فقد بَلَغ السيلُ الزبى ، وجاوز الحزام الطِّبيين ، وبلغ السكين العظم .

لا تسقني ماءَ الحياة بذِلَّةٍ بل فاسقني بالعزِّ كأسَ العلقمِ

* * *

أمَا وقد قام هؤلاء الصغارُ بواجبهم ، وأسالوا من دمائهم ، وبذلوا من أرواحهم ، فإنه لا يسَعُ المسلمين إلا الإصرارُ على دعمِ هؤلاء بكل صور الدعم .

ونحن في بلدنا الطيب ، قيادة وشعباً ، نضع كل إمكاناتنا دعماً لا لقضيتهم بل لقضيتنا ، عرباً ومسلمين ، فقضيتنا أصبحت نكون أو لا نكون ، نكون مجتمعــين علــى الحــق ، ولا نكــون متفرقين بالمصالح والأهواء .



26 - الإرهاب

يتحدّث أعداؤنا الصهاينةُ عن الإرهاب ، ولاسيما في هذه الأيام حيث واتّهم الظروف ، ونحن نقول لهم : إنه مولودٌ خرجَ مِن رَحِمِ الغطرسة والظلم والاستخفافِ بكرامةِ الشعب الفلسطيني ، وثمرةٌ مُرَّةٌ لشجرةٍ غَرَسَهَا الأقوياءُ المستكبرون في نفوس المقهورين .

لقد دخلتْ الانتفاضةُ الفلسطينيةُ عامَها الثاني مخلّفةً أكثرَ مِن ثلاثينَ ألفَ جريحٍ ، وثلاثة آلاف مُعَوَّق ، وسبعمئة قتيل ، نسأل الله أنْ يتقبّل عملَهم ، وأنْ يحشرَهم مع الشهداء والصـــالحين . ومنذ عام وزيادةً والمجزرةُ مستمرةٌ في فلسطين ، يصل إلى اليهودِ الدعمُ غيرُ المحدود ، ويصل إلى الفلسطينيين النصحُ بضبطِ النفْسِ ، فَمَن ينسى مشاهدَ الذبحِ في صبرا وَ شاتيلا وقانا ، والتي تَستَمْطِرُ دموعَ الصَّخرِ ، فلماذا لم تَحْظَ تلك المآسي بحظّها الحقيقيّ مِنَ الاهتمام كغيرها ؟

تعلِّمنا الأحداثُ التي نشهدها كلَّ يوم في الأرض المحتلة أنّ القوةَ البشريةَ مهما عَظُمَـــتْ فهي محدودة ، وأنّ العلمَ مهما اتَّسع فهو قاصر ، وأنّ الإنسانَ المتألِّي مصيره القصـــم، فعَـــنْ أَبِـــي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)).

[رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي رواية مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ)) .

[مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ]

إنَّ اعتمادَ القوةِ وحدَها ، والحلولَ الأمنيةَ وحدَها لا يحقِّق الهدفَ ما لم يكــن مصــحوباً بدرجة عاليةٍ من الاستماعِ الجيِّدِ إلى الطرَف الآخر ، وتَفَهُّمٍ دقيقٍ للرأي الآخر ، ومراعاةِ مصـــالحه وخصوصياته ، وتوفيرِ كرامته ، وما لم تحلَّ مشكلات المظلومين والمضطهدين في العـــالَم ، فـــإنّ المشكلة تبقى قائمة ، بل وربما تفاقمتْ ، فالقوّةُ لا تصنع الحقَّ ، ولكنَّ الحقَّ يصنعُ القوةَ ، والقوةُ مِن دون حكمةٍ تدمِّر صاحبَها ، قال تعالى :

فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ

(سورة الحشر)



عدد الذين يغادرون الأرض المحتلة خوفاً وهلعاً عائدين من حيث أتوا لا يصدق ، يزيــد على المليون .

تحديد مفهوم الإرهاب :

أيها الأخوة المؤمنون ، لو حددّنا مفهومَ الإرهابِ فلا يُؤخَذ المقاومُ بالمجرم ، ولا الصالحُ بالطالح ، ولا المُحِقُّ بالمُبْطِلِ ، ولا يُؤْخَذُ العملُ المشروعُ بالعملِ المحظور ؟!

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ عندئذ تستفيدُ الشعوبُ المظلومةُ مِن هذا التحديد ، حيث يصبحُ كلُّ ما هو خارجاً عن إطارِ مفهومِ الإرهابِ المتَّفَق عليه لا يُدرَجُ اسمُه ، ولا يُلاحَق على أنــه مِــنَ الإرهابيين .

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ لانتعشتْ حركاتُ التحرُّر في العالَم وما أكثرَها ، في جهادها ونضالها للتحرُّرِ مِن هيمنةِ المستعمرِ ، وطغيانه ، واستعباده .

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ ، واتُّفِق عليه بين الطرفين المتنــازِعَيْن لامتنــع القــويُّ أنْ يمارسَ الإرهابَ على أوسع نطاقٍ باسم محاربةِ الإرهاب ! فأعداؤنا الصهاينةُ لو فَعَلُــوا ، وحــدَّدوا طبيعةَ الإرهابِ الذي ينبغي أنْ يُدَانَ ويُحارَب لأدَانوا أفعالَهم ، وحاربوا أنفسهم بأنفسهم .

فنحن نتحدَّى أعداءَنا الصهاينةَ أنْ يُخرِجوا لنا تعريفاً للإرهاب ، مِن دون أنْ يكونــــوا هم أوَّلَ المتلبِّسين به قَبلَ غيرهم ، ومِن دون أنْ يكونوا قد اقترفوه ، ومارسوه فــي أقــبحِ صُــوره وأشكاله قبل غيرهم .

إنّ تحديدَ مفهومِ الإرهابِ يُظهِر جهادَ ومقاومةَ الشعب الفلسطيني ضدَّ الصهاينةِ المعتدين على أنه جهادٌ مشروعٌ ، لا يندرجُ تحت مفهومِ الإرهابِ الممنوعِ . لأجل ذلك هُم لا يريدون تحديــدَ مفهومِ الإرهابِ الذي ينبغي أنْ يُحارَبَ ، ليبقى ما هو محرّمٌ على غيرهم مباحاً لهم ، وليبقى شــعارُ محاربةِ الإرهاب شعاراً مَطَّاطاً يمكِّن الصهاينةَ مِنَ العدوان على الفلسطينيين كلما لاحتْ لهم أهمِّيــةَ ذلك بالنسبة لأَمْنِهِم ومصالحهم الذاتية .

إنّ على الذين يتصدون لما يسمونه إرهاباً أن يسألوا أنفسهم لماذا يقدم هؤلاء الشبان على الموت ؟ وسيجدُ هؤلاءِ الصهاينةُ أنفسَهم بحاجة إلى وِقفةٍ شجاعة تخلِّصهم مِن مسلسلِ الذُّعْر المنتظر ، ومسلسل عداوات المقهورين .



الظلم ونتائجه :

إن نتائجَ الظلمِ لا يمكنُ ضبطُ حساباتها ، ولا تقديرُ ردودِ أفعالها ، وذلك أنّ ردودَ فعلِ المقهورين والمظلومين كشظايا القنابل تطيشُ في كلّ اتّجاهٍ ، وتصيبُ مِن غيرِ تصويبٍ .

إنّ ردودَ أفعالِ المظلومين والموتورين لا يمكنُ التحكُّمُ في مداها ولا اتجاهها ، وإنها تطيشُ متجاوزةً حدودَ المشروع والمعقول ، مخترقةً شرائعَ الأديان ، وقوانينَ الأوطان ، وتَكفُرُ أولَ ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفِّرْ لها الحماية أولاً ؛ فلذا لنْ تقبَلَها حاميةً لأعدائها، فإنّ العلاجَ الأوّلَ والحقيقيَّ هو نزعُ فَتِيلِ الظلمِ الذي يشحَنُ النفوسَ بالكراهيةِ والمَقْتِ ، ويعمي البصائرَ والأبصارَ عن تدبُّرِ عواقبِ الأمور ، والنظرِ في مشروعيتها أو نتائجها .

وإنّ أَحْرَصَ النّاسِ على حياةٍ ، وهم الصهاينة ، سيَظَلُّون في حيرةٍ عندما يتعاملون مع مَنْ يُلغِي حياتَه مِن حسابِ الأرباح ، ويسجِّل نفسَه كأوّل رقم في قائمة الضحايا ، إنّ أعظمَ ما يملكه القويُّ أن ينهيَ حياةَ الضعيف ، فإذا أراد الضعيفُ أن يقدِّمَ أثْمَنَ ما يملك ، وهي حياتُه لزَلْزَلَةِ كيانِ القويِّ صارَ هذا الضعيفُ أقوى منه ، وقد قيل : بدأتِ الحربُ بالإنسان ، ثم أصبحتْ بَين آلتين ، ثم بين عقلين ، ثم انتهتْ بالإنسان .

إنّ الحديثَ عنِ القوةِ النابعةِ مِنَ الضَّعفِ ليس دعوةً إلى الرضى بالضَّعفِ ، أو السكوتِ عنه ، بل هو دعوةٌ لاستشعارِ القوّةِ حتى في حالة الضَّعف ، إذاً يجب أنْ نبحثَ في كل مظنَّةِ ضعفٍ عنْ سببِ قوةٍ كامنةٍ فيه ، ولو أخلصَ المسلمون في طلبِ ذلك لوجدوه ، ولصارَ الضَّعفُ قوةً ، لأنّ الضعفَ ينطوي على قوةٍ مستورةٍ يؤيِّدُها اللهُ في حفظه ورعايته ، فإذا قُوّةُ الضَّعفِ تَهُدُّ الجبالَ ، وتَدُقُّ الحصونَ ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾

(سورة الفتح)

عندئذ ينتزِعُ المسلمون مِن هذا الضَّعفِ قوةً تُحيلُ قوةَ عدوِّهم ضعفاً ، وينصُرهُم اللهُ نصراً مبيناً ، قال تعالى :



وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

(سورة القصص)

التوازن هو أكثر ما نحتاج إليه في أمورٍ كثيرة من حياتنا :

هذه الحقائقُ نضعُها بين أيدي أخواننا في الأراضي المحتلة .

إننا نَعجبُ ، ونحن نرى سَفَّاحي صبرا وَشاتيلا وقانا قد صاروا قادةَ دولٍ ، مع أنهم يحملون ميداليات ذهبية في الإرهاب ! ولماذا يختارُ إعلامُ الأعداءِ الإرهابَ الذي ينبغي أنْ يهتمّ به المقهورون ؟ والإرهابَ التي ينبغي أن ينْسوه ؟ وكأنّ الإرهابَ لا يكون إرهاباً إلا إذا كان في اتّجاه مُعَيَّنٍ .

إنّ أعداءَنا الصهاينةَ وهم يطرحون شعاراتِ الحريّةِ والعدلِ وحقوق الإنسانِ وغيرها يمارسونها بصورةٍ انتقائيةٍ مصلحيةٍ ، ولا يتعاملون معها كقيمة جوهرية حقيقية ثابتة إيماناً بها بل انتفاعاً منها ، وأنّ مظاهرَ القوةِ لا تعني التّناهِيَ ولا الإحاطة ، ولكنّ غرورَ البشر يجهل هذه الحقيقة ، وتُسكِرُهُ نشوةُ القوة ، فيقول :

مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ

(سورة فصلت)

أيها المسلمون في كل مكان ، الحذرَ الحذرَ الشديدَ من الوقوع في فخاخ تُنصَبُ لأبناءِ أُمّتنا العربيةِ والإسلاميةِ ، قد يوقعهم فيها ذهولُ الصدمةِ ، أو ثورةُ الحماس ، إنّ أكثرَ ما نحتاج إليه في أمورٍ كثيرة من حياتنا هو التوازنُ ، والانطلاقُ من الثوابت الراسخة ، مِن غير أنْ يُفْقِدَنَا التأثُّرُ



بالأفعالِ وردودِ الأفعال الرؤيةَ الصحيحةَ ، ولا نحتاج إلى كبيرِ عناءٍ لنكتشفَ أنّ كثيراً مِن خطايانـــا وأخطائنا كانت نتيجةَ جُنُوحٍ في النظرةِ بعيداً عنِ التوازنِ والاعتدالِ المطلوبِ .

ليست العبرة بتنفيسِ المشاعرِ وتفريغِ العواطفِ ولكنّها بتحقيقِ المصالحِ ودَرْءِ المفاسِدِ :

إنّ للمشاعر حقَّها في أنْ تَغْلِيَ وتَفُورَ ، أمّا الأفعالُ فلا بد أنْ تكـــونَ مضـــبوطةً بهـــدي المنهجِ الربّانيِّ ، ومقاصدِ الشرعِ وضوابطِ المصلحةِ ، ولا يكون ذلك إلا بـــالرجوعِ إلـــى العلمـــاء الربّانيين الورعين ، الذين لا يجاملون مصالحَ الخاصّة ، ولا يتملّقون عواطفَ العامة ، وقـــد كـــان العلماءُ على تعاقُبِ العصورِ صمامَ أَمَانٍ عندما تطيش الآراءُ ، وتضطربُ الأمور :

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ
وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

(سورة النساء) .

لذا فإنَّ مِن أعظَمِ ما يوصَى به في مثلِ هذه الأحداثِ العامّةِ كَبْحَ جِمَاحِ الانفعالات حيث لا تنتج اجتهادات خاصة ، ربما جنى بعضُها أوّلَ ما يجني على المسلمين ومصالحهم ، وأنْ يكونَ عند المسلمين بخاصة برغم حرارة الانفعال وشدة التأثر تَبَصُّرٌ في معالجة الأمور ، فينبغي ألاَّ يخرجَنا التأثُّرُ إلى التَّهَوُّرِ ، ولا الحماسُ إلى الطَّيْشِ ، وإنّ الحماسَ طاقةٌ فاعلةٌ مُنْتِجَةٌ إذَا وُجِّهَتْ في الطريق الرشيد ، وإنّ العبرةَ ليست بِتَنْفِيسِ المشاعرِ وتفريغِ العواطفِ ، ولكنَّ العبرةَ بتحقيقِ المصالحِ ودَرْءِ المفَاسِدِ .

هذا ما أشار إليه السيدُ الرئيسُ في الكلمةِ التي ألقاها في مجلس الشعب عَقِبَ أدائه القَسَمَ الدستوريَّ ، قال فيها : " نحن بحاجةٍ ماسّةٍ إلى النقد البناء ، ولكي نكونَ بنَّائين في نقدنا لا بد لنا أنْ نكونَ موضوعيين في تفكيرنا ، والموضوعيةُ تتطلَّبُ منا أنْ ننظُرَ إلى أيِّ موضوعٍ مِن أكثـــرَ مـــن زاوية ، وضِمْنَ أكثرَ مِن ظَرْفٍ ، وبالتالي نُحَلِّلُهُ بأكثرَ مِن طريقةٍ ، ونَصِلُ مِنْ ثَمَّ إلـــى أكثـــر مـــن احتمالٍ ، أو على الأقلِّ للاحتمال الأقرب إلى الصحة ، أو الاحتمالِ الأفضلِ ، وعندما نقـــول : نقـــد بناء ، ورأي موضوعي ، فهذا يعني بالضرورة النَّظَرَ بصورةٍ متكاملةٍ للقضايا حيث نرى الإيجابيات



كما نرى السلبيات ، وبذلك نتمكَّن مِن زيادةِ الإيجابيات على حساب السلبيات ، وهذا هو جـوهرُ أيٍّ تطويرٍ ، قال تعالى :

وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

(سورة البقرة الآية : 269)

هنا محلُّ الإشارة إلى أنّ بلدَنا الطيِّبَ سوريةَ قد انْتُخِبَتْ عضواً في مجلس الأمن بإجماعِ مئة وستين دولةً في هيئة الأمم ، وهذا كسبٌ لبلدنا في هذه الظروف الصعبة ، ولعلّ هذه العضـويةَ تمكِّننا أنْ نسهم بشكلٍ أو بآخرَ في نقل الرأي الآخر لأعضائه الدائمين .

27 - زلزال آسيا

في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات ، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات ، وكثـرة الأطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية ، والنظر فـي فقـه السنن الكونية ، حتى حصل من جرّاء ذلك ضلال أفهام ، وتشويش وحيرة ، عند كثير من أهـل الإسلام .

موضوع الخطبة اليوم : الماء نعمة ، ونقمة ، يريده الله أن يكون نعمة فيكون نعمة ، ويريده الله أن يكون نقمة فيكون نقمة .

من النعم العظيمة التي من الله تعالى بها على الإنسان نعمة الماء العذب ، فالماء العذب أفضل شراب ، وأعظم صدقة ، ورحمة الله لخلقه ، وحيث وجد الماء وجدت الحياة .

قال تعالى : وجعلنا من الماء كل شيء حي .

إنَّ الحياةَ على وجهِ الأرضِ ؛ حياةَ الإنسانِ ، وحياةَ الحيوانِ ، وحياةَ النباتِ ، قوامُها الماءُ ، فالماءُ هو الوسيطُ الوحيدُ الذي يحملُ الأملاحَ ، والموادَّ الغذائيةَ منحلةً فيه إلى الكائنِ الحيِّ ، ولولا الماءُ لَمَـا كانت حياةٌ على وجهِ الأرضِ.

لذلك يتفضل الله به علينا ، فيهطل في كلِّ ثانيةٍ مِن السماءِ إلـى الأرضِ علـى مسـتوَى الكـرةِ الأرضيةِ ستة عشر مليونَ طنٍّ مِن الماءِ .



ويشكل الماء سبعين بالمئة من مساحة اليابسة ، ويشكل الماء سبعين بالمئة من وزن الإنسان ، كما أن للماء دوراً كبيراً في سير التفاعلات الكيميائية داخل أجسام النباتات ، والحيوانات ، وكذلك الإنسان ، وذلك من أجل الحصول على الطاقة .0

وللماء دور في تغير سطح الأرض من القوام الصخري إلى القوام الترابي من خلال عمليات الحت .

و لقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم منكراً " ماء " ثلاثاً وثلاثين مرة و ذكره معرفاً " الماء " ست عشرة مرة .

وذكر الله تعالى أن إنزاله الماء من السماء و إحياءه الأرض بعد موتها هو دليل و آية على وجود الله قال تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنهار والفلك الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لقوم يعقلون .
{164} سورة البقرة

وينبغي أن يكون موقف المؤمن من الماء كما ورد في الحديث القدسي الصحيح :
حيث يقول الله عز وجلّ : ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي ، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي ، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))

إنّ مِن آياتِ اللهِ الدالّةِ على عظمتِه هذه الملوحةَ التي نجدُها في البحارِ ، حيث يقول العلماءُ : إنّ في كل لترٍ واحدٍ مِن ماءِ البحرِ سبعةً وعشرين غراماً مِن المِلحِ ، وإنَّ العالَمَ بأَسْرِه يستهلِكُ في السنةِ ما يزيدُ على خمسين مليونَ طنٍّ مِن مِلحِ البحرِ ، وإنّ نسبةَ الملحِ في مياهِ البحرِ تعادلُ ثلاثةً ونصفاً بالمئة مِن مجموعِ مياهِ البحرِ ، بل إنَّ في الكيلو مترِ المكعَّب،(وهو مكعبٌ ضلعُه كيلو متر) من مياهِ البحرِ أربعةً وثلاثين مليون طنٍّ مِن الملحِ .

لو استُخرِجَ ملحُ البحارِ وجُفِّفَ ، ووُضِعَ على اليابسة ــ على قارّاتها الخمسِ ــ ولم نغادرْ مكاناً إلا فَرَشْنَا عليه هذا الملحَ الذي استخْرَجْنَاهُ مِن مياهِ البحارِ ، لبلَغَ ارتفاعُ الملحِ المجفَّفِ على سطحِ اليابسةِ كلِّها مئةً وثلاثةً وخمسين متراً .



ووصف الله الماء على أنه مبارك أي أنه كثير الخير ، قال الله تعالى :

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّات وَحَبَّ الْحَصِيدِ

{9} سورة ق.

وأمتن الله على المؤمنين أن أنزل عليهم الماء الذي فيه قوام حياتهم قال تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْه شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُل الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

11 سورة النح

و ذكر الله إحدى فوائد الماء الكبرى وهي التطهير قال تعالى :

وَيُنَزِّل عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ

و أمرنا الله بالوضوء بالماء عند كل صلاة ، والاغتسال بالماء عند كل جنابة 0

قال تعالى :

يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغسلوا وجوهكم وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُم وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا .

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتصاد في استعمال الماء و عدم الإسراف فيه فقد مَرَّ بِسَعْدٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ مَا هَذَا السَّرَفُ يا سعد فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ ابن ماجة 419 .

عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنهر ومعه قعب أي إناء فتوضأ وفضلت فضلة فردها في النهر وقال : يبلغه الله قوما ينفعهم به.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التصدق بسقي الماء أفضل الصدقة ، فعن سعد رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الصدقة أعجب إليك قال الماء.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلويثه ، حيث نهى عن البول في الماء الراكد.

وقد نهى عن التعذيب بالحرمان من الماء.

وقد يكون تقتير الماء على الناس عقاباً لهم ، قال تعالى :

وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا .



وقال تعالى أيضاً :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ .

وممّا يؤكدُ أنّ تقتيرَ الأمطارِ لا يمكنُ أنْ يكونُ تقتيرَ عجزٍ كتقتير البشرِ ، ولكنه تقتير تربيةٌ وتأديبٌ ، فقد ورد عن وكالةُ الفضاءِ الأوروبية أنَّ مرصدَ الفضاءِ الأوربيَّ العاملَ بالأشعةِ تحتَ الحمراءِ رصدَ غيمةً مِن البخارِ في الفضاءِ الخارجيِّ ، يمكنُ لها أنْ تملأَ محيطاتِ الأرضِ ستينَ مرةً في اليوم الواحدِ بالمياهِ العذبةِ وهذا مصداقُ قولِ اللهِ تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾

وأما معنى التقتيرِ التربويِّ أو التأديبيِّ ففي قوله سبحانه :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ﴾0

ومن خصائص الماء التي تدل على علم الله ورحمته بالإنسان :

1 ــ إن البناء الذري الفريد للماء يجعل جزيئاته مترابطة بعضها ببعض في شبكة فراغية متماسكة ، و لولا هذا لاستحال جود الماء على شكل سائل وصلب على سطح الأرض و لاستحالت الحياة .

2 ــ من المعلوم أن درجة غليان الماء مرتفعة و ذلك لقوة ترابط ذراته لذلك فهو يمتص قدرة حرارية كبيرة لكي يتبخر حيث أن كل غرام من الماء السائل يحتاج إلى خمسمئة وأربعين حريرة ، ليتحول إلى بخار ، وهذه الخاصية تعطي الماء دوراً فريداً في نقل القدرة من مكان لآخر ، فالماء الذي يتبخر من المحيطات تسوقه الرياح مئات بل وبضع آلاف من الكيلومترات إلى أماكن باردة فعند تبرد البخار و تحببه و تساقطه على شكل قطرات مطر ينشر معه الطاقة التي أمتصها في أثناء تبخره فيساهم في رفع درجة الحرارة في تلك المناطق و تلطيف حرارة الجو والجدير بالذكر أنه يتبخر كل عام خمسمئة وعشرون ألف كيلو متر مكعب من الماء .

3 ــ و هناك خاصة فريدة أخرى للماء تتمثل في أنه كأي عنصر يتمدد بالحرارة ، وينكمش بالبرودة ، لكنه في الدرجة أربعة فوق الصفر تنعكس هذه القاعدة المطردة في كل العناصر في الأرض، فيتمدد بالتبريد بدل أن ينكمش فتزداد كثافته في أثناء تجمده فيطفوا على سطح الماء ، وقد لا يصدق الإنسان أن حياة الكائنات على سطح الأرض متوقفة على هذا الاستثناء من قانون الانكماش بالتبريد ، ولولا هذا الاستثناء لتجمدت البحار ، وانعدم التبخر ، وتوقفت الأمطار، وييس النبات ، وهلك الحيوان ، وانتهت حياة الإنسان .



4 ــ الماء يرتفع بنفسه في الأوعية الشعرية في الأشجار و تعرف هذه الخاصة بالخاصة الشعرية فيحمل الماء من خلالها الغذاء إلى الخلايا النباتية حتى ارتفاعات عالية ، كما أنها هي المسئولة عن تحريك الماء في المسامات و الفراغات و الأقنية و الشقوق الدقيقة في التربة والصخور نحو الأعلى مم يسهل على جذور النباتات الحصول على الماء في المناطق الجافة و الصحراوية .

5 – يعد الماء من أقوى العناصر المذيبة ، وهذه الخاصة أساسية في كون الماء المطهر الأول ، والمذيب في الأرض .

هذا عن أن الماء نعمة ، فماذا عن أن الماء نقمة :

أفاق العالم يوم الأحد الواقع في السادس والعشرين من الشهر الأخير من العام المنصرم على حدث لم يسبق أن وقع مثله منذ ثلاثمئة عام تقريباً ، وهو زلزال آسيا ، فالأضرار التي نتجت عنه تفوق حد الخيال ، وهذا الزلزال يعد واحداً من أكبر التحولات في القشرة الأرضية ، فهناك القاعدة الصخرية الصلبة للأرض التي ترتكز عليها القارات والمحيطات ، هذه القاعدة الصخرية للأرض فيها صدوع قسمتها إلى إثني عشر لوحاً ، قال تعالى : " والأرض ذات الصدع " فقد تصادم اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة آسيا ، مع اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة أستراليا ، وهذا التصادم أدى إلى تزحزح الألواح الصخرية التي هي القاعدة الصلبة للكرة الأرضية ، فاختفت جزر ، وظهرت جزر ، وانشطرت جزر ، تحركت جزيرة سومطرة ، ومساحتها اكبر من مساحة سورية وهي أقرب النقاط إلى موقع الزلزال ، وأكثرها تأثراً به ، تحركت عن موقعها تجاه الجنوب بنحو ثلاثين كيلومتراً ، وقصر اليوم واحد من مليون جزء من الثانية ، واهتزت الأرض حول محورها ، وقد قدرت قوة هذا الزلزال التفجيرية بمليون قنبلة ذرية ، وريختر عالم الزلازل المعروف درج مقياسه تسع درجات ، فكانت قوة هذا الزلزال بمقياس ريختر تسع درجات وثمانية أعشار الدرجة وهي فوق النهاية العظمى لمقياسه ، أما الأمواج المد البحري الذي نتج عن هذا الزلزال ، فقد سارت من المحيط الهادي إلى المحيط الهندي بسرعة تقترب من ألف كيلو متر في الساعة ، وقد قطعت ألفاً وستمئة كيلومتر في ساعة ونيف وتناقصت سرعتها إلى سبعين كيلو متراً عند الشواطئ ، وكأن هذا المد خرج من أعماق المحيط الهادي مستهدفاً شواطئ المحيط الهندي ، لحكمة أرادها الله لا تخفى عن العقلاء ، ولو أنه انطلق قريباً من اليابسة لهلك من بني البشر الملايين المملينة ، وهذا من لطف الله جل جلاله ، وقد بلغ ارتفاع أمواج هذا المد من عشرة أمتار إلى أربعين متراً بحيث أن هذه الأمواج قادرة على أن تقتلع صخرة تزن عشرين طناً وتحملها لمسافة طويلة ، وهي قادرة على إغراق ناقلات النفط وهي من البواخر العملاقة ، وتحطيم القطارات وسكك



الحديد ، وتحطيم السفن ونقلها وتجميعها في اليابسة ، وبعضها استقرت علـــى أســـطحة المنـــازل ، وأمواج هذا المد قادرة على اقتلاع الجسور ، والإطاحة بالمنشآت ، وتدمير المدن بأكملها ، والجدير بالذكر أن سواحل هذه البلاد التي تضررت بهذا الزلزال من أجمل السواحل في العـــالم ، فالطبيعـــة هناك ساحرة ، والجو دافئ في الشتاء ، وصالح للسباحة والتعري ، وجميـــع المتـــع الحســـية التـــي تحرمها التشريعات السماوية والأرضية متوافرة هناك ، والمنشآت السياحية هناك من فئة العشر نجوم التي تليق بصفوة أغنياء العالم ، وقد رأى نزلاء هذه المنشآت هذه النجوم العشر ظهـــراً فـــي أثنـــاء الزلزال .

قال تعالى :

حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَـيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَـى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ .

ويتوقع أن يصل عدد القتلى من البشر الذين تكتشف جثثهم تباعاً إلى مئتـــي ألـــف جثـــة ، وبعضهم يتوقع أن يصل العدد إلى ثلاثمئة ألف ، بل إن هناك من يتوقع أن يصل العدد إلى خمسمئة ألف ، عدا الذين يحتاجون إلى إسعاف أولي خلال أيام معدودة ، وعدا خمسة الملايين مشرد الـــذين دمر الزلزال مساكنهم ، والذين لا يجدون الماء الصالح للشـــرب ، ولا الغـــذاء ، ولا الـــدواء ، ولا المأوى . ويتوقع أن يموت مثل هذا العدد لا سمح الله ولا قدر عن طريق الأوبئة الناتجة عن تفســـخ الجثث .

وقد قدرت الخسائر المادية الأولية بخمسين مليار دولار .

ولا يمكن أن تستعيد هذه البلاد الذي دمرها الزلزال نشاطها السياحي قبل عشر سنوات قادمة

هذا الإله العظيم يعصى ، ألا يخطب وده ، ألا ترجى جنته ، ألا تتقى ناره .

لكـــن الذي يلفت النظـــر في هذا الزلزال أنه لم يعثر حتى الآن أي بعـــد مـــضــــــــي إثني عشر يوماً على بدء الزلزال ، لم يعثر على جثة حيوان بري واحـــد علـــى الشـــواطئ التـــي تضررت بالزلزال ، وقد نقلت هذا الخبر إذاعة عرفت بالدقة العلمية ، ويؤكد ذلك أن أهل قرية مـــن قرى السواحل التي تضررت بالزلازل نجوا بأكملهم من الهلاك بسبب أنهـــم رأوا البهـــائم تنطلـــق مذعورة قبل وقوع الزلزال فقلدوها فنجو .



ما تعليل ذلك ؟ يقول علماء الأحياء : إن الله جل وعلا زود معظم البهائم بحاسة سادسة تشعرهم بالزلزال قبل وقوعه بوقت كاف للنجاة منه ، هذا من الناحية الفيزيولوجية للحيوان ، أما من الناحية الإيمانية فالحيوان غير مكلف كالإنسان ، ولا علاقة له بالفساد في الأرض ، فهو لا يقيم حياته على قتل الآخرين ، ولا يبني غناه على إفقار الآخرين ، ولا يبني عزه على إذلال الآخرين ، والحيوانات القوية تأكل حتى تشبع ، فإذا شبعت تسمح للآخرين أن يأكلوا ، فهي لا تسعى لإفقار الآخرين ، ولا لإضلالهم ، ولا لإفسادهم ، ولا لإذلالهم ، ولا لإبادتهم ، ففي بلاد قوية تمت الهجرة إليها ويتحدث أولو الأمر فيها كثيراً عن الحرية ، فقد تم إبادة الملايين من سكانها الأصليين قبل مئتي عام ، ولو كان للحيوانات هيئة أمم لما أكلت أممهم القوية حقوق أممهم الضعيفة ، ولو كان للحيوانات مجلس أمن لما فرض الحصار الاقتصادي على بعض الشعوب المقهورة حتى يموت الناس من الجوع ، إرضاء لمن يملك حق النقض في المجلس ، والحيوانات لا تعرف التطهير العرقي ، قتل كعقاص الغنم ، لا يدري القائل لم يقتل ، ولا المقتول فيم قتل ، وفي مجتمع الحيوان لا تجد حيواناً يذوب قلبه في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير ، إن تكلم قتلوه ، وإن سكت استباحوه ، ولا تعرف هذه الحيوانات تجارة الرقيق الأبيض ، ففي كل عام تقتنص سبعمئة ألف امرأة من البلاد النائمة لتعمل في الدعارة في البلاد المتقدمة ، إرضاءً لنزوات أغنيائها ، والحيوانات لا تعرف الشذوذ الجنسي ففي بلاد يقصدها أغنياء العالم للاستجمام يهيئ لهم في هذه المنتجعات ثمانمئة ألف طفل للفجور بهم ، وفي بلد يعتمد في الدرجة الأولى على تصدير الأغنام إلى شتى بقاع الأرض ، تم إعدام عشرين مليون رأس من الغنم رمياً بالرصاص ، وتم دفنها ؛ حفاظا على السعر المرتفع الذي يحقق لتجار الأغنام هناك ربحاً فلكياً ، والحيوانات لا تعرف إتلاف كميات من الزبدة يصل حجمها إلى حجم أكبر أهرامات مصر حفاظاً على السعر المرتفع ، والحيوانات لا تعرف إتلاف المحاصيل الزراعية حفاظاً على أسعارها المرتفعة ، وتسميمها خوفاً من أن يأكلها الفقراء مجاناً فيقل الطلب على شرائها ، بينما هناك شعوب فتكت فيها المجاعات ، وهم في أمس الحاجة إلى اللحوم والألبان والمحاصيل ، والحيوانات القوية لا ترسل نفاياتها الذرية إلى الحيوانات الضعيفة حتى تسبب لها الأمراض السرطانية بشكل وبائي لآلاف السنين ، والحيوانات التي تصنع الأدوية لا تجربها على حيوانات من جنسها فتدرأ بها الخطر عن نفسها



قال تعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

يقول الإمام علي رضي الله عنه ركب الملك من عقل بلا شهوة ، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كليهما ، فإذا سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان .

بينما الإنسان الذي غزا الفضاء ، وغاص في الأعماق ، وحول القارات الخمس عن طريق الاتصالات إلى قرية ، ثم إلى بيت ، ثم إلى غرفة ، ثم إلى سطح مكتب ، الإنسان الذي صنع مدنا ومعامل ومطارات تمخر عباب المحيطات ، وصنع طائرات أسرع من الصوت ، وصنع قطارات تحملها وسائد هوائية ، وصنع الحاسوب الذي يقرأ بلايين الحروف في الثانية ، واخترع الإنترنيت حيث أزالت السدود والحدود بين الشعوب والحضارات ...

هذا الإنسان الذي أرسل الأقمار الصناعية ، وصنع القنوات الفضائية ، وصنع القنابل الذرية ، والنووية ، والحرارية ، وصنع القنابل التي تعطل الاتصالات ، والقنابل التي تعطل الطاقات ، وصنع القنابل العنقودية ، والانشطارية ، والذكية ، والخارقة الحارقة ... هذا الإنسان الذي صنع كل ذلك لا يستطيع أن يتنبأ بوقوع الزلزال ولا قبل ثانية واحدة إلا إذا تنبه إلى اختفاء الحيوانات ، فلعلها ترشده من خلال اختفائها إلى الخطر الداهم الذي سيدمره .

قال تعالى :

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض﴾

ولا يسعنا في هذا البلد الطيب إلا أن نتوجه إلى أسر الضحايا من كل الملل والنحل ومن دون تفريق ولاسيما سكان البلاد الأصليين بالتعازي الحارة سائلين الله جل وعلا أن يلهم من بقي من هذه الأسر الصبر والسلوان .

من الخطأ الكبير أن يتوهم الإنسان أن كل من أهلكه الله في هذا الزلزال مذنب يستحق الهلاك ، هذا تعميم ، والتعميم من العمى ، فكل يموت على نيته ، وعلى ما عاش عليه ، يقول عليه الصلاة والسلام ، فيما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة :

إن الله تعالى إذا أنزل سطواته (قهره وبطشه)على أهل نقمته ، فوافت آجال قوم صالحين ، فأهلكوا بهلاكهم ، ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم .



فهذا المصاب الجلل الذي أصاب سكان السواحل في جنوبي شرقي آسيا ، هو ابتلاء للمؤمنين ، وما أكثرهم ، قال تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ .

وهو عقاب للمذنبين ، قال تعالى :

﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾

[هود:102].

وهو تحذير وإنذار للناجين من غير المؤمنين ، قال تعالى :

وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

ولكن إنصافاً للحقيقة ينبغي أن نذكر أنه في أثناء طوفان الظلم والقتل اليــومي للأبريـــاء أو اعتقالهم ، وهدم المنازل ، ونهب الأموال ، هذا الظلم اليومي الحاد لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلاً ، في المناطق الساخنة من العالم ، ولاسيما في العراق وفلسطين ، جاء زلزال آسيا ليــوقظ الشـــعور الإنساني لدى الأمم والشعوب ، فبادرت إلى تقديم المساعدات العينية والمالية من كل حدب وصوب ، وساهم بلدنا الطيب أيضاً في هذا العمل الإنساني ، وأكدت هذه المساعدات أن الإنسان هو الإنســـان ، كما فطره الله ، وأن الإنسان أخو الإنسان ، وأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

28 - المدخل الأول لفهم هذا الحدث

لو أنّ سائق سيارةٍ ، في أثناءِ قيادته لسيارته رأى تألّقَ ضوءُ أحمرُ في لوحةِ البياناتِ التي أمامـــه ، فالمشكلةُ ليست في تصديقِ التألُّق ، أو عدمِ تصديقِه ، لقد رأى تألُّقَ هذا الضوءِ بأمِّ عَيْنِـــهِ ، ولكـــنّ المشكلةَ في فَهْمِ هذا التألُّق ، وتحليلِه ، والسلوكِ الذي يُبنَى على هذا الفَهْمِ والتحليلِ ، فلو فَهِمَ التـــألُّقَ على أنّه ضوءٌ تزينيٌّ ، فتابَع السَّيْرَ ، فاحترقَ المحرِّكُ ، وتكلّفَ لإصلاحه مبلغاً كبيـــراً ، وتعطّـــل السير وألغي الهدفِ ، أمّا إذا فَهِم هذا التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ ، أوقــفَ الســـيَّارةَ ، وأضـــافَ الزيتَ ، وسلِمَ المحرِّكُ من الاحتراقِ ، وتابَعَ بَعْدَ ذلك السَيْر ، وتحقــق الهـــدف ، فـــالعبرةُ لا فـــي التصديقِ وعدمِه ، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه .



فإذا كان زلزال آسيا هو الضوء الأحمر ، فالمشكلة ليست تصديق وقوعه أو عدم التصديق ، فما من إنسان من ستة الآلاف مليون إلا وعلم بهذا الزلزال ، وشاهد صوره المأساوية ، ولكن المشكلة في فهمه في ضوء الإيمان بالله ، وفي ضوء وحي السماء ، لا من خلال العولمة والشرك ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ .﴾

أي أنك إذا قدمت تحليلاً إيمانياً توحيدياً وفق كتاب الله وسنة رسوله ، رفضه الذين لا يؤمنون بالآخرة ، أما إذا قدمت تحليلاً أرضياً شركياً قبله معظم الناس.

29 ـ مدخل آخر لفهم هذا الحدث

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ثلاثة أنا فيهن رجل (أي بطل) ، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ؛ ما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها ، ولا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى ، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما أقول حتى أنصرف منها .

ولنأخذ الثالثة ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها فإذا كان هذا الميت في النعش يقول بلغة الحال لا بلغة المقال ، ويسمعه سيدنا سعد بأذن الحال ، لا بأذن المقال ... فماذا يقول هذه الزلزال بلسان الحال لبني البشر ؟

ينادي هذا الزلزال أهل الأرض ، فيقول :

إذا كان كل هذا الهول الذي وقع هو زلزال الدنيا ، فماذا أعددتم أيها البشر للنجاة من زلزال الآخرة ؟ ويذكرهم بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

امرأة حملت رضيعها ، وانطلقت من البيت مذعورة إلى الشارع ، وفي الشارع نظرت إلى رضيعها ، فإذا هو حذاء زوجها ، تذهل كل مرضعة عما أرضعت .



وينادي هذا الزلزال **المحبطين** من المسلمين الذين استسلموا وخضعوا واستكانوا لقوى البغي والعدوان ، ويئسوا من رحمة الله ، ظنوا أن الله تخلى عنهم ، ولن ينصرهم ، يذكرهم بقوله تعالى

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾.

ويقول أيضاً :

﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾

وينادي هذا الزلزال **الغافلين** الذين غفلوا عن وعيد الله ، وغفلوا عن الموت ، وغفلوا عن الدار الآخرة ، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، ويذكرهم بقوله تعالى :

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾

[النحل:45].

يصف أحد السائحين الناجين غفلته فيقول : فجأة سمعت صوتا مخيفاً ، ثم فجأة ابتدأ الماء يتسرب من تحت باب الغرفة ، وفي أقل من دقيقة وصل الماء إلى صدري ، ثم غبت عن الوعي ، وهكذا الساعة لا تأتيهم إلا بغتة

وينادي هذا الزلزال **المتخاذلين** عن الإصلاح الاجتماعي ، وعن الدعوة إلى الخير ظنا منهم أن صلاحهم الفردي يعذرهم أمام الله ، وينقذهم من العقوبات الدنيوية والأخروية ، يذكرهم بقوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

فالضمان أن نكون مصلحين لا أن نكون صالحين .

وينادي هذا الزلزال **المتحررين** الذين شوهوا معنى الحرية ، وظنوها تفلتاً من كل قيد أخلاقي ، ومن كل قيد ديني شرعي ، ومن كل قيد اجتماعي ، فيؤكد لهم أن الفساد يغرق سفينة المجتمع ، ويهدد أمن الجميع ، فالعذاب إذا نزل لا يستثني ، ويذكرهم بقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وينادي هذا الزلزال **المترفين** الذين كان الناس لهم تبعاً أمروا أن يستقيموا ففسقوا ، فدمرهم الله ودمر من أعانهم على فسادهم وإفسادهم من التابعين لهم ، ويذكرهم بقوله تعالى :



﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ، وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

وينادي هذا الزلزال **الدول** التي لم تعبأ بشرائع السماء والتي توهمت أن السياحة الجنسية أقصر طريق لجني الأرباح ، وتكديس الثروات ، حيث افتخر أحد المسؤولين عن السياحة في تلك البلاد قبل أيام من الزلزال بأنه لا يوجد في بلده فتاة عذراء واحدة ، ويذكرهم بقوله تعالى :
وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .



الباب الثاني : موضوعات قرآنية

01 - المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني

02 - أثر القرآن في تقويم سلوك النبات



01 - المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني

إن هناك تلازماً ضرورياً حتمياً بيْنَ التَّديُّنِ الصحيحِ والخُلُقِ القويمِ ، فقد حدّد النبيُّ صلى الله عليه وسلم الغايةَ الأولَى مِنْ بعثته ، والمنهجَ الأوّلَ لدعوته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**)) .

[أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة] .

الهدفُ الأولُ لدعوته هو إرساء البناءِ الأخلاقيِّ للفردِ والمجتمعِ ، لأنّ هذا البناءَ الأخلاقيَّ ثمنُ سعادةِ الدنيا والآخرةِ ، والمُتتَبِّعُ لنصوصِ القرآنِ الكريمِ ، ولنصوصِ السنةِ المُطهرةِ الصحيحةِ يَجِدُ ذلك التلازمَ الضروريَّ بيْنَ التديُّنِ الصحيحِ وَالخُلُقِ القويمِ ، وأعْني بالتديُّنِ الصحيحِ الاتباعَ ، قال تعالى :

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾

(سورة الماعون) .

وقال سبحانه :

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ

(سورة القصص الآية : 50) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

((**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**)) .

[أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ] .

وقال أيضاً :

((**الإيمان والحياء قُرنا جميعاً ، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر**)) .

[أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة في المصنف ، والبخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك] .



النبيُّ الكريم هو النموذجُ الأسمى لاجتماعِ المبدأ والسلوكِ وتطابُق القولِ مع العملِ :

أيها الأخوة الكرام ؛ الإيمانُ أساسُ الفضائلِ ، ولِجَامُ الرذائل ، وقِوامُ الضمائرِ ، وقد بَيَّن النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم في أحاديثه الصحيحةِ أنّ أَحْسَنَ الناسِ إسلاماً أحسنُهم خُلُقاً، وأنَّ أكملَهم إيماناً أحسنُهم خُلُقاً ، وأنّ مِن أَحَبِّ عباد الله إلى الله أحسنَهم خُلُقاً ، وأنّ مِن أقربِ المؤمنين مجلساً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ القيامةِ أحسنَهم خُلُقاً ، وأنَّ خيرَ ما أُعْطِيَ الإنسانُ خُلُقٌ حَسَنٌ ، وأنّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقه درجةَ الصائمِ القائمِ ، بل إنَّ العبدَ لَيَبْلُغ بِحُسْنِ خُلُقِه عظيمَ درجاتِ الآخرة ، والخُلُقُ الحسَنُ يُذِيبُ الخطايا كما يُذيبُ الماءُ الجَليدَ، والخُلُقُ السيِّئُ يُفْسِدُ العملَ كما يُفْسِدُ الخلُّ العسلَ .

أيُّها الأخوة الأحباب ؛ هذه سنَّتُه صلى الله عليه وسلم القوليةُ ، فماذا عن سنته العملية ؟

إنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم هو النموذجُ الأسمى لاجتماعِ المبدأ والسلوكِ ، وتطابق المعتَقَدِ مع القولِ ، وتطابُقِ القولِ مع العملِ ، فإنّ أعظمَ المسلمين منه قرباً صلى الله عليه وسلم أولئك الذين ضاقتِ المسافةُ بين سلوكهم وبين مبادئِ الإسلامِ ، وقِيَمِهِ ، وتشريعاته، وآدابه .

أخوتي المؤمنين ؛ أعزّائي المستمعين ، إنّ ظاهرةَ النفاق التي تحدَّث عنها القرآنُ الكريمُ ، وتحدّثت عنها السُنَّةُ النبويةُ الصحيحةُ بشكل مطوّلٍ تعني خللاً في مطابقةِ الأقوالِ للمعتقداتِ ، وتعني خللاً في مطابقةِ الأفعالِ للأقوالِ ؛ فالنوعُ الأولُ هو النفاق الاعتقادي الذي يُخْرِجُ صاحبَه مِنَ المِلَّة ، والنوعُ الثاني هو النفاق العملي ، الذي إنْ طال عليه الأمدُ كان وخيمَ العاقبة 0

أيها الأخوة الأحباب ؛ إنّ أهمَّ مصدرٍ للسعادةِ الحقيقيةِ انسجامُ حركةِ المرءِ في الحياةِ مَعَ مَا يعتقد ، حيثُ يَشعرُ المرءُ بتيّارٍ يجتاحه مِنَ البَهْجة ، والارتياحِ ، والأمن ، كلما تخطَّى عقبةً مِنَ العقباتِ التي تَحُولُ بينه وبين مُثُله وقِيَمِه العُليا . إنَّ الملذاتِ الحسِّيةَ لا تَخْتَرِقُ غِشَاءَ القلبِ ، بل ولا تَحُومُ حولَه ، لكنّ الذي يَصِلُ إلى أَعْماقِ القلب ، ويغمُره بالسعادةِ والطمأنينةِ هو نَشْوَةُ الانتصارِ على الأهواء والمغريات ، وضغوطِ الشهواتِ والمصالح .

إنّ السعادةَ لا تُجْلَبُ مِنَ الخارجِ أبداً ، إنّما هي شُعاعٌ مِن نورٍ ، يُولَدُ ويَكْبُرُ في داخل الإنسان ، ويُضيءُ جوانبَ الحياة كلَّها ، ويَجعلُها أكثرَ انسجاماً ومنطقية ، وأكثرَ تهيّئاً للنموِّ والتقدّمِ والاستمرارِ ، كلُّ ذلك مرهونٌ بأوضاعٍ تسودُ فيها القيمُ الأخلاقيةُ ، ويعلو فيها صوتُ الالتزامِ والاستقامةِ ، وتُرَفْرِفُ في أرجائها إشراقاتُ الاتِّصالِ بالله .



القاعدةُ الدينيةُ الأخلاقيةُ :

أيها الأخوة الكرام ؛ حضوراً ومستمعين ، إنَّ القاعدةَ الدينيةَ الأخلاقيةَ في أيِّ مجتمعٍ هي التي تتحمّلُ الأثقالَ التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية ، وعن الانتكاسات التي تُصابُ بها الأمةُ في ميادين الحياة المختلفة .

إن هذه القاعدةُ الدينيةُ الأخلاقيةُ هي التي تُمَكِّنُ الناسَ مِن تحمُّلِ الظروفِ الصعبةِ دونَ أنْ يتحلَّلوا ، ودون أو ينحرفوا ؛ فحينَ يُصابُ الناسُ بضائقةٍ شديدةٍ فإنّ القاعدةَ الأخلاقيةَ تدفعهم إلى إغاثةِ الملهوفِ ، وإطعامِ الجائعِ ، والصبرِ على المَدِينِ المُعْسِرِ ، إلى جانبِ التمسُّك الشخصيِّ ، وعدمِ الرضوخِ لمقتضياتِ الظروفِ الصعبةِ ؛ فنجدُ المُسْلمَ يمتنعُ عن كلِّ كسْبٍ حرامٍ مع فاقته الشديدة ، وذلك اتكاءً على ما لديه من قيمٍ ومقاومةٍ روحيةٍ لدواعي التَّحلُّلِ .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إنّ هذه القاعدةَ الإيمانيةَ الأخلاقيةَ هي الرصيدُ الاحتياطيُّ الضخمُ الذي تعتمد عليه الأمّةُ في ترميمِ العديدِ من جوانبِ شخصيتها وحياتها ، ومِن هنا ندرك حجم الجريمة التي ارتُكبتْ في حقِّ هذه الأمّةِ حينما دُفعت دفعاً من قِبَلِ أعدائها المستعمرين ؛ على مستوى التنظير ، وعلى مستوى التطبيق ، إلى جعْلِ القيمِ الأخلاقيةِ الدينيةِ في المرتبة الدنيا مِن اهتماماتها ؛ فلما واجه الناسُ ما واجهوه من ضائقاتٍ في العيش ، ومِن شحٍّ في متطلباتِ الحياة الكريمة ، لم يجدوا لديهم سنداً خُلقياً كريماً يعتمدون عليه في الصمود أمام المغريات ، ومحفِّزات الانحدار المختلفة ، وأمام الضغوط الشديدة ، ومسبِّبات الاستسلامِ والسقوطِ .

أيها الأخوة الأحباب ؛ إنّ الذين نُكِنُّ لهم عظيمَ الاحترامِ ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً مِنَ المال ، وليسوا أولئك الذين يملكون الدهاءَ والمكرَ ، وليسوا أولئك الذين يملكون القوةَ الجسديةَ الخارقةَ ، وليسوا أولئك الذين يملكون الرقابَ ، إنما أولئك الذين يملكون الخُلقَ الكريمَ ، ويترفَّعون عن سفاسف الأمور ، أولئك الذين انتصروا على التحدِّياتِ داخلَ نفوسهم ، أولئك الذين يملكون قوةَ الانتظار ، أولئك الذين يملكون التضحيةَ بالعاجلِ في سبيل الآجل ، أولئك الذين يملكون الإيثارَ مع أمس الحاجة ، أولئك الذين يملكون القلوبَ ، هؤلاء نُكِنُّ لهم عظيمَ الاحترامِ .

إنّه بالإمكان القول : إنّ طابعَ الرقيِّ الحقيقي هو طابعٌ أخلاقيٌّ ، أكثر مِن أنْ يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً ، والجاذبيةُ التي تتمتع بها القرونُ الأولى من تاريخِ الإسلام تنبعُ بشكلٍ أساسيٍّ مِن طابعِ الاستقامة والنبل والتضحية ، وليس مِنَ التفوّق في الحروب أو العلوم أو العمران .



ولعل الطريق الوحيد إلى كسر أغلال التبعية للغرب يكون عن طريق إحداث انتفاضة روحيةٍ أخلاقيةٍ يستعلي بها المسلمُ على المعطيات المادية للوضع الحضاري الراهن ، ويلتفتُ إلى إثراء حياته بوسائلَ لا تحتاج إلى المال .

مصير الإنسان يتوقّف دائماً على علاقة الإنسان بربّه وعلاقتِه بأخيه الإنسان :

أيها المسلمون في كل البقاع ؛ إنّ دراسةَ الحضاراتِ الإنسانية تُوقِفُنا على حقيقة كبرى ، هي أنّ مصيرَ الإنسان يتوقّف دائماً على أمرين : علاقتِه بربّه ، وعلاقتِه بأخيه الإنسان ، والبعدُ الروحيُّ والأخلاقيُّ هو المركزُ والمحورُ في هاتين العلاقتين ، وحين يَنْحطّ الإنسانُ وينحطُّ المجتمعُ يتحوّلُ عن عبادته لربه إلى عبادته لذاته وشهواته ، وتَسودُ علاقتَه بالآخرين القوةُ بدلَ الرحمة ، والقمعُ بدلَ التفاهم ، وينصرف عن العناية بالروح إلى العناية بالجسد ، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة ، ويتحوّلُ المجتمعُ كلُّه إلى غابةٍ يشعر كلُّ واحدٍ فيها أنّ مِن حقِّه افتراسَ الآخرين ، كما أنّه من الممكن أنْ يكون فريسةً لواحد منهم.

أيها الأخوة الأحباب ؛ الطريقُ الوحيدُ للحيلولة دونَ هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية ، وتعزيز علاقة العبد بربه جل وعلا ، وتحفيز الإرادة الخيِّرة في الناس ، وهذا الحلُّ وإنْ كان مُكْلِفاً على المدى القريب ، فإنّه سفينةُ نوحٍ على المدى البعيد .

لن يكون بإمكانِ أفضل النُظُمِ الاجتماعيةِ ، ولا في إمكانِ أَقصى العقوباتِ الصارمةِ أنْ تقوِّم الاعوجاجَ ، ولا أنْ تملأ الفراغَ الناشئَ مِن ذبولِ الرُّوح ، وانحطاط القيم ؛ فالعقوبات لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه ، والنظم مهما تكن مُحكَمة ومتقَنة لنْ تحُولَ دون تجاوزِ الإنسانِ لها ، وتأويلها بما يجهضها ، وكل الحضارات المندثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها شاهدةً على نفسها بالعقم والعجز .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لا بدَّ أنْ نكون على يقينٍ أنّ تيارَ الشهواتِ والنّزوات الجارفَ لا يمكن إلاّ أَنْ يقابَلَ بتيارٍ روحيٍّ متدفقٍ عارم مِنَ المشاعر والأحاسيس الإيمانية ؛ فوظيفةُ الفكر الدلالةُ على الطريق ، وعلى الأساليب والأدوات المناسبة للعمل ؛ لكنّ الذي نستمدُّ منه الطاقةَ على الاندفاع في طريق الخير ، والطاقة على كَبْحِ جِمَاحِ الشرِّ هو الروحُ والإيمانُ العميقُ ، ورصيدُنا من المشاعر الحميمة ، وإنّ كثيراً مِنَ الشبّان الذين جَرَفَهُم تيارُ الجنسِ والمجونِ والخلاعةِ لم يكونوا بحاجة إلى



أدلّةٍ على فضلِ العفةِ والاستقامةِ ، وإنّما كانوا بحاجةٍ إلى شيءٍ مِنَ المعاني التي تفيضُ على القلب بسببِ تَذَوُّق طَعمِ العبودية الحقيقية لله ، والإحساسِ الصادقِ بمعية اللّه تعالى واطّلاعِه عليهم .

حين يبلُغُ التقدّمُ التقني أقصى مداه ، ويشعر المرءُ بالتُخمة من أداوت التحكُّم عن بُعْدٍ وكل ما يجعل الحياة خالية من التحديات ، آنذاك تنبعث أشواقٌ في النفس قديمة جديدة ، هي أشواقُ الروح ، وما وراء المادة ، عالَم العودةِ إلى التراحمِ والتعاطفِ والتضحيةِ ببعض المكاسبِ من أجلِ استمرارِ حياةِ الجميع ، وإنّ الأخلاقيين اليوم هم المستقبليّون غداً ، وهل يُعرف فضلُ الماءِ إلا عند اشتدادِ الظمأ ؟!

النسبية الأخلاقية :

إنّ الإسلامَ يعلِّمنا أنّه بالإمكان تصحيحُ المسارِ قبل أنِ نرتطمَ بقاع الهاوية ، كما يعلّمنا أنه بالإمكان أن نتحول من الخسارة إلى الربح قبل أن يصبح الرصيدُ صفراً ؛ ذلك إذا أصغينا إلى نداءِ الفطرة في أعماقنا ، وضغَطْنا على بعض حاجاتِ الجسد من أجلِ إنعاشِ الروح ، وفكّرنا ملَياً فيما هو آت ، وفيما ينتظرنا .

أيها السادة المستمعون ، أيتها السيدات المستمعات ، في العالَم المتخلِّف روحياً ودينياً تحولّتْ مرجعيةُ الأخلاقِ من الوحي إلى العقل التبريري ، الذي يرتبط بالمصالح والأهواء أكثرَ مما يرتبط بالمبادئ والقيم ، لذلك طلعَ علينا الغربيون بما يسمى النسبية الأخلاقية ، حيث يقولون : ما كان منكراً في زمن يصبح مقبولاً قي زمن ، وما كان رذيلةً في مجتمع يصبح فضيلةً في مجتمع ، وهكذا أصبح الطريقُ مُمَهّداً لتحويلِ الأخلاقِ الفاضلةِ إلى رذائلَ في ثوب فضائل ، وهذه أخطرُ قضيةٍ في الأخلاق ، النسبية الأخلاقية .

كلُّ ذلك بسبَبِ أنّ الناسَ الشاردين عن سرِّ وجودهم وعن غاية وجودهم رأوا أنّ النموَّ الاقتصاديَّ هو الصنمُ الذي ينبغي أنْ تُقدّم له كلُّ القرابين ، هذا في المجتمع الدولي كلِّه، ولو كانت على حسابِ الدِّينِ والقيمِ . وصارت النجاةُ مِن تأثيراتِ ذلك التحوّل الأخلاقي الكبيرِ صعبةً جدّاً ؛ فالتواصلُ الكونيُّ الهائلُ وَضعَ العالَمَ فيما يُشْبِهُ الخلاَّطة الكبيرة !

إضافةً إلى الضغوطِ الرهيبةِ التي تتعرض لها المبادئُ الأخلاقيةُ ، يضاف إلى ذلك الصعوباتُ الحياتيةُ التي تواجه كلَّ مَن يرفض المساومةَ على أخلاقه واستقامته .



إنّ كثيراً من الناس في هذه المجتمعات المعاصرةِ يعيش اليومَ دونَ أيِّ هدفٍ سامٍ، فتأمينُ الحاجاتِ الضروريةِ هو شُغْلُهُم الشاغلُ ، وامتلاكُ بيتٍ صغيرٍ يُعَدُّ نصراً في معركة شرسة ، لقد صار الواحدُ من هؤلاءِ في هذه المجتمعاتِ أشبهَ بالحيوان البريِّ الذي يقضي حياتَه في حديقة الحيوانات ، فهو ليس معزولاً عن بيئته الطبيعية فحسب ، بل إنه معزولٌ أيضاً عن أعماق ذاته !

أشار القرآن في آيات كثيرة إلى تخلف قوم عاد الأخلاقي على الرغم من تقدمهم العلمي :

أيها الأخوة الأعزّاء ؛ هذا التردِّي الأخلاقيُّ الذي تعاني منه المجتمعاتُ المعاصرةُ لم يكن جديداً في تاريخ البشرية ، فالتاريخُ يُعيدُ نفسَه ، وإليكم الدليل .

لقد ذكر اللهُ لنا في القرآن الكريم قَصصَ شعوبٍ كثيرةٍ في الماضي الغابر ، مُشابِهةً للعديد من شعوب اليوم ، وأخبرَ القرآن عن تخلِّفها الأخلاقيّ ، ولكنّه أشاد بعظمة عمارتها للأرض ، فمِن تلك الشعوب قومُ عادٍ ، قال مشيراً إلى جبروت عمرانهم وقوّتهم المادية ، فقال تعالى :

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾

(سورة الشعراء) .

أما عن قوتهم العسكرية والقتالية فقال :

وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

(سورة الشعراء) .

وقال أيضاً :

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

(سورة فصلت) .



وقد أشار القرآن الكريم إلى تفوق عادٍ في شتى الميادين ، فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾

(سورة الفجر) .

وصف القرآن الكريم عاد وثمود بالذكاء والفهم والاستبصار:

كذلك ثمود سبقوا الناسَ في خرق الجبال ، وجَوْبها ، ونحتِ المساكن وتجميلها ، وبنــاءِ القصور في السهول ، قال تعالى :

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾

(سورة الفجر)

وقال سبحانه :

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾

(سورة الشعراء)

وقال :

تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ

(سورة الأعراف)

وصف القرآنُ الكريمُ قومَيْ عادٍ وثمودَ بالذكاء والفهم والاستبصار قال تعالى :



وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

(سورة العنكبوت) .

عاد وثمود ومَن لحقهم كانوا طغاة ومجرمين بغضِّ النظرِ عن تفوُّقِهم العمراني والحربي :

ذكَر القرآنُ بشكلٍ عامٍّ عظمةَ العديد مِنَ الشعوب السالفة والماضية في العمران والقوة ، فقال تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

(سورة الروم) .

على النقيضِ مِن ذلك نجد أنّ تلك الشعوبَ السالفةَ كانت منحطّةً أخلاقياً ، ساقطةً دينياً ، أو ببساطة بالغة ، كانت مُفْسِدةً للأرض وللناس ، مهلكة للبلاد والعباد ، فمثلاً قال القرآن الكريم عن عاد وثمود وفرعون :

وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ

(سورة الفجر) .

وعن قوم نوح أنهم كانوا أطغى من عاد وثمود :

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾

(سورة النجم) .



في ذلك إشارة إلى أن عاداً وثمودَ ومَن لحقهم كانوا طغاة ومجرمين بغَضٍّ النظرِ عن تفوُّقِهم العمراني أو الحربي . إذاً ليس هناك علاقة بين التفوق الديني والأخلاقي من ناحية والتطور العمراني والعسكري من ناحية أخرى ، فكم مِن شعوبٍ بلغت الذروةَ في البناء والتعمير والقوة العسكرية ، ولكنها تسفّلت في الدين والأخلاق أيَّما تسفّل ، ثم سقطتْ حضارتُها العمرانية العظيمة مُنهارةً إلى الأبد بسبب فسادها ، ومَن يقرأُ ما سطروا لا يجد أحداً منهم يذكرُ الله إلا قليلاً ، أمّا أصنامهم وآلهتهم فلا تكاد تحصى .

قَصصُ القرآنِ الكريم عن الشعوب القديمة ليست عبثاً :

قد يسأل سائل : ما الفائدةُ مِن تلك القصص ؟ فتلك شعوب قديمة هلكت وانتهت ، نقول : مَن لا يفهم الماضي فلن يفهمَ الحاضرَ ، ومَن لا يعتبر من أخطاء غيره فلا بدّ أنْ يقع فيها . وقَصصُ القرآنِ الكريم عن الشعوب القديمة ليست عبثاً ، فما دام اللهُ جل جلاله قد ذكر تلك الأقوامَ القديمةَ في قرآن يُتلَى إلى يوم القيامة فلا بد مِن فائدة عظيمة ، قال تعالى :

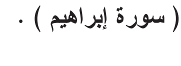
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ

(سورة يوسف) .

هذا الذِّكْرُ من أجل ألاّ تنبهر الشعوبُ الضعيفةُ اليوم بالغرب ، بقوته العسكرية ، ومنشآته العمرانية ، وتقدُّمه الخطير في شتى الميادين ، لئلا تراه مارداً قوياً وجباراً يفعل ما يريد .

لكن أليست هذه الأممُ أمثالَ عادٍ وثمودَ تأكلُ حقوقَ الأمم مِن خلال هيئة الأمم ؟ أليست هذه الأمم أمثالَ عاد وثمود تَسلبُ أَمْنَ الشعوب مِن خلال مجلس الأمن ؟ أليست هذه الأمم المسيطرة أمثالَ عاد وثمود تبني مجدها على أنقاض الشعوب ؟ أليست هذه الأمم المسيطرة أمثالَ عاد وثمود تبني غناها على إفقار الآخرين ؟ لقد طغتْ ، وبغتْ ، وتغطرستْ، ونسيتْ وعيد الله لها، قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾



(سورة إبراهيم) .



وقال أيضاً :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(سورة آل عمران) .

ما يقوله تعالى للأقوام الذين ضلوا قدماء ومحدثين :

لقد قالوا :

مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

(سورة فصلت الآية : **15**) .

كذلك تقول بعضُ الدول العظمى ، أو بعضُ الدول التي تعتمد على دول عظمى ، واللهُ يقول لهؤلاء جميعاً ، قدماء ومحدَثين :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً

(سورة فصلت) .

لو كنا نقرأُ القرآنَ كلّ يومٍ لعلّمنا أنّ شعوباً كثيرةً كعادٍ وثمودَ وغيرِها قد تفوّقتْ في عمران الأرض كما يتفوّق الغربُ اليومَ ، ولكنها ضلّت وأضلت ، وفسدت وأفسدت ، وطغت وبغت وشردت عن عبادة خالقها ، وانحطّتْ أخلاقُها .

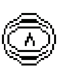
أيها الأخوة المؤمنون ؛ إنّ الإسلامَ ليس ضد العلمِ والعمل ، بل يأمر بهما ، ولكنه ضد الكفر وعبادة الطواغيت ، والعلوّ في الأرض بغير الحق ، والفساد والظلم ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطل ، وإهلاكِ الحرثِ والنسل .



النتيجةُ التي تنتظرُ كلَّ قومٍ كعادٍ وثمودَ:

لكن ماذا كانت نتيجةُ عادٍ وثمودَ ؟ وهي النتيجةُ التي تنتظرُ كلَّ قومٍ كعادٍ وثمــودَ، قــال تعالى :

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ



(سورة الحاقة) .

وقال سبحانه :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ

(سورة يونس) .

الكيان الصهيوني هو مثال معاصر من عاد وثمود :

كمثلٍ معاصر من عاد وثمود ، هذا الكيان الصهيوني الذي سلب أرض شعب ، ونهــب ثرواته ، وانتهك حُرُماتِه ، ودنّس مقدّساتِه ، وداس كرامتَه ، وقهر إرادتَه ، وأفسد عقائدَه ، وفــرّغ قيمَه ، وزوّر تاريخَه ، وحمله على الفساد والإفساد ، ومارس عليه ألــوانَ التجهيــلِ ، والتجويــعِ ، والتعذيبِ .



ثم إنّ تصعيدَ العدوانِ الوحشيِّ من قِبَلِ القيادة المجرمة للكيان الصهيوني على الشعب الفلسطيني ، والأمة العربية ، وعلى مواقعنا في لبنان ، يدفع المنطقةَ إلى حافَةِ الحرب وأُتُونِها ، فهل يُعقَل أن تُسْتَخْدَمَ أحدثُ الطائراتِ المقاتلةِ العملاقةِ لقصفِ شعب أعزلَ لا يملك إلا الحجارة ؟! لقد وصف أحدُ الصحفيين أحدَ الطغاةِ المجرمين بأنه ثور هائج مُصابٌ بجنون البقر .

لقد شرَّف اللهُ الأمةَ العربية ببعثةِ النبيِّ الأعظمِ صلى الله عليه وسلم ، فاستجابتْ لله وللرسول حينما دعاها لما يُحْيِيها ، وجعلت الوحيَ مَرجعاً لمعتقدها ، والشريعةَ الغراءَ منهجاً لحياتِها ، والقيم الخلقية التي جاء بها القرآنُ هدفاً لطموحاتها ، عندئذ أنجزَ اللهُ لها وعدَه بالنصر والتأييد والاستخلاف والتمكين ، فامتدت الدولةُ الإسلاميةُ التي عاصمتُها دمشقُ ، من الصينِ إلى إسبانيا ، تنشرُ تعاليمَ الإسلامِ المستندةَ إلى مبادئِ التسامحِ والعدلِ والإخاءِ والمساواةِ ، هذا ما قاله السيد الرئيس في خطابه في بلدية باريس خلال زيارته الأخيرة لفرنسا.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا أردنا أنْ نستعيدَ دورَنا القياديَّ في العالم ، وأنْ ننقل إلى الشعوب رسالةَ الإسلام الخالدةَ التي ذكرها السيدُ الرئيسُ في خطابه الآنف الذكر ، فعلينا أن نستجيب لله وللرسول لِمَا يحيينا ، وأن نجعل الوحيَ مرجعاً لمنطلقاتنا النظرية ، والشريعةَ الغراءَ منهجاً لسلوكنا العملي ، عندئذ يتحقَّق وعدُ الله لنا بالاستخلاف والتمكينِ في الأرض .

02 - أثر القرآن في تقويم سلوك النبات

إذا أثرَ القرآن في تقويمِ سلوكِ الإنسانِ ظاهرا للعيان فإنّ أثرُ القرآنِ في تقويمِ سلوكِ النباتِ من أكبر المعجزات .

باحثُ عربي عُرِف بإنتاجه العلمي الغزير على المستويين العربي والدولي ، وهو أستاذٌ جامعيٌّ ، له وزنه ، اختصاصه في علم فَزْلجة النبات ، وقد اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة ، فمِن تجاربه التي ربما لا تُصَدَّق ، إلا أنّ الواقعَ أثبتها ، أنه في عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين نَصَبَ أربعةَ بيوتٍ مَحْمِيَةٍ في حديقةِ كُلِّيةِ العلوم في جامعته ، وزرَعَ فيها قمحاً مِن نوعٍ مُعَيَّن ، هذه البيوت مُوحّدة بحجمها ، مَلأَها بكمياتٍ متساويةٍ نوعاً وكمّاً مِنَ التراب الزراعي ، وغرَسَ فيها عدداً موحداً مِن بذور الحنطة على عمق واحد ، وتمّ تسميدُها جميعاً بكميات متساوية مِنْ سَمادٍ معيَّن وسمّى اسم هذا السماد ، وسُقِيتْ جميعاً بِذاتِ العددِ مِنَ السقيا وبكميات ماء متساوية ، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأَ السورَ القرآنية التالية : يس ، والفاتحة ، والإخلاص ، وآية الكرسي ، مرتين في الأسبوع على



البيت الأول ، ولمدة أربعة أشهر ، وفي البيت الثاني كلّف طالبةً أنْ تأتي بنبَاتٍ ، وأنْ تمزّقــه ، وأنْ تقطع أوصالَه ، وأنْ تُسمعِه كلماتٍ قاسيةً أمام نباتِ البيتِ الثاني ، مرتين في الأسبوع ، ولمدة أربعة أشهر ، وفي البيت الثالث كلّف طالبةً ثالثةً بِضَرْبِ النباتِ وكيِّه وتعريضِ وُرَيْقاتِه للتمزيق والقــصِّ مرتين في الأسبوع ، ولمدة أربعة أشهر . فهناك بيت تُلِيَ على نباته سورٌ من القرآن ، وبيت عُــذِّب أمامه نباتٌ ، وبيت تَلقّى نباتُه التعذيبَ ، والبيت الرابع تُرِك لينموَ نمواً طبيعياً ، وأطلق عليــه اســم البيت الضابط ، فماذا كانت النتيجة ، وقد عُرِضتْ في مؤتمر علمي ؟ النتيجة أنّ نباتَ البيــتِ الأول الذي تُلِيَ عليه القرآنُ الكريمُ ازداد طوله أربعةً وأربعين بالمئة عن طول نبات البيت الرابع الضــابط ، وازدادت غلّتُه مئة وأربعين بالمئة عن غلّة البيت الرابع الضابط ، أمّا البيت الثاني والثالث الــذي تحمّل التعذيب أو رأى التعذيب ، فقد تدنّى طولُ نباتاته خمساً وثلاثين بالمئة نقصاً ، ونزل إنتاجُه إلى ثمانين بالمئة نقصاً أيضاً .

يقول هذا الباحث : النباتاتُ كمخلوقات الله الأخرى ، تشعر ، وتسمع ، وتستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثِّراتٍ خارجية .

آيات قرآنية تبين تسبيح كل المخلوقات لله تعالى بما فيها النباتات :

الآن إلى القرآن الكريم قال تعالى :

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾

(سورة الإسراء) .

وقال تعالى :

لَوۡ أَنزَلۡنَا هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ

(سورة الحشر) .



لا على نبات حيّ :

لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الحشر) .

وقال تعالى :

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾

(سورة الرحمن) .

إذا كان هذا شأنَ النبات مع القرآن الكريم ، فهل يُعقَل أنْ يَغفلَ الإنسانُ وهو المخلوقُ المكرَّمُ ، والمعنيُّ الأول مِنْ هذا القرآن ، هل يعقل أن يغفل عن هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أَقْوَم ؟ حتى يصدق على المسلمين قوله تعالى :

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

(سورة الفرقان)



الباب الثالث : موضوعات إيمانية



01 - قوة المؤمن

الله جل جلاله وحده هو القوي ، ولا قوي سواه ، وكل قوة في الأرض في الذوات والأشياء ، مستمدة من قوة الله ، تأييداً ، أو استدراجاً ، أو تسخيراً ، لحكمة بالغة عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها .

قال تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً ، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ، أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ، وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ .

لذلك .....

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف .

كن عضواً في جمعية الأقوياء ، ولا تكن رأساً في قطيع النعاج .

قد تبدو ضعيفاً ؛ لأنك قبلت أن تكون ضعيفاً ، فعشْ كما تريد ، ولكن لا بد من أن تعلم أنه بإمكانك أن تصبح قوياً ، وأن تتعافى من شعورك بالضعف .

إن الأقوياء بالحق هم السعداء ، والضعفاء بالباطل هم التعساء !

واعلم يقيناً أن الشيء الذي لا تستطيعه ، هو الشيء الذي لا تريد أن تكونه .

القوّة مطلب أساسي ، وإلا فلا قيمة للحياة من دون قوة .

إن القوّة مصدر للثقة ، والثقة لا توجد إلا في قلوب الأقوياء .

وإذا أردت القوّة الحقيقيّة فابحث عن قوّة لا تحتاج إلى غيرها إنها قوة الله عز وجل .

إن الجبن والخور ، والاستكانة والاستسلام ، والانهزامية والذلّ ، وجميع المفردات ، في قاموس الضعف ، مرفوضة في حياة الأقوياء ؛ فأنت كائن لم تُخلق لتكون مسلوب الإرادة ، بارد الهمّة .

تأمّل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل و الجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال "

عليك ألاّ تتردّد لحظة في الانتساب " لعضوية نادي الأقوياء " ، فلديك عملاق ينام بين جنبيك ؛ فابحث عنه ، حتى لا تموت ، وأنت تعيش بين الأحياء !

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء



تأمّل في البعوضة : إنها لا تبدو بالنسبة إليك شيئاً مذكوراً ؛ لكنها أقوى منك ، حينما تصــر البعوضة من دون كلل أو ملل ، في البحث عن منفذ في جلدك .

❋ ❋ ❋

لكن السؤال المهم ، في هذا الموضوع : كيف نبحث عن القوة ، ونحن ضعفاء ؟

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ، ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو إلى السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة ، حتى في حالة الضعف ، إذن يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف ، عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجــدوه ، ولصـــار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة ، يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فــإذا قــوة الضعف ، تهد الجبال ، وتدق الحصون ، كما ترون وتسمعون .

أنت قويّ ، هذا سر ضعفك ، وأنا ضعيف ، هذا سر قوتي !

لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية ، بقنبلة الذُرية ، أي بتربية جيل واع ملتزم يـــنهض بأمته ، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم .

إن أشكال القوّة متنوعة ، وإن أبعادها مختلفة ، ومن الصعب الحديث عنها جميعــاً ، ولكــن نشير إلى أشهر هذه القوى تفصيلاً حيناً وإجمالاً حينا آخرً.

02 - التوحيد قوة

التوحيد هو في الواقع ، تحرير للإنسان ، من كل عبودية ، إلا لربه الواحد الــديان ، الــذي خلقه فسواه ، وكرمه وأعطاه ، التوحيد تحرير لعقله ، من الخرافات والأوهــام ، التوحيــد تحريــر لضميره ، من الخضوع والاستسلام ، التوحيد تحرير لحياته ، من تسلط الأرباب والمتألهين التوحيــد يعين على تكوين الشخصية المتزنة ، التي توضحت في الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها ، وتحــدد طريقها ، فليس لها إلا إله واحد ، تتجه إليه في الخلوة ، والجلوة ، وتدعوه في السراء والضــراء ، وتعمل على ما يرضيه ، في الصغيرة والكبيرة ، ففي القرآن :



﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارِ﴾

(سورة يوسف : 39) .

التوحيد يملأ نفس المؤمن أمناً وطمأنينة ، فلا تستبد بها المخاوف ، التي تتسلط على أهل الشرك ، فقد سد الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم ، الخوف على الرزق ، والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد ، والخوف من الإنس ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف مما بعد الموت .

أما المؤمن الصادق الموحد ؛ فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى غير الله ، ولهذا تراه آمناً إذا خاف الناس ، مطمئناً إذا قلق الناس هادئاً إذا اضطرب الناس .

قال تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

(سورة الشعراء : 213) .

التوحيد مصدر لقوة النفس ، إذ يمنح التوحيد المؤمن ، قوة نفسيةً هائلة ، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، والاستغناء به عن خلقه ، فالمؤمن الموحد راسخ كالجبل ، لا تزحزحه الحوادث ، ولا تزعزعه الكوارث .

ولما وليَ الحجَّاجُ بن يوسف الثقفي العراقَ ، وطغى في ولايته وتجبَّر ، وكان الحسنُ البصري أحدَ الرجال القلائل الذين بينوا للناس الحق والحقيقة ، وصدعوا بكلمة الحق من دون خوف أو وجل ، فعَلِمَ الحجَّاجُ بذلك ، فماذا فعل ؟ دخل إلى مجلسه ، وهو يتميَّز من الغيظ ، وقال لجلاَّسه : تبًّا لكم ، سُحقا لكم ، يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة ، و يقول ما شاء أن يقول ، ثم لا يجد فيكم من يردُّه ، أو ينكر عليه ، والله لأسقينَّكم من دمه ، يا معشر الجبناء ، ثم أمر بالسيف والنطع ، ودعا بالسياف فمَثَل واقفا بين يديه ، ثم وجَّه إلى الحسن بعضَ جنده ، وأمرهم أن يأتوا به ، ليقطع رأسه ، وينتهي الأمرُ ، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسنُ ، فشخصتْ نحوه الأبصارُ ، ووجفت عليه القلوبُ ، فلما رأى الحسنُ السيفَ والنطع والسياف حرَّك شفتيه ، ثم أقبل على الحجاج ، وعليه جلالُ المؤمن ، وعزة المسلم ، ووقارُ الداعية إلى الله ، فلما رآه الحجاجُ على هذه الحال هابه أشدَّ الهيبة ، وقال له : ها هنا يا أبا سعيد ، تعالَ اجلس هنا ، فما زال يوسع له و يقول : ها هنا ، والناس لا يصدِّقون ما يرون ، لقد طلب ليقتل ، والنطع جاهز ، والسيَّاف واقف ، وكلُّ شيء جاهز لقطع رأسه



، فما الذي حصل ، وكيف يستقبله الحجّاج ، ويقول له : تعال إلى هنا يا أبا سعيد ، حتى أجلسَه على سريره ، ووضَعَه إلى جانبه ، ولما أخذ الحسنُ مجلسه التفت إليه الحجَّاجُ ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين ، والحسنُ يجيبه عن كلِّ مسألة ، بجنان ثابت ، وبيان ساحر ، وعلم واسع ، فقال له الحجاج : أنت سيدُ العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية – نوع من أنواع الطيب – وطيَّب له بها لحيته ، وودَّعه ، ولما خرج الحسنُ البصري من عنده ، تبعه حاجبُ الحجاج ، وقال له : يا أبا سعيد ، لقد دعاك الحجاجُ لغير ما فعل بك ، دعاك ليقتلك ، والذي حدث أنه أكرمك ، وإني رأيتك عندما أقبلت ، ورأيتَ السيفَ والنطعَ قد حرَّكتَ شفتيك ، فماذا قلت لربك ؟ فقال الحسن : لقد قلت : يا وليَ نعمتي ، وملاذي عند كربتي ، يا مؤنسي في وحشتي ، اجعل نقمته علي ، بردا و سلاما ، كما جعلت النارَ ، بردا وسلاما على إبراهيم .

الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله

وقد استنصح والي البصرة الحسن البصري مرة ، وقد جاءه من الخليفة توجيه ؛ إن نفذه أغضب الله ، وإن لم ينفذه ، أغضب الخليفة ، وعزله من الولاية ، قال له : اعلم أن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

03 - المعرفة والعلم قوة

أما العلم ، فهو قوّة هائلة ؛ فالعلم يعطيك طاقة ، لا تتقيد بحدود الزمان أو المكان ، وتكسب صاحبها علواً ومنزلة ، وتمهّد الطريق أمامه للرفعة ، في الدنيا والآخرة (...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

دخل سليمان بن عبد الملك الحرم ، ومعه الوزراء ، والأمراء ، والحاشية ، وقادة الجيش ، وكان حاسرَ الرأس ، حافِيَ القدَمَيْن ، ليس عليه إلا إزارُهُ ، ورداء ، شأنُهُ كَشَأن أيّ حاجٍّ محرم من المسلمين ، ومن خلْفِهِ ولداهُ ، وهما غلامان كَطَلْعَة البدْر بهاءً ، وكأكْمام الورْد نضارةً وطيبًا ، وما إن انتهى خليفة المسلمين ، وأعظمُ مُلوك الأرض ، من الطَّواف حول البيت العتيق ، حتى مالَ على رجلٍ من خاصَّتِهِ ، وقال مَن عالم مكة ؟ فقال : عطاء بن أبي رباح ، قال : أروني عطاء هذا ، فالتقى به ، فوجده شَيْخاً حبَشيّاً ، أسْوَدُ البشرَة ، مُفَلْفَلُ الشَّعْر ، أفْطَسُ الأنف ، إذا جلسَ بدا كالغُراب الأسْوَد ، كأن رأسه زبيبة ، مشلولاً نصفه ، لا يملك من الدنيا درهمًا ولا دينارًا ، فقال سليمان :



أأنت عطاء بن أبي رباح ، الذي طوّق ذكرك الدنيا ؟ قال : هكذا يقولون ، قال بماذا حصلت على هذا الشرف قال : باستغنائي عن دنيا الناس ، وحاجتهم إلى علمي ، الذي انقطعت له ثلاثين عاماً ، قال سليمان: لا يفتي في المناسك إلا عطاء .

وحدث بعد اللقاء الأول أن اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج ، فقال : خذوني إلى عطاء بن أبي رباح ، فأخذوه إلى عطاء وهو في الحرم ، والناس متحلقون حوله ، فأراد سليمان أن يجتاز الصفوف ، ويتقدم إليه وهو الخليفة ، فقال عطاء : يا أمير المؤمنين ، خذ مكانك ، ولا تتقدم الناس ؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان ، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابه ، فقال سليمان لأبنائه : يا أبنائي ، عليكم بتقوى الله ، والتفقه في الدين ، فو الله ما ذللت في حياتي إلا لهذا العبد ، لأن الله يرفع من يشاء بطاعته ، وإن كان عبدًا حبشيًّا ، لا مال ولا نسب ، ويذل من يشاء بمعصيته ، وإن كان ذا نسب وشرف ... ثم قال سليمان لأحد ولديه : يا بني هذا الذي رأيْتَهُ يا بنيّ ، ورأيْتَ ذُلَّنا بين يدَيْه ، هو وارِث عبد الله بن عبَّاس ، الصحابيّ الجليل الذي أوتِيَ فهْمًا في القرآن الكريم ، وكان مَوْسوعةً في كلّ العُلوم ، ثمَّ أرْدَفَ يقول : يا بنيّ ، تَعَلّم العِلْم ، فَبِالعِلْم يشْرُفُ الوضيع ، وينْبُهُ الخامِل ، ويَعْلو الأرِقَّاء إلى مراتب المُلوك .

ولذلك قِيل : رُتْبةُ العِلْم أعلى الرُّتَب ، تعلَّموا العِلم ، فإنْ كنتُم سادةً فُقْتُم ، وإن كنتم وسطًا سُدْتُم ، وإن كنتم سُوقةً عِشْتُم .

وفي هذا العصر ، يأتمر صناع القرار في أقوى دول العالم ، بأولي الخبرة من العلماء ، فالعلماء في الحقيقة هم الذين يحكمون العالم.

04 - العبادة الخالصة قوة

كان رجل من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقال له جُليبيب ، رجل فقير معدوم ، عليه أسمال بالية ، جائع البطن ، حافي القدمين ، مغمور النسب ، لا جاه ، ولا مال ولا عشيرة ، ليس له بيت يأوي إليه ، ولا أثاث ، ولا متاع ، يشرب من الحياض العامة ، بكفيه مع الواردين ، وينام في المسجد ، وسادته ذراعه ، وفراشه الأرض ، وكان في وجهه دمامة ، لكنه صاحب ذكر لربه ، وتلاوة لكتاب مولاه ، لا يغيب عن الصف الأول في كل الصلوات ، ولا في كل الغزوات ، ويكثر الجلوس عند النبي ، صلى الله عليه وسلم .

قال له النبي صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم : يا جُليبيب ألا تتزوج ؟ فقال : يا رسول الله ومن يزوجني ؟! فقال رسول الله : أنا أزوجك يا جُليبيب . فالتفت جُليبيب إلى الرسول فقال : إذاً



تجدُني كاسداً يا رسول الله .. فقال الرسول الكريم : غير أنك عند الله لست بكاسد ، ثم لم يزل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يتحين الفرص حتى يزوج جُليبيا ...

جاء في يوم من الأيام ، رجلٌ من الأنصار ، قد توفي زوج ابنته ، فجاء إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يعرضها عليه ، ليتزوجها النبي ، فقال له النبي : نعم ... ولكن لا أتزوجها أنا !! فسأله الأب : لمن يا رسول الله !! فقال صلى الله عليه وسلم : أزوجها جُليبيبا .. فقال ذلك الرجل : يا رسول الله ... تزوجها لجُليبيب ؟ انتظر حتى أستأمر أمها !! ثم مضى إلى أمها ، وقال لها : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يخطب إليك ابنتك ، قالت : نعم لرسول الله ، ومن يرد النبي صلى الله عليه وسلم .. فقال لها : إنه ليس يريدها لنفسه ...!! قالت : لمن ؟ قال : يريدها لجُليبيب !! قالت : لجُليبيب ؟ لا لعمر الله ، لا أزوج جُليبيباً ، وقد منعناها فلاناً وفلاناً ... فاغتم أبوها لذلك ، ثم قام ليأتي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فصاحت الفتاة من خدرها ، وقالت لأبويها : من خطبني إليكما ؟؟ قال الأب : خطبك رسول الله .. قالت : أفتردان على رسول الله أمره ... ادفعاني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني ! قال أبوها : نعم .. ثم ذهب إلى النبي الكريم وقال : يا رسول الله شأنك بها ... فدعا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، جُليبيبا ثم زوجه إياها ، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم ، كفيه الشريفتين ، وقال: اللهم صب عليهما الخير صباً ، ولا تجعل عيشهما كداً !! ثم لم يمض على زواجهما أيام حتى خرج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مع أصحابه في غزوة ، وخرج معه جُليبيب ، فلما انتهى القتال اجتمع الناس ، وبدأوا يتفقدون بعضهم بعضاً ، فسألهم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقال : هل تفقدون من أحد ، قالوا : نعم يا رسول الله نفقد فلاناً وفلاناً ، ونسوا جليبيباً في غمرة الحديث ؛ لأنه ليس لامعاً ، ولا مشهوراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : ولكنني أفقد جُليبيبا .. فقوموا نلتمس خبره ، ثم قاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال ، وطلبوه مع القتلى ، ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب ، وقد استشهد.. فوقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام جسده المقطع ، ثم قال : أنت مني وأنا منك ، أنت مني وأنا منك .. ثم تربع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ، بجانب هذا الجسد ، ثم حمل هذا الجسد ووضعه على ساعديه ، وأمرهم أن يحفروا له قبراً .. قال أنس : فمكثنا والله نحفر القبر ، وجُليبيب ماله فراش غير ساعدي النبي صلى الله عليه وسلم .. قال أنس : فعدنا إلى المدينة وما كادت تنتهي عدة زوجة جليبيب حتى تسابق إليها الرجال يخطبونها ..

إن الفقر والخمول ، ما كان ـــ في يوم من الأيام ـــ عائقا في طريق التفوق والوصول .

إن قيمتك أيها الإنسان في معانيك الجليلة ، وصفاتك النبيلة ، لا في درهمك ودينارك ، ولا في بيتك ومتاعك.



05 - الدعاء قوة

هل من وضع أضعف من أن يجد الإنسان نفسه في فم حوت أزرق ، وبالمناسبة ، الحوت الأزرق يزيد وزنه عن مئة وخمسين طناً ، خمسون طناً لحماً ، وخمسون طناً دهناً ، وخمسون طناً عظماً ، ويستخرج منه تسعون برميل من زيت السمك ، ووجبته الصغيرة بين الوجبتين أربعة أطنان من السمك ، وإحدى رضعات وليده الثلاث تزيد عن ثلاثمئة كيلو من الحليب ، ويستطيع الإنسان أن يقف على قدميه في فمه .

لو وجد الإنسان نفسه في فم الحوت ، كم نسبة احتمال النجاة ؟ قطعاً هي معدومة يقيناً ، لكن سيدنا يونس عليه السلام ، لحكمة تعليمية أرادها الله جل جلاله ، سمح لحوت عظيم أن يلتقم نبيه الكريم قال تعالى :

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ .

وقد يقول قائل : إن هذا استثناء لنبي كريم ، ونقول له : هي قصة وقعت ، لكن الله جل جلاله حينما قال : " وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ " جعلها قانوناً ينتفع به كل المؤمنين الصادقين في كل زمان ومكان .

فالدعاء سلاح المؤمن ، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس فادع القوي تكن قوياً.

06 - الاعتزاز بالله قوة

رستم قائد فارس ، وتحت يديه مئتان وثمانون ألفًا من الجنود ، يقول لسعد بن أبي وقاص ، القائد المسلم . أرسل إليَّ من جنودك رسولاً أكلمه ، فأرسل له سعدٌ رضي الله عنه ربعيّ بن عامر ، وعمره ثلاثون عاماً ، من فقراء الصحابة ، قال له سعد : اذهب ولا تغير من مظهرك شيئًا ، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، فخرج ربعيّ بفرسه الهزيل ، وثيابه الرثة ، ورمحه البسيط ، فلما سمع رستم أن وافد المسلمين سوف يدخل عليه ، جمع حوله الأسرة الحاكمة ، والوزراء ، والجنود ، واستعدوا لأن يرهبوا هذا الوافد ، لعلّه يتلعثم ، فلا يستطيع الكلام ، فلما جلس رستم قال : أدخلوه عليّ ، فدخل يقود فرسه ، واعتمد برمحه على بُسُطهم ؛ ليظهر لهم أن الدنيا حقيرة ، وأنها رخيصة ، وأنها لا تساوي عند الله شيئًا ، ومن علامات رخصها وحقارتها ؛ أن



الله أعطاها لمن لايحب ، وجعل سعد بن أبي وقاص ينام على الثرى . فلما وقف أمامه قال له رستم : اجلس ، قال ربعيّ : ما أتيتك ضيفًا حتى أجلس ، وإنما أتيتك وافدًا ، فقال رستم : ــ والترجمان بينهما ــ مالكم أيها العرب ، ما علمنا ــ وأقسم بآلهته ــ قوماً أذل ولا أقل منكم شأناً ، أنتم ، أهل جعلان ، تطاردون الإبل في الصحراء ، فما الذي أتى بكم ؟ قال ربعيّ : نعم ، أيها الملك : كنا كما قلت وزيادة ، كنا أهل جهالة ، نعبد الأصنام ، يقتل القريب قريبه على شاة ، ولكن الله ابتعثنا لنخرج العباد ؛ من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا ، إلى سَعَة الآخرة ، وللقصة تتمة ... اسألوا عنها .

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

07 - الإصرار قوة

قال أحد الفلاسفة : إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره ، قلما تنقضه الأيام ، إن كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان .

روى لي عالم جليل : أنه كان في صعيد مصر إنسان أمي ، في الخامسة والخمسين من عمره ؛ لا يعرف السماء من الأرض ، ولا الطول من العرض ، وقد ذهب ابنه الشاب إلى الأزهر في القاهرة ، وبعد سنوات عدة ، عاد ابنه إلى قريته خطيباً لمسجدها ، جلس أبوه في المسجد يستمع إلى خطبة ابنه ، وبدل أن يمتلئ قلبه فرحاً ، بما وصل إليه ابنه ، من علم ودعوة ، امتلأ قلبه حزناً وحسرة ، على عمره الذي أمضاه في الجهل والغفلة ، واتخذ قراراً مصيرياً ، وركب حمارته الهزيلة متجهاً بها ، من صعيد مصر إلى أزهر القاهرة ، واستغرقت الرحلة عشرات الأيام ، ولما وصل إلى القاهرة ... سأل أين الأزعر ؟ ، فقيل له أي أزعر؟ ، إنه الأزهر ، فالتحق بـه ، وتعلـم القـراءة والكتابة ، ثم قرأ القرآن ، ثم طلب العلم ... ومازال يطلب العلم حتى انتهى به طلب العلم إلـى أن صار شيخ الأزهر ، بل ما مات إلا وهو شيخ الأزهر ، وهو أعلى منصب ديني في مصر ، وشـيخ الأزهر بمرتبة رئيس للوزراء .



08 - الجمال قوة

المرأة ــ في الأصل ــ جميلة ، ومحببة إلى زوجها ، وجمالها قوة كبيرة ، لا تحتاج إلى دليل ، ولا إلى شرح طويل ، ولكنها قوة حيادية ، يمكن أن توظف في الخير ، كما يمكن أن توظف في الشر ، فيمكن بجمالها أن تكون أداة إغواء ، وإفساد ، وانحلال ، كما ترون ، كما يمكن بجمالها أن تكون أداة ترويض ، وإصلاح ، واكتمال ، كما ترون . وقد أدرك الغربيون هذه الحقيقة ، فكانوا يجبروننا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريدون ، لكنهم الآن ، ــ من خلال البث الفضائي ــ يجبروننا بالقوة الناعمة أن نريد ما يريدون ، وقالوا : وراء كل رجل عظيم امرأة ، وأحياناً : لولا المرأة لكان الرجل عظيماً ، إنها قوّة في الخير إذا استقامت ، وقوّة في الشر إذا انحرفت .

قال بعض أدباء مصر : إن خير النساء من تضيف إلى جمالها جمال أخلاقها ، ويكون عقلها جمالاً ثالثاً ، فهذه المرأة إن أصابت الرجل الكفء يسرت عليه ، ثم يسرت عليه ، ثم يسرت عليه ، إذ تعد نفسها إنساناً يريد إنساناً ، ولا تعرض نفسها متاعاً يريد شارياً.

09 - العفة قوة

نبي كريم بن كريم بن كريم ، يوسف عليه السلام ، كان طفلاً أثيراً عند أبيه سيدنا يعقوب ، ائتمر إخوته عليه ، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، ليتخلصوا منه ــ والقصة معروفة ــ ومرت بالبئر قافلة واستخرجته ، وباعته بثمن بخس ، وانتهى به البيع ، ليكون عبداً في قصر عزيز مصر ، وكان آية في الجمال ، فدعته امرأة العزيز إلى نفسها ، فاستعصم ، وقال معاذ الله ، إنه ربي أحسن مثواي ، وانتهى به الأمر إلى أن صار أقوى رجل في مصر ، صار عزيز مصر ، قال تعالى : " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " ... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

10 - التسبيح قوة

التسبيح قوة وسبيل إلى الفرج من دون حاجة إلى وسائط بشرية تتقوى بها لتعينك على قضاء حوائجك ، يقول الله تعالى عن يونس في أثر قوّة التسبيح : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾



11 - الاستغفار قوة

قال تعالى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) ، وفي حديث ابن عباس (من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب.

12 - التقوى قوة

قال تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...).

13 - الاستقامة قوة

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ .)

ومجمل القول :

الشرف كل الشرف ليس في الدور ، ولا القصور ، ولا في الأموال ، ولا في الأولاد ، ولا في الهيئات ، ولا في الذوات ، الشرف أن تكون عبدًا لرب الأرض والسماوات ، الشرف أن تكون ولياً من أولياء الله الصالحين ، الذين يعملون الصالحات ، ويجتنبون المحرّمات ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أيها الإخوة الكرام ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .





ونصل إلى حقيقة خطيرة وهي أن الإيمان قوة مطلقة ، إن لم تقطف ثماره في الدنيا قطفت في الآخرة.

14 - الإيمان قوة مطلقة

ماشطة بنت فرعون هي تلك المرأة الصالحة ، التي كانت تعيش هي وزوجها في ظل ملك فرعون ، زوجها مقرب من فرعون .. وهى خادمة ومربية لبنات فرعون ، فمن الله عليهما بالإيمان ... وعلم فرعون بإيمان زوجها فقتله ، فلم تزل الزوجة تعمل في قصر فرعون تمشط بناته ، وتنفق على أولادها الخمسة ، وفي يوم من الأيام وهي تمشط ابنة فرعون ، وقع المشط من يدها فقالت : بسم الله ، فقالت ابنة فرعون : الله ... أبي ؟ فصاحت الماشطة بابنة فرعون : كلا .. بل الله ربي وربك ورب أبيك ، فتعجبت البنت أن تعبد ماشطتها غير أبيها ، فأخبرته فعجب فرعون أن يوجد في قصره من يعبد غيره ، فدعا بها ، وقال لها : من ربك ؟ فقالت : ربي وربك الله ، فاشتعل غيظاً ، وأمر بقدر من نحاس مملوء بالزيت المغلي ، وأوقفها أمام القدر ، فلما رأت العذاب ، أيقنت أنما هي نفس واحدة ، تخرج وتلقى الله تعالى ، وعلم فرعون أن لها أولاداً خمسة أيتاماً وهي تكدح لهم لتطعمهم ، فأراد أن يزيد من عذابها فأمر بإحضار أطفالها الخمسة ، فلما رأوا أمهم تعلقوا بها وهم يبكون ، فانكبت عليهم تقبلهم وتبكي ، وأخذت أصغرهم وكان رضيعاً ضمته إلى صدرها ، وألقمته ثديها ، فلما رأى فرعون المنظر سأل أمهم : ألك رب غيري ؟ قالت الله ربي وربك ، فأمر برمي أكبرهم في القدر ، فجره الجنود ، ودفعوه إلى الزيت المغلي ، والغلام يصيح بأمه ويستغيث ، ويسترحم الجنود ، ويتوسل إلى فرعون ، ويحاول الفكاك والهرب ، وينادي إخوته الصغار ، ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين ، وهم يصفعونه ويدفعونه ، وأمه تنظر إليه وتودعه ، فما هي إلا لحظات ، حتى ألقي الصغير في الزيت المغلي ، والأم تبكي ، وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة ، حتى ذاب لحمه من على جسده النحيل ، وطفت عظامه البيضاء فوق الزيت ، فنظر إليها فرعون ، وقال لها : ألك رب غيري ؟ قالت الله ربي وربك ، وأمرها أن تنطق بكلمة الكفر أمرها أن تقول أنت ربي ، فأبت عليه ذلك ، فغضب فرعون وأمر بولدها الثاني ، فسحب من عند أمه وهو يبكي ، ويستغيث ، وألقي في القدر ، فما هي إلا لحظات ، حتى طفت عظامه البيضاء ، واختلطت بعظام أخيه ، والأم ثابتة على دينها ، موقنة بلقاء ربها ، ثم قال لها : ألك رب غيري ؟ قالت : الله ربي وربك ، ثم أمر فرعون بالولد الثالث ، فسحب وفعل به ما فعل بأخويه ، والأم ثابتة على دينها ، فأمر فرعون أن يطرح الرابع في الزيت ، فأقبل الجنود إليه ، وكان صغيراً يتعلق بثوب أمه ، فلما



جذبه الجنود بكى ، وانطرح على قدمي أمه ، ودموعه تجري على رجليهــا ، فحاولــت أن تحملــه لتودعه ، وتقبله قبل أن يفارقها ، فحال الجنود بينه وبينها ، وحملوه من يديه الصــغيرتين ، وهــو يبكي ، ويستغيث ، ويتوسل ، بكلمات غير مفهومة ، وهم لا يرحمونه ، وما هي إلا لحظات حتــى غرق في الزيت المغلي ، وغاب الجسد ، وانقطع الصوت ، وعلت عظامه الصغيرة البيضاء فــوق الزيت ، والأم تنظر إلى عظامه ، وقد رحل عنها إلى الدار الآخرة ، وهي تبكي لفراقه ، إذ طالمــا ضمته إلى صدرها ، وأرضعته من ثديها ، وطالما سهرت لسهره ، وبكت لبكائه ، بقي الرضيع الذي يلتقم ثديها ... فجاهدت الأم نفسها أن تتجلد وتتماسك ، وهنا سألها فرعــون : ألــك رب غيــري ؟ فسكتت ، وتضعضعت ... وهنا حدثت المعجزة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أنطق الله هذا الرضيع فقال : اثبتي يا أمي ... أنت على الحق ... (ورد هذا في فتح البــاري فــي شرح صحيح البخاري) فقالت الأم لفرعون : الله ربي وربك ، فأمر فرعون الجنود ، فانطلقوا إليها ، وتدافعوا نحوها ، وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها ، وكان قد التقم ثديها ، فلما انتزع منها ، صرخ الصغير ، وبكت المسكينة ، وألقي في الزيت ، وفي فمه بقايا من حليبها ، وفي يده شــعرة من شعرها ، وعلى ثيابه بقية من دمعها ، وذهب الأولاد الخمسة ، وبعد قليل ستكون معهم ، ولم يبق إلا هي فأقبلوا إليها كالكلاب الضارية ودفعوها إلى القدر ، فلما حملوها ليقذفوها في الزيت نظــرت إلى فرعون وقالت له : اجعل عظامي وعظام أولادي في قبر واحد

كانت هذه الماشطة تستطيع أن تحول بينها وبين هذا العذاب الذي لا يحتمله بشر بكلمة كفــر تسمعها لفرعون لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى ... فلله در هذه الماشطة .. فما أقوى إيمانها ، وما أعظم ثباتها ، وحينما لا يملك الإنسان سلاحاً يحمي به نفسه ، أو يواجه به عدوه ، ويثبت على مبدئه ولا يتضعضع أمام الطغيان ، يكون قد انتصر انتصاراً مبدئياً ، يقطف ثماره في اليوم الآخر 0

ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء شيئاً من نعــيم هــذه الماشــطة فحدث أصحابه به وقال : " لما أسرى بي مررت برائحة طيبة (لم أشم مثلها قط) ، فقلت ما هــذه الرائحة يا جبريل ؟ فقال لي: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها " رواه البيهقي

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما (أي ما بين المشــرق والمغــرب) ولملأتــه ريحــاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها .

ولنا أن نستنبط من هذه القصة الشيء الكثير ، ولنا أن نأخذ منها إسقاطات كثيرة على واقــع العرب والمسلمين ، والفراعنة الذين تآمروا على الأمة العربية والإسلامية كثيرون ، وهم في كــل



عصر ومصر ، فمعركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية ، ولعل في هذه القصة مواساة لمن يقتل مقهوراً ثابتاً على مبدئه ، متمسكاً بقيمه .

ولا تَهِنوا ولا تَحزَنُوا وأنتُم الأعلَوْن إن كنتم مؤمنين

قال تعالى : إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ .

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .

هذه قصة الطغاة في الأرض.

15 - السكينة

نحن في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن في أمس الحاجة إلى هديه الرباني ، الذي لا تزيده الأيام إلا رسوخاً وشموخاً ، ونحن في أمس الحاجة إلى سنته المطهرة ، المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، ونحن في أمس الحاجة إلى أخلاقه العظمى ، التي لا يزيدها التأمل والتحليل إلا نضارة وتألقاً .

حقيقة إحياء هذه الذكرى أن نطبق سنته ، وأن نتأسى بسيرته ، لنقطف الثمار اليانعة التي قطفها أصحابه الكرام ، وإحدى أكبر هذه الثمار تلك السكينة التي تتنزل على قلوب المؤمنين فتجعل الواحد منهم ، وهو في الناس رجلاً ، وهو في الرجال بطلاً ، وهو بين الأبطال مثلاً . ذلك أن المؤمن استجاب لنداء فطرته ، واهتدى إلى سر وجوده ، فتوضحت لديه الغاية والطريق ، وأنس بالوجود كله ، وعاش في معية الله ومعية رسله وأوليائه ، ونجا من عذاب الحيرة والشك .



إنّ السكينة وردت في القرآن الكريم في عدة آيات من أبرزها قولُه تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

(سورة الفتح)

وقال تعالى :

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

(سورة الفتح)

فلا سعادة بلا سكينة ، ولا سكينة بلا إيمان .

السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي زمان ومكان :

السكينة هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة ، فلا سعادة بلا سكينة ، وهذه السكينة تزهر بغير عون من المال ، بل بغير مدد من الصحة ، يسعد بها الإنسان ولو فَقَدَ كلَّ شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملَك كل شيء ، هذه السكينة ليست مِلْكَ أحد ، فيمسكَها أو يرسلَها ، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذَا هو دفع ثمنها . فما مِن نعمة تُحجب معها السكينة إلا وتنقلب بذاتها إلى نقمة ، وما من محنة تحفها السكينة إلا وتكون هي بذاتها نعمة ، ينام الإنسان على الشوك مع السكينة فإذا هو مهاد وثير ، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هو شوك القتاد .

يعالج المرء أعسر الأمور ومعه السكينة فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقّة وعسر ، ويخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمنٌ وسلام ، ويعبر المناهج والسبل وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكةٌ وبوار .

هذه السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي زمان ومكان ، وفي أي حال ومآل ، وجدها إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام في النار ، ووجدها يوسفُ عليه الصلاة والسلام في الجُبِّ ، كما وجدها في السجن ، ووجدها يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ،



ووجدها موسى عليه الصلاة والسلام في اليم ، وهو طفلٌ مجرد من كل قـوة وحراسـة ، ووجـدها أصحاب الكهف في الكهف ، حينما افتقدوها في الدور والقصور ، ووجدها نبينا عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ، والأعداء يتعقبونه ، ويَقُصُّون الآثار ، ويجدها كل مؤمنٍ أوى إلي ربـه يائسـاً ممن سواه ، قاصداً بابه وحده من دون كل الأبواب .

سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة :

يبسط الله الرزق مع السكينة ، فإذا هو متاع طيبٌ ، ورخاء وفير ، وإذا هو رغـد فـي الدنيا ، وزادٌ إلى الآخرة ، ويمسك السكينة مع الرزق ، فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هـو مثـار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار .

يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الـدنيا ومصـدر فـرح واسـتمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح ، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاءٌ ، ونكـدٌ ، وعنـتٌ، وشقاءٌ ، وسهرٌ بالليل ، وتعب بالنهار .

يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة ، ويمسك سـكينته فـإذا الصحة والعافية بلاءٌ يسلطه الله على الصحيح المعافى فينفق الصحة والعافية فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ، ويزخر السوء إلى يوم الحساب .

يعطي الله الجاه والقوة مع السكينة فإذا هي أداة إصلاحٍ ، ومصدر أمنٍ ، ووسيلةٌ لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر ، ويمسك سكينته فإذا الجاه والقوة مصدرا قلق على فوته ، ومصدرا طغيان وبغيٍ ، ومصدرا حقدٍ وكراهية ، لا يقر لصاحبها قرار ، ويدخر بها للآخرة رصيداً ضـخماً إلى النار .

سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة ، ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء ، ولا العلم ، ولا الصحة والقوة ، ولا المال والغنى ، ولا الشهرة والجاه ، ولا غير ذلك مـن نعم الحياة المادية ؟!!



للسكينة مصدر واحد لا ثاني له هو الإيمان بالله واليوم الآخر :

إن للسكينة مصدراً واحداً لا ثاني له هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق ، والعمل بمقتضى هذا الإيمان ، هذا ما يشهد به الواقع الماثل ، وما يؤيده التاريخ الحافل ، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفيمَن حوله .

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً ، وضيقاً ، واضطراباً ، وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين . إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق ، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات ، إنهم لا يدركون لها معنى ، ولا يعرفون لها هدفاً ، ولا يفقهون لها سراً ، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة النفس وانشراح الصدر ؟!!

إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان ، وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

هي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض ليثبتوا إذا اضطرب الناس ، وليرضوا إذا سخط الناس ، وليوقنوا إذا شك الناس ، وليصبروا إذا جزع الناس ، وليحلُموا إذا طاش الناس .

هذه السكينة نور من الله وروح منه ؛ يسكن إليها الخائف ، ويطمئن عندها القلق ، ويتسلى بها الحزين ، ويستروح بها المتعب ، ويقوى بها الضعيف ، ويهتدي به الحيران .

هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده ، منها تهب عليهم نسماتها ، وتشرق عليهم أنوارها ، ويفوح شذاها وعطرها ، ليذيقهم بعض ما قدموا من خير ، ويريهم نموذجاً لما ينتظرهم من نعيم ، فينعموا من هذه النسمات بالروح والريحان ، والأمن والإيمان ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، إنها جنة القرب ، إنها جنة السكينة ، قال تعالى :

وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾

(سورة محمد)



16 - أسباب السكينة لدى المؤمن

أسباب السكينة لدى المؤمن :

1ــ المؤمن هدي إلى فطرته التي فطره الله عليها :

أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه هدي إلى فطرته التي فطره الله عليها ، وهي فطرة متسقة ، ومنسجمة ، ومتجاوبة مع فطرة الوجود الكبير كله ، فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووئام لا في حرب وخصام ، ومع من حوله في شفافية ومشاركة لا في وحشة وعداوة ، ذلك لأن في القلب شعثاً لا يلمُّه إلا الإقبال على الله ، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه ، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه ، وقضائه وقدره ، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه ، وفي القلب فاقة لا تسدها إلا محبته ، والإنابة إليه ، ودوام ذكره ، وصدق الإخلاص له .

تظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به وتتوجه إليه ، عندها تستريح من تعب ، وترتوي من ظمأ ، وتأمن من خوف ، وتحس بالهداية بعد الحيرة ، وتشعر بالاستقرار بعد التخبط ، وتطمئن بعد القلق .

إن الإنسان خلق عجيب ، جُمع بين قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، فمن عرف جانب الطين ونسي نفخة الروح لم يعرف حقيقة الإنسان ، ومن أعطى الجزء الطيني فيه غذاءَه وريَّه ولم يعطِ الجانبَ الروحي غذاءَه وريَّه من الإيمان بالله والإقبال عليه فقد بخس الفطرة الإنسانية حقها ، وجهل قدرها ، وحرمها ما به حياتها وقوامها . وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأُ الشبهات ، أو غبار الشهوات ، وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى ، أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء ، أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء ، وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجب فيظن نفسه شيئاً يقوم وحده ويستغني عن الله .

بَيْدَ أن الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت ، وتكمن ولا تزول ، فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة ومصائبها ما لا قبل له به ، ولا يد له ولا للناس في دفعه ولا رفعه ، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة ، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة ، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس داعياً ربه منيباً إليه ، قال تعالى :



وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

(سورة الإسراء)

17 ـ وضوح الغاية والطريق عند المؤمن

إنّ غير المؤمن يعيش في الدنيا تتوزعه هموم كثيرة ، وتتنازعه غاياتٌ شتى ، هذه تميل به إلى اليمين ، وتلك تجذبه إلى الشمال ، فهو في صراع دائم داخل نفسه ، وهو في حيرة بين غرائزه الكثيرة أيها يرضي غريزة البقاء أم غريزة النوع ؟ وهو حائر مرة أخرى بين إرضاء غرائزه وبين إرضاء المجتمع الذي يحيا فيه ، وهو حائر مرة ثالثة أيّ فئات المجتمع يرضي؟ وهنا يذكرون الحكاية المشهورة ؛ حكاية الشيخ وولده وحماره ، ركب الشيخ ومشى ولده وراءه فتعرض الشيخ للوم النساء ، وركب الولد ومشى الشيخ فتعرض الولد للوم الرجال ، وركبا معاً فتعرضا للوم دعاة الرفق بالحيوان ، ومشيا معاً والحمار أمامهما فتعرضا لسخرية الأولاد ، واقترح الولد أن يحملا الحمار ليستريحا من لوم اللائمين ، فقال له الأب الشيخ : لو فعلنا لأتعبنا أنفسنا ولرمانا الناس بالجنون حيث جعلنا المركوب راكباً ، يا بني : لا سبيل إلى إرضاء الناس .

لقد استراح المؤمن من هذا كله ، وحصر الغايات كلها في غاية واحدة ، عليها يحرص وإليها يسعى وهي رضوان الله تعالى ، لا يبالي معها برضى الناس أو سخطهم ، شعاره ما قاله ذاك الشاعر :

إذا صح منك الودُّ فالكل هيــنٌ ... وكل الذي على التراب تــرابُ
فليتك تحلو والحياة مـــريرة ... وليتك ترضى والأنام غضـابُ
وليت الذي بيني وبينك عامــر ... وبيني وبين العالمين خـرابُ

* * *

لقد جعل المؤمن همومه هماً واحداً هو سلوك الطريق الموصل إلى مرضاته تعالى ، والذي يسأل الله تعالى أن يهديه إليه في كل صلاة عدة مرات : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ، هو طريق واحد لا عوج فيه ولا التواء ، قال تعالى :



وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ

(سورة الأنعام)

موقف المؤمنين في غزوة الأحزاب هو موقف السكينة والطمأنينة الذي عُهِد منهم:

ما أعظم الفرق بين رجلين : أحدهما عرف الغاية وعرف الطريق إليها ، وآخرُ ضالٌّ يخبط في عماية ويمشي إلى غير غاية ، لا يدري إلامَ المسير ؟ ولا إلى أين المصير ؟ قال تعالى :

أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ



(سورة المُلْك)

في غزوة الأحزاب وقد ابتُلِي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، إذ جاءهم الأعداءُ من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الخناجر ، وظن الناسُ بالله الظنونَ ، وكشف المنافقون النقابَ ، فقالوا :

وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾

(سورة الأحزاب)

في هذا الجو الرهيب كان موقفُ المؤمنين هو موقفَ السكينة والطمأنينة الذي عُهِدَ منهم ، والذي سجَّله اللهُ لهم في كتابه :



وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

(سورة الأحزاب)

لقد عرف المؤمنُ الغايةَ فاستراح ، وعرف الطريقَ فاطمأنّ ، إنه طريقُ الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

18 - اهتداء المؤمن إلى سر وجوده

إنّ في أعماق الإنسان أصواتاً خفيةً تناديه ، وأسئلةً تُلحُّ عليه ، منتظرةً الجوابَ الذي يَذهبُ به القلق ، وتطمئنُّ به النفسُ ، ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ مِن أين جاءا ؟ مَن صنعهما ؟ مَن يدبرُهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ماذا بعد الموت ؟ هذه الأسئلة التي ألَّحت على الإنسان من يوم خُلِقَ وإلى أن تُطوى صفحةُ الحياة لم تجد ولن تجد لها أجوبةً شافيةً إلا في الدين ، فهو وحده الذي يحُل عقدة الوجود الكبرى ، وهو المرجعُ الوحيدُ الذي يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسئلة بما يرضي الفطرة ويُقنع العقل .

19 - المؤمن يعيش في معية الله

إن شعور المؤمن بمعيّة الله وصحبته يجعله في أُنْسٍ دائم بربه ، ونعيمٍ موصولٍ بقربه ، يُشعرُ أبداً بالنور يغمر قلبه ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإنْ كان في وحشة مِنَ الخلطاء والمعاشرين . كيف يشعر المؤمنُ بالوحدة وهو يقرأ قوله تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ



(سورة البقرة)



وقال عز وجل :

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

إنه يشعر بما شعر به موسى عليه السلام حينما قال لبني إسرائيل :

قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

(سورة الشعراء : الآية 62)

إنه يشعر بما شعر به محمد صلى الله عليه وسلم في الغار :

إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ

(سورة التوبة)

إن شعور المؤمن أن يده في يد الله ، وأن عنايته تسير بجانبه ، وأنه ملحوظ بعينه التـــي لا تنام ، وأنه معه حيث كان يطرد عنه شبح الوحدة المخيف ، ويزيح عن نفسه كابوسها المــزعج ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي :

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)) .

[البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة]

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز :

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

المؤمن لا يعتريه ذلك المرض النفسي الوبيل الذي يفتك بالمحرومين من الإيمان وهو مرض الشعور بالوحدة المقلقة ، فيحس صاحبه أن الدنيا مقفلة عليه ، وأنه يعيش فريداً منعزلاً ، والعلاج الأمثل لهذا المرض اللجوء إلى الدين ، والاعتصام بعروة الإيمان الوثقى ، وإشعار المريض بمعية الله والأنس به .



20 - المؤمن يعيش في صحبة النبيين والصديقين

إنّ المؤمن لا يشعر أنه في عزلة عن أخوانه المؤمنين ، إنهم إنْ لم يكونوا معه في عمله أو مسجده أو مسكنه فهم يعيشون دائماً في ضميره ، ويحيَوْن في فكره ووجدانه ، فهو إذا صلى ولو منفرداً تحدث باسمهم :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(سورة الفاتحة)

وإذا دعا دَعا باسمهم :

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

(سورة الفاتحة)

وإذا ذكَر نفسه ذكَرهم :

((السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ)) .

[البخاري ومسلم من حديث طويل عن عبد الله بن مسعود]

إنه لا يعيش مع مؤمني عصره فحسب ، بل يتخطى الأجيال ، ويخترق العصور والمسافات ، ويحيا مع المؤمنين وإن باعدت بينه وبينهم السنون والأعوام ، ويقول ما قال الصالحون :

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ

(سورة الحشر)

المؤمن يشعر أنه يعيش بإيمانه وعمله الصالح مع أنبياء الله ورسله المقربين ، ومع كل صدّيق وشهيد وصالح من كل أمة وفي كلّ عصر ، دلَّ على هذا كلّه قولُه سبحانه :



وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾

(سورة النساء)

21 - أنس المؤمن بالوجود كله

إنّ المؤمن يعيش موصولاً بالوجود كلّه ، ويحيا في أنس به وشعور عميق بالتناسق معه وارتباط به ، فليس هذا الكون عدواً له ولا غريباً عنه ، إنه مجال تفكره واعتباره ، ومسرح نظره وتأملاته ، ومظهر نعم الله وآثار رحمته . هذا الكون الكبير كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن ، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن .

المؤمن ينظر إليه نظرته إلى دليل يهديه إلى ربه وإلى صديق يؤنسه في وحشته ، وبهذه النظرة الودود الرحبة للوجود ، تتسع نفس المؤمن ، وتتسع حياته ، وتتسع دائرة الوجود الذي يعيش فيه فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه ، الذي وسع العالَمين المنظور وغير المنظور ، وعالم الشهادة ، وعالم الغيب ، ووسع الحياتين ؛ حياة الفناء ، وحياة الخلود .

النفس المؤمنة رحبة واسعة ، لأنها تعيش في نور يهديها سبيلها ، ويكشف لها ما حولها ، ومن شأن النور أن يوسع الدائرة التي يحيا فيها الإنسان ، على عكس الظلام فإنَّ الذي تكتنفه الظلمة لا يرى ما حوله ولا من حوله ، بل لا يرى الشيء وهو بجواره ، بل لا يرى نفسه . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى :

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ

(سورة الأنعام)

فقال :

((**إن النور إذا دخل الصدر انفسح**)) .

[الحاكم وتعقب عن ابن مسعود]

الإيمان بالله وباليوم الآخر هو الذي يرفع الإنسان من البهيمية إلى الإنسانية ، ومن الطفولة إلى الرشد ، ومن المحسوس إلى المعقول ، ومن المنظور إلى غير المنظور .



22 - الصلاة والدعاء من بواعث السكينة

مِن أسباب السكينة النفسية التي حرم منها الماديون ، ونعم بها المؤمنون ، ما يناجي بــه المؤمن ربه كل يوم من صلاة ودعاء ، فالصلاة لحظات ارتقاء روحي يفرغ المرء فيها من أشــغاله في دنياه ليقف بين يدي ربه ومولاه ، يثني عليه بما هو أهله ، ويفضي إليه بذات نفسه ، داعياً راغباً ضارعاً ، وفي الاتصال بالله العلي الكبير قوة للنفس، ومدد للعزيمة، وطمأنينة للروح ، لهذا جعل الله الصلاة سلاحاً للمؤمن يستعين بها في معركة الحياة ، ويواجه بها صعوباتها ، قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ



(سورة البقرة)

كان محمد صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة ، ولم تكن صلاته مجرد شكل أو طقس يؤدى إنما كانت استغراقاً في مناجاة الله ، حتى أنه كان إذا حان وقتها قــال لمؤذِّنــه بلال في لهفة المتشوق ، واشتياق الملهوف :

((**يَا بِلاَلُ أَقِمْ الصَّلَاةَ ، أَرِحْنَا بِهَا**)) .

[أخرجه أبو داود وأحمد عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ]

وكان يقول :

((**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**)) .

[أخرجه النسائي وأحمد عَنْ أَنَسٍ]

23 - المؤمن لا يعيش بين (لو) و (ليت)

إن من أهم عوامل القلق الذي يُفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها هو تحسره على الماضي ، وسخطه على الحاضر ، وخوفه من المستقبل .

إن بعض الناس تنزل بهم النازلة من مصائب الدهر فيظل فيها شهوراً وأعوامــاً يجتــر آلامها ، ويستعيد ذكرياتها القاتمة ، متحسراً تارة متمنياً أخرى ، شعاره ليتني فعلت وليتني تركــت ،



وأبعدُ الناس عن الاستسلام لمثل هذه المشاعر المؤلمة والأفكار السوداوية هو المؤمنُ ، الذي قــويَ يقينُه بربه وآمن بقضائه وقدره ، فلا يسمح لنفسه أن تكون فريسةَ التحسُّر على الماضي ، ولا السخط على الحاضر ، ولا الخوف من المستقبل ، قال تعالى :

فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

(سورة البقرة)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

((وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)) .

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

24 - قصة أويس القرني

هذه القصة التي تجسد موضوع السكينة ، فقدْ أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه:

((أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ: هَــلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ الْقَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَــاضٌ فَــدَعَا اللَّـــهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ)) .

[رواه مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ]

((إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))

.

[رواه مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

وقد ورد في كتب السيرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرَ بن الخطاب وعليٍّ بن أبي طالب : إذا لقيتما أويساً القرني فاسألاه أن يستغفر لكما فإنه مجاب الدعوة . فترصدا موســم



الحج عشر سنين يدعوان أهل الموسم من اليمن على طعام فما ظفرا بضالّتهما ، ثم جاء العام الذي يليه فقال عمر لرئيس وفد اليمن : أبقي أحد لم يحضر وليمتنا ، قال : لا ، إلا فتىً خامل الذكر يرعى إبلاً لنا ، فقال له سيدنا عمر : أهو آدم أشهل ذو صهوبة ؟ فقال : كأنك تعرفه يا أمير المؤمنين ، فذهب عمر وعلي إليه ، فلما أتياه قالا : من الرجل ؟ قال : راعي إبل وأجير قوم ، قالا : لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ قال : عبد الله ، قال له علي رضي الله عنه : قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد لله ، ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : يا هذان من أنتما وما تريدان مني ؟ فقال عمر : أنا عمر بن الخطاب ، وهذا علي بن أبي طالب ، فانتفض واقفاً ، وقال : جزاكما الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين ، ويا صهر رسول الله ، أما أنتما فقد كان لكما شرف الصحبة ، وأما أنا فقد حرمت هذا الشرف ، فقال له سيدنا عمر : كيف تتصور النبي يا أويس ؟ قال : أتصوره نوراً يملأ الأفق ، فبكى عمر شوقاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : يا أويس إن النبي أمرنا أن تستغفر لنا ، وأن تدعو لنا ، قال : ما أخص بالدعاء أحداً ، ولكن أعمم ! قال عمر: يا أويس عظني ، قال : يا أمير المؤمنين ، اطلب رحمة الله عند طاعته ، واحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك منه ، قال سيدنا عمر : أفلا نأمر لك بصلة ؟ قال : يا أمير المؤمنين أخذت على عملي أربعة دراهم ، ولي على القوم ذمة ، متى تراني أنفقها ؟ وعليّ رداء وإزار ، متى تراني أخرقهما ؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤود لا يقطعها إلا كل مخفّ مهزول ، فبكى عمر ، وقال : ليت أم عمر لم تلد عمر ، قال : يا أويس ألا تقيم عندنا ؟ قال : أريد الكوفة ، قال : أفلا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أحب أن أكون في دهماء الناس ، ومضى إلى سبيله ، ومات في غمار خيمة من خيام المسلمين خاملاً في الأرض علماً في السماء .

إنها السكينة التي يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء .

نحن في أمس الحاجة في هذه المرحلة إلى الصلح مع الله والإنابة إليه والإقبال عليه :

هذا عن الماضي المزدهر ، الذي عاشته أمتنا ، أو ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون ، فماذا عن الحاضر الذي نعيشه ، أو ما هم عليه المؤمنون ؟

ليس هناك من مرحلة في تاريخ أمتنا نحن في أمس الحاجة فيها إلى الصلح مع الله ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه ، وقد غرق العالم بالشهوات والشبهات والفتن والضلالات ، كهذه المرحلة التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية . وليس هناك من مرحلة في تاريخ أمتنا نحن في



أمس الحاجة فيها إلى التعاون والتكاتف والتناصر والتضامن كهذه المرحلة الدقيقة التي نمر بها ، ولاسيما في ظل النظام العالمي الجديد ، وفي ظل غياب التوازن الدولي ، وتحكم القطب الواحد ، وازدواجية المعايير ، وسيطرة الاحتكارات الكبرى والتطورات الهائلة في وسائل الاتصالات والمعلوماتية ، وازدياد الهوة بين الدول الغنية المتقدمة والدول النامية ، وانفجارات الحروب الإقليمية والمحلية والصراعات القبلية ، والدينية ، والعرقية في مناطق متعددة من العالم ، إضافة إلى نهج العولمة الثقافية والاقتصادية ، إن عالم اليوم يكاد يتحول إلى غابة تتحكم فيها قواعد القوة ، وتغيب عنها ضوابط المبادئ والقيم ، ومع ذلك فإن قوى الهيمنة تتحدث عن حقوق الإنسان في الوقت الذي يجري فيه انتهاك لحقوق الإنسان كما قال السيد الرئيس في خطابه الأخير في مجلس الشعب : العالمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّلُه من قيمٍ نبيلةٍ ، وما يدعو إليه من أخوةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية ، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن دينِنا فإن لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ومصدر إلهام في مواجهةِ كلِّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتْ .

يقول السيد الرئيس : لا يمكن لإنسان عاقل أن يعتقد أن الله جل جلاله قال لمجموعة من الناس ، لشعب ، لأي شعب ، سأعطيكم أراض من هنا إلى هناك ، وسأطرد أمامكم هذه الشعوب ، نحن نتصور أن الله قوة عدل مطلقة تسير هذا الوجود ، الله لنا جميعاً ونحن له جميعاً ، ويتابع حديثه قائلاً : نحن نعتز بالإسلام اعتزازاً لا حدود له ، ونقاوم الذين يشوهون هذا الإسلام ، ونحن سندافع عن الإسلام سندافع عنه كما جاء إسلام الصحابة ، إسلام عمر وعلي ، إسلام العدل ، إسلام المساواة ، إسلام المحبة .

أيها الأخوة المؤمنون ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

25 - الخسوف والكسوف

توفي سيدنا إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم موقفَ الأب الرحيم الحاني ، المؤمنِ بقضاء الله وقدره ، الصابرِ لحكمه ، الراضي بمشيئته ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْراً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ



بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)) .

[متفق عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وقد رافق موتَ سيدنا إبراهيم كسوفُ الشمس ، فظنَّ الصحابة الكرام أن الشمس كسفت لموت إبراهيم ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً في أصحابه ، وهو أمين وحي السماء ، فرفض أن تختلط حقائق العلم بمشاعر المسلمين ، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ ، وَقَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ وَلَمْ يَذْكُرْ عَبْدُ الْوَارِثِ وَشُعْبَةُ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يُونُسَ : يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ)) .

[متفق عليه عَنْ أَبِي بَكْرَةَ]

الخسوف والكسوف آيتان دالتان على عظمة الله ورحمته :

الخسوف هو اختفاء القمر أو بعضه في أثناء مرور الأرض بينه وبين الشمس ، أما الكسوف فهو اختفاء الشمس أو بعضها في أثناء مرور القمر بينها وبين الأرض ، وإنّ الكسوف والخسوف إشارتان إلى نعمة الشمس والقمر ، فهما آيتان دالتان على عظمة الله ورحمته ، قال العليُّ العظيمُ :

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة فصلت)



وقال سبحانه :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

(سورة القصص)

قد يسأل سائل : كيف يغطي القمر قرص الشمس مع أنه أصغر منها بأربعمئة مرة ؟

الجواب: إن الشمس أبعد عن الأرض من القمر بأربعمئة مرة وهذا ما يجعلهما يظهران بالحجم نفسه لذلك يمكن للقمر أن يحجب أشعة الشمس كلياً إذا مرّ بينها وبين الأرض .

يجب ألا يشغلنا جمال منظر الكسوف عن خطر الأشعة الشمسية على أعيننا إذ أن النظر إلى الشمس في أثناء الكسوف من دون نظارة سوداء خاصة بالكسوف يتسبب بأضرار بليغة للعين دون أن يشعر الإنسان ، لأن شبكية العين لا تحوي أي مستقبل للألم ، وهنا يجب الانتباه بشكل خاص للأطفال الذين لا يقدِّرون الخطر ، ولأن شبكيات أعينهم أكثر حساسية من الكبار ، لذلك سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف ، وندب أن نطيل القراءة فيها ، وأن نطيل السجود ، ليغطي سجودنا وقت الكسوف .

سيكون الكسوف استناداً للحسابات الفلكية في الحادي عشر من شهر آب مرئياً في جميع أنحاء الوطن العربي ، لكنه لن يكون كلياً إلا في أقصى الشمال الشرقي منه ، ففي الشمال الشرقي من سورية سيبدأ ذلك العرض الفلكي بعيد ظهر ذلك اليوم بمرحلة الكسوف الجزئي الذي يستمر ساعة تقريباً ، ومن ثم تغرب الشمس وتختفي كلياً ، ويحلّ الظلام التام مدة دقيقتين . وفي هاتين الدقيقتين يتاح لنا أن نشاهد الانفجارات التي تحدث على سطح الشمس ، وقد يمكننا أن نرى ألسنة اللهب التي يقترب طولها من مليون كيلو متر ، وسيكون بالإمكان رؤية الكواكب الخمسة : عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .

هناك تعبير شائع بين الناس ، حينما يتحمل الإنسان ما لا يحتمل ، يقال : رأى النجوم ظهراً ، لكن في أثناء الكسوف نرى النجوم ظهراً حقيقة لا مجازاً .



26 - أثر الإيمان في نزول الرحمة

إنَّ المتفكِّرَ في خلق السماوات والأرض يتبدى له من خلال جولته التأمُّلية أنّ الله ثبَّت أشياء كثيرة ، منها النواميس والقوانين التي تحكم حركة الحياة ، وثبَّت خصائص الأشياء التي نتعامل معها ، وثبَّت دورة الأفلاك المحيطة بنا ، وكل ذلك ترسيخا للنظام الكوني ، وتحقيقاً لتسخير الأشياء لنا ، كي ننتفع بها في حياتنا الدنيا ، ولكي ترشدنا إلى ربنا ، فنعرفه ، ونطيعه ، ونسعد بقربه في الدنيا والآخرة 0

وحرَّك أشياء قليلة ، منها الصحة والرزق ، لتكون وسائل لتربيتنا والأخذ بيدنا إلى الله وإلى جنته ، فالإنسان حريص على سلامته وعلى رزقه .

ومن الثابت أن التقنين الإلهي هو تقنينُ تأديبٍ وتربية لا تقنين عجز وبخل ، قال تعالى:﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ .

[سورة الشورى: الآية 27]

وقال سبحانه : ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ .

[سورة الحِجْر : الآية 21]

ثم إن الله جل وعلا لا يسوق لعباده شدَّة إلا بما كسبت أيديهم ، ويعفو عن كثير ، قال عز وجل : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ**﴾ .

[سورة النساء : الآية 147]

وقال عزَّ من قائلٍ : ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ .

[سورة الشورى : الآية 30]

إخوة الإيمان في كل مكان ، روى ابن ماجة والبزار والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) .

[ابن ماجه ، والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما]

ولكنْ ما العمل بعد نزول المصائب ؟ ... !!! القرآن الكريم أجاب عن هذا السؤال ، قال سبحانه وتعالى : ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ .

[سورة السجدة : الآية 21]



إنّ الهدفُ الأولُ والأوحدُ من سوق العذاب في الدنيا هو رجوعُ العباد إلى الله ، والشـــيء الأول والأوحد الذي يصرف البلاء عن الإنسان في الحياة الدنيا هو طاعةُ الله ، وطاعةُ رسوله مخلصاً فيها .

يا أيها الإخوة الكرام ، قال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّـــهُ مُعَـــذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** .

[سورة الأنفال : الآية 33]

قال علماء التفسير : ما دامت سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والعملية والتقريرية مطبَّقةً في حياتهم ، وفي بيوتهم ، وفي علاقاتهم الأسرية ، ومطبَّقةً في أعمالهم ، وفي كســب أرزاقهـم ، مطبَّقةً في حلهم وترحالهم ، وفي أفراحهم وأحزانهم ، مطبقة في مَنشَطِهم ومكرَهِهم ، فــي يســرهم وعسرهم ؛ فهُمْ في مأمن من عذاب الله ؛ أما لو حيَّرتْهُم الشبهاتُ ، وغلبتْهم الشهواتُ

، فزلت أقدامهم ، وانحرفت مسيرتهم ، فأمامهم فرصةٌ ثمينة منحَها الله لهم ، وبها يأمنون عذاب الله مرة أخرى ، إنها **الاستغفار** ، قال الغفور الرحيم :**﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَـانَ غَفَّـارًا*يُرْسِـلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾** .

[سورة نوح : الآية 10-12]

لقد أطمعهُم ربُّهم إنْ هم استغفروه في الرزق الوفير الميسور ، من أول أسبابه التي يعرفونهـا ويرجونها وهي المطر الغزير ، الذي تنبت به الزروع ، وتتفجر به الينابيع ، وتسيل به الأنهار ، كما وعدهم برزق آخر من الذرية التي يحبونها ــ وهي البنون ــ والأموال التي يطلبونها ويحرصـون عليها : **﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُـمْ جَنَّـاتٍ وَيَجْعَـلْ لَكُـمْ أَنْهَارًا ﴾** .

[سورة نوح : الآية 11-12]

وقد ربط اللهُ جل جلالُه بين الاستغفار وهذه الأرزاق الوفيرة ، وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء .

وجاء في موضع ثانٍ: **﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا *لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾** .

[سورة الجن : الآية 16-17]

.. وجاء في موضع ثالث : **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾** .

[سورة هود : الآية 3]

... وجاء في موضع رابع : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾** .



[سورة المائدة : الآية 66]

إخوتي المؤمنين أعزائي المستمعين ، وهذه القاعدة التي يؤكدها القرآن في مواضـــع متفرقـــة ، قاعدة تقوم أسبابها على وعد من الله ، ومن سنن الحياة ؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون ، والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد . وما من أمة قام فيها شـــرع الله ، واتجهت اتجاها حقيقيا إليه الله عبادة واستقامة وعملاً صالحاً واستغفاراً يشعر بخشية الله .. وما مــن أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعا ، إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض ، واستخلفها على خلقه قيادة وهداية ، وبدّل خوفَها أمنًا ، قـــال تعـــالى : ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ .

[سورة الأنبياء : الآية 35]

ولقد نشهد في بعض الفترات أمما لا تتقي الله ولا تقيم شريعته ؛ وهي ــ مع هـــذا ــ موســـع عليها في الرزق ، ممكن لها في الأرض .. ولكن هذا إنما هو الابتلاء ثم هو بعـــد ذلـــك رخـــاء ظاهري ، تأكله آفات الاختلال الاجتماعي والانحدار الأخلاقي ، فقد صرح مسؤول كبير في العـــالم الغربي إن هناك أخطارا كبيرة تهدد المجتمع الغربي منها تفكك الأسرة ، وشيوع الجريمة ، وانتشار المخدرات ، وسقوط القيم ثم انتشار مرض الإيدز ..

أيها الإخوة ... حضوراً ومستمعين ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِـــيٍّ إِلَّـــا أَخَـــذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ *ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَـــسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

[سورة الأعراف : الآية 94-95]

إن السياق القرآني هنا لا يروي حادثة ، إنما يكشف عن سنة . ولا يعرض سيرة قـــوم ، إنمـــا يعلن عن خطوات قدر .. ومن ثم يتكشف أن هناك سنة تكوينية تجري عليها الأمور ؛ وتـــتم وفقهـــا الأحداث ؛ ويتحرك بها تاريخ الإنسان في هذه الأرض . وأن الرسالة ذاتها ــ على عظم قدرها ــ هي وسيلة من وسائل تحقيق الناموس الأكبر وأن الأمور لا تمضي جزافا ؛ وأن الإنســـان لا يقـــوم وحده في هذه الأرض ــ كما يزعم الجاهلون الشاردون ! ــ وأن كل ما يقع في هذا الكون إنما يقـــع عن تدبير ، ويصدر عن حكمة ، ويتجه إلى غاية . وأن هنالك في النهاية سنة ماضية وفق إرادة الله الطليقة ؛ التي وضعت السنة ، وارتضت الناموس .

ومن ملامح هذه السنة الكونية أنَّ هداية الله تسير مع هذا الإنسان الذي خلـــق لجنـــة عرضـــها السماوات والأرض في أربع مراحل :



27 - الدعوة البيانية

وهي دعوة الأنبياء والمرسلين ، والدعاة الصادقين ، قال عزَّ مِنْ قائل : ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ .

[سورة القصص : الآية 21]

وقال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ .

[سورة الأنفال : الآية 24]

وقال : ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ .

[سورة القصص : الآية 50]

فإن لم يستجيبوا الناس لدعوة ربهم لهم إلى ما يحييهم الحياة التي خلقوا من أجلها ، والحياة التي تليق بإنسانيتهم ، والحياة التي تتصل فيها نعم الدنيا بنعم الآخرة ، فإن لم يستجيبوا طُبِّقَتْ عليهم الخطة الثانية وهي :

28 - التأديب التربوي

فليس من العبث ــ وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ أن يأخذ الله عباده بالشدة في أنفسهم وأبدانهم وأرزاقهم وأموالهم ، إنما يأخذ الله المكذبين بالحق يأخذهم بالبأساء والضراء ، لأن من طبيعة الابتلاء بالشدة أنه يوقظ الفطرة التي ما يزال فيها خير يرجى ، وأن يرقق القلوب التي طال عيها الأمد متى كانت فيها بقية من خير ؛ وأن يتجه بالبشر الضعاف إلى خالقهم القهار ؛ يتضرعون إليه ؛ ويطلبون رحمته وعفوه ؛ ويعلنون بهذا التضرع عن عبوديتهم له والعبودية لله غاية الوجود الإنساني ــ وما بالله سبحانه من حاجة إلى تضرع العباد وإعلان افتقارهم له ، ولكن تضرع العباد وإعلان عبوديتهم له إنما يُصْلِحُهُمْ هم ؛ ويصلح حياتهم ، ومعاشهم كذلك .

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ *إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ .

[سورة الذاريات : الآية 56-58]

فمتى أعلن الناس عبوديتهم لله تحرَّروا من العبودية لسواه ، وتحرَّروا من العبودية للشيطان الذي يريد ليغويهم ، وتحرّروا من شهواتهم وأهوائهم ، وتحرّروا من العبودية للعبيد من أمثالهم ؛ واستحَوْا أن يتبعوا خطوات الشيطان ؛ واستحوا أن يغضبوا الله بعمل أو نية ، لذلك اقتضت مشيئةُ



الله أن يأخذ أهل كل قرية شردت عنه ، بالبأساء في أنفسهم وذواتهم ، وبالضراء في أبدانهم وأموالهم ، استحياء لقلوبهم بالألم .

والألم خير مهذِّبٍ ، وخير مفجِّرٍ لينابيع الخير المستكنة ، وخيرُ مرهفٍ للحساسية في الضمائر الحية ، وخيرُ موجَّه إلى ظلال الرحمة التي تلوح للضعاف المكروبين ، قال تعالى : ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ**﴾ .

[سورة الأعراف : الآية 95]

ولكن ... حينما لا تحدث الشدائد في الناس توبة وإنابة ؛ بسبب من شدة غفلتهم ، وبعد انغماسهم في المتع الرخيصة ، تصبح مصيبتهم الكبرى في أنفسهم ، وقد قيل : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة ، فمصيبته في نفسه أكبر ، عندئذ يخضعهم الله للخطة الثالثة :

29 - الرخاء الاستدراجي

فإذا الرخاء مكان الشدة ، واليسر مكان العسر ، والنعمة مكان الشظف ، والعافية مكان الضر ، والذرية مكان العقر ، والكثرة مكان القلة ، والأمن مكان الخوف . وإذا هو متاع ورخاء ، وهناءة ونعماء ، وكثرة وامتلاء .. وإنما هو في الحقيقة اختبار وابتلاء ..

والابتلاء بالشدة ينتفع به الكثيرون ، فالشدَّة تستثير عناصر المقاومة للمعاصي والآثام ، وقد تذكر صاحبها بالله ــ إن كان فيه بقية من خيرـ فيتجه إليه ويتضرع بين يديه ، ويجد في ظلِّه طمأنينة ، وفي رحابه فسحة ، وفي فرجه أملاً ، وفي وعده بشرى ، أما الابتلاء بالرخاء فالذين ينتفعون منه قليلون . فالرخاء ينسي ، والمتاع يلهي ، والثراء يطغي ، فلا ينتفع به إلا القليلُ من عباد الله ، قال عزوجل : ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ**﴾ .

[سورة الأعراف : مِنَ الآية 95]

أي حتى كثروا وانتشروا ، واستسهلوا العيش ، واستيسروا الحياة : ولم يجدوا في أنفسهم تحرجاً من شيء يعملونه ، ولا تخوفاً من أمر يصنعونه .. وكلمة : (**عَفَوْا**) – إلى جانب دلالتها على الكثرة – توحي بحالة نفسية خاصة : حالة اللامبالاة ، حالة الاستخفاف والاستهتار ، حالة استسهال كل أمر ، حالة اتباع كل خاطر .. وهي حالة مشاهدة في أهل الرخاء واليسار والنعمة ، حين يطول بهم العهد – أفراداً وأمماً – كأن حساسية نفوسهم قد ترهلت فلم تعد تحفل بشيء ، أو تحسب حساباً لشيء ، فهم ينفقون في يسر ، ويتلذذون في يسر ، ويلهون في يسر ، ويبطشون كذلك في يسر ! ويقترفون كل كبيرة تقشعر لها الأبدان ويرتعش لها الوجدان ، في يسر واطمئنان ! وهم لا يتقون



غضب الواحد الديان ، ولا لوم الناس ، ولا الخِلاَّن ، فكل شيء يصدر منهم عفواً بــلا تحــرج ولا مبالاة . وهم لا يفطنون لسنة الله في الكون ، ولا يتدبرون اختباراته وابتلاءاته للناس ، ثم يحسبونها تمضي هكذا جزافاً ، بلا سبب معلوم ، ولا قصدٍ مرسوم ، **﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾** .

[سورة الأعراف : مِنَ الآية 95]

وقد أخذنا حظَّنا مِنَ الضراء ، وجاء حظُّنا مِنَ السراء ! وها هي ذي ماضية بلا عاقبــة لأُواء ، فهي تمضي هكذا كخبطة عشواء ، عندئذ .. وفي ساعة من الغفلة السادرة تجيء العاقبة وَفق الســنة الجارية : **﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** .

[سورة الأعراف : مِنَ الآية 95]

جزاء بما نسوا ، واغتروا ، وبعدوا عن الله ؛ وأطلقوا لشهواتهم العنان ، فما عادوا يتحرجــون مــن فعل ، وما عادت التقوى تخطر لهم ببال ! هؤلاء يبنون مجدهم ومجد شعوبهم علــى أنقــاض بقيــة الشعوب ، ويبنون غناهم على إفقار الشعوب ، ويبنون قوتهم علــى إضــعاف الشــعوب ، ويبنــون سعادتهم على شقاء الشعوب إن تحكم القطب الواحد ، وازدواجية المعايير ، وســيطرة الاحتكــارات الكبرى حول العالم إلى غابة تتحكم فيها قواعد القوة ، وتغيب عنها ضوابط المبادئ والقيم ، كما قال السيد الرئيس في أحد خطاباته ، **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُــؤَخِّرُهُمْ لِيَــوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾** .

[سورة إبراهيم : الآية 42]

وحينما لا ينتفع الإنسان بالرخاء الاستدراجي ، وهو آخر مرحلة ينتظر أن ينتفع بها الإنســان ، حيث إنّ الله بيَّن له عن طريق الأنبياء والمرسلين والدعاة الصادقين فلم يستجب ، وســاق لــه مِــنَ الشدائد فلم يتب ، وأغرقه بالنعم فلم يشكر ، عندئذ يحسم أمره ، فيقصم ظهــره ، وهــي المرحلــة الرابعة .

30 - مرحلة القصم

وهذه المرحلة توضحها الآية الكريمة : **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّــى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾** .

[سورة الأنعام : الآية 44]

أيها الإخوة الأحباب ، للموضوع طرف آخر ، قال تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾** .

[سورة الأعراف : الآية 96]



فذلك هو الطرف الآخر لسُنَّة الله الجارية في خلقه ، فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب ، واتقوا بدل العصيان ؛ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض .. هكذا .. ﴿**بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ ، مفتوحة بلا حساب ، تأتيهم هذه البركات من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، والتعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي فيضاً من العطاء الغامر ، الذي لا يعهده البشر من الأرزاق والأقوات ..

إن العقيدة الإيمانية في الله ، وطاعته ، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة ، وعن تاريخ الإنسان . إن الإيمان بالله ، وطاعته ، ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض . وعدا من الله . ومن أوفى بعهده من الله ؟

ونحن – المؤمنين بالله – نتلقى هذا الوعد بقلب مؤمن ، فنصدقه ابتداء ، لا نسأل عن علله وأسبابه ؛ ولا نتردد لحظة في توقع مدلوله .. نحن نؤمن بالله ــ بالغيب ــ ونصدق بوعده بمقتضى هذا الإيمان .. لكن المذاهب الوضعية تغفل عنه بل وتغفله كل الإغفال . بل وتتكره أشد الإنكار !

إن الإيمان بالله دليل على سلامة في الفطرة ؛ وسلامة في أجهزة الاستقبال ؛ وصواب في الإدراك الإنساني .. وهذه كلها من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية .

وإنَّ الإيمان بالله قوة دافعة دافقة ، تجمع جوانب الكيان البشري كلها ، وتتجه بها إلى وجهة واحدة ، لتحقيق مشيئته الله للإنسان في خلافة الأرض وإعمارها ، وفي دفع الفساد والفتنة عنها ، وفي ترقية الحياة ونمائها .. وهذه كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية .

والإيمان بالله تحرُّرٌ من العبودية للهوى ، ومن العبودية للعبيد . وما من شك أن الإنسان المتحرر بالعبودية لله ، أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة . من عبيد للهوى وعبيد الأشخاص ! .

وتقوى الله ، يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط والغرور ، وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج ، فلا يعتدي ، ولا يتهور ، ولا يتجاوز حدود النشاط الصالح .

وحين تسير الحياة متناسقةً بين الدوافع والكوابح ، عاملة في الأرض ، متطلعة إلى السماء ، متحررة من سلطان الهوى وهيمنة الأقوياء ، عابدة خاشعة لله .. تسير سيرة صالحة منتجة . فلا جرم أنه تحفها البركة ، ويعمها الخير ، ويظلها الفلاح ..

والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون ، في توكيد ويقين ، ألوان شتى لا يفصلها النص القرآني ولا يحددها . وأما إيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان ، النابع من كل مكان ، بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان ، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها ، وبكل صورها وأشكالها ، ما يعهده الناس وما يتخيلونه ، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال ! فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))** .

[رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي]

والذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبدية بحتة ، لا صلة لها بواقع الناس في الأرض ، لا يعرفون الإيمان ولا يعرفون الحياة ! وما أجدرهم أن ينظروا نظرة أعمق ، وأن يستنبطوا من كلام الله استنباطاً أليق .

أيها المسلمون في كل مكان ، لابد ونحن في صدد هذا الموضوع من الموازنة بين بركات من السماء والأرض في قوله تعالى :﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ .

[سورة الأعراف : الآية 96]

وأبواب كل شيء في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ .

[سورة الأنعام : الآية 44]

31 - أسباب ازدياد الرزق

إنّ الرزق في **بركات من السماء والأرض** متاع طيبٌ ، ورخاء ، وهو رغد في الدنيا ، وزادٌ إلى الآخرة ، والرزق في **أبواب كل شيء** مثار قلق وخوف ، ومثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ، ببخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار .

وإنّ الذرية في **بركات من السماء والأرض** هي زينة الحياة الدنيا ، ومصدر فرح واستمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة ، بالذرية الصالحة ، والذرية في **أبواب كل شيء** بلاءٌ ، ونكدٌ ، وعنتٌ ، وشقاءٌ ، وسهرٌ بالليل ، وتعب بالنهار .

وإنّ الصحة والعافية في **بركات من السماء والأرض** هي نعمة وحياة طيبة ، والصحة والعافية في **أبواب كل شيء** بلاءٌ يسلط الله على الصحيح المعافى ، فينفق الصحة والعافية ، فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ، ويزخر السوء إلى يوم الحساب .

وإنّ الجاه والقوة في **بركات من السماء والأرض** هو أداة إصلاحٍ ومصدر أمنٍ ، ووسيلةٌ لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، والجاه والقوة في **أبواب كل شيء** مصدرا قلقٍ على فوته ،



ومصدرا طغيان وبغيٍ ، ومصدرا حقدٍ وكراهية ، لا يقر لصاحبها قرار ، ويـدخر بهـا للآخـرة ، رصيداً ضخماً إلى النار .

فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به ، وكان معـه الصـلاح والأمـن والرضـى والارتياح .. وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة ، مهددة في أمنها ، مقطعـة الأواصـر بينها ، يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال . فهي قوة بلا أمن . وهو متاع بلا رضى . وهي وفرة بلا صلاح ، وهو حاضر زاهٍ يترقبه مستقبل نكد ، وهو الابتلاء الـذي يعقبـه النكـال ، إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى ، بركات في الأشياء ، وبركات في النفوس ، وبركـات فـي المشاعر .

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات ، والآن هل من وسيلة ، ذكرها القرآن الكـريم وبينتها السنة المطهرة فضلاً عن الاستغفار ، والإيمان والتقوى ، **تزيد في الرزق** ، وكل واحد مـن الخلق حريص على زيادة رزقه ، فهل هناك علاقة بين الرزق و**الصلاة** ؟ انظروا في قوله تعـالى : **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾** .

[سورة طه : الآية 123]

هناك علاقة بين **الرزق** و**الشكر** ، انظروا في قوله تعالى : **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** .

[سورة إبراهيم : الآية 7]

هناك علاقة بين الرزق و**صلة الرحم** ، انظروا في هذا الحديث الشريف ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِـهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))** .

[البخاري ومسلم]

هل من علاقة بين الرزق و**الصدقة** ، لقد ورد في الأثر : **((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))** .

[الكامل في ضعفاء الرجال ، وفيض القدير للمناوي عن جبير بن مطعِم]

هناك علاقة بين الرزق و**الأمانة** ، انظروا في هذا الحديث الشريف : **((الأَمَانَةُ غِنًى))** .

[أخرجه القضاعي في مسند الشهاب]

بالمعنى المادي ، والأمين ينال أثمن شيء وهو ثقة الناس ، هناك علاقة بـين الـرزق و**الإتقـان** ، انظروا في هذا الحديث الشريف : **((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ))** .

[الجامع الصغير ومسند أبي يعلى الموصلي والطبراني في الأوسط عن عائشة]

فمَنْ أتقن عملَه أحبَّه الله ، وإذا أحبَّ الله عبداً ألقى محبَّتَه في قلوب الخلق ، ومن أحبَّـه الله وأحبَّـه الخلقُ يَسَّره لليسرى



32 - صلاة الاستسقاء

وقد تنقطع أسباب الرزق بانقطاع الأمطار ، فتغور الينابيع وتجف الأنهار، وييبس الزرع ، ويموت الضرع ، ويهدد الإنسان بافتقاد كأس الماء ، ولقمة العيش ، ويجد نفسه مضطرا أن يخرج من أرضه الجدباء مشرداً ، وأن يغادر بيته الخاوي هائماً على وجهه ، وقد شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء طَلَبًا لِلرَّحْمَةِ وَالْإِغَاثَةِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيَّتُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ، أَمَّا النَّصُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى :﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾

.

[سورة نوح : الآية 10-12]

كَمَا اسْتَدَلَّ لَهُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَخُلَفَائِهِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ , فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي اسْتِسْقَائِهِ صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَامَ النَّاسُ فَصَاحُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ الْمَطَرُ وَاحْمَرَّتْ الشَّجَرُ وَهَلَكَتْ الْبَهَائِمُ فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا مَرَّتَيْنِ وَايْمُ اللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ وَنَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ تَهَدَّمَتْ الْبُيُوتُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهَا عَنَّا فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَكَشَطَتْ الْمَدِينَةُ فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا وَلَا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ))** .

[البخاري]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : **((شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُحُوطَ الْمَطَرِ , فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى , وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ , قَالَتْ عَائِشَةُ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ , متواضعاً ، متبذلاً ، متخشعاً ، مترسلاً ، متضرعاً فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ , فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ : إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ , وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ , وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ , وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ , الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ , اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ من السماء ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ , ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ , وَنَزَلَ**



فَصلَّى رَكْعَتَيْنِ ، فَأَنْشأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتْ السُّيُولُ ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكُنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ , وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)) .

[أبو داود]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : **صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)) .**

[البخاري ومسلم]

إخوة الإيمان في كل مكان ، ونحن نذكر هنا للسيد الرئيس دعوته أولي الأمر والمواطنين إلى إقامة صلاة الاستسقاء تطبيقاً للسنة النبوية المطهرة ، والتماساً لرحمة الله بأن يرسل علينا الغيث من السماء ، وقد جاء في بيانه مضمونُ هذه الدعوة ، أنها تأتي نتيجة لتأخر هطول الأمطار هذا العام ، وأن صلاة الاستسقاء هي رجاء الرحمة من السماء ، ونداء صدق تتواصى به النفوس المؤمنة خيراً ، ورحمة للبلاد والعباد ، وينبغي أن تسبقها التوبة الصادقة من المعاصي والذنوب ، ورد المظالم والحقوق إلى أصحابها ، وصيام ثلاثة أيام قبل اليوم الذي تؤدى فيه صلاة الاستسقاء .

وقد تفضل ربنا واستجاب لعباده المؤمنين الذين أدوا صلاة الاستسقاء ، واستغفروا ربهم وتضرعوا إليه أن يفتح لهم أبواب السماء ، معلنين عبوديتهم وافتقارهم إلى الله الواحد القهار الذي قال في محكم كتابه : ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ .

[سورة فاطر : الآية 2]

لقد استجاب ربنا جل جلاله لنا صبيحة ليلة القدر ففتحت أبواب السماء بماء منهمر وتساقطت الثلوج بعد انحباس استمر عاماً وزيادة ، فاقتربت نسب التهاطل في بعض المحافظات من نصف المعدل السنوي بحسب نشرة وزارة الزراعة الصادرة في العاشر من الشهر الأول مِنْ هذا العام 0

والجدير بالذكر أن الله جل في علاه يستجيب لعباده المؤمنين الذين استجابوا له فأطاعوه وأخلصوا في طاعتهم **استحقاقاً** ، وقد يستجيب لعباده المضطرين الذين كاد يهلكهم الجفاف ، وقصروا في طاعتهم واخلاصهم قد يستجيب لهؤلاء **تفضلاً وتشجيعاً** ، وقد يستجيب رحمة بالضعاف



الطائعين ، الذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **((لولا شباب خشع ، وشيوخ ركع ، وبهائم رتع ، وأطفال رضع ، لصُبَّ عليكم العذاب صباً))** .

[أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرىعن أبي هريرة]

فإن كنا مشمولين باستجابة الاستحقاق ، فهذا من فضل الله علينا ، وإنْ أظلتنا استجابة التفضل والتشجيع ، فلنتدبر أمرنا ، ونصلح ذوات نفوسنا ولنقبل على طاعة ربنا ، فهذه الفرصة ربما لا تتكرر .

قال تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾**.

[سورة الشورى : الآية 28]

قال ابن عباس : ((إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وقوة البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبُغضاً في قلوب الخلق)) .

33 ـ الغدة الصعترية (التيموس)

يعد جهاز المناعة المكتسب من أخطر الأجهزة في الجسم البشري ، وهو جيش دفاعي عالي المستوى والجاهزية ، فيه فرق الاستطلاع ، وفرق تصنيع السلاح ، وفرق القتال ، وفرق الخدمات ، وفرقة المغاوير

والحديث اليوم عن فِرَق القتال في كريات الدم :

يرسل فريق من كريات الدم البيضاء التي صنعت وتشكلت في نقي العظام والتي فرزت لمهام قتالية ترسل إلى مدرسة حربية اسمها الغدة الصعترية (التيموس) في دورة تثقيفية تدريبية ، وبعد اجتياز الامتحان تتخرج بلقب (الخلية التائية المثقفة) .

وفي هذه المدرسة الحربية تدرس هذه الكريات البيضاء التي فرزت للقتال مادتين أساسيتين : التعريف بالذات والصديق ، والتعريف بالعدو الممرض .

ففي المقرر الأول : يعرض على هذه الخلايا مئات الألوف من البروتينات التي تدخل في بناء الجسم البشري ، ثم ترمز هذه العناصر الصديقة ، وتدرب هذه الخلايا على ألا تهاجمها ، لأنها إن هاجمتها فمعنى ذلك أن الجسم يدمر نفسه ، ويتلف بعضه .

وفي المقرر الثاني : يعرض على هذه الخلايا ما عرفه النوع البشري عبر الأجيال على أنه عنصر ممرض من خلال مناعات الأم التي تصل إلى المولود من خلال الحليب ومن خلال التجربة الحية إذ



أن الطفل في السنوات الأولى يميل بفطرته إلى التقاط الأشياء ووضعها في فمــه لتتعــرف خلايــاه المقاتلة على العناصر المعادية ، أو أن العدوى بالأمراض تعطيه مزيداً من المعلومات عن أعدائــه ، ومن خلال هذه المحاضرات تتعرف هذه الكريات البيضاء المقاتلة على العناصر المعادية التي عليها أن تهاجمها ، أو تذيع نبأ وجودها ، أو تساهم في إلقاء القبض عليها.

ومن خلال المجاهر الإليكترونية تبدو الغدة الصعترية من خلالها على شكل مدرجات رومانيــة تصطف الكريات البيضاء عليها لتتلقى هذه المحاضرات القيمة .

ولابد في أية جامعة أو معهد أو مدرسة من امتحان ...

تمر هذه الكريات فرادى في بوابات امتحانية وتمتحن واحدة واحدة في المقررين السابقين :

امتحان المادة الأولى : يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر صــديق ، فــإن هاجمتــه أخفقت في الامتحان ، ومنعت من مغادرة الغدة الصعترية ، وقتلت لأنها إن خرجت إلى الدم تهــاجم الجسم الذي شكلها .

امتحان المادة الثانية : يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر عدو ممرض ، فإن أخفقــت في تمييزه والرد عليه رسبت في الامتحان ومنعت من مغادرة الكلية وقتلت ، لأنها إن خرجت إلــى الدم غفلت عن العدو ومكنته من مهاجمة الجسم .

يستمر عمل هذه الكلية الحربية (الغدة الصعترية) من بدء الولادة وحتى السنة الثالثة ، وبعدها تقوم بتوريث علم مراقبة وضبط عمل الكريات البيضاء إلى الكريات البيضاء الناجحة في الامتحان والتي سميت بعد التخرج بالخلايا التائية المثقفة لتقوم بدورها في نقل هذا العلم إلى أجيال الكريات البيضاء اللاحقة .

وفي السبعينات من العمر يضعف تثقيف الكريات البيضاء المقاتلة فتبــدأ بمهاجمــة العناصــر الصديقة ، وبعض أجهزة الجسم وأعضائه فنرى في هذا العمر أمراضاً شائعة كالتهــاب المفاصــل الرثوي ، وبعض الاعتلالات الكلوية ، وأمراض المصليات ، وأمراض أخرى ما كــان ســببها إلا ضعف ثقافة الجهاز المناعي الذي ينتج عنه زوال الضبط في عمل الخلايا المقاتلة (وهــو خــرف الجهاز المناعي) فتصبح الخلايا المناعية المقاتلة تهاجم الجسم الذي شكلها وثقفها للدفاع عنه وتكون حالة الجسم ما يشبه الحرب الأهلية.



34 - أثر الإيمان في حياة الفرد

إنّ قضيّة الإيمان قضيّة مصيريّة بالنسبة للإنسان ، إنّها سعادة الأبد أو شقْوَة الأبد ، إنّها الجنّة أبداً أو النار أبداً .

أيها الأخوة ، الإيمان ليس مجرّد إعلان المرء بلِسانه أنّه مؤمن ، وليس مجرّد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعْتاد أن يقوم بها المؤمنون ، وليس مجرّد معرفة ذهنيّة بِحقائق الإيمان ، وبكلمةٍ مختصرة ليس الإيمان مجرّد عمل لِساني ، ولا عملٍ بدني ، ولا عملٍ ذهني، إنّما هو عملٌ نفسي يبلغُ أغوار النفس ويحيطُ بِجَوانبها كلِّها ؛ من إدراك ، وإرادةٍ ، ووجْدان .

أيها الأخوة ، لا بد من إدراكٍ ذهنيّ تتكشفُ به حقائق الوُجود على ما هي عليه ، وهـذا الانكشاف لا يتمّ إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم حصْراً ، ولا بد من أن يبلـغ هـذا الإدراك العقلي حدّ اليقين الذي لا يُزَلْزِلهُ شكّ ولا ارْتِياب ، ولا بد من أن يصْحبَ هـذه المعرفـة الجازمـة إذعانٌ قلبي ، وانقيادٌ إراديّ ، يتمثَّلُ في الخضوع والطاعة ، ولا بد من أن يتْبعَ تلك المعرفة حـرارةٌ وجدانيّة مُسعدة ، مضمون هذا الإيمان هو وُجود الله تعالى ووحْدانيّته وكمالـهُ ، والإيمـان بـالنبوّة والرسالة ، وبِوَحدة الدّين عند الله ، والإيمان بِمُثُلٍ عليا إنسانيّة واقعيّة ، وقُدواتٍ بشـريّة ممتـازة ، اسْتطاعَتْ أن تجعل من مكارم الأخلاق وصالح الأعمال وتضاؤل النفوس حقائق واقعـة وشُخوصـاً مرئيّة للناس ، لا مجرّد أفكارٍ في بعض الرؤوس ، أو أماني في بعض النفوس ، أو نظريـات فـي الكتب والقراطيس .

أيها الأخوة الكرام ، كيف يقبلُ العقل الحرّ أو ترضى الفطرة السليمة أن تنتهي الحياة وقد طغى فيها من طغى ؟ وبغى فيها من بغى ؟ وقتلَ فيها من قتَل ؟ وقُتِلَ فيها من قُتِل؟ وتجبَّر فيها من تجبَّر ؟ ولم يأخذ أحدٌ من هؤلاء عقابه ؟ بل تستّر واختفى ، أخلف ونجا، وفي الجانب الآخـر ، كـم استقام من استقام ؟ وأحسن من أحسن ؟ وضحّى من ضحّى ؟ وجاهدَ مَن جاهد ؟ وقدّم مَن قدّم ؟ ولمْ يَنَلْ جزاء ما قدَّم ، ألا يحِقّ للعقل أن يؤمن إيماناً جازماً أنّه لا بد من أن توجدَ دارٌ أخرى تُسوَّى فيها الحسابات ، ويُجزى فيها المحسِنُ بإحسانه ، والمُسيء بإساءته .



آثار الإيمان في نفس الإنسان :

أيها الأخوة الكرام ، هذه بعضُ حقائق الإيمان ، فما هي آثار الإيمان في نفس الإنسان ؟
الله جلّ جلاله يقول :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

(سورة الإسراء) .

إنّ الإنسان أيّها الأخوة الأحباب مخلوقٌ كريمٌ عند الله تعالى ، خلقهُ في أحسن تقويم ، وكرَّمه أعظم تكريم ، وصوّرهُ فأحسنَ صورته ، خلقهُ بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، وأسْجَدَ له ملائكته ، وميّزه بالعلم والإرادة ، وجعله خليفته في الأرض ، وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ، وأسبغ عليه نعمهُ ظاهرةً وباطنة ، فكلّ ما في الكون له ولخِدْمته ، أما هو فجعله تعالى لنفسه ، لذلك يشعر المؤمن بذاته ، ويُغالي بقيمة نفسه ، لأنّه يعْتزّ بانتسابه إلى الله تعالى ، وارْتباطه بكلّ ما في الوُجود ، ويحيى عزيز النفس ، عاليَ الرأس ، أبيّاً للضيْم ، عصِيّاً على الذلّ ، بعيداً عن الشّعور بالتفاهة والضّياع والصّغار والفراغ ، لله درّ القائل مخاطباً الإنسان :

دواؤُك فيك وما تبصــره — وداؤُك منك وما تشعــرهُ

* * *

وتحسبُ أنّك جِرْمٌ صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

أمَّا الإنسان أيّها الأخوة في نظر الماديّين لا يزيد ثمنه على مئة من العملات الرخيصة ، لأنّ فيه من الدّهن ما يكفي لصُنع سبع قطعٍ من الصابون ، وفيه من الفحم ما يكفي لصُنع سبعة أقلام من الرصاص ، وفيه من الفوسفور ما يكفي لِصُنع مئة وعشرين عــود ثقــاب ، وفيــه مــن ملــح المَغنيزيوم ما يصلحُ جرعةً واحدة لأحد المسهّلات ، وفيه من الحديد ما يســاوي مســماراً متوسّــط الحجم ، وفيه من الكلس ما يكفي لطلاء بيت دجاج ، وفيه من الكبريت ما يكفي لتطهير جلــد كلــبٍ واحد ، وفيه من الماء ما يزيد عن ثلاثين لتراً ؛ وهذا هو الإنسان في نظر الماديّين .



الفرق بين السعادة واللذة :

أيها الأخوة الأكارم ، السلامة والسعادة مطلبان ثابتان لكلّ إنسان كائناً من كان ، وفي كلّ زمانٍ ومكان ، من الفيلسوف في قمّة تفكيره إلى العاميّ في قاع سذاجته ، ومن الملِكِ في قصره المشيد إلى الصعلوك في كوخه الحقير ، ومن المتْرف في ملذّاته إلى الفقير في ويْلاتِهِ ، ولكنّ السؤال الذي حيَّر الإنسان عبْر العصور والأجيال أين السعادة ؟ ولماذا الشقاء ؟ والجواب : لقد طلبَها أكثر الناسِ في غير موْضِعها ، فعادوا كما يعود طالب اللّؤلؤ في الصّحراء ، صفْر اليدين ، مجهود البدَن ، كثير النّفْس ، خائبَ الرّجاء ، لقد توهّموها في ألوانٍ من المُتَعِ الماديّة ، وفي أصنافٍ من الشّهوات الحسيّة ، فما وجدوها تحقّق السعادة أبداً ، وربّما زادتْهم مع كلّ جديد منها همّاً جديداً ، خُذْ من الدّنيا ما شئْت وخُذْ بقدرها همّاً ، ومن أخذ من الدّنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفهِ وهو لا يشعر ، ولا بد من التفريق بين السعادة واللّذّة ، فاللّذة أيها الأخوة طبيعتها حِسِيَّة ، مرتبطة بالجسد الفاني ، تأتي من خارج الإنسان ، فهو يلهثُ وراءها ، متعبةٌ في تحصيلها ، متناقصةٌ في تأثيرها ، تتْبعها كآبةٌ مدمِّرة ، تنقطع بالموت ، فإن كانتْ مبنيّة على الظنّ والعدوان اسْتحقّ صاحبها جهنّم إلى أبد الآبدين ، بينما السعادة طبيعتها نفسيّة مرتبطةٌ بذات الإنسان الخالدة ، تنبعُ من داخل الإنسان ، سهلةٌ في تحصيلها ، متناميَةٌ في تأثيرها ، يشقى الإنسان بِفَقْدها ولو ملكَ كلّ شيء ، ويسْعد بها ولو فقدَ كلّ شيء ، تقفز إلى ملايين الأضعاف بعد الموت ، ويستحقّ صاحبها جنّة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذنٌ سمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر ، وفيها نظرٌ إلى وجه الله الكريم ، ورضوانٌ من الله أكبر .

أيها الأخوة ، واللّذّة تحتاجُ إلى عناصر ثلاثة ؛ وقتٌ وصحّةٌ ومال ، والإنسان يفتقد أحد هذه العناصر في كلّ طورٍ من أطوار حياته ، ففي الطّور الأوّل من حياته يتوافر له الوقت والصحّة ويفتقد المال ، وفي الطور الثاني من حياته يتوافر المال والصحّة ويفتقد الوقت، وفي الطور الثالث من حياته يتوافر الوقت والمال ويفتقد الصحّة ، بينما السعادة تحتاج إلى عناصر ثلاثة ؛ إيمان بالله إيماناً حقيقيّاً ، واستقامةُ على أمره ، وعملٌ صالح تجاه خلقه ، وهذه متوافرةٌ في كلّ زمان ومكان ، وفي كلّ طورٍ من حياة الإنسان .

غاضبَ زوجٌ زوجته ، فقال لها متوعِّداً : لأُشْقِيَنَّكِ ! فقالتْ الزوجة في هدوء : لا تستطيع أن تُشقيَني ، ولا تملك أن تُسعدني ، فقال الزوج في حمق : وكيف لا أستطيع ؟ فقالتْ الزوجة في ثقة : لو كانتْ السعادة في مال وكنت تملكهُ لقطعْتهُ عنّي ، ولو كانت السعادة في الحليّ



لحرمْتني منها ، ولكنّها في شيءٍ لا تملكهُ أنت ، ولا الناس جميعاً ، فقال الزوج في دهشة : وما هو ؟ فقالت الزوجة في يقين : إنّي أجدُ سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحدٍ عليه غير ربّي .

للجانب الماديّ مكان محدود في تحقيق السعادة:

أيها الأخوة الكرام ، هذه هي السعادة الحقيقية التي لا يملك بشرٌ أن يُعطيَها ، ولا يملكُ أحدٌ أن ينتزعها ممّن أوتيَها ، ولكن بنَظْرةٍ واقعيّة لا ننْكرُ أنّ للجانب الماديّ مكاناً محدوداً في تحقيق السعادة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((من سعادة ابن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح .))

[أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص]

ولكن ليس لهذا الجانب المكان الأوّل ، ولا المكان الفسيح ، والمدار فيه على الكَيْف لا على الكمّ ، فحسْبُ الإنسان أن يسْلم من المنغِّصات الماديّة التي يضيقُ بها الصدْر من مثل المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والجار السوء ، والمركب السوء ، وأن يُمنحَ الأمْن والعافيَة ، وأن يتيسّر له القوت من غير حرجٍ ولا إعنات ، وما أرْوَع وأصدق الحديث النبوي الشريف :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)) .

[أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محصن] .

أيها السادة المستمعون ، أيتها السيّدات المستمعات ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((وَإِنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ والسُّخْطِ)) .

[رواه البيهقي عن أبي سعيد]

يكشف هذا الحديث الشريف عن حقيقة نفسيّة باهرة ، فكما أنّ سنّة الله قد ربطَتْ الشِّبَع والريّ بالطعام والشراب في عالم المادّة ، فإنّ سنّته تعالى في عالم النفْس قد ربطَتْ الفرحَ والرَّوْح أي السرور وراحة النفس بالرضا واليقين ، فبرضا الإنسان عن نفسه وعن ربّه يطمئنّ إلى يومه وحاضره ، وبيقينه بالله تعالى وبالجزاء في اليوم الآخر يطمئنّ إلى غدِهِ ومستقبله ، فما ربَطَتْ سنّة الله الغمَّ والحزنَ بالسّخط والشكّ ، فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعماً ، إنّ حياتهم كلّها سوادٌ ممتدّ ، وظلامٌ متّصل ، وليلٌ حالك ، لا يعقبهُ نهار ، أما حزن المؤمن فلغيره أكثر من حزنه



لنفسه ، وإذا حزِنَ لنفسه فلآخرته قبل دنياه ، وإذا حزن لدُنياه فهو حزنٌ عارضٌ موقوف كغمام الصّيف ، سرعان ما ينقشع إذا هبَّتْ عليه رياح الإيمان .

35 ـ قصة وفد اليمن

قصة عن القناعة عند المؤمن :

أيها الأخوة الكرام ، إليكم هذه القصّة ، قدمَ على النبي صلى الله عليه وسلّم وفـد مـن اليمن وهم ثلاثة عشر رجلاً ، ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسُرَّ النبي عليـه الصلاة والسلام بهم ، وأكرم منزلهم ، وقالوا : يا رسول الله سُقنا إليك حقّ الله في أموالنـا ، فقـال عليه الصلاة والسلام : رُدّوها على فقرائكم ، فقالوا : يا رسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضَل عن فقرائنا ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما وفدَ من العرب بمثل ما وفد به هذا الحـي من اليمن ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنّ الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيراً شرح صـدره للإيمان ، وسألوا النبي عليه الصلاة والسلام أشياء فكتبَ لهم بها ، فجعلوا يسألونه عن القرآن والسّنن ، فازداد النبي عليه الصلاة والسلام بهم رغبةً ، وأمر بلالاً أن يُحسن ضيافتهم ، فأقاموا أيّامـاً ولـم يُطيلوا المكث ، فقيل لهم : ما يُعجّلكم ؟ فقالوا : نرجع إلى من وراءنا فنُخبرهم برُؤيتنـا رسـول الله صلى الله عليه وسلّم وكلامنا إيّاه ، وما ردّ علينا ، ثمّ جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام يودِّعونه ، فأرسل إليهم بلالاً ، فأجازهم بأرفع ما كان يُجيز به الوُفود ، قال : هل بقي منكم أحد ؟ فقالوا : نعم ، غلامٌ خلَّفْناه على رِحالنا ، هو أحدثُنا سِنّاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : أرسلوه إليّ ، فلمّا رجعـوا إلى رحالهم ، قالوا إلى الغلام : انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فاقْضِ حاجتك منه ، فإنّا قد قضيْنا حوائجنا منه وودَّعْناه ، فأقبلَ الغلام حتى أتى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال: يا رسول الله ، إنِّي امرؤٌ من بني أبذى ، يقول : من الرّهط الذين أتَوْك آنفاً ، فقد قضَيْتَ حـوائجهم ، فـاقْض حاجتي يا رسول الله ؟ فقال : وما حاجتك ؟ قال : إنّ حاجتي ليْسَت كحاجة أصحابي ، وإن كانوا قد قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم ، وإنّي والله يا رسول الله ما أقـدمني مـن بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني ، وأن يجعل غِنَايَ في قلبـي ، فقـال عليـه الصلاة والسلام وقد أقبل على الغلام : اللهمّ اغفر له وارحمهُ ، واجعل غِناه في قلبه ، ثمّ أمـرَ لـه



بمثل ما أمر لرجلٍ من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم ، ثمّ وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الموسم بمِنى سنة عشرٍ ، فقالوا : نحن بنو أبذى يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : ما رأينا مثلهُ قطّ ، ولا سمعنا بأقْنَعَ منه بما رزقه الله تعالى ، لو أنّ الناس اقْتسَموا الدنيا ما نظر نحوها ، وما التفت إليها ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنِّي لأرجو أن يموت جميعاً ، فقال أحدهم : يا رسول الله ، أوَ لَيس يموت الرجل جميعاً ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : تتشعّب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ، فلعلّ أجلهُ يدركه في بعض تلك الأودية فلا يُبالي الله عز وجل في أيّ أوديتها هلكَ ، قالوا : فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال ، وأزهده في الدنيا ، وأقنعه بما رُزق ، فلمّا توفّي النبي عليه الصلاة والسلام ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام ، قام في قومه فذكّرهم بالله وبالإسلام فلم يرجع منهم أحد ، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يذكرهُ ويسأل عنه حتى بلغهُ حاله ، وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيب يوصيه به خيراً .

المؤمن سدّ أبواب الخوف كلّها فلا يخاف إلا من الله وحده :

هذه هي القناعة عند المؤمن ، فالناس أيّها يموتون على ما عاشوا عليه ، فمن عاش جميعاً مات جميعاً ، ومن عاش أوزاعاً شتّى وأجزاءً متنافرة مات كما عاش ، وقليلٌ من الناس ، بل أقلّ من القليل ، ذلك الذي يعيشُ لغايةٍ واحدة ، ويجمع همومه في همّ واحد ، يحيى له ، ويموت له ، ذلك المؤمن البصير الذي غايته الفرار إلى الله ، وسبيله اتّباع ما شرع الله تعالى ، كلّ شيءٍ في حياته لله وبالله ، وحالهُ تنطق به هذه الآية :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

أيها الأخوة الأحباب حُضوراً ومستمعين ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(سورة الأنعام)



إن الناس يخافون من أشياء كثيرة ، وأمورٍ شتّى ، ولكنّ المؤمن سدّ أبواب الخوف كلّها ، فلا يخاف إلا من الله وحده ، يخاف أن يكون فرَّط في حقّه أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم لأنّهم لا يملكون له ضرّاً ، ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياةً ، ولا نشوراً ، والمؤمن آمنٌ على رزقه أن يفوته ، لأنّ الأرزاق في ضمان الله تعالى ، الذي لا يخلف وعده ، ولا يضيّع عبده ، وهو الذي يُطعم الطّير في وكناتها ، والسّباع في الفلوات ، والأسماك في البحار ، والدّيدان في الصّخور ، وهو الذي يسمع دبيب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، لقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كفّه ، متَمَنِّياً الموت في سبيل عقيدته ، ومن خلفه ذريّة ضعاف ، وأفراخٌ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر ، ولكنّه يوقن أنّه يتْركهم في رعاية ربٍّ كريم هو أبرّ بهم ، وأحمى عليهم ، وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهبٌ في سبيل الله تعالى : إنِّي عرفتهُ أكالاً وما عرفته رزّاقاً ، ولئن ذهب الأكّال لقد بقي الرزاق ، هو آمنٌ على أجله ، فإنّ الله قدّر له ميقاتاً مسمّى ، أيّاماً معدودة ، وأنفاساً محدودة ، ولا تملكُ قوّة في الأرض أنْ تنقص من هذا المقدار أو تزيد فيه ، هدَّد الحجاج سعيدَ بنَ جبير التابعيَّ الجليلَ بالقتل ، فقال له سعيد بن جبير : لو علمْتُ أنّ الموتَ والحياة في يدك ما عبدتُ غيرك .

الإيمان والأمل متلازمان :

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين ، إنّ الإيمان والأمَل متلازمان ، فالمؤمن أوْسع الناس أملاً ، وأكثرهم تفاؤُلاً واستفساراً ، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرّم والضّجر ، الإيمان معناه الاعتقاد بقُوّة عليا تدبّر هذا الكون لا يخفى عليها شيءٌ ، ولا تعجزُ عن شيءٍ ، وبيدها كلّ شيء ، المؤمن يعتصم بهذا الإله العظيم ، البرّ الرحيم ، العزيز الكريم ، الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، يُجيب المضطرّ إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيّئات ، أرحم بعباده من الأم بولدها ، وأبرّ بالخلق من أنفسهم ، المؤمن إذا حاربَ كان واثقاً بالنّصر لأنّه مع الله تعالى فالله معه ، ولأنّه لله فالله له ، قال تعالى :

إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

(سورة الصافات)



هذا درسٌ بليغ لنا في معركتنا مع أعدائنا ، والمؤمن إذا مرض لم ينقطع أمله من العافية ، وإذا مرضتُ فهو يشفين ، والمؤمن إذا اقترف ذنباً لم ييْأس من المغفرة قال تعالى :

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾.
(سورة الزمر الآية : 53)

المؤمنون هم أصبر الناس على البلاء وأثبتهم في الشدائد وأرضاهمنفساً في المُلِمّات :

المؤمن إذا أعسر لم يزل يؤمّل اليُسْر ، قال تعالى :

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦

(سورة الشرح) .

إذا انتابتهُ كارثةٌ من الكوارث كان على رجاءٍ من الله أن يأجرهُ في مصيبته ، وأن يخلفه خيراً منها ، وإذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق يصول ويجول ، أيقن أنّ الباطل إلى زوال ، وأنّ الحق إلى ظهور وانتصار ، وإذا أدركتهُ الشيخوخة واشتعل رأسهُ شيباً لا ينفكّ يرجو حياةً أخرى ، شبابٌ بلا هرم ، وحياة بلا موت ، وسعادةٌ بلا شقاء .

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام ، المؤمنون هم أصبر الناس على البلاء ، وأثبتهم في الشدائد ، وأرضاهم نفساً في المُلِمّات ، عرفوا أنّ هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترحٍ لا منزل فرح ، وأنّ من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وعطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليُعطي ، ويبتلي ليجزي ، وعرفوا أنّ ما ينزل من مصائب ليس ضربات عجماء ، ولا خبط عشواء ، ولكنّه وفْق قدرٍ معلوم ، وقضاء مرسوم ، وحكمة إلهيّة ، فآمنوا بأنّ ما أصابهم لمْ يكن ليُخطئهم ، وما أخطأهم لم يكن ليُصيبهم، وعرفوا أنّ الله يقدّر ويلْطف ، ويبتلي



ويخفّف ، ومن ظنّ انفكاك نفسه عن قدره فذلك لقُصور نظره ، وعرفوا أنّ لكلّ شِدّة شَدَّة ، وأنّ وراء كلّ محْنةٍ مِنْحةً منه سبحانه .

36 - الوردة الجورية

يوقن الباحث في العلم ، ويشعر المتأمّل في الكون ، حينما يقرأ آيات القرآن المتعلّقة بخلْق الأكوان والإنسان ، يوقن ويشعر بكلّ خليّة في جسمه ، وبكلّ قطرةٍ في دمه ، أنّ هذا القرآن كلام الله ، المنزّل على نبيّه محمّد رسول الله ، وأنّه مستحيلٌ وألف ألف مستحيل أن يأتيَ به بشرٌ فرادى أو مجتمعين ، فمن خلال المؤتمرات العالميّة التي عُقِدَت في عواصم متعدّدة في أنحاء العالم حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة ، يتَّضِحُ أنّ أبحاثاً علميّة جادّة ورصينة ، قام بها علماء ليسوا مسلمين ، ولا تعنيهم آيات القرآن الكريم ، استغرقَتْ عشر سنوات ، وكلَّفتْ ملايين الدولارات ، تأتي نتائجُ بحوثهم مطابقة مطابَقةً عفويَّة وتامّة من دون تكلّف ولا تعنّت ، ومن دون تأويلٍ بعيد عن الآية أو تعديلٍ مفتعلٍ لحقيقة ، تأتي نتائج بحوثهم تلك مطابقة لآية أو لكلمة في آية ، بل لحرفٍ واحدٍ في آية ، وهذا مصداق قوله تعالى :

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

(سورة فصلت)

في الواحد والثلاثين من تشرين الأول من عام ألفٍ وتسعمئة وتسعين عرضَت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصَدٍ عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورةً لا يشكّ الناظر إليها لحظةً أنّها وردة جوريّة ، ذات أوراق حمراء قانية ، مُحاطةٌ بوُرَيقاتٍ خضراء زاهية ، وفي الوسط كأس أزرق اللّون ، أما حقيقة هذه الصورة ، فهي صورة لانفجار نجمٍ عملاق اسمه عين القِطّ ، يبعدُ عنّا ثلاثة آلاف سنة ضوئيّة ، وفي هذا الموقع المعلوماتي آلاف الصوّرَ الملوّنة التي رصدتها المراصد العملاقة لعَجائب الفضاء ، ولكن ما علاقة هذه الصورة بإعجاز القرآن ؟!!



بعض ألوان الإعجاز :

في القرآن الكريم أيّها الأخوة آيةٌ في سورة الرحمن ، وهي قوله تعالى :

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(سورة الرحمن)

لو تتبَّعْت أيها المستمع الكريم تفسير هذه الآية في معظم التفاسير قبل نشْــر الصــورة ، تجدُ فيها ما يُشفي غليلك ، ذلك لأنّ في القرآن آياتٌ لمّا تفسَّر بعدُ ، كما قال الإمام عليّ كرّم وجهه ، إنّ انشقاق هذا النّجم يُشبه ورْدةً متألّقة ، بل إنّ صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآيــة ، بشكلٍ أو بآخر ، هذا لونٌ من ألوان الإعجاز ، ولونٌ آخر ؛ بعض النجوم تبعد عنّا عشرين مليار من السنوات الضوئيّة أي أنّ ضوءها بقيَ يسير في الفضاء الكوني عشرين مليار سنةٍ حتى وصل إلينا ، علماً أنّ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر ، فكم يقطع في السّنة ؟ وكم يقطعه في عشرين مليار سنة ؟! فهذا النّجم الذي وصل إلينا ضوءه بعد عشرين مليار سنة أين هو الآن ؟ إنّــه يسير بسُرعةٍ تقتربُ من سرعة الضّوء لذلك جاءتْ الآية الكريم :

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة الواقعة)

إنّ كلمة مواقع في هذه الآية هي سرّ إعجازها ، فالموقع لا يعني أنّ صــاحب الموقــع موجود فيه ، فالله جلّ جلاله لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم ، ولكنّه أقْسَم بالمسافات التــي بــين مواقع النجوم ، ذلك لأنّ النجوم متحرّكة وليْسَت ثابتة ، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخرَّ ســاجداً لله عز وجل ، فقد قال الله عز وجل : ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ ، أي أنّ العلماء وحدهم يقدّرون عظمة هذه الآية ، قال تعالى :

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(سورة فاطر : الآية 28)



37 - المعجزات والزمن

الإسراء والمعراج :

أيها الأخوة الكرام ، موضوع الإسراء والمعراج هو موضوع هذه الخطبة ، وهو من الموضوعات المتعلقة بالمناسبات الدينية ، وهذه الموضوعات لا نحتاج إلى سرد وقائعها بقدر ما نحتاج إلى استنباط الدروس والعبر منها .

بادئ ذي بدء الإسراء والمعراج هو معجزة ثابتةً في الكتاب والسنة ، ولكن لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات ، وعن جزئياتها ، وعن وقوعها أو عدم وقوعها ، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في : الإيمان بالله موجوداً وواحداً وكاملاً ، والإيمان بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه فعال لما يريد ، إذا كان هذا الأصل محل شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً ، فالقرآن الكريم يخاطب الناس بأصول الدين ، بوجود الله عز وجل ، ويخاطب المؤمنين بفروع الدين ، ومعجزة الإسراء والمعراج من فروع الدين .

أيها الأخوة ، حقيقة أضعها بين أيديكم ، إن الكون بمجراته وكازاراته ، بكواكبه ومذنباته ، بالمسافة بين النجوم ، بالسرعات الضوئية ، بحجوم النجوم وسرعاتها ، وبدورانها وتجاذبها ، والأرض بجبالها ووديانها ، وسهولها وبحارها ، ببحارها وبحيراتها ، بينابيعها وأنهارها ، بحيواناتها ونباتاتها ، بأسماكها وأطيارها ، بمعادنها وثرواتها ، والإنسان بعقله ، وعاطفته ، وأعضائه ، وأجهزته ، بفطرته وطباعه ، بزواجه وذريته ، هذه كلها معجزات ، وأية معجزات ، بشكل مختصر الكون بسماواته وأرضه هو في وضعه الراهن من دون خرق لنواميسه ، ومن دون خروج عن نظامه ، هو في حد ذاته معجزة ، وأية معجزة ، والدليل قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾

(سورة آل عمران) .

إن في خلق السماوات والأرض من دون خرج للنواميس .



إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

(سورة آل عمران)

التوحيد الإيجابي :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه ، وخلق العوالم وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة ، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية ؛ وهو تلازم شيئين وجوداً وانعداماً أحدهما قبل الآخر ، سمينا الأول سبباً ، وسمينا الثاني نتيجة ، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية ، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون سبب ، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله ، مسبب الأسباب ، الأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

ومن رحمة الله بنا أيضاً أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات ، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن الأسباب متلازمةً مع النتائج ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب ، لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية ، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ولم ينتفع بعقله ، لكن من اعتقد دققوا في هذا الكلام : من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ثم اعتمد عليها وحدها فقد أشرك ، لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية هذه الأسباب التي اعتمد عليها ، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة ، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً في زعمه على الله عز وجل فقد عصى ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه القوانين ، أما المؤمن الصادق فأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تخلق النتائج ، وبالتالي من دون أن يعتمد



عليها ، يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، معتقداً أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله ، هذا هو التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين ، قال تعالى :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

(سورة يوسف) .

حقائق عن الإسراء والمعراج :

1ـ الحقيقة الأولى أن الإسراء والمعراج معجزة :

قال علماء التفسير : هذا هو الشرك الخفي ، لكن أيها الأخوة ، نظام السببية يخرق أحياناً ، فحينما يأتي إنسان ويقول : إنني رسول الله ليبلغ منهج الله عز وجل ، لا بد من أن يطالبه الناس ببرهان على أنه رسول الله ، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله ، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي ومصداقية منهجه قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ

(سورة النساء) .

قال علماء التفسير : البرهان هو المعجزة :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا

(سورة النساء) .

أيها الأخوة في كل مكان ، المعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه ، ولا يستطيعها إلا خالق الكون ، لأنه هو الذي وضع القوانين والنواميس ، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم ، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم ، والمعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادةً ، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، وبين أن يعلن العقل عجزه عن فهم هذا الشيء ، فعدم العلم بالشيء ليس علماً بعدم وجود ذلك الشيء .



هذه الحقيقة الأولى أن الإسراء والمعراج معجزة ، وهذا مكان المعجزة في هذا الدين العظيم ، ثانياً تؤكد روايات الإسراء والمعراج أن النبي عليه الصلاة والسلام أسري به من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء إلى سدرة المنتهى ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، ومنه إلى مكة ، من دون أن تقتطع هذه الرحلة المديدة من الزمن شيئاً ، معنى ذلك أن الله خالق الزمن ، الزمن مخلوق لا يسأل متى كان الله ؟ لأن الزمن من مخلوقاته ، وأن الزمن من خلق الله يكون أو لا يكون ، أما نحن فما علاقتنا بالزمن ؟ زمن الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه .

1ـ إدارة الوقت هو الاستنباط الثاني من معجزة الإسراء والمعراج :

أيها الأخوة الأحباب حضوراً ومستمعين ، وقت الإنسان هو عمره بالحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم وهو يمر مر السحاب ، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم ، فإذا قطع وقته بالغفلة والسهوة والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا الإنسان خير له من حياته .

الوقت بالنسبة للإنسان عنصر هام ، إذا لم يكن محسوباً له بخير فهو محسوباً عليه بشر ، إن إدارة الوقت هو الاستنباط الثاني من معجزة الإسراء والمعراج ، إن إدارة الوقت هي في مجملها تحديد هدف ثم تحقيقه ، وهذا في القرآن الكريم ، قال تعالى :

أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ



(سورة الملك) .

لاشك أن من يمشي إلى هدف وغاية واضحة أهدى ممن يخبط خبط عشواء ، هذه حقيقة .



أدلة على أهمية الوقت في القرآن الكريم :

الآن أيها الأخوة ، الأدلة على أهمية الوقت في القرآن الكريم ، لقد أقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن ، بهذا المخلوق المكرم الذي هو في حقيقته الزمن ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

أقسم الله بمطلق الزمن ، بهذا المخلوق المكرم الذي هو في حقيقته الزمن ، أنه خاسر لا محالة ، لماذا ؟ لأن مضي الزمن وحده يستهلكه ، فالإنسان في أدق تعريفاته : بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإن لا أعود إلى يوم القيامة .

الآية الثانية :

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

أي لقد كانت أعماركم التي وهبناكم إياها بين أيديكم تكفي لمن أراد أن يتذكر أو أراد أن يتفكر أو يعمل صالحاً ، من هذا المنهج القرآني الكريم يمكن أن نستخلص أهمية الوقت للإنسان المسلم ، حيث ألقى الله عليه مسؤولية استغلال الوقت الاستغلال الأمثل الذي يحقق مرضاة الله تعالى وفائدة الإنسان ، فالوقت عنصر مهم يجب على الفرد أن يتنبه إلى الاستفادة منه ، سواء على مستوى الفرد ، أو على مستوى الجماعة المسلمة .



أدلة على أهمية الوقت في السنة الشريفة :

هذا في الكتاب فماذا في السنة الشريفة ؟ يقول عليه الصلاة والسلام :

((**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ** .))

[الترمذي في جامع الأصول عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ]

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**)) .

[البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((**اغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك**)) .

[رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((**إذا قامت الساعة** ـــ إذا قامت القيامة وانتهى كل شيء ـــ **وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل**)) .

[رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه] .

تؤكد السنة النبوية الشريفة على أهمية أن يستغل الإنسان الوقت في مراحل حياته المختلفة ، بدايةً من الصغر وحتى تتقدم به السن ، كما تتسع هذه الأهمية لتشمل أهمية استفادة الفرد ليس فقط من وقت العمل بل من وقت الفراغ بعد الانتهاء من العمل .

قيمة الوقت في حياة مسلمي زماننا :

أيها الأخوة الأعزاء ، أيتها الأخوات العزيزات ، يؤكد بعض العلماء منذ زمن قديم أن الوقت يمر بسرعة محددة وثابتة ، فكل ثانية أو دقيقة ، وكل ساعة تشبه الأخرى ، وأن الوقت يسير إلى الأمام بشكل متتابع ، وأنه يتحرك وفق نظام معين محكم لا يمكن إيقافه أو تغيره أو زيادته أو إعادة تنظيمه ، وبهذا يمضي الوقت بانتظام نحو الأمام ، دون تأخير أو تقديم ، ولا يمكن بأي حال



من الأحوال إيقافه أو تراكمه أو إلغاءه أو تبديله ، الوقت هو الحياة، وهذا معنى مشترك يعرفه الناس جميعاً ، ولكن الإسلام زاد على ذلك المعنى حين جعل الوقت بمثابة رأسمال يحاسب عليه الإنسان ، ولكن الوقت يزيد عن المال ، فالمال يدخر ويقايض عليه ، وقد يعوض إذا أهدر ، ولكن الوقت لا سبيل إلى ادخاره ، ولا إلى مقايضته ، ولا إلى استرجاعه ، إضافةً إلى ذلك أن الوقت هو المورد الوحيد الذي نرغم على صرفه سواء أردنا أم لم نرد .

أيها الأخوة ، كانت هذه الحقائق نبذةً عن قيمة الوقت فماذا عن قيمة الوقت في حياة مسلمي زماننا ؟ يبدو أن المورد الأكثر تبديداً في ثرواتهم هو الوقت ، وإذا نظرنا إلى الممسكين بطرف الحضارة اليوم رأينا أنهم يستثمرون أوقاتهم في الشر والخير بدقة محسوبة ، فما هو السبب في هذا التباين ؟ إنه بالتأكيد ليس راجعاً إلى فروق عنصرية ، أو صفات جسمانية أو ذهنية أو موروثة ، بل لأن الغرب استطاع أن يضع وينفذ نظاماً تربوياً يبث في أبنائه من خلاله ضمن ما يبث مبادئ إداريةً فعالة ، قام عليها نظام حياتي ، تمارس فيه أسس إدارية سليمة ، بل أصبحت هذه الأسس والمبادئ علوماً قائمةً بذاتها ، لها فروع وفنون تسمى العلوم الإدارية ، ويبرز من هذه العلوم فرع كبير اسمه إدارة الوقت ، إدارة الوقت أعلى مستويات تقدم أحسن ما تملك بأقل ما تملك .

أيها الأخوة ، هناك مؤشرات مرضية تعبر عن سوء إدارة الوقت ، هل تردد كثيراً ليس لدي وقت لإنجاز ما أود القيام به ؟ هذا بند ، هل تتأخر دائماً عن مواعيدك ؟ هل تأخذ المهمات التي تقوم بها وقتاً أكبر مما تحدده لها ؟ هل تتضارب مواعيدك مع بعضها بعضاً ؟ هل تقدم على تنفيذ العمل الذي تحبه أو الأكثر إلحاحاً على العمل الأهم ؟ هل تفاجئك الأزمات وبعدها تتصرف وتتخذ الإجراءات حسب ما يتفق لك وتسمح به الظروف وليس كما تخطط لها ؟

إن اعتراف الأمر بأن العيب في ذاته هو أول خطوة على الطريق الصحيح ، ولعلك إذا كنت تنتظر من هذا الموضوع أن نرشدك إلى أدوات خارج ذاتك بإدارة وقتك ، إذا كان الأمر كذلك فانتبه إلى أن أهم الممتلكات التي تمتلكها هي الوقت ، إنه مورد محدد يملكه الجميع بالتساوي ، على الرغم أن الناس لم يولدوا بقدرات أو فرص متساوية ، إنهم جميعاً يملكون الأربعة والعشرين ساعةً نفسها كل يوم ، والاثنين والخمسين أسبوعاً كل عام ، وهكذا فإن جميع الناس متساوون في ناحية المدة الزمنية سواء أكانوا من كبار الموظفين أم من صغارهم ، من أغنياء القوم أم من فقرائهم ، فالمشكلة ليست في مقدار الوقت لكل من هؤلاء ولكن المشكلة بطريقة إدارة الوقت .



وقفة متأنية مع إدارة الوقت الذي لا نملك غيره :

أيها الأخوة ، لا بد من وقفة متأنية مع إدارة الوقت الذي لا نملك غيره ، حتى من يحركون النظام العالمي الجديد أو القديم لا يملكون من الوقت إلا ما نملكه نحن ، نحن نتحدث عن إدارة بيتك وإدارة عملك نتحدث عن هدفك أنت وطموحك أنت .

هل الوقت هو المشكلة ؟ لا والله ، نحن المشكلة ، يجب أن نوقن أن العيب فينا لا في ضيق الأوقات .

أيها الأخوة ، المخلصون الجادون في حياتهم يسهرون كثيراً على إنجاز أعمالهم ويتفانون في ذلك ، ولكن قد لا يحسن بعضهم استثمار وقته ، ولا يدرك أنه بقدر من المعرفة والممارسة يمكنه أن يحقق نتائج أفضل مثل غيره أو أكثر من غيره ، ليس بالضرورة أن تكون مديراً أو موظفاً كبيراً ، فقد يكون من يسيء استخدام الوقت قائم على رأس عمل دعوي، أو طالب علم ، أو ربة منزل في منزلها ، المرض واحد ، وقواعد العلاج واحدة ، فالمهام الكثيرة المتنوعة غير المتجانسة يصلح لها جميعاً أن تدير الوقت إدارةً حكيمة ، لأن الوقت هو أنت ، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه .

أما إذا كان الإنسان لا يستطيع السيطرة على وقته فهو بحاجة إلى إدارة أخرى ، بحاجة إلى إدارة ذاته قبل أن يدير وقته ، وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً أعلى رائعاً في حسن استغلال الوقت وإدارته ، وسيرته كلها تشهد بذلك ، لقد كان حريصاً أشد الحرص على أن تنتهج أمته ذلك ، فوجهها في أكثر من حديث على أهمية الوقت ، يقول عليه الصلاة والسلام من حديث أبو هريرة رضي الله عنه :

((**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعاً هَلْ تَنْتَظِرُونَ**)) .

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ] .

ماذا في المستقبل ؟

((**هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً أَوْ غِنًى مُطْغِياً أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**)) .

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ] .

((**أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)) .

[البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما] .



وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

وأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعلم أصحابه درساً مع الوسائل المعينة كما تسمى اليوم :

((**خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعاً وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**)) .

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] .

أيها الأخوة ، هذه الأحاديث وغيرها كثير دليل على أهمية الوقت في حياة المسلم كما وضحه جلياً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

38 - قصة معبرة

حكاية قصيرة تعد تطبيقاً لموضوع الخطبة :

إليكم هذه الحكاية القصيرة التي تعد تطبيقاً لموضوع الخطبة :

أحدهم له طفل صغير صحته ليست على ما يرام يقول : قررت الذهاب به إلى المستشفى ، حملته وذهبت ، لقد كان المنتظرون كثيرين ، ربما نتأخر أكثر من ساعة ، أخذت رقماً للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس في غرفة الانتظار ، في غرفة الانتظار وجوه كثيرة مختلفة ؛ فيهم الصغير ، وفيهم الكبير ، الصمت يخيم على الجميع ، يوجد عدد من الكنبات الصغيرة استأثر بها بعض الأخوة ، أجلت طرفي في الحاضرين البعض مغمض العينين لا تعرف فيما يفكر ، والآخر يتابع النظر إلى الجميع ، والكل تحس من وجوههم القلق والملل من الانتظار ، يقطع السكون الطويل صوت المنادي برقم كذا ، الفرحة تعلو على وجه المنادى عليه ، يسير بخطوات سريعة ثم يعود الصمت للجميع ، لفت نظري شاب في مقتبل العمر لا يعنيه أي شيء حوله ، لقد كان معه مصحف صغير يقرأ فيه ، لا يرفع طرفه ، نظرت إليه ولم أفكر في حاله كثيراً ، لكنني حينما طال انتظاري



عن الساعة الكاملة تحول نظري إليه ، من مجرد نظر إلى تفكير عميق في أسلوب حياته ومحافظته على الوقت ، ساعة كاملة من عمري ماذا انتفعت بها ، أنا فارغ بلا عمل ولا شغل ، بل انتظار ملل ، أذن المؤذن لصلاة المغرب ذهبنا إلى الصلاة ، وفي مصلى المستشفى حاولت أن أكون في جوار صاحب المصحف ، وبعد أن أتممنا الصلاة سرت معه وأخبرته بإعجابي من محافظته على وقته ، وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التي لا نستفيد منها إطلاقاً ، وهي أيام وليال تمضي من أعمارنا دون أن نحس بها ، ودون أن ننتفع بها ، قال إنه أخذ مصحف الجيب منذ سنة عندما حثه صديق له بالمحافظة على وقته ، وأخبرني أيضاً أنه يقرأ بالأوقات التي لا يستفاد منها أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل ، بل إن قراءته في المسجد زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله تقطع عليه الملل والتوتر ، وأضاف محدثي قائلاً : إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد عن الساعة والنصف ، ولم يشعر بها إطلاقاً ، وسألني متى تجد ساعةً ونصف لتقرأ فيها القرآن الكريم ؟ كم من شخص سيفعل ذلك ؟ وكم من أجر عظيم يكون للدال على ذلك ؟

تأملت كم من الأوقات تذهب سدىً ، وكم من لحظة من حياتنا تمر ولا نحسب لها حساب ، بل كم من شهر ، بل كم من عام يمضي ولا نقرأ القرآن الكريم ؟ أجلت ناظري فوجدت أنني محاسب عن كل وقت يضيع سدى .

القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة :

أيها الأخوة ، إلى الموضوعات الساخنة تعلمنا الأحداث التي نشهدها كل يوم في الأرض المحتلة وفي غيرها من الأراضي العربية والإسلامية المحتلة أن القوة البشرية مهما عظمت فهي محدودة ، وأن العلم مهما اتسع فهو قاصر ، وأن الإنسان المتألي مصيره القصم، إن اعتماد القوة وحدها والحلول الأمنية وحدها لا يحقق الهدف ما لم يكن مصحوباً بدرجة عالية من الاستماع الجيد إلى الطرف الآخر ، وتفهم دقيق للرأي الآخر ، ومراعاةً لمصالحه وخصوصياته ، وتوفير لكرامته ، وما لم تحل مشكلات المظلومين والمضطهدين في العالم فإن المشكلة تبقى قائمة بل وربما تفاقمت ، فالقوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة ، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها ، قال تعالى :

فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ

(سورة الحشر) .



لقد أشار السيد الرئيس إلى النظام العالمي الجديد في كلمة ألقاها في مؤتمر قمة إسلامي فقال : " هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينات هو ديننا الإسلامي الحنيف ، دين الأخلاق ، دين العدل ، دين المحبة ، الذي تم تشويهه إعلامياً وتثقيفياً وتربوياً ، ليغدو دين القتل والتطرف والإرهاب ، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام ، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة ، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه مسلم حتى يثبت العكس ، وغالباً ما يثبت العكس ، أما الاتهام فيبقى كما هو ، وبالتوازي حورب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف ، واستخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين ، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تنميته من خارج الأمة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي ، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة ، وإسرائيل أبرع من يشوه هذه الصورة وأية صورة حقيقية أخرى " ، انتهى كلام السيد الرئيس .

أيها الأخوة الأحباب في دنيا العروبة والإسلام ، إلى أبيات وعظية :

أتيت القبور فســـــــاءلتها ... أين الــــــــــمعظم والمحتقر
تـــفانوا جميعاً فما مـــخبر ... ومـــاتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أمـــا لك في ما مضى معتبر
تـــروح وتـــغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الـــصور

* * *

لذلك تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جـــن ليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من سليم مات من غير علــــة ... وكم من سقيم عاش حين من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمـــناً ... وقـــــد نسجت أكفانه وهو لا يدري

39 ـ السمكة الطيبة

كان أحد علماء البحار يركب غواصة أبحاث تحت سطح البحر ، لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها وانتهت إلى سمكة صغيرة ، فتصور هذا العالم كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى الصغيرة لتأكلها ، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة ، سجل هذا عنده في مذكراته ، بعد عشرة أعوام تقريباً اكتشفت حقيقة رائعة هي



أن هذه السمكة الصغيرة متخصصة في علاج أمراض الأسماك كلها ، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين أسماك البحر يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تؤكل ، لذلك أجريت بحوثاً كثيرة وتتبع العلماء مواطن هذا السمك الذي أعطوه اسماً خاصاً ، هذا السمك جعل الله عز وجل غذائه على التقرحات والإنتانات والطفيليات والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة ، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها وكأن هناك عرفاً وميثاقاً، بل إن بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصورت أن سمكةً كبيرة كانت تشكو من قرحة في فمها فإذا بها تفتح فمها أمام السمكة الطبيبة ، ودخلت السمكة الطبيبة آمنةً مطمئنةً لتعالج ما في داخل فمها من القروح ، وفي الوقت نفسه هاجمت هذه السمكة التي تعالج سمكة أكبر منها لتأكلها فما كان منها إلا أن أخرجت من فمها هذه السمكة التي تمرضها وولت هاربة .

ما هذا العرف وما هذا العقد وما هذا الميثاق وما هذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار ؟ إن هذه السمكة التي خلقها الله مزودة بمنقار دقيق جداً يصل إلى أدق الثنايا ، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات والتقرحات والإنتانات وما شاكل ذلك ، وهو غذاء لها ، وإن هذه الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من تقرحات بسبب ما يحدث بين الأسماك من احتكاك أو من معارك أحياناً ، الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمكة الصغيرة صفت بعضها وراء بعض ، وكأنها في مجتمع متحضر ليس هناك تزاحم ولا تدافع ولا سباب .

السمكة الطبيبة دليل على عظمة خلق الله سبحانه :

وقفت هذه الأسماك الكبيرة وقد سجلت هذه الصورة بضع عشرات من الأسماك تقف وراء بعضها بعضاً تنتظر دورها في المعالجة ، وقد تستغرق أحياناً دقيقة أو أكثر ، وبعدها تنصرف إلى سبيلها .

هَـٰذَا خَـلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَـلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ

(سورة لقمان الآية : 11) .

مليون نوع من السمك من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة الطبيبة لا تؤكل ولا يعتدى عليها ، لأنها تقوم بمهمة سمكية نبيلة عوض إنسانية ، لأنها تقوم بمهمة سمكية نبيلة من أعلمها ؟ هذه الأسماك عاقلة ؟ قال تعالى :



قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ

(سورة طه) .

أما الإنسان المتحضر الذي يتحدث عن حقوق الإنسان فكثيراً ما يقصف المستشفيات وسيارات الإسعاف ، ورضي الله عن الإمام علي يقول : " ركب الملك من عقل بلا شهوة ، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كليهما ، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان " .



الباب الرابع : موضوعات إسلامية



01 - إنسانية الإسلام

قال بعض العلماء : مِن أعجب الأشياء أنْ تعرفه ثم لا تحبَّه ، وأنْ تسمعَ داعيه ثم تتأخّر عن الإجابة ، وأنْ تعرف قدْرَ الربح في معاملته ثم تعامل غيرَه ، وأنْ تعرف قدرَ غضبه ثم تتعرض لــه ، وأنْ تذوق ألمَ الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأنْ تذوق العذابَ عند تعلق القلب بغيــره ، ولا تهرب منه بنعيم الإقبال عليه ، والإنابة إليه .

وأعجبُ مِن هذا علمُك أنك لا بد لك منه ، وأنك أحوجُ شيء إليه ، وأنت عنه معرض ، وفيمــا يبعدك عنه راغبٌ .

وأشهد أنّ سيدنا محمد عبده ورسوله أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ، أرسلته ليخرجنا من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومِن ذل الشرك إلى عــز التوحيد ، ومِن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد وعلــى ذريــة محمد وسلم تسليماً كثيراً .

عباد الله ؛ أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير .

إنّ الإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى ، إنها تشغل حيزاً كبيراً في منطلقاته النظريــة ، وفي تطبيقاته العملية ، وقد ربطت بعقائده وشعائره ومنهجه وآدابه ربطاً محكماً ؛ فالإنســانية فــي الإسلام ليست مجرد أُمْنية شاعرية تهفو إليها بعضُ النفوس ، وليست فكرة مثاليــةً تتخيَّلهــا بعــضُ الرؤوس ، وليست حِبراً على ورق سطّرته بعضُ الأقلام ، إنها ركنٌ عقدي ، وواقع تطبيقي ، وثمار يانعة .

فمِن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأُ **الإخاء الإنساني** ، إنه مبدأ قرَّره الإسلامُ بناءً علــى أنّ البشرَ جميعاً أبناءُ رجُلٍ واحد ، وامرأة واحدة ، ضمَّتهم هذه البنوّةُ الواحــدةُ المشــتركة ، والــرحمُ الواصلة ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَــا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ .

[سورة النساء : الآية 1]

ولعل كلمة : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ ، وكلمة ﴿**مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ تلزمنا أن نفهم كلمة ﴿**الْأَرْحَامَ**﴾ فــي هذه الآية على أنها الرحم الإنسانية العامة التي تسع البشر جميعاً 0



والنبي صلى الله عليه وسلم يقرِّر هذا الإخاء ويؤكِّده كل يوم أبلغ تأكيد ؛ فقد روى الإمام أبو داود وأحمد في مسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ : **((اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ،أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ،اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ ،اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ،اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ))** .

[أبو داود ، وأحمد]

فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلن من خلال هذا الدعاء المتكرر الأخوة بين عباد الله جميعاً ، لا بين العرب وحدهم ، ولا بين المسلمين وحدهم ، بل هي أخوة بين بني البشر جميعاً ، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم وطبقاتهم ومللهم ونحلهم ، والبشر جميعاً عند الله جل جلاله نموذجان ؛ رجل عرف الله ، وانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فَسَلِمَ وسعِد في الدنيا والآخرة ، ورجل غفَل عن الله ، وتفلَّت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقيَ في الدنيا والآخرة .

وهذا الإخاء الإنساني في الإسلام ليس للاستهلاك المحلي ، ولا للتضليل العالمي ، إنما هي حقيقة دينية لا ريب فيها ، تنطلق من كلمتي التوحيد والرسالة ؛ فشهادة أنْ لا إله إلا الله : إسقاط لكل المتألهين في الأرض ، الذين طغوا وبغوا ، وشهادة الرسالة وصفت محمداً ﷺ أنه عبده ورسوله ، يتبع ما يوحى إليه قال تعالى : ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ .

[سورة يونس : الآية 15]

وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ*فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ .

[سورة الحاقة : الآية 44-47]

ويزداد هذا الإخاء توثقاً وتأكداً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان فتجتمع الأخوة الدينية إلى الأخوة الإنسانية فتزيدها قوة إلى قوة ، ولما كان باب الإيمان مفتوحاً لكل الناس ، بلا قيد ، ولا شرط ، ولا تحفظ على جنس أو لون أو إقليم أو طبقة ، فإنّ الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشده ويقويه ، فلا تناقض بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي تشير إليه الآية الكريمة : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ .



[سورة الحجرات : الآية 10]

ويشير إليه الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) .

[البخاري ومسلم]

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم ربط ربطاً محكماً بين الأخوة الإنسانية وبين الإيمان ، بل جعلها من مقوماته ، فعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)) .

[رواه البخاري ، ومسلم]

وفي رواية : وحتى يكره له ما يكره لنفسه ، وقد ذكر بعض شُرَّاح الحديث أن كلمة أخيه في الحديث لم تُقيد بصفة تحدُّ إطلاقها والمُطلق في النصوص المحكمة على إطلاقه .

إذاً فالأخوة التي قصدها المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الأخوة الإنسانية 0

لقد طبَّق الإسلامُ هذا الإخاء الرفيع ، وأقام على أساسه مجتمعاً ربانياً إنسانياً فريداً ، اضمحلَّتْ فيه فوارق الجنس واللون والقبيلة والطبقة .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**سلمان منا أهل البيت**)) .

[الحاكم في المستدرك ، والطبراني في المعجم الكبير عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده]

و : ((**نِعْم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**)) .

[كشف الخفاء للعجلوني]

ومن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة ؛ مبدأ **المساواة** الإنسانية ، فقد قرره الإسلام ونادى به ، وهو ينطلق من أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان ، لا من أي حيثية أخرى ، قال تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ .

[سورة الحجرات : الآية 13]



02 - خطبة حجة الوداع

لقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع خطبة جامعة مانعة تضمنت مبـــادئ إنســـانية سيقت في كلمات سهلة سائغة ، كيف لا وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامـــع الكلـــم ، فلقـــد استوعبت هذه الخطبة جملة من الحقائق التي يحتاجها العالم الشارد المعذب ليرشد ويسعد ، قال تعالى : ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾ .

[سورة طه : الآية 123]

إن الله جل وعلا ربَّى محمداً صلى الله عليه وسلم ليُربِّيَ به العرب ، وربّى العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ليُربِّيَ بهم الناس أجمعين قال تعالى : ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ .

[سورة الحج : الآية 78]

فمن المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

1ــ الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز ، على أية حالة تكون ، وفَوْق أيِّ مستوى تتربع عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِـــيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ شَــهْرٍ هَـذَا ؟ قَالُوا : شَهْرٌ حَرَامٌ : قَالَ : ثُمَّ قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَدٌ حَرَامٌ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْـنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ ، هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))** .

[رواه أحمد]

2 ــ النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها مؤمنة بوعده ووعيده مؤمنة بأنه يعلم سرَّها وجهرها ، لأن النفس الإنسانية تدور حول أثرتها ، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها ، فربما بنت مجدها علـــى أنقاض الآخرين ، وبنت غناها على فقرهم ، وبنت عزها على ذلهم ، بل ربما بنــت حياتهـــا علـــى موتهم ، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع : ((**...يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ ؟ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : فِي يَوْمٍ حَرَامٍ ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَـــى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا ، أَلَا لَا تَظْلِمُوا ، أَلَا لَا تَظْلِمُوا ، أَلَا لَا تَظْلِمُوا ، إِنَّهُ لَـــا**



يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...)) .

[رواه أحمد عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

3 ــ والمال قوام الحياة ، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس ، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في إعمار الأرض ، وإغناء الحياة ، تجمَّع في أيدٍ قليلة وحُرمت منه الكثرة الكثيرة ، عندها تضطرب الحياة ، ويظهر الحقد ، ويُلجأ إلى العنف ، ولا يلد العنفُ إلا العنفَ ، والربا يُسْهِم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية التي تعود على المجتمع البشري بالويلات ، لهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : ((**أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**)) .

[رواه أحمد عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

4 ــ النساء شقائق الرجال ، ولأن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث أنها مكلفة كالرجل بالعقائد والعبادات والمعاملات ، والأخلاق ومساوية له من حيث استحقاقُها الثواب والعقاب ، وأنها مساوية له تماماً في التشريف والتكريم ، لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : ((**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**)) .

[رواه الترمذي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ]

والنبي صلى الله عليه وسلم قام لجنازة لرجل وصفه القرآن بأنه من أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فلما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال : أليس إنساناً ، لذلك عدّ الإسلام الاعتداء على أية نفس اعتداء على الإنسانية كلها ، كما عدّ إنقاذَ أية نفس إحياء للناس جميعاً، وهذا ما قرره القرآن الكريم بوضوح جلي ، قال الحكيم الخبير : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ .

[سورة المائدة ، الآية 32]



ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً بل أكده عملياً بجملة أحكام وتعاليم ، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس ؛ من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام ، وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج 0

وفي مساجد الإسلام حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية ، وتزول كل الفوارق التي تميِّز بين الناس ، فمَن دخَلَ المسجدَ أَوَّلاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف ، وإن كان أقلَّ الناس مالاً ، وأضعفَهم جاهاً ، ومَن تأخَّر حضورُه تأخّر مكانُه ، مهما يكن مركزه ، فكل الناس سواسية أمام الله ؛ في قيامهم ، وقعودهم ، وركوعهم ، وسجودهم ، ربُّهم واحد ، وكتابُهم واحد ، وقبلتُهم واحدة ، وحركاتُهم واحدة ، وإمامهم واحد 0

وفي مناسك الحج تتحقق المساواة بشكل أشد ظهوراً ، وتتجسد تجسداً تراه العين ، فشعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجرَّدوا من ملابسهم العادية ، ويلبسوا ثياباً بيضاء بسيطة ، غير مخيطة ، ولا محيطة ، أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، يستوي فيها القادر والعاجز ، والغني والفقير ، والملك والمملوك ، ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد : " **لبيك اللهم لبيك**"0

ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولاً وطبقها فعلاً المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع .

الحرام في شريعة الإسلام يَتَّسِم بالشمول والاطِّراد ، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي ، حلال على العربي ، وليس هناك شيء محظور على الملون ، مباح للأبيض ، وليس هناك جواز أو ترخيص ، ممنوح لفئة من الناس ، تقترف باسمه ما طوع لها الهوى ، بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالاً له ، كلا إن الله رب الجميع ، والشرع سيد الجميع ، فما أحل الله بشريعته فهو حلال للناس كافة ، وما حرَّم فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة .

السرقة مثلاً حرام ، سواء أكان السارق ينتمي إلى المسلمين ، أمْ لاَ ينتمي ، وسواء أكان المسروق ينتمي إلى المسلمين ، أم لا ينتمي ، والجزاء لازم للسارق ، أياً كان نسبه أو مركزه .

وقد حاول بعض الصحابة أن يُشَفِّعوا أسامةَ بن زيد ، حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حَبِّه في امرأة من قريش ، من بني مخزوم ، سرقت فاستحقت أن يُقام عليها حدُّ السرقة ، فكلَّمه أسامة فيها ، فغضب عليه الصلاة والسلام غضبته التاريخية المعروفة ، وقال قولته التي خلَّدها التاريخ ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))** .

[البخاري ومسلم]



وكان عمر رضي الله عنه ، إذا أراد إنفاذ أمر، جمع أهله وخاصته ، وقال **لهم** : ((إني أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايمُ الله لا أوتَينَّ بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه ، إلا ضاعفتُ له العقوبة لمكانه مني)) ، فصارت القرابة من عمر مصيبة

03 - قصة جبلة بن الأيهم

وفي خلافته رضي الله عنه وأرضاه ، جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه ، فرَحَّب به عمر أشد الترحيب ، وفي أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوي طرف إزار الملك الغساني ، فيغضب الملك ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشم أنفه ، فما كان من هذا البدوي من فزاره إلا أن توجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب شاكياً ، فيستدعي عمر رضي الله عنه الملك الغساني إلى مجلسه ويجري بينهما حوار صيغ على الشكل التالي : " قال **عمر**: جاءني هذا الصباح ، مشهد يبعث في النفس المرارة ، بدويٌّ من فزارة ، بدماء تتظلَّم بجراح تتكلَّم ، مقلة غارت وأنف قد تهشم ، وسألناه فألقى فادِحَ الوزر عليك ، بيديك ، أصحيح ما ادَّعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال **جبلة** : لست ممن ينكر ، أو يكتم شيئاً ، أنا أدَّبتُ الفتى ، أدركتُ حقي بيدي ، قال **عمر** : أيُّ حقٍ يا ابن أيهم ، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم ، عند غيري جبهة بالإثم والباطل تُلطَم ، نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية ، قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً ، أرض الفتى ، لابد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفك ، قال **جبلة** : كيف ذاك يا أمير المؤمنين ، هو سوقة وأنا صاحب تاج ، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ، كان وهماً ما مشى في خلدي ، أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني . قال عمر : عالم نبنيه ، كل صدع فيه بشبا السيف عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني . قال عمر : عالم نبنيه ، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى " .

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام ، وفَرَّ من المدينة هارباً مرتداً ، ولم يبالِ عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة ، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهونُ بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه ، وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ .



أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات ، ومن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة دعوته إلى **السلام** بأوسع معاني هذه الكلمة ؛ بمعانيها الفردية والجماعية ، والمادية والروحية ، والدنيوية والأخروية .

قال تعالى : ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ .

[سورة المائدة : الآية 16]

إنّ الإنسان ــ أيَّ إنسان ــ في أي زمان ومكان ، مفطور على حبِّ وجوده ، وعلى حبِّ سلامة وجوده ، وعلى حبِّ استمرار وجوده ، وعلى حب كمال وجوده ؛ وبكلمة موجزة : مفطور على حب سلامته وسعادته ، وهذان المطلبان الثابتان لدى أي إنسان لا يتحققان إلا حينما يطبق منهج الذي خلقه ، فهو خبير بأسباب سلامته وسعادته ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ .

[سورة البقرة : الآية 21]

وقال عزو جل : ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ .

[سورة فاطر : الآية 14]

وأين نجد منهج الذي خلقنا ، وهو الخبير بأسباب سلامتنا وسعادتنا ، إننا نجده في كتابه العزيز ، وسنة نبيه الكريم في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي يهدي للتي هي أقوم ، وهو هدىً وبيان وموعظة وبرهان ، ونور وشفاء ، وذِكْر وبلاغ ووعد ووعيد ، وبشرى ونذير ، يهدي إلى الحق ، وإلى الرشد ، وإلى صراط مستقيم ، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فيه تبيان لكل شيء وهو شفاء لما في الصدور ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ؛ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، لا يشبع منه العلماء ، ولا يَخلق عن كثرة الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه ، مَن قال به صدق ، ومَن حكم به عدل ، ومَن عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ، قال تعالى : ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ .

[سورة المائدة : الآية 16]

فمَن أراد رضوان الله ، والنعيم المقيم الذي أعده الله للإنسان المستقيم ، فعليه أن يهتدي بهدي القرآن الكريم ــ ولا هدي سواه ــ قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ .

[سورة البقرة : الآية 120]

وقال : ﴿**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**﴾ .

[سورة آل عمران : الآية 73]

وقال : ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ .

[سورة يونس : الآية 32]



فيعتقد بما جاء به القرآن ،وعليه أن يحل حلاله ، وأن يحرم حرامه ، قال تعالى : **﴿كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾** .

[سورة الأحزاب : الآية 36]

عندئذ يهديه الله سبل السلام ؛ بأوسع معاني هذه الكلمة ، يهديه سبل السلام مع نفسه ، فلا كآبة ، ولا انقباض ، ولا شعور بالذنب ، ولا حسرة ، ولا ندم ، ولا سقوط.

ويهديه سبل السلام مع أهله ، فلا شقاء ولا شقاق ، ولا عقوق ولا عصيان ، ولا تفكك ولا انهيار ، ولا مذمة ولا عدوان .

ويهديه سبل السلام مع مجتمعه ، فلا عداوة ولا بغضاء ، ولا إثم ولا عدوان ، ولا إحباط ولا إخفاق ، ولا مكر ولا كيد .

ويهديه سبل السلام مع ربه ، فلا حجاب ولا نكوص ، ولا جفوة ولا فتور ، ولا غضب ولا سخط .

هذا على المستوى الفردي ؛ فماذا على المستوى الجماعي ؟ قال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** .

[سورة الأنفال]

قال علماء التفسير : ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبَّقة في مجتمع ما ؛ مطبقة في بيوتهم ، وفي أعمالهم ، وفي تجارتهم ، وفي أفراحهم ، وفي أتراحهم ، وفي حلّهم ، وفي ترحالهم ، وفي علاقاتهم ، فهم في مأمنٍ من عذاب الله بكل أنواعه ومستوياته ، قال أحكمُ الحاكمين : **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾** .

[سورة النساء]

وقال عزَّ من قائل : **﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا*لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾** .

[سورة الجن : الآية 16-17]

وقال أيضًا : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾** .

[سورة المائدة]

وماذا عن المستوى الدولي ؟ الأمة التي تطبق منهج الله ، يهديها الله سبل السلام ، فيجعلها الله مستخلفة ، ممكنة ، آمنة مطمئنة ، قال تعالى مذكِّرًا بهذه الحقيقة : **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي**



ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

[سورة النور : 55]

والأمة التي لا تطبق منهج الله في حياتها تنطبق عليها هذه الآية الكريمة انطباقاً كاملاً ، قال تعالى : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾** .

[سورة مريم : الآية 59]

هذا عن سبل السلام في القرآن الكريم ، فماذا عن سبل السلام مع الجيران ؟

إن السلام الذي نُدعَى إليه نحن حريصون عليه ، راغبون فيه على أن يكون سلاماً عادلاً ، تسترد قبله الأرض ، وتؤدَّى معه الحقوق وتتوافر فيه الكرامة ، هذا بَعد أن نستوعب مضمونَ الآية الكريمة وأن نعمل بها : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** .

[سورة محمد : الآية 7]

ونحن ندعو العالم العربي والإسلامي إلى مزيد من الوعي واليقظة والتماسك وإزالة أسباب الخلافات فيما بين المسلمين حتى يتفرغوا بحق لمواجهة المكائد والمؤامرات التي تحاك ضدهم وضد دينهم وضد مستقبل أبنائهم فضلاً عن حاضرهم وتراثهم .

وإن تعنُتَ إسرائيل أوصلَ عمليةَ السلام إلى طريقٍ مسدودٍ ، كما قال السيدُ الرئيسْ في لقائه مع الرئيس الفرنسي فهي ترفض رفضاً مطلقاً كلَّ مقومات السلامِ وتنهج نهجَ المراوغةِ والخداعِ ، وتستفزّ الضميرَ الإسلاميَ والعربيَ والإنسانيَ بإنشاءِ مزيدٍ من المستوطناتْ ، ويضيف السيدُ الرئيسُ قائلاً : إن الخلاص يكون في الإسلام الذي عندما كنا متمسكينَ به ، لم يستطع أحدٌ أن يُذلَّنا ، الإسلام دين الحق والعدالة و المساواةِ بين البشر ، الإسلام مصدُر قوةٍ لنا جميعاً ، إن هذا يفرض علينا أن نناضلَ بكل قِوانا وبصدقٍ و إخلاصٍ لحماية الدين الحنيفِ من هذه المؤامراتِ الاستعماريةِ لنحفظ له مهابتَه وجلالَه وليبقى مصدر عزة و قوةٍ للمسلمين و ليبقى حافزاً لتقدُّمِهم في كل مجال ، ويضيف السيد الرئيس قائلاً : العالمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّلُه من قيمٍ نبيلةٍ ، وما يدعو إليه من أخوةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية ، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن دينِنا فإن لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ومصدر إلهام في مواجهةِ كلِّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتْ 0

أيها الإخوة ... حضوراً ومستمعين ، خَطَبَ النَّبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم يَوْماً فَقَالَ في خُطْبَتِهِ : **((أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يأكلُ مِنْهَا الْبرّ والْفَاجر ، ألاَ وإنّ الآخِرَةَ أجلٌ صَادِقٌ ، يَقْضِي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، ألاَ وإنَّ الْخَيْرَ كُلَّه بِحَذَافِيرِهِ في الْجنَّةِ ، ألاَ وإنَّ الْشّرَ كُلَّه بِحَذَافِيرِهِ في النّارِ، ألاَ فاعْلَمُوا**



، وأنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذر ، واعْلَموا أنَّكُمْ مُعْرَضون عَلَى أعمَالكم ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَه ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه)) .

[رواه بهذا اللفظ الشافعي في الأم ، والبيهقي في السنن الكبرى عن شداد بن أوس]

04 - زلازل الدنيا وزلزلة الساعة

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ**)) .

[البخاري]

ففي كل حين نسمع في الأخبار أن زلزالاً وقع في بلد ، وزلزالاً وقع في بلد آخر ، وأن هذه الأخبار تتقارب ، وتتعاظم درجات هذه الزلازل ، وتودي بحياة بضع عشرات من الألوف ، وأن كثرتها وشدتها مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، إن هذه الزلازل من وظائفها أنها تعطينا معنى الزلزلة الكبرى ، التي أوعد الله بها ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ .

[سورة الحج : الآية 1]

إنّ الأرض من أكثرُ الكواكب في المجموعة الشمسية كثافةً ، فكثافة الأرض تزيد على كثافة الماء بخمسة أضعاف ويفسِّر العلماء الزلزلة ، بأنها حركةٌ في باطن الأرض ، بحيث ينشأ عنها ضغطٌ هائل ، لا تحتمله قشرة الأرض ، عندئذٍ تتصدَّع هذه القشرة . وهذا التصدُّع في قشرة الأرض هو الزلزال الذي نستمع إلى أخباره من حينٍ إلى آخر. علماً بأن هذه القشرة يزيد سمكها عن تسعين كيلو متراً ، وهي من صخور البازلت ، وهذه الصخور من أقسى أنواع الصخور ومع ذلك تتصدع ، فما هذا الضغط من باطن الأرض الذي يصدع قشرة من البازلت يزيد سمكها على تسعين كيلو مترا هذا طرفٌ من معنى أن الله قوي ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ .

[سورة الذاريات : الآية 58]

ويقول بعض العلماء الزلازل : هناك زلازل حدث في الصين ، في عام ألف وخمسمائة وستة وخمسين ، أودى بحياة ثمانمائة وثلاثين ألفاً في ثوانٍ ، وفي عام ألف و سبعمائة وسبعة وثلاثين حدث زلزال في الهند ، أودى بحياة مائة وثمانين ألفاً ، وفي عام ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين



حدث زلزال في اليابان ، أودى بحياة مائة ألف ، وفي عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين ، حدث زلزال في الصين ، أودى بحياة مائة ألف ، وحدث زلزال بإيطاليا أودى بحياة خمسة وثلاثين ألفاً ، ثوانٍ معدودة ، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾.

[سورة الحج : الآية 1]

سألوا عالماً كبيراً من علماء الزلازل : هل يمكن بما أوتينا من علم متقدم ، أن نتنبأ بالزلزال قبل وقوعه ولو بربع ساعة ؟ قال : لا ، إلا أن حيوانات كثيرة في مقدمتها من يضرب المثل بغبائه يشعر بالزلزال قبل وقوعه بربع ساعة ذلك لأن هذه الحيوانات ليست مكلفة كالإنسان وليست مقصودة بالزلزال .

قال تعالى : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ .

[سورة الأحزاب : الآية 72]

قال عزوجل : ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾

[سورة الزلزلة : الآية 1]

، زلزلت أيْ تحرَّكتْ تحرُّكًا شديدا ، واضطربت ، زلزالها : العظيم ، والكبير ، والأخير ، الذي ليس بعده زلزال ، وذلك عند قيام الساعة ، وما هذه الزلازل في الأرض إلا نماذج مصغرة ومحدودة ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ .

[سورة الزلزلة : الآية 2]

وهو الإنسان : المخلوق الأول الذي خلق لجنة عرضها السماوات والأرض ، لأنه قبل حمل الأمانة فسخر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ، وجعله خليفته في الأرض ، فإنْ سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة ، وإنْ سمتْ شهوتُه على عقله كان دون الحيوان ، ﴿**وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا**﴾ .

[سورة الزلزلة : الآية 3]

تعجباً وخوفاً ، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ .

[سورة الزلزلة : الآية 4]

ما عمله الإنسانُ على وجه الأرض من خير أو شر ، ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ .

[سورة الزلزلة : الآية 5]

أقْدَرَها على الكلام ، وأذِن لها فيه ، وأمرها به ، ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا**﴾ .

[سورة الزلزلة : الآية 6]



فرادى ، متفرقين ، فلا تجمعات ، ولا تكتلات ، ولا تناصر على باطل ، ولا هيمنة ، ولا غطرسة ، ولا تعالي ، قال عزوجل : ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ .

[سورة يس : الآية 65]

قال تعالى : ﴿**لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ .

[الزلزلة]

أيْ مقدار ذَرَّةٍ ، وهي الجزء الذي لا يتجزأ ، ﴿ **خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ .

[الزلزلة]

، يجد جزاءه وعاقبته .

وردَ مِن حديث عبد الله بن عمرو الذي أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((**أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الر فَقَالَ كَبُرَتْ سِنِّي وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَغَلُظَ لِسَانِي قَالَ فَاقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حاميم فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَقَالَ : اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ الْمُسَبِّحَاتِ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً فَأَقْرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ الرَّجُلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ مَرَّتَيْنِ**)) .

[أبو داود والنسائي، وأحمد ، والحاكم]

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به ، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة ، وقلب فارغ من محبة الله ، والشوق إليه ، والأنس به ، وبدن معطل عن طاعته وخدمته ، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب ، وامتثال أوامره ، ووقت معطَّل عن استدراك فارط ، أو اغتنام برٍّ وقُربة ، وفكرٌ يجول فيما لا ينفع ، وخدمةُ من لا تقربك خدمته إلى الله ، ولا تعود عليك بصلاح دنياك ، وخوفُك ورجاؤك
لمَن ناصيته بيد الله ، وهو أسير في قبضته ، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان ، وهما أصل كل إضاعة ؛ إضاعة القلب ، وإضاعة الوقت ، فإضاعةُ القلب مِن إيثار الدنيا على الآخرة ، وإضاعةُ الوقت مِن طول الأمل ، فاجتمع الفسادُ كلُّه في اتباع الهوى وطول الأمل ، والصلاحُ كله في اتباع الهدى والاستعداد للِّقاء ، والله المستعان .



العجب ممَّن تعرِضُ له حاجة فيصرف رغبته وهمَّته فيها إلى الله ليقضيها لـــه ، ولا يتصـــدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض ، وشفائه مِن داء الشهوات والشبهات ، ولكن إذا مات القلبُ لم يشعر بمعصيته .



الباب الخامس : موضوعات في السيرة



01 - في ذكرى مولد الرسول

في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن نعرفه ، أو أن نزداد معرفة به ، لأن معرفته جزء من الدين ، فقد قال الله تعالى :

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾

(سورة المؤمنون)

أيها الأخوة الكرام ، سيكون محور هذه الخطبة الأولى ما قاله فيه خصومه قديماً وحديثاً ، وقد قيل : " والفضل ما شهدت به الأعداء " ، فهذا النضر بن الحارث ، وقد كان من سادة قريش ، وكان من أكبر المعارضين للنبي صلى الله عليه وسلم ، ألقى يوماً خطاباً في جمع من قريش ، وقال : " يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم به بحيلة بعد ، كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم خلقاً ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاء بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا ، والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وعقدهم ، وقلتم : كاهن ، لا ، والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا ، والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا ، والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة ، ولا وسوسة ، ولا تخليطة ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم .

موقف هرقل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

ولنسمع أيها الأخوة إلى حوار جرى بين هرقل ملك الروم وبعض زعماء قريش من المعارضين للنبي عليه الصلاة والسلام ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ :

((أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تِجَاراً بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَباً ، فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، وَقَرِّبُوا



أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ : إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ ، فَوَ اللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِباً لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا ، قَالَ : وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، يَنَالُ مِنَّا ، وَنَنَالُ مِنْهُ ، قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالصِّلَةِ ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ : سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ : هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ : رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ : رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَأَلْتُكَ : أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ : أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ : بِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، ﴿وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، قَالَ



أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ ، وَأُخْرِجْنَا ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا : لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَمَا زِلْتُ مُوقِناً أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ ، وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ ، وَهِرَقْلَ سُقُفّاً عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْماً خَبِيثَ النَّفْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ : قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ : وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً ، يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ قَالُوا : لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ : اذْهَبُوا ، فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ : هُمْ يَخْتَتِنُونَ ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا ، فَغُلِّقَتْ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ ، وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ ، قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفاً أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُ ، فَسَجَدُوا لَهُ ، وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ)) .

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ]

أيها الأخوة الأحباب ، كلمة أقولها : لو أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهموا الإسلام كما يفهمه عامة المسلمين اليوم ما خرج الإسلام من مكة :

((فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ)) .

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ]



أقوال في النبي محمد لكتّاب وباحثين غربيين :

أيها الأخوة الكرام ، يقول أحد كتاب السيرة الغربيين : كان محمد عابداً متحنثاً ، وقائداً فذاً ، شيد أمة من الفتات المتناثر ، وكان رجل حرب يضع الخطط ، ويقود الجيوش ، وكان أباً عطوفاً ، وزوجاً تحققت فيه المودة والرحمة والسكن ، وكان صديقاً حميماً ، وقريباً كريماً ، وجاراً تشغله هموم جيرانه ، وحاكماً تملأ نفسه مشاعر محكوميه ، يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم ، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل ، وتغلغلت في كيانه كله ، ورأى الناس الرسول الكريم تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها ، ورأوها متمثلة فيه ، ولم يقرؤوها في كتاب جامد ، بل رأوها في بشر متحرك ، فتحركت لها نفوسهم ، وهفت لها مشاعرهم ، وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم كل بقدر ما يطيق ، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل ، وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي ، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به .

يقول الباحث البريطاني كارييل : إن التشكيك في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه يعد اليوم عاراً كبيراً ، وإن علينا الرد على مثل هذه الآراء غير الصحيحة ، والأقوال التي لا معنى لها ، فعلى الرغم من مرور القرون على بعثة هذا النبي ما يزال مئات الملايين من المسلمين في العالم يستضيئون بنور الرسالة .

ويقول أستاذ جامعي أميركي : لقد أدرك محمد صلى الله عليه و سلم ــ نصلي عليه طبعاً ــ أهمية الاتحاد وعلو منزلة المجتمع الموحد في بعثته الإسلامية ، وبذلك زرع بيديه بذور الاتحاد والمودة في نفوس المسلمين ، وسقاها وتعهدها بالرعاية حتى أعطت ثماراً حلوة المذاق .

ويقول ميلر الكاتب البريطاني المعروف : إن بعض الديانات تهتم بالجوانب الروحية من حياة البشر ، وليس لديها في تعاليمها أي اهتمام بالأمور السياسية والقانونية والاجتماعية ، ولكن محمداً ببعثته وأمانته الإلهية كان نبياً ، وكان رجل دولة ، ومقنناً ، أي واضعاً للقوانين ، وقد اشتملت شريعته على أحكام وقوانين مدنية وسياسية واجتماعية .

ويقول الكاتب والباحث الغربي ريتين : منذ بزوغ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وسطوع شمس الإسلام أثبت هذا النبي أن دعوته موجهة للعالمين ، وإن هذا الدين المقدس يناسب كل عصر ، وكل عنصر ، وكل قومية ، وأن أبناء البشر في كل مكان ، وفي ظل أيّ حضارة لا غنى لهم عن هذا الدين الذي تنسجم تعاليمه مع الفكر الإنساني .



ويقول المسيو جان الكاتب والعالم السويسري المعاصر : لو أمعنا النظر في أسلوب حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً على بعثته لتمكنا من فهم كنه العلاقة التي تشد ملايين الناس في العالم لهذا الرجل العظيم ، والتي جعلتهم وتجعلهم يضحون من أجله ، ومن أجل مبادئه الإسلامية السامية بالغالي والرخيص .

سيدنا محمد كما يراه المفكرون في الغرب :

أما الفيلسوف الروسي تولستوي الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتصوف فقد انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر ذلك واضحاً على أعماله فيقول في مقالة له بعنوان : "مَن هو محمد ؟" : إن محمداً ﷺ هو مؤسس ورسول ، وكان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال .

ويقول عنه أيضاً : ليس هناك من شك في أن محمداً صلى الله عليه وسلم قدم ببعثته خدمة كبيرة للبشرية فهي فخر وهدى للناس ، وهي التي أرست دعائم الصلح والاستقرار والرخاء ، وفتحت طريق الحضارة والرقي للأجيال ، وبديهي أن ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم عمل عظيم لا يفعله إلا شخص مقتدر ذو عزم رصين ، ومثل هذا الشخص وبلا شك يستحق كل إكرام وتقدير واحترام .

ويقول مفكر آخر رفع لواء أنه لا إله يقول : الحقيقة أن محمداً قد جاء برسالة لا يمكن إنكارها ، وهي خلاصة الرسالات السابقة ، بل وتعلو عليها ، بناء على هذا فإن رسالته للعالم دستور ثابت ، وما جاء به محمد وأقواله تنسجم وذوق البشر ، وإدراك بني الإنسان في هذا العصر .

وكم هو جميل ما قاله العالم الإيطالي واكستون قال : لو سألني أحدهم فقال : من هو محمد الذي تمدحه كل هذا المديح ؟ لقلت له بكل أدب واحترام : إن هذا الرجل المشهور ، وإن هذا القائد الذي لا نظير له وعلاوة على كونه مبعوثاً من الله هو رئيس حكومة إسلامية كانت ملجأ وملاذاً لكل المستضعفين والمسلمين ، وحامية لمصالحهم الاجتماعية ، فإن محمداً الذي يعد باني ومؤسس تلك الحكومة كان قائداً سياسياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى .



سيدنا محمد كأعظم شخصية عرفها التاريخ بشهادة مؤرخين وكُتّاب غربيين :

ويقول الكاتب الفرنسي كورسيه : عندما نهض محمد بدعوته ، وقبل وبعد انطلاق بعثته كان شاباً شجاعاً شهماً ، يحمل أفكاراً تسمو على ما كان سائداً من أفكار في مجتمعه ، وقد تمكن محمد صلى الله عيه وسلم بسمو أخلاقه من هداية عرب الجاهلية المتعصبين الذين كانوا يعبدون الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وفي ظل حكومته الديمقراطية الموحدة تمكن من القضاء على كل أشكال الفوضى والاختلاف والاقتتال التي كانت شائعة في جزيرة العرب ، وأرسى بدل ذلك أسس الأخلاق الحميدة محولاً المجتمع العربي الجاهلي المتوحش إلى مجتمع راق ومتحضر .

وهذا المؤرخ الأوربي جيمس يقول في مقال تحت عنوان " الشخصية الخارقة " عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية ، وفي الشرق كله ، فقد حطم الأصنام بيده ، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بالله وحده .

ويقول الفيلسوف الفرنسي كارديفو : إن محمداً ﷺ كان هو النبي الملهم والمؤمن ، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها ، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد ﷺ بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عملياً حتى على النبي ﷺ نفسه .

ويقول الفيلسوف البريطاني توماس كارليل ، وقد خصص من كتابه فصلاً لنبي الإسلام بعنوان : " البطل في صورة رسول " ، عدّ فيه النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ ، وقد ردّ هذا المؤلف مزاعم المتعصبين فقال : يزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا والله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتورد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجىً وإربة ونهياً وأفكاراً غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، كيف لا ، وتلك نفس صامتة ، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين .

ويقول مؤلف كتاب المئة الأوائل في تاريخ البشرية ، وقد وضع محمد بن عبد الله على رأس المئة الأوائل في التاريخ البشري : هو الإنسان الأول من بين المئة الأوائل في تاريخ البشرية كلها من حيث قوة التأثير ، ومن حيث نوع التأثير ، ومن حيث امتداد أمد التأثير ، ومن حيث اتساع رقعة التأثير .



جانب من شخصية النبي العظيم كما وصفه كتُّاب السيرة من المسلمين :

ويقول كتاب السيرة من المسلمين يصفون شخصية النبي ﷺ التعاملية ، أي يصفون جانباً من شخصيته : " لقد كان صلى الله عليه وسلم جمّ التواضع ، وافر الأدب ، يبدأ الناس بالسلام ، ينصرف بكله إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً ، يكون آخر من يسحب يده إذا صافح ، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين ، وإذا جلس جلَس حيث ينتهي به المجلس ، لم يُرَ ماداً رجليه قط ، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار ، وكان يذهب إلى السوق ، ويحمل بضاعته ، ويقول : أنا أولى بحملها ، وكان يجيب دعوة الحر والعبد والمسكين ، ويقبل عذر المعتذر ، وكان يرفو ثوبه ، ويخسف نعله ، ويخدم نفسه ، ويعقل بعيره ، ويكنس داره ، وكان في مهنة أهله ، وكان يأكل مع الخادم ، ويقضي حاجة الضعيف والبائس ، يمشي هوناً ، خافض الطرف ، متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، لا ينطق من غير حاجة ، طويل السكوت ، إذا تكلم تَكلم بجوامع الكلم ، وكان دمثاً ، ليس بالجاحد ولا المهين ، يعظم النعم وإن دقت ، ولا يذم منها شيئاً ، ولا يذم مذاقاً ، ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ، ولا ما كان لها ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، إذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض بصره ، وكان يؤلف ولا يفرق ، يقرِّب ولا ينفر ، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، يحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، ولا يقصر عن حق ولا يجاوزه ، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو ما يسره من القول ، كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ولا مزاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يخيب فيه مؤمله ، كان لا يذم أحداً ، ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه ، يضحك مما يضحك منه أصحابه ، ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر على الغريب وعلى جفوته في مسألته ومنطقه ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه" ، والحديث عن شمائله صلى الله عليه وسلم حديث يطول لا تتسع له المجلدات ولا خطب في سنوات ، ولكن الله جل في علاه لخصها بكلمات فقال :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

(سورة القلم)



وأجـــمل منك لم ترَ قط عين و أكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عــيب كأنـــك قد خلقت كما تشاء

* * *

و أســـدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوقت الرقاب
لقد وضـــــعته وهاجاً منيراً كما تلد السماوات الشهاب

* * *

02 ـ الحكمة من تذكية الذبيحة

من دلائل نبوة النبي هذا الموضوع العلمي : تذكية الذبيحة، وبحسب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم هي الذبح بطريقة معينة ، ويتم ذلك بقطع الوريد الرئيسي فقط ، وأن يمتنع الذابح عن قطع الرأس بالكامل ، ولم يكن في محيط النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في الجزيرة العربية ، ولا في مراكز الحضارات شرقاً وغرباً من معطيات علمية تسمح بتعليل ذلك التوجيه ، بل ولا في العصور التي تلت عصره صلى الله عليه وسلم، إلى أن اكتُشِف أخيراً قبل بضعة عقود من الزمن أن القلب ــ قلب الإنسان وقلب الذبيحة ــ ينبض بتنبيه ذاتي يأتيه من مركز كهربائي في القلب ، ومع هذا المركز الأول مركزان كهربائيان احتياطيان لهذا المركز ، يعمل الثاني عند تعطل الأول ، ويعمل الثالث عند تعطل الثاني ، ولكن هذا التنبيه الذاتي الذي يأتي من القلب يعطي النبض الطبيعي ثمانين نبضة مثلاً ليس غير ، أما حينما يواجه الكائن خطراً ، ويحتاج إلى مئة وثمانين نبضة في الدقيقة لتسرع الدم في الأوعية ، وليرتفع الجهد العضلي بزيادة إمداده بالدم فلا بد عندئذ من أن يأتي أمر استثنائي كهربائي هرموني من الغدة النخامية في الدماغ إلى الكظر ، ثم إلى القلب ، وهذا يقتضي أن يبقى رأس الدابة متصلاً بجسمها حتى يُفَعل الأمر الاستثنائي برفع النبض .

أيها الأخوة الأحباب ، إن نبضات القلب الاستثنائية بعد الذبح من خلال وجود علاقة بين المخ والقلب تدفع الدم كله إلى خارج الجسم فيصير الحيوان المذبوح طاهراً وردي اللون ، ومعلوم أن مهمة القلب عند ذبح الحيوان هي إخراج الدم كله من جسم الدابة ، والنبض الطبيعي لا يكفي لإخراج الدم كله من جسم الذبيحة ، فإذا قطع رأس الذبيحة بالكامل حرم القلب من التنبيه الاستثنائي الكهربائي الهرموني الذي يسهم في إخراج الدم كله من الذبيحة ، عندئذ يبقى دم الدابة فيها ، ولا يخفى ما في ذلك من أذى يصيب آكلي هذه الذبيحة ، فإذا بقي دم الدابة فيها كان خطراً على صحة



الإنسان ، لأن الدم في أثناء حياة الدابة يصفى عن طريق الرئتين والكليتين والتعرق ، أما بعد الذبح فيصبح الدم بيئة صالحة لنمو الجراثيم الفتاكة حيث تسري الحموض السامة التي تؤذي الإنسان بسبب وجودها في جسم الحيوان ، وبهذا يتسمم اللحم كله ، وبوجود حمض البول في الدم ، وبوجود الدم في اللحم يسري هذا كله إلى آكل هذه الذبيحة ، فإذا أكل الإنسان هذا اللحم يعاني من آلام في المفاصل ، لأن حمض البول يترسب في تلك المفاصل ، لذلك فتذكية الذبيحة تطهيرها بخروج الدم منها ، ولا يخرج الدم كله من الذبيحة إلا إذا بقي الرأس متصلاً بالذبيحة .

أيها الأخوة ، من أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحقائق التي اكتشفت قبل حين حيث أمر أصحابه بقطع أوداج الدابة دون قطع رأسها كما تفعل معظم المسالخ في العالم غير الإسلامي ؟ إن هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام: انهار الدم, وفري الأوداج، لا بد من أن يخرج هذا الدم الذي يحمل كل عوامل المرض من جسم الدابة .

قال العلماء: يميل لون الدابة التي تحتجز الدم في أنسجتها إلى اللون الأزرق، ويتحلل الدم إذا بقي في النسيج العضلي في الدابة، وتخرج منه حموض تؤدي إلى تيبس اللحم وتصلبه, تنفرد الجراثيم الهوائية واللا هوائية بعد ساعات ثلاث بإفساد هذه النسج اللحمية التي بقي الدم فيها، وتنتج عن هذا التفاعل مركبات كريهة الرائحة سامة التأثير, وينتفخ اللحم بالغازات المتولدة, لذلك حينما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا بد من ذبح الدابة من أوداجها, من أجل أن يخرج الدم من جسمها, ويبقى اللحم طاهراً طيباً، من هنا حكمة ربنا عز وجل حين حرم علينا أكل المنخنقة, والموقوذة, والمتردية, والنطيحة, وما أكل السبع، حيث يبقى الدم في بدن الدابة في كل هذه الحالات, وفي الدم كل عوامل المرض, وعوامل التفسخ, وعوامل التصلب, وعوامل الانتفاخ، فلا بد من أن يكون اللحم مذبوحاً بالطريقة الشرعية، لكن النبي عليه الصلاة والسلام استثنى السمك من شرط انهار الدم، والذي يلفت النظر أن السمك حينما يصطاد, وحينما يفارق الحياة يتجمع دمه كله في غلاصمه, وكأنه ذبح.

أيها الأخوة الأكارم, النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى, فحينما أمرنا بهذه السنن, إنما تنطوي هذه السنن على حكمة, يكشف العلم شيئاً فشيئاً عن أبعادها, وعن دقائقها وعن حكمتها.



الباب السادس : مناسبات دينية



01 - الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج حدثٌ ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، موضوع الخطبة اليوم : ماذا يعلِّمنا الإسراء والمعراج ونحن في ذكرى الإسراء والمعراج ؟

أيها الأخوة الأكارم ، معجزة الإسراء والمعراج حدثٌ ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية سبقته البعثة ، وجاءت من بعده الهجرة ، لقد كان مسحاً لجراح الماضي ، وتثبيتاً لقلب النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتبشيراً له بالمستقبل ، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء ، وعن قسوة الناس بتكريم الملأ الأعلى ، وإشعاراً للنبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الله معه بالرعاية والعناية ، وتكريماً فريداً له مِن دون الأنبياء ، وتعريفاً له بأنه سيد ولد آدم ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وإراءةً له لملكوت الأرض والسماوات ، ولما تؤول إليه الخلائق بعد الممات .

أيها الأخوة الأحباب ، لقد كان الإسراءُ والمعراج تكريماً عظيماً للنبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنْ بعد نجاحٍ باهرٍ في امتحان صعب ، فماذا هذا الامتحان الصعب الذي اجتازه النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى استحق هذا التكريم الفريد ؟ إنه امتحان الطائف .

أيها الأخوة المؤمنون ، إنَّ ما لاقاه النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مختلف ألوان المحن ، ولا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف ، إنما كان مِن جملة أعماله التبليغية للناس ، فكما أنّ النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء يبلِّغنا العقيدة الصحيحة عن الكون وخالقه ، وعن الحياة وحقيقتها ، وعن الإنسان ورسالته ، وعن أحكام العبادات والمعاملات ، وعن مكارم الأخلاق كذلك جاء ليبلِّغ الناسَ عن طريق السلوك العملي أنّ الله كلّفهم بالصبر والمصابرة ، والبذل والمثابرة ، فكما أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّم الناس بأقواله ، كذلك علّمهم بأفعاله ، وكما أنّه قال للناس :

((... **وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي...**)) .

[أخرجه البخاري عن مالك بن الحوريث]

و :

((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**)) .



[أخرجه النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

كذلك قال لهم بلسان حاله : اصبروا كما رأيتموني أصبر ، ونحن بأمَسِّ الحاجة إلى هذا الدرس البليغ ، اصبروا كما رأيتموني أصبر .

الشكوى إلى الله تعالى أعلى أنواع التعبد :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة الإسلام ، ليس بين الصبر على الشدائد والتضرع إلى الله تعالى بالشكوى أو الدعاء أي تعارض أو تناقض ، فالشكوى إلى الله تعالى تعبد وأي أنـــواع التعبد ، إنه أعلى أنواع التعبد ، قال تعالى :

إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّى وَحُزۡنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

(سورة يوسف)

إنّ الضراعة له ، والتذلل على بابه عزَّ وجل يُلْبِسُ العبدَ جلبابَ العبودية ، ولقد علَّمنا النبيُّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته كلا الأمرين ، فكان بصبره الشديدِ على المصائب والمحن يعلِّمنا أنّه على المسلمين عامةً وعلى الدعاة خاصةً أن يصبروا ، وأن يصابروا ، وكان بطول دعاءه ، وضراعته ، والتجائه إلى الله تعالى يعلِّمنا أنّ هذا من لوازم العبوديةِ لله عز وجل ، وهل مِن دعاء أكثرَ دلالة على عبودية النبي صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الدعاء الذي دعاه في الطائف :

((اللهم إني أشكو إليك ضعفَ قوتي ، وقِلَّةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى مَن تكلني ، إلى بعيدٍ يتجهَّمني ، أم إلى عدو ملَّكته أمري ، إنْ لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك التي أشرقتْ له الظلمات ، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، مِن أنْ تنزلَ بيَ غضبك ، أو أن تحلّ عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)) .

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

أيها الأخوة الأكارم ، حقيقة خطيرة ، وهي أنّ النفسَ الإنسانية مجبولةٌ في أصل فطرتها على الإحساس والشعور ، الشعورِ بلذة النعيم ، والشعورِ بألم العذاب ، فهي مجبولة على الركونِ إلى الأول ، والفزعِ من الثاني ، وحينما يوطِّن الإنسانُ نفسَه على تحمُّل كلَّ أنواعِ الضرِّ والعذاب ، وهو يؤدِّي رسالةَ ربه ، مبتغياً بهذا وجهَه ورضوانَه ، لا يعني هذا أنه لا يتألَّم للضرِّ ، ولا يستريح للنعيم



، فالنفسُ مهما تسامتْ لا تخرج عن دائرة بشريَّتها ، ولكن حينما يفضِّل الإنسانُ الضرَّ مهما تكن آلامُه على النعيم مهما تكن لذائذُه إرضاءً لوجه ربه ، وأداءً للرسالة التي أُنِيطتْ به ، عندئذٍ يستحق جنةَ ربِّه إلى أبد الآبدين ، حيث يجد فيها ما لا عينٌ رأيت ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ ، ولولا أنّ النبيَّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ تجري عليه كلُّ خصائصِ البشرِ لَمَا كانَ سيِّدَ البشر .

ما الإسراءُ والمعراجُ في حقيقته إلا ردٌ إلهيٌّ تكريماً على المحنة القاسية :

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، حينما يتأملُ الإنسانُ في سيرة النبي صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه يجد أنه لاقى مِن أذى قومه ما لا يحتمله بَشَرٌ على الإطلاق ، بَيْدَ أنّ الإنسانَ يجدُ أيضاً مع كل نوع من أنواع الأذى ، ومع كلِّ مرحلة من مراحله رداً إلهيّاً على هذا الإيذاء ، مواساةً وتبشيراً وتكريماً وتأييداً ، حتى لا يتجمَّع في النفس من عوامل التألم والضجر ما قد يُدخِلُ إليها اليأسَ ، وما الإسراءُ والمعراجُ في حقيقته إلا ردٌّ إلهيٌّ تكريماً على المحنة القاسية التي كشفتْ حقيقةَ الحرصِ النبويِّ على هداية الخلق ، وكشفتْ صبرَه الجميل على إيذائهم ، وموقفَه النبيلَ والرحيمَ منهم ، حينما عَرَضَ عليه مَلَكُ الجبال أن يُطْبِقَ عليهم الجبلين ، وهو الردُّ الإلهيُّ على دعائه في الطائف ، ولعل معنى قوله تعالى في آخر آية الإسراء :

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

(سورة يوسف)

أي سمِع اللهُ دعاءك يا محمد في الطائف ، وعَلِمَ منك حرصَك على هداية قومك الذين بالغوا في الإساءة إليك .

أيها الأخوة الأكارم في دنيا العروبة الإسلام ، هذا هو الدرس الأول ، أمّا الدرس الثاني فعندما سأله زيد بن حارثة متعجباً : يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتك ؟ فأجابه النبي صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإنَّ اللهَ ناصرٌ نبيَّه ، ومظهرٌ دينَه ، فما كان الله ليتخلى عن دينه ، ولا عن نبيه ، ولا عن المؤمنين ، مهما بدت هجمة أعداء الدين قويةً وشاملةً ، فالباطل عقيدة أو قوة إلى انهيار محقَّق قال تعالى:



وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

دروس الإسراء والمعراج تعلِّمنا أنَّ للمحن والمصائب حِكماً جليلة :

مَن ظنَّ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لا ينصر رسلَه ، ولا يتمّ أمرَه ، ولا يؤيِّد جندَه ، ولا يعليهم ، ولا يظهرهم على أعدائهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه ، مَن ظنَّ ذلك فقد ظنَّ بالله ظنَّ السوء ، ونسبه إلى ما لا يليق بكماله وجلاله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، فإنَّ عزَّته وحكمتَه تأبى ذلك ، ويأبى أن يذلّ أولياءه ، وأنْ يكون النصرُ المستقر والظفر الدائم لأعدائه ، فمن ظن به ذلك فما عرفه ، ولا عرف أسمائه ، ولا عرف صفاته ، سبحانك إنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت .

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين ، ليس القرآنُ كتابَ تاريخٍ ، يروي سيرَ الأنبياء والمرسلين وقصص والأقوام السابقين فحسب ، ولكنه كتابُ هدايةٍ وتعليم ، يقصّ علينا قصصَ الأنبياء والمرسلين ، وهم قِمَمُ البشر ، لنهتدي بدعوتهم ، ونقتدي بسيرتهم ، ويروي لنا أيضاً قصصَ الأممِ السابقة الذين كذّبوا أنبياءهم ، وعاندوا رسلهم ، واعتدوا على بني جلدتهم فاستحقوا غضبَ الله ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وذاقوا وبالَ أمرهم ، لنجتنبَ أسبابَ هلاكهم ودمارهم .

ماذا يعلِّمنا الإسراءُ والمعراجُ ؟ وقائعُه معروفةٌ عندكم ، إنَّ دروس الإسراء والمعراج تعلِّمنا أنَّ للمحن والمصائب حِكماً جليلة ؛ منها أنها تسوق أصحابَها إلى باب الله تعالى ، وتُلبِسهم رداءَ العبودية ، وتلجئهم إلى طلب العون من الله ، إنها تعلِّمنا أنه لا ينبغي أن تصدَّنا المحنُ والعقباتُ عن متابعة السير في استقامة وثبات ، إنها تعلِّمنا أنه ما دام اللهُ هو الآمرُ فلا شكَّ أنَّه هو الضامنُ والحافظُ والناصرُ ، إنَّها تعلِّمنا أنه لولا الجهادُ والصبرُ ما عُبِدَ اللهُ في الأرض ، ولا انتشرَ الإسلامِ في الخافقَيْن ، ولا كنّا في هذا المكان ، وعلى أمواج الأثير نوحِّد اللهَ ، ونسبِّحه ، وندعو إليه ، إنها تعلِّمنا أن اليسرَ مع العسر ، وأنَّ النصرَ مع الصبر ، وأن الفرَجَ مع الكرب ، إنّها تعلِّمنا أيضاً أنّه لا يعدُّ المسلمُ مسلماً إلا إذا انتمى إلى مجموع المسلمين ، وحَمَلَ همومَهم ، وساهَم بشكل أو بآخر في ردِّ العدوان عنهم .



أحاديث شريفة تبين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون :

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) .

[متفق عليه عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

وقال أيضاً :

((الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ نَصَحَةٌ مُتَوَادُّونَ وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ)) .

[أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ والبيهقي في الشعب عن أنس]

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)) .

[متفق عليه عَنْ أَبِي مُوسَى]

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ)) .

[أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ومن أروع الأحاديث قال عليه الصلاة والسلام :

((إِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ)) .

[سيرة ابن هشام]

هذه نقطة مهمة جداً في قانون المسلمين الدولي ، إن سِلْمَ المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم ، فلا يحق لفئة أن تصطلح مع عدو بشكل انفرادي ، هذا وصف دقيق من قبل مبعوث العناية الإلهية لما هم عليه المؤمنون أو لما ينبغي أن يكونوا عليه ، في شتى أقطارهم وديارهم ، من تعاون وتناصر وتعاطف ، فهم كالجسد الواحد نصحة متوادون ، وهم بنيان واحد يشد بعضهم بعضاً ، هم يد على من سواهم ، سلمهم واحدة وحربهم واحدة ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأنصارهم .



أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييس دقيقة نقيس بها إيماننا :

أيها الأخوة الأكارم ، أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييس دقيقة ، نقيس بها إيماننا ، أو هي أهداف نضعها نصب أعيننا ينبغي أن نسعى إليها ، فلابدّ للمسلم الصادق من أن يحمل هموم المسلمين في مختلف أصقاعهم وأنصارهم ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، بل إنَّ تطلعَ المسلم إلى أنْ يكون المسلمون في شتّى أقطارهم أعزةً كرماء ، يملكون أمرهم ومصيرهم ، لهي علامةٌ من علامات إيمانه ، وإنّ حرصَ المسلم على أنْ يكون المسلمون متعاونين متناصرين لهي علامةٌ مِن علاماتِ إخلاصه ، فالفردية طبعٌ ، والتعاملُ الاجتماعيُّ تكليفٌ ، والإنسانُ المؤمن يتعاون مع إخوته المؤمنين بقدر طاعته لله ، وينسلخ منهم ويؤكِّد فرديَّته بقدر تفلُّته مِن منهج الله ، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائصِ طبعِه التي هي في الأصل تُنَاقِضُ التكليفَ ليكون هذا التناقضُ مع التكليف ثمناً للجنة ، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائص طبعه ، ويحملها على طاعة ربه ، يكون قد أخذ بسببٍ مِن أسباب الجنة ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

(سورة النازعات)

أيها الأخوة المستمعون ، أيتها الأخوات المستمعات ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾

(سورة النور الآية : 55) .

قال بعضهم : " فإنْ لم يمكِّنهم فمعنى ذلك أنَّ دينَهم لم يرتضِه لهم " ، ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** ﴾ .



بعض من دلائل نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

لقد أنجز الله وعده للمؤمنين يوم عبدوه حق العبادة ، فأطاعوه ولم يعصوه ، وشكروه ولم يكفروه ، وذكروه ولم ينسوه ، فجعل الله منهم قادةً للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم ثم ماذا كان ؟

1ـ وصف الغي الذي توعد الله به المقصرين وبيّن أسبابه :

قال تعالى :

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا

(سورة مريم)

مِن دلائل نبوة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وصف هذا الغي الذي توعد الله به المقصرين وبين أسبابه ، وكأنه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيننا يرى ما نرى ، ويسمع ما نسمع ، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) .

[أخرجه أبو داود وأحمد عن ثوبان]

هذا وصف دقيق للغي الذي توعد الله به المقصرين ، فالأمم اليوم تدعو بعضها بعضاً لمقاتلة المسلمين ، وكسر شوكتهم ، وسلب ثرواتهم ، وأخذ أموالهم ، واغتصاب أراضيهم ـ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ـ يأخذون منها بلا مانع ولا منازع ، فيأكلونها عفواً وصفواً ، يأخذون ما في أيديهم بلا تعب ينالهم ، أو ضرر يلحقهم ، أو بأس يمنعهم ، فانظروا إلى هذا الوهن الذي هو سر الضعف ، فالناس الشاردون الغافلون عن الله يعيشون عبيداً لدنياهم ، عشاقاً لأوضاعهم الرتيبة ، تحركهم شهواتهم وشبهاتهم ، تسيِّرهم رغائبهم ونزواتهم ، وهذا هو الوهن ، وحينما يكره الإنسان لقاء ربه ويخاف الموت كامناً في كل اتجاه فيفزع من الهمس ، ويألم من اللمس ، يؤثر حياةً يموت فيها كل يومٍ موتات على حياة كريمة عزيزة في كنف رب الأرض والسماوات ، فالعجب كل العجب



أن يكون النور بين أيديهم والرائد نصب أعينهم ، ثم هم يلحقون لاهفين بركاب الأمم الشاردة المنحلة في نهجهم وسلوكهم ، فلا يستطيعون رشاداً ولا يهتدون سبيلاً ، وحالهم :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

* * *

2ـ ذكر ما يصيب المسلمين في آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم :

ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن خلال إعلام الله له أنه ذكر ما يصيب المسلمين في آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم ، وتقصيرهم في طاعتهم لــه ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ؛ لَمْ تَظْهَــرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُــنْ مَضَــتْ فِــي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَــةِ ، وَجَــوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَــا فِــي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)) .

[ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

إنها المعاصي والذنوب ، والمجاهرة بالفواحش والعيوب ، والتعرض لسخط جبار السماوات والأرض ، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ

(سورة الرعد الآية : 11)

وإنه ما حصل البلاء العام في بعض البلاد ، ولا وقعت المصائب المتنوعة ، والكوارث المروعة ، ولا فشت الأمراض المستعصية التي لم يكن لها ذكر في ماضينا ، ولا حُبِسَ القطر من السماء إلا نتيجة الإعراض عن طاعة الله عز وجل ، وارتكاب المعاصي ، والمجاهرة بالمنكرات ، وكلما قلَّ ماءُ الحياء قلَّ ماءُ السماء .



02 - شروط النصر

حاجتنا الشديدة إلى النصر المؤزَّر الذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر :

أيها السادة الأعزاء ، النصر المؤزَّر العزيز الذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر ، ونحن في أمس الحاجة إليه لأننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية ، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم ، وبنوا مجدهم على أنقاض الشعوب ، وغناهم على إفقارهم ، وقوتهم على تدمير أسلحتها ، إنهم يصفون المالِكَ للأرض الطريدَ المشرَّدَ إرهابياً لا حقَّ له ، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً ، ويجعلون اللصَّ الغالبَ على المقدسات ربَّ بيتٍ محترماً ، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعيّ ولكن بالإماتة الجماعية والقهر النفسي ، قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾

(سورة يونس)

هؤلاء المستكبرون ربما طالبوا الشعوب المستضعفة أن تلعق جراحها ، وأن تبتسم للغاصب ، وأن تعد حقها باطلاً ، وباطل غيرها حقاً ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((**كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟** ــ تبدلت القيم ــ **قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون**)) .

[أخرجه ابن أبي حاتم في العلل عن أبي أمامة]



النصر المؤزر لا يتحقق إلا بالإيمان والإعداد :

أيها الأخوة الكرام ، هذا النصر المؤزر العزيز ما سرُّه ؟ من يصنعه ؟ ما العامل الحاسم فيه ؟ إنه الله عز وجل ، وهذا استناداً إلى قوله تعالى :

وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

(سورة آل عمران الآية : 126)

وقوله تعالى :

إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ

(سورة آل عمران الآية : 160)

أي إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ أيها الأخوة الكــرام ، أليس لهذا النصر الذي هو من عند الله قواعد ؟ أليست له شروط ؟ أليس له ثمن ؟ إن هذه القواعد ، وتلك الشروط ، وهذا الثمن يتلخص بكلمتين اثنتين ، الإيمان والإعداد ، فأمّا الإيمان فقد قال تعالى :

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الروم الآية : 47)

وأمّا الإعداد فقال عز وجل :

وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

(سورة الأنفال الآية : 60)



الله تعالى لم يكلفنا أن نعد القوة المكافئة لأعدائنا ولكن كلفنا أن نعد القوة المتاحة :

الإيمان الحق أيها الأخوة هو الذي يحمل صاحبه على طاعة الله والعمل الصالح، والإيمان وحده شرط لازم غير كافٍ . والشيء الثاني : هو الإعداد ، والإعداد هو الذي يستنفد الطاقات ، وهو أيضاً وحده شرط لازم غير كافٍ ، لا بد من الإيمان الحق ، والإعداد الصحيح . الآن دققوا في هذا الاستنباط من قوله تعالى :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

(سورة الأنفال الآية : 60)

إن الله جلا في علاه لم يكلفنا أن نعد القوة المكافئة لأعدائنا ، ولكن كلفنا أن نعد القوة المتاحة وهذا من رحمة الله بنا ، وعلى الله أن ينجز وعده بالنصر ، كما أن من الواجب علينا أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون ، قال تعالى :

وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

(سورة الفتح)

أيها الأخوة الأحباب ، إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضى بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف ، وربما صحت الأجسام بالعلل ، فينتزع المسلمون من هذا الضعف قوةً تحيل قوة عدوهم ضعفاً وينصرهم الله نصراً مبيناً ، قال تعالى :

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

(سورة القصص)



الصدق والإخلاص مع متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سلم الفلاح :

أيها الأخوة الأحباب ، هذه الحقائق المستنبطة من القرآن الكريم ، منهج الله لخلقه، وتلك التوجيهات التفصيلية والتوضيحية التي جاءت بها سنة نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذه المواقف الأخلاقية الرائعة والحكيمة التي وقفها المصطفى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوتنا وقدوتنا ، وتلك البطولات الفذة التي ظهرت من أصحابه الكرام أمناء دعوته وقادة ألويته ، هذه كلها نضعها بين أيدي أبناء أمتنا العربية والإسلامية ، وهي تخوض المعارك تلو المعارك مع أعداءها أعداء الحق والخير ، ولأن البكاء وحده لا يحيي الميت ، ولأن الأسف وحده لا يرد الفائت ، ولأن الحزن وحده لا يدفع المصيبة ، ولكن العمل مفتاح النجاح ، والصدق والإخلاص مع متابعة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سلم الفلاح ، قال الله تعالى :

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

(سورة القصص)

أيها الأخوة المؤمنون ، في الإسلام تشريع ومعاملات ، ولكن المقصود منها تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا ويبرؤوا من الصراع على المتاع الأدنى ، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى وعبادته ، والسعي لمرضاته ، وفي الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض ، والأكل من طيباتها ، ليكون العمل أساس للابتلاء ، والنعمة وسيلة لمعرفة المنعم ، وأداء حقه وشكره ، وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء ، حتى لا تكونَ فتنةٌ ، ويكون الدين لله ، لقد ضَمَّنَ القرآنُ الكريمُ الجهادَ معنًى إنسانياً نبيلاً وفريداً ، وحدَّد له مقاصدَه العليا ، مُنَزَّهَةً عن الهوى ، والأغراضِ الماديةِ العاجلةِ ، والمطامعِ الشخصيةِ والعنصريةِ ، مِن شهوةِ العلوِّ في الأرض ، أو التوسُّعِ فيها ، لتكون هي أمّةً أَرْبَى مِن أُمَّة ، وجعل الإسلامُ الجهادَ وسيلةً رئيسة لترسيخِ القيّم والمُثُلِ العليا في الوجود البشري ، والحفاظ عليها ، وإنّ الإسلامَ لم يجعل الجهادَ مفروضاً في أعلى مراتب الفرضية ، وأعظمها مثوبةً من أجل الدفاع عن الوجود ، أو الحفاظ على مقوماته فحسب ، بل أَوْلاَهُ عنايةً فائقةً ، إذْ جعله سنداً مكيناً لدعوته التي تسعى إلى نشر رسالة السماء إلى الأرض ، لتتحقّق خلافةُ الإنسان فيها عن طريق التمسُّك بمبادئ الحق والخير ، وقيمِ العدل والإحسان ، فجعل الإسلامُ الجهادَ خالصاً ومخلصاً لوجه الله تعالى



، وابتغاءِ مرضاته ، ومرضاتُه لا تتمّ إلا إذا سادت تعاليمُه ، وَعَلَتْ في الأرض مُثُلُه حتى لا تكونَ فتنةٌ ، ويكون الدينُ لله ، ولا أَدَلَّ على صحةِ هذه المبادئ وتلك المفاهيم مِن هذه السعادة التي تملأ جوانحَ الإنسان حينما يكتشفُ سرَّ وجوده ، وجوهرَ رسالته ، وينطلق في طريق الهدف الكبير الذي خُلِقَ مِن أجله .

03 - المسجد الأقصى

أهمية المسجد الأقصى للمسلمين وما يتعرض له هذه الأيام :

اليومَ يتعرّضُ المسجدُ الأقصى موطِنُ أبيكم إبراهيمَ ، ومتعبَّد الأنبياء السابقين ، ومَسْرى خاتم النبيين ، المسجدُ الذي نَوَّهَ اللهُ به في الآيات المفصلة وتُلِيَتْ فيه الكتبُ المنزَّلةُ ، أُولَى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالثُ الحرمين الشريفين ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ ، مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**)) .

[متفق عليه عن أبي هريرة]

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ببركات الدين والدنيا ، والذي أضحى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصية المعنوية للمسلمين ، هذا المسجد الذي ورد ذكرُه في القرآن الكريم ، وقبة الصخرة الذي تمَّ منها عُروجُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى ، قال عز وجل :

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة النجم)

حيث يتعرّضُ المسجدُ الأقصى اليومَ إلى محاولة تهويده ، وجعلِه عاصمةً أبديةً للكيان الصهيوني مع القدس ، وفي وصف القرآنِ الكريمِ المسجدَ الأقصى بالبركةِ إيماءٌ قويٌّ للعرب حَمَلَةِ رسالةِ الإسلام ، وإلى المسلمين في مشارقِ الأرض ومغاربِها أنّه مفروض عليهم الحفاظ عليه ، وقد بارك اللهُ حولَه أنْ يحفظ له هذه البركة ، ومتى اعتُدِيَ عليها فعليهم أنْ يصطلحوا مع الله أولاً ،



ويُعِدُّوا لعدوِّهم ما يستطيعون من قوةً ثانياً ، كي يحرِّروه ، ويحرِّروا ما حوله مِــن أيــدي الغــزاة المغتصبين ، ويُحْيُوا بتحريره سيرةَ فاتحيه ؛ عمرَ بنِ الخطاب وصلاحِ الدين الأيوبي ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله .

القدس وما تتعرض له من أذى وتدمير :

وأنتِ يا مدينةَ القدس ، إنكِ عبق التاريخ الإسلامي ، إنك أريجه الفوَّاح ، شذى الرسالات السماوية ، أضاء أرجاءَك قبسُ الإيمانِ ، وتبارك ثراكِ بمسرى سيدِ الأنام ، تمتلئ قلوبُ المســلمين اليوم شجناً وحزناً ، وتفيض الدموعُ أسًى وحسرةً ، وهي ترى مئات الحواجز تَحُــولُ دونَهــا ودون الوصول إلى أُولَى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، إلى مسرى نور الهداية ، سيدنا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كم يتُوقُ المسلمُ للصلاة خشوعاً لله في هذا المسجد الأقصى ، لكنَّ المشهدَ مأساويٌّ ، والمصابَ جَلَلٌ ، فالقدسُ ما زالت أسيرةَ الصهيونية الغادرة ، وما زالت مهدَّدةً بالتهويد ، وبطمــس معالمها الإسلامية ، بل والأدهى من ذلك أنَّ الصهاينةَ خطَّطوا لهدم المسجد الأقصى ، وكم تَعَــرَّض هذا المسجدُ لمحاولات الحرق والهدم ، كم هي خطيرةٌ تلك الأنفاق التي شقَّها الأعداءُ تحت المســجد فَعَرَتْ أساسَه وعرَّضتْها للخطر ، كم هو خطير مخطط التهويد .

أيها الأخوة الأكارم ، حينما تُسْلَبُ أرضُ شعبٍ ، وتُنْهَبُ ثرواتُــه ، وتُنْتَهــك حرماتُــه، وتُدَنَّسُ مقدساتُه ، وتداس كرامتُه ، وتُقهَر إرادتُه ، وتُفسَد عقائدُه ، وتُفرَغ قيمُه ، ويزوَّر تاريخُــه ، ويُحمَلُ على الفساد والإفساد ، وتُمارَسُ عليه ألوان التجهيل ، والتجويع ، والتعذيب على يد أعدائه ، أعداءِ الله ، أعداءِ الحق ، أعداءِ الخير ، أعداء الحياة ، عندئذٍ لا بد لهذا الشعبِ أنْ يتحرَّك ليســتردَّ حقَّه في الحياة الحرَّة الكريمة ، هذه الحركة لا يمكن أنْ تُسمَّى إرهاباً ، ولا تخريباً ، ولا انتحــاراً ، وأنتم أيها الثائرون في الأراضي المحتلة بوركتِْ سواعدُكم ، وسَلِمتْ أيديكم ، لقد كنتم رمــزَ البــذل والعطاء ، ولقد ضربتُم المَثَلَ الأعلى في التضحية والإباء ، لقد تحركتْ فيكم معاني العزة والإبــاء ، فأقلقتم مضاجعَ الصهاينة الأعداء ، ولكن استمعوا معي إلى وصية سيدنا عمر بن الخطــاب لســيدنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهما ، إذْ يقول : أما بعد ؛ فإني آمُرُكَ ومَن معك مِنَ الأجناد بتقوى الله عز وجل ، فإنّ تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدوِّ ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمُرُكَ ومَن معك أنْ تكونوا أشدَّ احتراساً مِنَ المعاصي فإنها أَضَرُّ عليكم مِن عدوِّكم ، إنما تُنْصَرُون بمعصية عــدوكم لله ، فإنِ استويتم في المعصية كان لهم الفضلُ عليكم بالقوة .



04 - خواطر إيمانية حول ليلة القدر

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، سخر له الكون تسخير تعريف وتفضيل ، وهبه نعمة العقل ، وفطرته فطرةً تنزع إلى الكمال ، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً وشاكراً إلى رب الأرض والسماوات ، ومنحه حرية الاختيار ليثمن عمله ، وأنزل له كتاباً أحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده ، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة.

وإن الحق أيها الأخوة لابس خلق السماوات والأرض ، والحق هو الشيء الثابت والهادف ، بخلاف الباطل ، الذي هو الشيء الزائل والعابث ، إن الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط :

خط النقل الصحيح .

وخط العقل الصريح .

وخط الفطرة السليمة .

وخط الواقع الموضوعي .

فالنقل الصحيح كلامه سبحانه وتعالى مع بيان المعصوم صلى الله عليه وسلم والعقل الصريح ميزان أودعه الله في الإنسان ، ليتعرف من خلاله إلى الواحد الديان ، قال تعالى :

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾

(سورة الواقعة) .

والفطرة ميزان آخر نفسي متطابق مع منهج الله وهو مركوز في أصل كيان الإنسان ليكتشف ذاتياً من خلاله أو من خلالها خطأه ، قال تعالى :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

(سورة الشمس) .

والواقع خلق الله تحكمه القوانين التي قننها الله جل جلاله ، فإذا كانت هذه الفروع الأربعة من أصل واحد فهي متطابقة فيما بينها .



وليلة القدر أيها الأخوة أفضل ليالي العمر لقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة القدر) .

أي هي خير من ألف شهر ، أو هي خير من ثلاثة وثمانين عاماً وهو عمر مديد يعبد فيها الإنسان ربه تقليداً من دون علم ، أو يعلم فيها عملاً عشوائياً من دون انضباط ولا إخلاص ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

" **لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** " .

[رواه البيهقي والطبراني عن أبي هريرة] .

لأن مقاومة العابد هشة ، فهو يضعف أمام شهواته حيث يخرق استقامته لأدنى ضغط أو لأقل إغراء .

روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه** " .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :

" **قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**".

أيها الأخوة الكرام :

تنطلق الخواطر الإيمانية حول ليلة القدر من قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة الزمر) .



وتنطلق الخواطر الإيمانية أيضاً من الآيات الأولى التي نزلت أول ما نزلت من القرآن الكريم :

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥

(سورة العلق) .

إذاً ينبغي أن نقدر الله حق قدره في ليلة القدر وذلك عن طريق العلم ، وقد عبر الله جل جلاله عن العلم بمفتاحه وهي فعل اقرأ ، وهي في اللغة أن الفعل إذا حذف مفعوله أطلق معناه ، فنقرأ في كتاب الله أو في بيان المعصوم صلى الله عليه وسلم ، أو في كتاب الكون فالكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي صلى الله عليه وسلم قرآن يمشي لذلك قال الله تعالى : " **اقْرَأْ** " أول آية نزلت في القرآن الكريم ، ولكن الأصل في هذه القراءة أن تكون قراءة إيمانية تنتهي إلى الإيمان بالله موجوداً وواحداً وكاملاً خالقاً ومربياً ومسيرا قال تعالى : " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** " وهذه القراءة مقدور عليها بدليل أنها تنطلق من أقرب شيء إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه ، قال تعالى : " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** " .

وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١

(سورة الذاريات) .

ولكن الأصل الثاني لهذه القراءة أن تكون قراءة شكر وعرفان ، أساسها شكر المنعم على نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة الهدى والرشاد ، لقد خلق الله الإنسان ليسعده في الدنيا والآخرة .

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ

(سورة هود) .

" **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** " قراءة إيمانية ، وقراءة شكر وعرفان ، لقد سخر الله الكون لهذا الإنسان تسخير تعريف وتكريم ، أما تسخير التعريف فكل ما السماوات وما في الأرض ينطق لوجود الله ووحدانيته وكماله ويشف عن أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى ، وهو مجال رحب لتفكر في خلق السماوات الأرض قال تعالى : " **وَمَا**



قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " .

أي أن تقدير الله حق قدره طريقه التفكر في خلق السماوات والأرض ، لذلك قال تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(سورة الجاثية) .

هذا تسخير تعريف ، فماذا أما تسخير التكريم فقد قال تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

(سورة الإسراء) .

وواجب الإنسان تجاه تسخير التعريف أن يؤمن ، وواجب الإنسان تجاه تسخير التكريم أن يشكر ، فالإنسان إذا آمن وشكر فقد حقق الغاية من وجوده ، لذلك يتوقف التأديب والمعالجة ، يقول الله عز وجل :

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا



(سورة النساء) .

" **إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ** " فقد حققتم الهدف من وجودكم ، إذاً يتوقف العلاج ويتوقف التأديب ، أما قوله تعالى :

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

(سورة الرحمن) .



" **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** " في هذه الكلمات إشارة رائعة إلى نعمة البيان ، إلى نعمةٍ انفرد بها الإنسان الذي ميزه الله بها ، حيث يقول :

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾

(سورة الرحمن) .

ففي جانب البيان الشفهي يعبر الإنسان عن أفكاره وعن مشاعره ، ويتعرف إلى أفكار الآخرين ومشاعرهم ، فيتعلم بالبيان ويعلم ، وفي جانبه الكتابي تنتقل المعارف من إنسان لآخر من دون اتصال ، ومن جيل إلى جيل من دون مجاورة ، ومن أمة إلى أمة من دون معاصرة ، ثم تنتقل المعارف وتتراكم إلى خزائن العلم للإنسانية كلها ، هذا بفضل "**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** " .

أما الأصل الثالث لهذه القراءة فهي قراءة الوحي والتلقي ، فمعرفة طرف من حقيقة الذات الإلهية ، وكمالها المطلق ، ومعرفة الماضي السحيق ، والمستقبل البعيد ومعرفة حقيقة الحياة الدنيا ، ومعرفة حقيقة الحياة الآخرة ، ومعرفة حقيقة الإنسان وسر وجوده ، وغاية وجوده ، ومعرفة حقيقة النبوات ، و الرسالات ، ومعرفة حقيقة المنهج ودقائقه ومفردات التكاليف ، وتفاصيلها ، هذا كله يؤخذ من الوحيين الكتاب والسنة ، وهذا مما يستنبط من قوله تعال : " **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** " ، " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** " .

ولكن أيها الأخوة لا يعني هذا الكلام أن المسلمين اليوم يقرؤون هذه القراءات الثلاث ولو فعلوا لما استطاع أحد أن ينال منهم ، ولكن هذا من قبيل ما ينبغي أن يكون لا ما هو كائن .

أما إذا قرأ الإنسان ما الكون قراءة نفعية ليس غير وابتعد عن هذه القراءات الثلاث كان الطغيان وكان العدوان ، قال تعالى بعد هذه الآيات :

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾

(سورة العلق) .

وهذا طغيان العلم الذي يقود الإنسان الذي قرأ هذه القراءة النفعية بعيداً عن الإيمان والعرفان يقوده هذا العلم إلى القوة فيبني مجده على أنقاض الآخرين ، ويبني غناه على فقرهم ، ويبني قوته على ضعفهم ، ويبني أمنه على خوفهم ، ويبني عزه على ذلهم ويبني حياته على موتهم ، وبهذا يكون قد طغى بالعلم واستخدم العلم لغير ما أريد منه وقد ضرب الله لنا مثلاً في القرآن



الكريم قوم عاد كنموذج متكرر لهذا الإنسان الذي قرأ قراءة نفعية فطغـــى وبغـــى ونســـي المبتـــدا والمنتهى ، ونسي الجبار الأعلى ، فعاد تفوقت في شتى الميادين قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾

(سورة الفجر) .

وعاد تفوقت بالبناء والعمران والحصون والمنشئات ، قال تعالى :

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾

(سورة الشعراء) .

وعاد تفوقت بالقوة العسكرية قال تعالى :

وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

(سورة الشعراء) .

وعاد تفوقت بالناحية العلمية قال تعالى :

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

(سورة العنكبوت) .

ولم يكن فوق عاد إلا الله ، بدليل أن الله مات أهلك قوماً إلا وذكرهم أنه أهلك من أشد منه قوةً ، إلا عاداً حين أهلكها قال :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾



(سورة فصلت) .

وعاد بسبب تفوقها وبعدها عن الله وقراءتها لما في الكون قراءة نفعية تكبرت بغير حق ، واستعلت وتغطرست وبغت ، لا في بلدها فحسب بل في كل البلاد ، قال تعالى :

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

(سورة فصلت الآية : **15**) .

فماذا كانت محصلة هذا التفوق المادي ، لقد طغوا في البلاد ، والطغيان مجاوزة الحد بالعدوان ، ولم يقل طغوا في بلدهم ، بل قال " **طَغَوْا فِي الْبِلَادِ** " في البلاد كلها ، ليصف طغيانهم بالشمول ، وأنهم أكثروا فيها الفساد ، ولم يقل فسدوا ، ليبين أن إفسادهم عم الأرض .

أيها الأخوة الكرام :

والحديث عن مصير عاد في القرآن لا يخص عاداً الأولى بل يتجه إلى كل قوم سلكوا مسلك عاد ، فقوم عاد نموذج متكرر بدليل أن الله تعالى يقول :

وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة الأعلى) .

وهذا يعني فيما يعني أن هناك عاداً ثانية ، أو انتظروا عاداً ثانية ، لقد كان تأديبهم بالأعاصير التي تدمر كل شيء أتت عليه .

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

(سورة الحاقة) .

فماذا كانت النتيجة ؟

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

(سورة الفجر) .



أي بالمرصاد لكل من يكون على شاكلة عاد من أمم الأرض ، ليلة القدر تعني فيما تعني ، أن نعرف الله ، ومعرفة الله أصل الدين ، وأن نقدره حق قدره عن طريق العلم به من خلال آياته الكونية والتكوينية والقرآنية ، أي من خلال خلقه وفعله وكلامه .

أيها الأخوة الأحباب :

والعلم كما يرى بعض العلماء علم بالله وعلم بأمره وعلم بخلقه ، أو علم بالحقيقة وعلم بالشريعة وعلك بالخليقة ، والعلم بالله أصل الدين ، والعلم بأمره أصل العبادة ، والعلم بخلقه أصل صلاح الدنيا ، لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض .

ففي صحيح ابن حبان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت :

" **أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عزّ وجلّ" قالت فقلت : واللّه إني لأحب قربك ، وإني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت ، فقال : يا رسول اللّه ما يبكيك وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل اللّه عليّ في هذه الليلة :**

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران) .

أيها الأخوة الأحباب حضوراً ومستمعين ومشاهدين :

ننطلق في ليلة القدر من السعي إلى تقدير الله حق قدره فنتفكر في ملكوت السماء فإذا علمنا أن حجم الأرض يساوي مليون مليون كم مكعب ، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، وأن المسافة بين الأرض والشمس هي 156 مليون كم ، وأن نجماً في برج العقرب صغير متألق أحمر اللون اسمه قلب العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما .

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(سورة غافر) .



وأن نجماً آخر اسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه عن حجم الشمس بمئة مليون مرة لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾

(سورة الذاريات) .

أيها الأخوة :

الضوء يقطع في الثانية الواحدة 300 ألف كم ، إذاً هو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكليو مترات ، فإذا علمنا أن القمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة ، وأن الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية ، وأن المجوعة الشمسية بأكملها لا يزيد قطرها على ثلاث عشرة ساعة ضوئية ، وأن أقرب نجم إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ، ولكي نعلم ماذا تعني أربع سنوات ضوئية نقول ، لو اتجهنا إلى هذا النجم الذي هو أقرب نجم إلى الأرض بمركبة أرضية لاستغرقت الرحلة خمسين مليون عام ، أقرب نجم إلى الأرض ، أربع سنوات ضوئية ، متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ، ومتى نصل إلى المرأة المسلسلة وهي سديم تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ، ومتى نصل إلى مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة الوقعة) .

هذا الإله العظيم يعصى ؟ هذا الإله العظيم ألا يخطب وده ؟

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه ... لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا ... خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة ... عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة ... لمت غريباً واشتياقاً لقربنا

ولو لاح من أنوارنا لك لائح ... تركت جميع الكائنات لأجلنا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته ... قلنا له قد جهلتنا



أخوتي المؤمنين أعزائي المشاهدين :

ننطلق في ليلة القدر من السعي إلى تقدير الله حق قدره فنتفكر في ملكوت الأرض من آيات الله الدالة على عظمته البعوضة وقد ذكرت في القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

(سورة البقرة الآية : 26) .

بعد اكتشاف المجاهر الالكترونية تبين أن في رأس البعوضة مئة عين ، وأن في فمها 48 سناً ، وأن في صدرها 3 قلوب ، قلباً مركزياً ، وقلباً لكل جناح ، وفي كل قلب أذينان ، وبطينان ، ودسامان ، والبعوضة تملك أجهزة لا تملكه الطائرات ، تملك جهاز رادار سماه العلماء جهاز استقبال حراري ، فهي لا ترى الأشياء لا بأشكالها ولا بأحجامها ولا بألوانها ، ولكن تراها بحرارتها ، فإذا كانت في غرفة مظلمة لا ترى إلا النائم ، تتجه إليه لكن ما كل دم يناسبها ، معها جهاز تحليل دم ، فقد ينام أخوان على سرير واحد يستيقظ الأول وقد ملئ بلسع البعوض ، والثاني معافى لم يصب بشيء ، ما كل دم يناسبها ، ثم إن البعوضة تملك جهاز تخدير فإذا وقفت على جسم النائم ربما قتلها ، تخدره أولاً ، وحينما يشعر بلدغها تكون في جو الغرفة تضحك عليه ، تملك جهاز رادار ، وجهاز تحليل ، وجهاز تخدير ، ولأن لزوجة الدم لا يمكن أن تسري في خرطومها الدقيق تملك جهاز تمييع ، هذا خلق الله ، أما خرطومها فبعد تكبيره تبين أن فيه ستة سكاكين ، أربع سكاكين لأحداث جرح مربع وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم ، وفي أرجل البعوضة مخالب إن وقفت على سطح خشن ، ومحاجم إن وقفت على سطح أملس " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** " .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة لقمان) .



05 - خطبة العيد

الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر.....

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً .

الحمد لله معزِّ الإسلام بنصره ، ومذلِّ الشرك بقهره ، ومصرِّف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأظهر دينه على الدين كلــه ، القاهر فوق عباده فلا يمانَع ، والظاهر على خليقته فلا يُنازَع ، والآمر بما يشاء فلا يُراجَع ، والحاكم بما يريد فلا يُدافَع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورســوله بعثــه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل محمــد ، وعلــى أصــحابه الطيبــين الطاهرين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، حيث رباهم تربيةً حملت أحدهم على أن يقــول : والله لــو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، وحملت آخر على أن يقول : والله لو علمت أن غداً أجلي ما قــدرت أن أزيد في عملي .

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام

أعياد المسلمين ، تأتي عقب عبادات كبرى ، كالصيام والحج ، ومن معاني العيد أنه عــودة إلى الله ، فإذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، والعبادة علة وجودنا في الأرض ، قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " والعبادة فــي أدق تعاريفها : " طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبديــة " ففي هذا التعريف جانب معرفي ، وجانب سلوكي ، وجانب جمالي ، فالجانب السلوكي هو الأصل ، والجانب المعرفي هو السبب ، والجانب الجمالي هو الثمرة .

والعبادات في الإسلام شعائرية وتعاملية .



فالشعائرية كالصلاة والصيام والحج والزكاة ، وهي معللة بمصالح الخلق ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي أساس الوازع الديني ، في حين أن التشريعات الأرضية تعتمد على الرادع الخارجي ، وفرق كبير بين الوازع والرادع ، أراد عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن يمتحن راعياً فقال له بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، فقال ليست لي ، قال قل لصاحبها ماتت ، أو أكلها الذئب ، فقال الراعي والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله ، وكفى به جهلاً أن يعصيه .

والعبادات التعاملية هي الصدق والأمانة والعفة والعدل والإنصاف والرحمة وإنجاز الوعد ، والوفاء بالعهد والتعفف عن المال الحرام ... دخل سيدنا جعفر ابن أبي طالب على النجاشي ملك الحبشة ، فسأله عن الدين الذي جاء به نبي الإسلام فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله فينا رجلاً ، نعرف صدقه ، وأمانته ، وعفافه ، ونسبه ، فدعانا إلى الله ، لنعبده ونوحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، يتضح من هذا التعريف أن الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، زاد عليك في الإيمان ، قال هذا ابن القيم رحمه الله .

فالشريعة عدل كلها ، رحمة كلها ، مصلحة كلها ، حكمة كلها ، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور ، ومن الرحمة إلى القسوة ، ومن المصلحة إلى المفسدة ، ومن الحكمة إلى خلافها ، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل .

والحقيقة الخطيرة : أن العبادات الشعائرية ، ومنها الصلاة والصيام ، لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية .

سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام : من المفلس ؟ قالوا من لا درهم ولا متاع ، فقال لا ... المفلس من أتى بصلاة وصيام وصدقة ، وقد أكل مال هذا ، وشتم هذا ، وضرب هذا ، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته ، طرحوا عليه سيئاتهم حتى يطرح في النار ، هذا في الصلاة .

ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ، هذا في الصوم .

ومن حج بمال حرام ، ووضع رجله في الركاب ، وقال لبيك اللهم لبيك ، فينادى أن لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك ، هذا في الحج .



وقل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين هذا في الزكاة

هذه هي الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

ولكن ... ما السبب في ضعف العبادة التعاملية ، والجواب هو ضعف المعرفة بالآمر لأن أصل الدين معرفة الله ، فنحن إذا عرفنا الآمر ، ثم عرفنا الأمر ، تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ، ولم نعرف الآمر ، تفننا في التفلت من الأمر ، ومن طرق معرفة الآمر : التفكر في آياته الدالة على عظمته ، ومن هذه الآيات على سبيل المثال العين قال تعالى : ألم نجعل له عينين ... وحينما يعلم الإنسان أن العين آية دالة على عظمة الله ، فقرنيتها تتغذى عن طريق الحلول لاعن طريق الأوعية الشعرية ، وإلا كانت رؤية الإنسان من خلال شبكة الأوعية ، وفي أرقى آلات التصوير الرقمية الاحترافية يوجد عشرة ألاف مستقبل ضوئي في الميليمتر المربع بينما في العين التي هي من صنع الله يوجد مئة مليون مستقبل ضوئي (عصيات ومخاريط) في الميليمتر المربع من الشبكية ، لذلك تتمتع العين برؤية فائقة الدقة بحيث تميز بين ثمانية مليون لون ولو درج اللون الأخضر مثلاً ثمانمئة ألف درجة لفرقت العين السليمة بين درجتين (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ولا تزال عملية المطابقة التي تقوم على ازدياد احديداب العدسة حتى يقع الخيال على الشبكية إعجازا في خلق العين ، يصعب شرحه من على المنبر.

هذا الإله العظيم يعصى ، ألا يخطب وده ، ألا ترجى جنته ، ألا تتقى ناره .

وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

وتدور العبادة مع الإنسان في كل مواقعه ، وفي كل أحواله ، وفي كل أوقاته ؛ فهناك عبادة الهوية ...

من أنت ...؟

إن كنت قوياً فعبادتك الأولى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وإنصاف الضعيف ، ونصرة المظلوم .

وإن كنت غنياً فعبادتك الأولى إنفاق المال في وجوه الخير . حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي .

وإن كنت عالماً فعبادتك الأولى في قوله تعالى : الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله .

وإن كنت امرأة فعبادتك الأولى حسن رعاية الزوج ليزيد عطاؤه في الحياة ، فوراء كل رجل عظيم امرأة ، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة دعاه سادة قريش ليبيت



عندهم ، فقال : انصبوا خيمة عند قبر خديجة ، وركز لواء النصر أمام قبرها ، ليعلم الناس جميعاً أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر ، لأنها كانت سنده من الداخل .

وعبادتك الثانية : تربية الأولاد ليكونوا عناصر نظيفة ، منضبطة ، معطاءة ، تسهم في بناء المجتمع .

هذا عن عبادة الهوية ...

فماذا عن عبادة العصر ...

إذا كان الطرف الآخر يريد إفقارنا ، فالعبادة الأولى استصلاح الأراضي ، وإقامة السدود ، واستخراج الثروات ، وتطوير الصناعات ، وتفجير الطاقات .

وإذا كان الطرف الآخر يريد إضلالنا ، وتغيير هويتنا ، وطمس ثقافتنا ، فالعبادة الأولى ترسيخ معالم ديننا ، والحفاظ على مبادئنا ، وتعزيز قيمنا ، علماً بأن ثقافة كل أمة هي ملك البشرية جمعاء لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي استخلص من زهراتنا .

وإذا كان الطرف الآخر يريد إفسادنا فعلينا أن نحصن شبابنا وشاباتنا ، فنأخذ ما في رؤوس العالم المتقدم من علم ومعرفة ، وندع ما في نفوسهم من تفلت وانحلال .

أيها الإخوة حضوراً ومستمعين ومشاهدين .

سأضع بين أيديكم لقطات وومضات من التاريخ الإسلامي المشرق يوم فهم الصحابة الكرام ، والتابعون الأعلام ، والعلماء الربانيون ، أن العبادة الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، فجعلهم الله قادة للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم .

ولو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن لما خرج من مكة المكرمة ، ولما وصل إلى الصين شرقاً ، وإلى مشارف باريس غرباً .

عمر بن الخطاب ... كان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله وخاصته ، وقال إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ... وايم الله ... لا أوتين بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ... فصارت القرابة من عمر مصيبة .



وقال لأحد الولاة : إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً ، التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة ، قبل أن تشغلك بالمعصية ، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم .

ومرة كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً وبصحبته عبد الرحمن بن عوف فرأى قافلة قد حطت رحالها في ظاهر المدينة ، فقال لصاحبه تعال نحرس هذه القافلة فسمع بكاء طفل فقال لأمه أرضعيه ، ثم بكى ثانية ، فقال لها ثانية أرضعيه ، قالت له وما شأنك بنا !!! إنني أفطمه ، قال ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام ... تروي الروايات أنه بكى ، ووضع يديه على رأسه ، وقال ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ، ثم أمر أن يعطى العطاء (التعويض العائلي) حين الولادة ، وفي صلاة الفجر ، بكى كثيراً ودعا وقال : يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي ، أم رددتها فأعزيها .

ومرة جاءه ملك الغساسنة جبلة ابن الأيهم مسلماً ، فرحب به عمر رضي الله عنه ، وفي أثناء طواف جبلة حول الكعبة داس بدوي من فزارة طرف ردائه ، فالتفت جبلة نحو البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه ، فما كان من هذا البدوي إلا أن شكا جبلة إلى عمر ، فاستدعى عمر جبلة إلى مجلسه ، ودار بينهما حوار ، صاغه أحد الأدباء المعاصرين شعراً ؛ قال عمر لجبلة : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال جبلة : لست ممن يكتم شيبا ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا ، قال عمر : أرض الفتى لابد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفك ؟ قال جبلة : كيف ذاك يا أمير ؟ هو سوقة وأنا عرش وتاج ، كيف ترضى أن يخر النجم أرضا ، قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية ، قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جدياً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا . قال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني ، فقال عمر : عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : والله لو تعثرت دابة في العراق لحاسبني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر .

وكان عمر رضي الله عنه يمشي في إحدى سكك المدينة فوجد أطفالاً يلعبون ، فلما رأوه تفرقوا هيبة منه إلا واحداً فسأله عمر : يا غلام لم لم تهرب مع من هرب فقال أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك والطريق يسعني ويسعك .



وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يؤدي خدمة لجارة له عجوز ، ولمـــا تـــولى خلافـــة المسلمين غلب على ظن جارته العجوز أن هذه الخدمة سوف تتوقف ، وفي صبيحة اليوم الذي تولى فيه الخلافة طرق باب العجوز فقالت لابنتها افتحي الباب ، ثم سألتها من الطارق ؟ قالت البنت جاء حالب الشاة يا أماه .

كان ابن عباس رضي الله عنهما معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فــرأى في المسجد رجلاً تبدو عليه الكآبة ، فسأله مالك ؟ فقال : ديون لزمتني ما أطيق سدادها ، فقـــال ابن عباس : لمن ؟ فقال لفلان ، فقال ابن عباس أتحب أن أكلمه لك ، فقال الرجـــل إذا شـــئت ، فقام ابن عباس ليخرج من معتكفه ، وليكلم الدائن ، فقال أحد المعتكفين : يا بن عباس أنسيت أنك معتكف ، فقال ابن عباس : لا والله ... ولكني سمعت صاحب هذا القبر يعني رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، والعهد به قريب ، ودمعت عيناه سمعته يقول : " والله لأن أمشي مـــع أخ فـــي حاجته ، خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا ".

تروي فاطمة بنت عبد الملك ، زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين " دخلت على عمر يوماً في مصلاه فرأيته واضعاً يده على خده ، ودموعـــه تســـيل ، فقلـــت له : ما بالك ، وفيم بكاؤك ؟ فقال : دعيني وشأني ، فلما ألحت عليه قال لها : ويحك يا فاطمة ، إني قد وُليت هذا الأمر ، ففكرت في الفقير الجائع ، والمـــريض الضـــائع ، والعـــاري المجهول ، واليتيم المكسور ، والمظلوم المقهـــور ، والغريب ، والأســـير ، والشـــيخ الكبيـــر ، والأرملة الوحيدة ، وذوي العيال الكثير ، والـــــرزق القليل ، وأشباههم في أطـــراف الـــبلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم جميعاً يوم القيامة ، وأن خصمي دونهـــم يومئـــذ رســـول الله ، فخشيت ألا تثبت لي حجة ، فلذلك أبكي " .

وقد ورد في الحديث الشريف أنه يأتي على القاضي العدل ساعة يتمنى فيها أن لـــو لـــم يقض بين اثنين في تمرة .

وقال عالم جليل : " والله لترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإســـلام " والدانق سدس الدرهم



وقد قال عليه الصلاة والسلام : " إنما تنصرون بضعفائكم " ، وفي الحديث الشريف ملمحان دقيقان ... الأول ملمح توحيدي : وهو أن القوي الذي مكنه الله في الأرض إذا نصر الضعيف أطعمه إن كان جائعاً ، وكساه إن كان عارياً ، وآواه إن كان مشرداً ، ووفر له عملاً إن كان عاطلاً ، وعالجه إن كان مريضاً ، وهيأ له سبل المعرفة إن كان جاهلاً ، ونصره إن كان مظلوماً ، عندئذ يكافئ الله القوي مكافأة من جنس عمله ، فينصره على أعدائه الأقوى منه ، والملمح الثاني تكتيكي إن صح التعبير : أن الأمة بنصرة الضعيف تتماسك وتجتمع وتصبح سداً منيعاً ، فلا يستطيع العدو الخارجي أن يخرقها ولا أن يفتت وحدتها ، ولا أن يشق صفوفها ، أعط الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج المشكلات من أسبابها ، لا من نتائجها ، فقد دخل رجل بستان أنصاري ، وأكل من شجرة من دون إذن الأنصاري فساقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه سارق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : هلا علمته إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمته إن كان جائعاً .

تَزَوَّدْ مِنَ التّقوى فإنّكَ لا تـدري   إذَا جَنَّ لَيْلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْـرِ
فَكَمْ مِن سَليمٍ مَات مِن غيرِ عِلّةٍ   وَكَمْ مِن سقيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الخطبة الثانية

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله ، أكبر ولله الحمد . الحمد لله معيد الجُمَع والأعياد ، وناصر الأمم والأجناد ، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أيها الإخوة الأحباب ... قبل أن ننتقل إلى الموضوع الساخن ، لابد من التنويه إلى أن المسلم إذا قال الله أكبر وهو يطيع مخلوقاً ، ويعصي خالقه ، لأنه رأى أن طاعة هذا المخلوق أكبر عنده من طاعة خالقه ، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة .

إخوة الإيمان في كل مكان ...

العولمة كما يريدها ، ويروِّج لها دُعاتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة ، صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ .



إنها تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال الحديدية ، وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابة ، والشعارات البراقة ، كالعدالة ، والديمقراطية ، والحرية ، والسلام العالمي ، والتعايش السلمي ، وحقوق الإنسان ، ومكافحة الإرهاب ... فهي علقم قديم في آنية جديدة .

ولعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات ، وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات ، سياسة ، واقتصاداً ، وإعلاماً ، وفكراً ؛ توطئة للاستيلاء على ثروات الشعوب ، وشل قدراتها الوطنية ، ومسخ هويتها ، وخصوصياتها الحضارية ، وتحويل أسواقها المحلية إلى أسواق استهلاكية ، تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الأجنبية لترويج منتجاتها ، وتراكم أرباحها .

أيها السيد الرئيس لقد قلت في مؤتمر القمة الإسلامي في الدوحة :

ديننا الإسلامي الحنيف ، دين الأخلاق ، والعدل ، والمحبة الذي تم تشويهه إعلاميا ، وتثقيفيا ، وتربويا ليغدو دين القتل ، والتطرف ، والإرهاب ، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام ، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة ، وكل عملية تخريب ، أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم، حتى يثبت العكس، وغالبا ما يثبت العكس، **أما الاتهام فيبقى كما هو.**

إن علينا أن نعزز الدين الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكا ففيه تحصين للإسلام والمسلمين وإضعاف لأعدائهم وهذا يبدأ بمكافحة وتجنب كل الممارسات الشاذة الناجمة عن فهم خاطئ للدين والتي تسيء إليه بشكل مباشر وتعطي الآخرين من أصحاب النيات السيئة الحجة والمبرر لوصف الإسلام بشتى الصفات السلبية واللاإنسانية.

من مسلمات الإيمان الحق أنه لن تستطيع قوة في الأرض مهما طغت وبغت أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولكنه يسمح لهؤلاء الأقوياء أن يهددوا ليمتحن إيمان المؤمنين ، قال تعالى : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم " فينبغي ألا نقلق على هذا الدين ، لأنه دين الله ، ولكن ينبغي أن نقلق على أنفسنا في ما إذا سمح الله لنا ، أو لم يسمح أن نكون جنوداً له ، ولكن إذا هان أمر الله علينا هنا على الله .

أيها السيد الرئيس أنت ممن مكنه الله في الأرض ، وإنجازاتك وطموحاتك لاتغيب عن أحد ، فقد أتاح الله للممكنين في الأرض من الأعمال الجليلة ما لم يتح لسواهم من الملايين المملينة ، وكلما ارتفع



موقع الإنسان اتسعت دائرة رؤيته ، وكثرت أمامه فرص الأعمال البطولية ، فبجرة قلم يحق حقاً ويبطل باطلا ، ويقر معروفاً ، ويزيل منكراً ، ويدعم حراً مخلصاً ، ويبعد فاجراً منافقاً ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن ، وكلما ارتفع موقع الإنسان ازدادت مسؤوليته عند الله ، فأنت أيها السيد الرئيس أثقلنا حملاً ، لذلك يقول الإمام مالك إمام دار الهجرة : لو أن لي دعوة مستجابة لادخرتها لأولي الأمر لأن في صلاحهم صلاح الأمة ، لهذا ندعو لك من أعماق قلوبنا أن يوفقك الله لقيادة السفينة وسط الأمواج المتلاطمة إلى شاطئ السلامة ، وأن يجري الله الخير على يديك ، وأن ينفع الله بك البلاد والعباد ، وأن تكون ناصراً لدينه ، قويا على أعدائه وخصومه ، وأن يمتعك الله بالصحة والقوة ، أنت وأهلك ، وجميع من يعينك على أداء رسالاتك ، وتحقيق طموحاتك .

يا رب أنت غنى كل فقير ، وعز كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف ، فحاشا يا رب أن نفتقر في غناك ، وأن نضل في هداك ، وأن نذل في عزك ، وأن نضام سلطانك ، فما من مخلوق يعتصم بك من دون خلقك ، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونك إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعت أسباب السماء بين يديه ،

اللهم انصرنا على أنفسنا حتى ننتصر لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا
ولا تجعلنا ممن هان أمر الله عليهم فهانوا على الله .
اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وانصر عبادك المؤمنين في كل مكان ، وفي العراق وفلسطين .
اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد ، لما فيه خير البلاد والعباد ، وهيئ له فريق عمل في مستوى طموحاته يا رب العالمين ، يا رب العالمين .
الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر .
والحمد لله رب العالمين ، وكل عام وأنتم بخير .



الباب السابع : العبادات الشعائرية



01 – الصيام

إن الله جل جلاله قد امتن على عباده بموسم الخيرات ، فيهـــا تضـــاعف الحســـنات ، وتمحى السيئات ، وترفع الدرجات ، تتوجه فيها نفوس المؤمنين إلى مولاها .

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

(سورة الشمس) .

وإنما خلق الله الخلق لعبادته فقال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات) .

ومن أعظم العبادات الصيام الذي فرضه على العباد فقال :

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(سورة البقرة)

ورغَّبهم فيه فقال :

وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

(سورة البقرة)

وأرشدهم إلى شكره على فرضه فقال :

وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

(سورة البقرة) .

وحببه إليهم وخففه عليهم لئلا تستثقل النفوس ترك العادات وهجر المألوفات فقال:



أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ

(سورة البقرة) .

ورحمهم ، ونأى بهم عن الحرج والضرر ، فقال سبحانه وتعالى :

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ

(سورة البقرة) .

فلا عجب أن تقبل قلـــوب المؤمنين في هذا الشهر على ربهم الرحيم يخافونـه مـن فوقهم ، ويرجون ثوابه ، ويخشون عقابه .

الصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال :

أيها الأخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين ، الصوم عبادة من أجلّ العبادات ، وقربة مـن أشرف القربات ، وطاعة مباركة ، لها آثارها العظيمة ، والكثيرة ، والعاجلة ، والآجلة ؛ من تزكيـة النفوس ، وإصلاح القلوب ، وحفظ الجوارح من الفتن والشرور ، وتهذيب الأخـلاق ، وفيهـا مـن الإعانة على تحصيل الأجور العظيمة ، وتكفير السيئات المهلكة، والفوز بأعلى الدرجات .

أيها الأخوة الكرام ، والصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال ، ففـي الحـديث القدسي الصحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ :

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ...)) .

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

كفى بذلك تنبيهاً على شرفه وعظم موقعه عند الله مما يؤذن بعظم الأجر عليه ، فبإضافة الله تعالى الجزاء على الصيام إلى ذاته العلية تنبيه على عظم أجر الصيام ، وأنـه يضـاعف عليـه الثواب أعظم من سائر الأعمال ، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

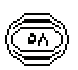


((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائة ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إلا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ)) .

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فما ظنك أيها الأخ الكريم بثواب عمل يجزي عليه الكريم الجواد بلا حساب .

قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ



(سورة يونس) .

الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات :

أيها الأخوة الأحباب ، الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات ، فإنه سر بين العبد وبين ربه ، لا يطلع عليه غيره ، إذ بإمكان الصائم أن يأكل ويشرب متخفياً عن الناس ، فإذا حفظ صيامه عن المفطرات ومنقصات الأجر دل ذلك على كمال إخلاصه لربه ، وإحسانه العمل ابتغاء وجهه ، ولذا يقول الله عز وجل في الحديث القدسي :

((يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] .

نبه سبحانه على وجهة اختصاصه ، وبالجزاء عليه ، وهو الإخلاص ، والصيام جنة ، يقي الصائم ما يضره من الشهوات ، ويجنبه من الآثام التي تجعل صاحبها عرضة لعذاب النار ، وتورثه الشقاء في الدنيا والآخرة ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَاباً لَا نَجِدُ شَيْئاً ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)) .

[البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ]



ومعنى ذلك أن الصوم قامع للشهوة فيقي صاحبه عنة العذوبة ومخاطرها ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ :

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ ، وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)) .

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي المسند عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ ، هُوَ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) .

[أحمد عَنْ جَابِرٍ]

فضائل الصوم :

1ـ الصوم من أسباب استجابة الدعاء :

من فضائل الصوم أيها الأخوة حضوراً ومستمعين أنه من أسباب استجابة الدعاء، ولعل في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

(سورة البقرة)

مما تنبه هذه الآية على الصلة الوثيقة بين الصيام وإجابة الدعاء .

2ـ الصوم من أسباب تكفير الذنوب :

ومن فضائل الصوم أنه من أسباب تكفير الذنوب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ :

((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)) .

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]



3ـ الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة :

ومن فضائل الصوم أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ**)) .

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

4ـ فرح الصائم بما يسَّره الله له من الصوم في العاجل والآجل :

ومن فضائل الصوم فرح الصائم بما يسَّره الله له من الصوم في العاجل والآجل كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**)).

[أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

وهذا من الفرح المحمود ، لأنه فرح بفضل الله ورحمته ، ولعل فرحه بفطره لأن الله منَّ عليه بالهداية إلى الصيام ، وبالإعانة عليه حتى أكمله ، وبما أحله الله له من الطيبات التي يكسبها الصائمون لذة وحلاوة لا توجد في غيره ، ويفرح عند لقاء ربه ، حين يلقى الله راضياً عنه ، ويجد جزاءه عنده كاملاً موفوراً .

5 ـ طيب عاقبته في الآخرة :

ومما يدل على فضل الصيام ، وطيب عاقبته في الآخرة حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**)) .

[صحيح البخاري عن أبي هريرة]

وإنما كانت هذه الريح طيبة عند الله تعالى مع أنها كريهة في الدنيا ، لأنها ناشئة عن طاعة ، فهي محبوبة لديه ، ولعل في الحديث الشريف ما يشير إلى أن هذا الخلوف يفوح يوم القيامة من فم صاحبه أطيب من ريح المسك ، حين يقف بين يدي ربه ، مثله مثل الشهيد حين يأتي يوم القيامة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**)) .

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]



6ـ اختص الله الصائمين بباب من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم :

ومن فضائل الصيام أن الله اختص أهله باباً من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم فينادون منه يوم القيامة إكراماً لهم ، وإظهاراً لشرفهم ، كما في الصحيحين عَنْ سَهْلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)).

[البخاري عن سَهْلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

أيها الأخوة الكرام ، انظروا كيف يقابل عطش الصائم في الدنيا بباب الريان في الجنة في يوم يكثر فيه العطش .

شهر رمضان شهر الصبر :

أيها الأخوة الكرام ، شهر رمضان شهر الصبر ، فالبناء الأخلاقي أساسه الصبر، الذي هو قرين الصوم ، وسميه حتى سمي الصوم صبراً ، كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى :

ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ

(سورة البقرة)

قالوا : الصوم والصلاة ، وسمي رمضان شهر الصبر ، والصبر جزاءه الجنة ، وهو سيد أخلاق الإسلام ، وبغيره لا يثبت المسلم أمام التحديات في دينه ودعوته ، ولا يتحمل مشكلات الحياة وتبعتها ومصائبها التي لا ينفك عنها بحال ، فالفوز في الآخرة والسعادة في الدنيا ثمرتان من ثمار الصبر .

الصبر أيها الأخوة ، هو إكسير الحياة الذي يحوّل بإذن ربه الصعاب إلى رغائب ، والهموم إلى أفراح ، الصبر هو علاج كل داء ، وحل كل مشكلة ، وتذليل كل عقبة.

وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا

(سورة آل عمران الآية : 120)



الصوم عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني :

ويتجلى البناء الأخلاقي في الرقي بالنفس إلى مدارج العبودية ، والتخفف من أوزار الطين وثقل الأرض ، لتستشرف النفس آفاق الإيمان ، وتستشعر شيئاً من الأنس بالقرب من فاطرها وبارئها ، وتسبح في ملكوتها . فالإنسان إنسان بروحه وشفافيته قبل أن يكون إنساناً بجسده :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فإنك بالروح لا بالجسم إنسان

* * *

يتجلى أيها الأخوة في الإيثار ، والإحسان ، ومعايشة آلام الآخرين ، ومقاسمتهم السراء والضراء ، وذوق شيء مما يجدون ، ولأن ذاقه الصائم تعبداً واختياراً فلقد ذاقه الفقراء عجزاً واضطراراً ، ولئن عاناه الصائم وقتاً محدوداً فهو عندهم عناء ممدود ، ولهذا كان رمضان شهر الزكاة كما سماه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونهايته زكاة الفطر التي يشارك المسلمون فيها الإحساس بفرحة العيد ، فلا يدعون أحداً منه إلا وواسوه ، حتى فقرائهم يخرجون زكاة الفطر إن قدروا ليذوقوا طعم الإنفاق ولو مرة في العام .

أيها الأخوة الكرام ، ويتجلى في الإمساك بزمام النفس عن اندفاعاتها وحماقاتها عن صاحبها ، ومع الخلق فالصائم مقيد بشعور دائم يحمله على الكف عن ما يجمله ولا يليق، وربما أدرك كثير من الصوَّام هذا المعنى قبل أن يهل رمضان ، كما يحقق الصوم معنى الانتساب الأممي وتبعاته ومظاهره ، فهو عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني ، والولاء الشرعي ، ويذكر بوجوب الانعتاق من الروابط المنافية لذلك ، وينهى أن توضع الروابط العادية البشرية في مكان غير صحيح ، فلا تتحول إلى علاقة تساوي العلاقة الربانية بين أهل الإسلام ، وكم يتمنى المرء أن يستطيع المسلمون توحيد صيامهم وفطرهم ليتعمق معنى الأمة الواحدة ، ولتذوب الفواصل والعوائق التي تتراكم بمرور الزمان ، فيكون الجسد الواحد رقعاً متناثرة يهدم كل طرف منها ما بناه الآخر .

أيها الأخوة الكرام ، حضوراً ومستمعين ، إن تجاوز هذه التناقضات يتطلب صدقاً وارتفاعاً عن المصالح الخاصة ، والانتماءات الأرضية ، وإيثاراً لروح الجماعة على أنانية الذات فهل نحن فاعلون ؟!



الصوم يذكر المسلم بالجهاد الذي هو حراسة هذا الدين :

أيها الأخوة المستمعون ، أيتها الأخوات المستمعات ، الصوم يذكر المسلم بالجهاد الـــذي هو حراسة هذا الدين ، وذروة سنامه ، وسطوته على مناوئيه ، فلقد كان تاريخه الشـــهري ملتبســـاً بالمواقع الفاصلة من بدر تاج معارك الإسلام إلى فتح مكة ، التي كانت إيذاناً ببسط ســـلطانه علـــى جزيرة العرب ، إلى حطين ، إلى عين جالوت ، والكتاب الذي آذن المسلمون بأنه كتب عليهم الصيام هو الذي آذنهم بأنه كتب عليهم القتال ، لكنه ليس قتالاً بنصرة عنصر ماجن ، ولا لتسلط ظالم طاعن ، ولا لجباية أموال حرام ، ولا لاحتلال منابع الثروات ، لكنه لتكون كلمة الله هي العليا ، وحتـــى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

الجهاد أيها الأخوة ، إيذان لأنه ليس كل الناس يؤمنون بالدعوة ، بـــل هنـــاك الـــرؤوس المتغطرسة مما لا يلين إلا بالقوة ، والحديد بالحديد يفلح ، ولهذا بعث الله رسوله بالكتـــاب وبالحديـــد فقال سبحانه :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

(سورة الحديد)

أيها الأخوة الكرام ، فالكتاب والبينات أصل الرسالة ولبُّها ، والحديد سورها وحمايتهـــا ، والذين يقارعون البغي والظلم في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين التي احتلها الأعداء واســـتباحوا خيراتها هم النواب عن الأمة في الحفاظ على هذه الشريعة العظيمة ، فحق على الأمة أن تكون مـــن ورائهم بالنصرة الصادقة ، وليس بالعاطفة وحدها .

يقول السيد الرئيس في أحـــد مؤتمرات القمة : " نشهد المزيد من إزهـــاق الأرواح فـــي منطقتنا ، ونرى الأمة العربية والإسلامية تضيف إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع ، والكثيـــر من الظلم والاضطهاد ، كما رأيناها تبتعد أكثر فأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين ، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً ، ويشرعن للغير قتلها وتدميرها ، ممـــا أدى إلى تزايد شدة التناقضات والمفارقات في مناطق مختلفة من العالم ، يدمر العراق من أجل قـــرارات



الأمم المتحدة ، وتدمر قرارات الأمم المتحدة من أجل إسرائيل، ومن الأمور المؤسفة والمضحكة في الوقت نفسه أن بعض قرارات مجلس الأمن تفسر بحسب خطوط الطول والعرض ، وبحسب الـــدول التي تطبق عليها " . انتهى النص المقتبس .

الصيام من أجل التقوى :

هل يعود رمضان الذي عرفه المسلمون ينبض بالروح والحياة والعطاء ، وليس بالنوم ، وضياع الأوقات ، والتسابق إلى الملذات ، والسهر في الخيام التي ترتكب فيها المعاصـــي والآثـــام .
جاء في تفسير في قوله تعالى :

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة البقرة)

هذا تعليل لفرضية الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله عز وجل بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره ، واحتساباً للأجر عنـــده ، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيســـر عليـــه ، وتقوى نفسه على النهوض بالطاعات والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه ، ولهذا قـــال صلى الله عليه وسلم :

((**الصيام نصف الصبر**)) .

[ورد في الأثر]

أيها الأخوة الأحباب ، والصيام من أجل التقوى كما ورد في الآية ، ومن عظيم إكـــرام الله عز وجل أنه جعل التقوى مخرجاً للإنسان من كل ضيق ، قال تعالى :

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾

(سورة الطلاق)

إعجاز هذه الآية في إنجازها ، وبلاغها في إطلاقها . عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَتْهُمْ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**)) .



[الدارمي عَنْ أَبِي ذَرٍّ]

حينمـــا تضيق الأمور كما هي الآن ، وتستحكم الحلقات ، وتســد المنافــذ ، وتنتصـــب العقبات ، ويقنط الإنسان تأتي التقوى فتتسع بها المضائق ، وتحل بها العقد ، وتفتح بهـــا المســـالك ، وتذلل بها العقبات ، فمن يتق الله عند نزول المصيبة ، فيوحد الله ، ويصبر لحكمه ، ويرضى بقضائه ، ويثبت على مبدئه واستقامته يجعل الله له مخرجاً من هذه المصيبة فيبدل ضيقه فرجاً ، وخوفه أمناً ، وعسره يسراً . فمن يتق الله ، ولا يسمح للأفكار الزائفة أن تأخذ طريقها إلى عقله يجعـــل الله لـــه مخرجاً من الضياع والحيرة والضلال وخيبة الأمل ، ومن يتق الله فيبرأ ممن حوله ، ويبرأ من حوله وقوته وعلمه يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به بالمعونة عليه ، ومن يتق الله فيقف عند حدود الله فلا يقربها ولا يتعداها يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى الســـعة ، ومن النار إلى الجنة ، ومن يتق الله في كسب رزقه ، فيتحرى الحلال الذي يرضي الله عز وجـــل يجعل الله له مخرجاً من تقطير الرزق بالكفاية ، ومن إتلاف المال بحفظه ونمائه ، ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل الله له مخرجاً من ضلال أهل البدع ، ونتائج ابتداعهم ، ومن يتق الله في اختيـــار زوجته وفي التعامل معها يجعل الله له مخرجاً معها من الشقاء الزوجي ، ومن يتق الله فـــي تربيـــة أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم وشقائه بشقائهم ، ومن يتق الله في اختيار عمله وحسن أدائـــه يجعل الله له مخرجاً من إخفاقه فيه .

من أعظم ما يزكي النفس ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر :

أيها الأخوة الكرام ، أيتها الأخوات الكريمات : لما كانت النفس البشرية تتوق إلى تناول ما تشتهيه ، وتنفر عن البعد عنه ، فإن من أعظم ما يزكيها ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر عن تناول الطيبات التي أباحها الله تعالى إذا أمرها بتركها ، ومن أعظم شهوات الـــنفس الطعام والشراب وغيرهم ، وقد حرم الله على المؤمن هذه الأمور التي لا يستغني عنها فـــي حياتـــه كلها في نهار شهر رمضان بأكمله ، فإذا تركها مخلصاً لله في تلك المدة من الزمن ، فإنه بذلك يكون جديراً بأن يكون من المجاهدين لأعدائه الملازمين وهم نفسه الأمارة بالسوء ، والهـــوى المـــردي ، والشيطان المغوي ، والذي ينجح في هذا الجهاد الأكبر يسهل عليه الجهاد الأصغر ، وهو قتال عدوه الخارجي ، ومن لم ينجح في جهاد عدوه الملازم له يصعب عليه جهاد عدوه الطارئ ، لأن الذي لم يروض نفسه على طاعة الله بامتثال أمره ، واجتناب نهيه فيما هو أخف عليه كالصيام مثلاً ، فمـــن



الصعب عليه أن يقف في الصف لمقارعة الأعداء يستقبل بصدره ونحره قذائف المدافع ، ورصاص البنادق ، وأطراف الرماح ، وحد السيوف .

حينما يكـون المسلمون استثناء سلبياً داخل مجتمعات أكثر تقدماً وتطوراً فهذا أمر فـي غاية الخطورة ، لأنه يعطي الآخرين انطباعاً مباشراً ، لأن سبب هذا التخلف يعود إلى تعاليم الـدين ذاته ، وهذا معنى قوله تعالى :

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

(سورة الممتحنة الآية : 5) .

أيها الأخوة الكرام ، المشكلة تعود إلى اغترار بعض المسلمين بانتسابهم إلى هذا الدين ، ظانين أنه بمجرد الحصول على لقب مسلم يعفيهم من الالتزام والتقيد بمـنهج الله ، أو أن الحصـول على جانب من الصلاح يعفيهم من استكمال النقص ، أو قبول النصيحة .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ

(سورة المائدة)

معنى الاعتبار :

ذكر الله لنا قصص الأقوام السابقة للاعتبار ، ولهذا قال سبحانه بعدما ذكر قصـة بنـي النضير:

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

(سورة الحشر)

والاعتبار هو القياس ، والنظر ، وربط الشيء بمثله ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعيب على الأقوام السابقة من قبلنا ألواناً من الانحرافات والمخالفات ، فما ذلك إلا لنتجنبها ، ولهذا كان من ما يقرأه المسلم في كل صلاة بل في كل ركعة :



ﭐهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

(سورة الفاتحة) .

يقول العلماء : المغضوب عليهم هم الذين عرفوا وانحرفوا ، والضالون هم الذين ما عرفوا وانحرفوا ، أي من كان عنده علم وصدق في تصوراته ولكن لم يكن عنده عمل فهذا من المغضوب عليهم ، ومن لم يكن عنده تصور صحيح وإنما عنده عمل على غير هدى الله وبصيرة فإنه من الضالين .

ﭐهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

(سورة الفاتحة)

من الحواجز التي تحول بين الناس وقبول النصيحة هو ادعاء العصمة وعدم رؤية العيوب:

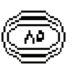
أيها الأخوة الكرام ، إن من الحواجز التي تحول بين الناس وبين قبول النصيحة هو ادعاء العصمة ، وعدم رؤية العيوب ، لقد ورد في القرآن الكريم فضل هذه الأمة والثناء عليها ، ولكن هذا الفضل ليس فضلاً يتوارثونه ، لأنهم عرب ، وعاشوا في الأمصار ، وفي البلاد العربية ، فالأرض لا تقدس أحداً ، والقبيلة لا تقدس أحداً ، إنما يقدس الإنسان بعمله ليس غير .

أيها الأخوة الكرام ، إن مئات الملايين من المسلمين اليوم يرون أن مجرد انتسابهم لهذا الدين يكفي لنجاتهم في الآخرة ، ولصلاحهم في الدنيا ، حتى لو لم يفهموا حقيقته ولم يطبقوا تعاليمه ، ولم يتمثلوا قيمه ، وربما تجد عند أحدهم من الثقة بالفوز والنجاة في الدار الآخرة أعظم من ثقة



العشرة المبشرين بالجنة ! وأما ما يتعلق بالدنيا فربما تجد الواحد منهم يكدح فيهـا لـيلاً ونهـاراً ، ويضني بدنه وجوارحه ، ولكن من دون جدوى ، لأنه لم يأخذ بالأسباب المعتبرة .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا



(سورة الكهف)

أيها الأخوة ، الكثيرون يطلبون قضاء حوائجهم ، وتفريج كـروبهم ، وسـداد ديـونهم، وتزويج عوانسهم ، وإزالة مشكلاتهم ، ورد غيابهم ، ونصرتهم على أعدائهم بدعاء من دون عمل ، أو يتوقعون الفرج هدية رخيصة تأتي من دون ثمن ، ولِمَ لا ؟ أو ليسوا بالمسلمين ؟! هنـا مـوطن الخلل .

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ

(سورة التوبة)

السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامل أحداً :

أيها الأخوة الكرام ، إن السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامـل أحـداً ، والله سـبحانه وتعالى يقول :

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

(سورة النساء) .



إن كوني من الصالحين لا يسمح لي صلاحي أن أجعل هذا الصلاح ترساً أرفعه في وجه كل من يريد نصحي ، أو الاستدراك عليه ، أو تصحيح خطأ مظنون أو مقطوع ، وهل الصلاح إلا قبول النصيحة من الآخرين ؟

أيها الأخوة الكرام ، الإسلام نفسه دين عمل ، العمل للدنيا ، والعمل للآخرة ، والعمل للنفس ، والعمل للغير ، وإلى هذا المعنى أشار السيد الرئيس في خطابه في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في الدوحة فقال : ليست المشكلة إثبات حسن النية فقط ، فديننا هو دين النيات الطيبات ، والأعمال الصالحات ، أما الطاعة فهي لله وحده مع الالتزام بالإسلام ، وكما قال الرسول الأعظم في حديثه الشريف ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**)) .

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الإسلام يرفع من قيمة العمل :

أيها الأخوة الكرام ، وأن المرء يثاب على عمله حتى على عمله الدنيوي ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها وسنده جيد :

((**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)) .

[البيهقي عن عائشة رضي الله عنها]

وهذا يشمل كل عمل يقوم به المرء مما هو داخل في دائرة المباح ، فضلاً عن المستحب أو الواجب ، سواء كان وجوبه بأصل شرعي ، أو كان لتحمله المسؤولية وتبعات المسؤولية بموجب العقد والاتفاق .

وفي الحديث الآخر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**)) .

[أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وهكذا يرفع الإسلام من قيمة العمل حتى حين يتيقن الإنسان ألا ثمرة تحسب له من ورائه ، ويوجه المسلم إلى احتساب الأجر والثواب وهو يغرس فسيلة قد ينتفع بها إنسان أو طير يحتسب هذا عند الله .

أيها الأخوة الكرام ، ومن الواجب الملّح التربية على هذا أن النسب الشريف للإسلام يتطلب أن يكون المرء على القدر الشرعي المقبول اللازم من أداء واجبات هذا الانتساب ، وترك



منهياته أو محرماته . ويجب أيضاً أيها الأخوة ، أن يتم بوضوح الفصل بين الإسلام وبين ممارسة المسلمين أفراداً أو جماعة أو كياناً ، فالإسلام دين رباني محكم مهيمن ، وهو المرجعية للحكم على الأشياء وتصحيحها ، أما عمل الناس وسلوكهم فهو قابل للنقض والمراجعة والتصحيح والملاحظة والنصيحة .

02 - آية الله في مخلوقاته : الذباب

آية الله في مخلوقاته " الذباب " :

أيها الأخوة الكرام : إلى الموضوع العلمي يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

(سورة الحج)

قال بعض العلماء : تعد هذه الحشرة أعجوبة في الخلق الإلهي ، لقد ضرب الله سبحانه وتعالى الذبابة للناس مثلاً ، هذا المخلوق الضعيف الذي يتكاثر بسرعة جنونية ، هذا الذي يبدو لك ضعيفاً لو أنك رششت مكاناً موبوءاً بالذباب ، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة فهذه الذبابة ستنتج جيلاً من الذباب يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان ، فتصنيع المضادات الحيوية عند الذباب شيء لا يصدق ! أي شيء يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضاداً حيوياً يكسبها مناعة ضد هذه المادة الفعالة ، حتى إن الذباب إذا مات في البرد ينجب جيلاً يقاوم البرد .

وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

(سورة الحج)



فهل يتعلم الإنسان من هذه الحشرة التي يتقزز منها درساً بليغاً ؟

كُبّرت عين الذبابة مئات المرات فكان من هذا التكبير العجب العجاب آلاف العدسات المرصوفة إلى جانب بعضها بعضاً تحقق للذبابة رؤية كاملة ، فهذا المخلوق الضعيف الذي يشمئز الناس منه يستطيع أن يناور مناورة لا تستطيعها أعظم الطائرات الحربية وأحدثها ، إنها تسير بسرعة فائقة بالنسبة لحجمها ، وتستطيع أن تنتقل فجأة لزاوية قائمة ، وتستطيع أن تسقط إلى السقف وهذا شيء لا تستطيعه طائرة في الأرض أن تفعله ، قال تعالى :

ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

(سورة الحج)

أما الذي يلفت النظر فحديث سيد البشر حين يلفت النظر إلى أن في إحدى جناحي هذه الحشرة داء ، وفي الأخرى شفاء ، فقد أكد العلم الحديث صحة هذا الحديث ، فقد كشف أن في بعض جناحي الذبابة مادة ترياقية مضادة للجراثيم ولأنواع الميكروبات ، فإذا علق برجل الذبابة بعض أنواع الجراثيم أو الميكروبات أو البكتريات الضارة وقع هذا الذباب في سائل فعليك أن تغمس الجناح الثاني ، فإن في بعض الأجنحة الداء ، وفي بعض الأجنحة الدواء والترياق ، هذا الذي كشفه العلم الحديث في مقالة مفصلة تعتمد على أدق البحوث نشرت أخيراً في مجلة عربية كانت قد ترجمت عن مقالة أجنبية تؤكد هذه الحقيقة .

قال بعض العلماء : من وظائف هذه الحشرة أنها تنقي الهواء بقضائها على النباتات والعضويات المتفسخة وسريعة التنقل ، بينما هي في بيتك إذا هي في يوم ثان في مكان تزيد مسافته عن عشر كيلو مترات ، وتنجب جيلاً كاملاً كل عشرة أيام توالدها عجيب ، أما الشيء الذي لا يصدق أن جملتها العصبية تشبه الجملة العصبية عند الإنسان ! وعلم الذبابة غاية في القوة وقوة الإبصار ، ولها إدراك عالي المستوى ، وقد تتصرف بغضب شديد إذا ما لاح لها خطر فهي تغضب ، وتتألم ، وتحس بالألم ، ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الغرام ! وهو يعمل بأعلى كفاية ، وفي الذبابة جملة من الغدد ، ولها ذاكرة تستمر دقيقتين .



أنواع الذباب :

أيها الأخوة الأحباب ، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في القرآن نذكرها نحن ، والذباب أنواع منوعة تزيد عن مئات الألوف منه ذباب مفترس ، ونوع كالنحلة تمتص الرحيق ، ونوع يخمر الفاكهة ، ونوع ينافس الطائرات في مناورتها وفي سرعتها ، إن مناورة الذبابة لا يمكن أن يصل إلى مستواها طائرة صنعها الإنسان ، تستطيع فجأة أن تعكس اتجاهها ، وفجأة تسير في اتجاه يشكل مع خيط سيرها زاوية قائمة ، وتضلل مطاردها وتسخر منه . فإذا كان الخلق مجتمعين في أرق عصورهم مع تقدم العلم عاجزين أن يخلقوا ذباباً فقد قال تعالى :

وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا
يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

(سورة الحج)

وقف المفسرون عند هذه الفقرة الأخيرة وقفة متحيرة ، ثم كشف العلم الحديث أسرار هذه الآية ، قال : إن الطالب لا يمكنه استنقاذ ما سلبته الذبابة لا بسبب العجز في الآلات المستخدمة ، ولكن لأن الطعام الذي دخل في جوف الذبابة لم يعد نفسه هو الذي أكلته، والعجز يأتي من أن الطعام وحتى قبل دخوله إلى ماصة فم الذبابة طرأ عليه التغير ، فلهذا السبب لا يمكن أن نستنقذه ، فإذا قام العلماء باستخراج ما في بطن الذبابة ، فإنه لن يكون هو نفسه الطعام الذي سلبته الذبابة ، إنما يحتاج لتجميع مركباته التي قد تفتت ، ولاحظ لو أراد العلماء أخذ الطعام من فم الذبابة ، ولو من بداية دخوله خرطومها ، فإن ذلك لن يجدي شيئاً ، لأن الطعام قد تحول إلى مركبات مختلفة تماماً ، حتى قبل امتصاصه ، لذلك لا يستنقذوه منه.

آية في القرآن الكريم لحشرة نشمئز منها . أيها الأخوة الكرام ، وفي الأرض آيات للموقنين :



إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

(سورة آل عمران)

03 - حقائق عن الحج

إن الحج هو الفريضة البدنية المالية الشعائرية ، وهي في حقيقتها رحلة قلوب لا رحلة أبدان ، هي في حقيقتها رحلة نفوس لا رحلة أشباح ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة إبراهيم)

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :

((**أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى**)) .

[البيهقي في شعب الإيمان عن العرباض]

ومناسك الحج من شعائر الله ، قال تعالى :

وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

(سورة الحج)



قال بعض العلماء : أداء الشعيرة شيء وتعظيمها شيء آخر ، من تعظيمها أن تؤديَها أيها الحاج كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تعظيمها أن تؤديها على شوق وطيب نفس لا على تأفف وتململ ، ومن تعظيم شعائر الله أن يؤديها الحاج ، ويتمنى أن يؤديها مرات ومرات .

إن المشاعر التي يشعر بها الحاج ، وهو في المشاعر المقدسة ، هي بوتقة ينصهر فيها قلب المؤمن حتى يتخلص من أدرانه عوداً به إلى يوم ولدته أمه ، نقي القلب ، صافي النفس ، تلك هي الغاية الكبرى من الحج ، أن تعود أيها الحاج كيوم ولدتك أمك .

الحكمة من تشريع اللون الواحد والتصميم الواحد لثياب الحجاج :

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين ، يقول ربنا جل جلاله :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

(سورة المائدة الآية : 97)

من أدق ما قاله المفسرون حول هذه الآية : إن المسلم بحجِ بيت الله الحرام ، وتعظيمِ شعائر الله ، وعقدِ العزم على طاعة الله ، واتباعِ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، تقوم وتتحقق مصالح المسلم في الدنيا والآخرة ، وعندئذ تتوقف المعالجة الإلهية :

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

أيها الأخوة الأحباب ، يخلع الحاج ملابسة المَخيطة والمُحيطة ، والتي تعبر بشكل أو بآخر عن دنياه ، عن حجمه المالي ، عن مرتبته الاجتماعية ، عن مرتبته الوظيفية ، بل عن درجته العلمية والدينية أحياناً ، هذه الملابس المَخيطة والمحيطة ، قد تعبر عن نوع انتمائه إلى أمةٍ ، إلى شعبٍ ، إلى قبيلةٍ ، إلى عشيرةٍ ، فلو بقي المسلم بلباسه لبقي ملتصقاً بدنياه ، أو بقبيلته ، أو بطبقته ، أو بمَنْ على شاكلته ، ولكن الإسلام لحكمةٍ كبيرة شرع اللون الواحد ، والتصميم الواحد ، حتى تختفي الهوية الخاصة ، ويبدو البشر كياناً واحداً ، ومن ثم تتعامل معهم بدافع إنساني خالص ، بعد



ما ذابت الفروق الطبقية ، والهويات الإقليمية ، والانتماءات المتعددة ، ليبرز هذا اللباس معنىً واحداً ، هو الإنسان على فطرته السليمة في مواجهة خالقه الواحد الديان .

ممنوعات من لوازم الإحرام :

بعد أن يخلع الحاج ثيابه المَخيطة والمحيطة ، ويرتدي ثوب الإحرام الموحد ، يدخل في أفق الممنوعات ، ففي باطنه ممنوع أن يفكر في شيء يؤذي الحرم ، ومع الناس ، فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال في الحج ، ومع الحيوان ، فلا يُصطاد ، ولا يقتل ، ومع النبات فلا يُقطع ، ولا يشوه ، ومع الحجر فلا يكسر ولا يقتلع ، هذه الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام ، ليكون الحج سلاماً دائماً قال تعالى :

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ



(سورة آل عمران)

فإن الحاجَّ المحرمَ يُحظَر عليه لُبسُ المخيط من الثياب ، ويُحظر عليه التطيُّبُ بكل أنواع الطيب ، ويُحظر عليه الحلقُ والتقصيرُ ، ويُحظر عليه مقاربةُ المُتَعِ التي أُبيحت له خارجَ الحج ، كلُّ ذلك ليُحْكِمَ اتصالَه بالله ، وليسعد بقربه وحده ، بعيداً عن كل مداخلة من مُتع الأرض ، ليتحقَّق الحاجُّ أنه إذا وصل إلى الله وصل إلى كلِّ شيء ، وأنّ الدنيا كلَّها لا يمكن أن تُمِدَّ الإنسانَ بسعادة مستمرة ، بل متناقصة، ولينطلق لسانُه بشكل عفوي قائلاً :يا رب ، ماذا فَقَدَ مَن وجدك؟ وماذا وَجَدَ مَن فَقَدَكَ ؟

فوق ذلك ففي الإنسان غريزة حب الاستطلاع ، فهو في أصل طبعه لا يقبل على عمل إلا إذا عرف حكمته ، وحقق به مصالحه العاجلة والظاهرة ، لأنه يحب نفسه حباً جماً ، وهذا مركب في أصل طبعه ، ولأن الحج بهذه الممنوعات ، وبهذه المناسك التي لا تظهر حكمتها للوهلة الأولى ،



لا يلبي هذه الحاجة الفطرية ، والفكرية ، والمادية ، لذلك يحتاج الحاج إلى درجة عالية من الإيمان بحكمة الله وعلمه ، ويحتاج إلى درجة عالية من العبودية له .

أيها الأخوة المؤمنون ، أيتها الأخوات المؤمنات ، يقول عمر رضي الله عنه : " تفقهوا قبل أن تحجوا " . فالعبادة في حقيقتها تعني خروج العبد من مراده إلى مراد ربه ، وهذا يبدوا جلياً واضحاً في الحج .

أيها الأخوة الأحباب ، يتساءل بعضهم ، هل مع هذا التسليم المطلق بحكمة ما أمرنا به إعمال للعقل ؟ الجواب : " لا " ، لأنه لن يكون العقل حكَماً على النقل ، ولكنه مسموح للعقل أن يفهم حكمة النقل ، مسموح له أن يطير في المجال الجوّي الإسلامي ، مسموح له أن يسبح في المياه الإقليمية الإسلامية ، مسموح له أن يسبح ولا يشطح .

فضل يوم عرفة :

أخوة الإيمان في كل مكان ، ويأتي موقف عرفة . فيوم عرفة من الأيام الفضلى ، تجاب فيه الدعوات ، وتقال العثرات ، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات ، وهو يوم عظَّم الله أمره ، ورفع على الأيام قدره ، وهو يوم إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ويوم مغفرة الذنوب ، ويوم العتق من النيران ، إنه يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق ، وبين ربه الرحيم التواب ، بين هذا الإنسان الحادث الفاني المحدود الصغير ، وبين الخالق المطلق الأزلي الباقي الكبير ، وعندها ينطلق الإنسان من حدود ذاته الصغيرة إلى رحاب الكون الكبير، ومن حدود قوته الهزيلة إلى الطاقات الكونية العظيمة ، ومن حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله .

يوم عرفة يوم المعرفة ، ويوم عرفة يوم المغفرة ، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسماوات ، ومن هنا قيل من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له .

عن جابر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة ، فقال رجل : هن أفضل أم من عدتهن جهاداً في سبيل الله ؟ قال : هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل لله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهي بأهل الأرض أهل



السماء ، يقول انظروا عبادي جاؤوني شعثاً غبراً ، ضاحين جاءوني من كل فج عميق ، يرجـون رحمتي ولم يروا عذابي ، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة)) .

[صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات وقـد كـادت الشمس أن تثوب فقال :

((يا بلال ، أَنصِت لي الناس ، فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنصت الناس ، فقـال عليه الصلاة والسلام : معشر الناس أتاني جبريل آنفاً فأقرأني من ربـي السلام ، وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعـات ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذه لنا خاصة ، قال : هذه لكم ، ولمـن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة ، فقال عمر رضي الله عنه : كثر خير الله وفاض)) .

[الترغيب والترهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

أحاديث عن يوم عرفة :

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ما من يوم أكثـــــر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول:ماذا أراد هؤلاء، انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً،اشهدوا أني غفرت لهم)).

[مسلم عن عائشة رضي الله عنها

إن الله يغفر للحاج ، ومبالغة في إكرامه يلقي في روعه أنه قد غفر له ، لـذلك يشـعر الحاج الصادق بأن الله قد غفر له ، وأنه عاد كيوم ولدته أمه .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ منه من يوم عرفـة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام)) .

[موطأ مالك عن أبي الدرداء رضي الله عنه]

روى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) .

[أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب]



قال عبد الله بن المبارك : جئت إلى سفيان الثوري عشية يوم عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه ، وعيناه تذرفان ، فالتفت إلي ، فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالاً ؟ قال : الذي يظن أن الله لا يغفر له .

موقف عجيب في عرفات ، يغطيه نبات بشري مختلف ألوانه ، أغصانه تلك الأيدي المرفوعة بالدعاء إلى رب الأرض والسماء ، يرى الحاج بين يديه صورةً مصغَّرةً للمحشر العظيم يوم القيامة ، وعليه أن يستعدَّ له منذ الآن ، لأن رحلة الحج يعود منها الإنسان إلى وطنه ، ولكن المحشر العظيم يوم القيامة لا يعود منها الإنسان إلى وطنه ، إنها رحلته قبل الأخيرة استعداداً للرحلة الأخيرة ، الناس جميعاً بلباس موحد ، وبدعاء موحد ، وبابتهال موحد كلهم ضعاف ، كلهم فرادى ، نموذج مصغَّر للرحلة الأخيرة ، لقد كان الحج رحلة قبل الأخير استعداداً للرحلة الأخيرة .

رمي الجمرات :

وفي رمي الجمرات بعض الأسرار ؛ فلنبدأ بالجمرة الكبرى في اليوم الأول ، وقال بعض العلماء : هذا تكثيف ، وحشد في لغة العسكريين ، ابدأ بمواجهة الأكبر ، وكان عليه الصلاة والسلام يخص الجمرتين الأولى والوسطى بتطويل الوقوف عندها للدعاء ، إنها ثلاث جمرات وبينهما مسافة ، ليظل المؤمن واعياً تماماً ، لا ينام حتى لا يسقط سلاحه ، بينما العدو منه على مرمى حجر ، وعليه أن يعلم أن المعركة مع الشيطان متعددة المواقع ، ومستمرة ، وممتدة مع عمره ، لذلك ينبغي أن تُرمى ثلاث جمرات في ثلاثة أيام ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه .

يا أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : لا يحصل إرغام أنف الشيطان في أثناء رجمه إلا بطاعتك للرحمن ، ومن عاد بعد الحج إلى ما كان عليه من المعاصي والآثام ، فليعلم علم اليقين أن الشيطان هو الذي رَجَمه .

أيها الأخوة الكرام ، أيتها الأخوات الكريمات ، لقد طار بعض العلماء في سماء الحج ، وسبحوا في بحوره الواسعة بل غاصوا فيها ، فكانت لهم لمحات وضيئة ، قالوا عن الطواف ؛ كأن الإسلام حجر ألقي فوق محيط ، فتكونت منه دوائر حوله متتابعة متنامية وهكذا بيت الله الحرام ، فالطواف حول البيت طواف المحب حول محبوبه ، توثيق للعهد بين العبد وربه ، تعبير عن حب عميق لرمز التوحيد .



أيها الأخوة الكرام ، لقد استقطب البيت الحرام المؤمنين من قارات الدنيا الخمس، فجاءوا نوعيات مختلفة ، تحمل كل جماعة هموم مجتمعها ، جاءوا ليعودوا في البعد الزماني إلى ماضي هذه الأمة المشرق ، وفي البعد المكاني إلى الأرض الذي نزل فيها الوحي .

جاءوا ليعودوا إلى المكان الذي ضم هذه الرسالة الخالدة ، للتزود بالدروس المفيدة التي تعينهم على صلاح دنياهم وفق منهج ربهم ، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم . لا تقوم مصالحهم الدنيوية وفق منهج الله ، ولا مصالحهم الأخروية إلا إذا عظموا هذا البيت واصطلحوا مع الله ، وأقاموا منهجه في الأرض .

الحج عبادة زُيِّنت بمحاسن وآداب ، وإذا كان الحج ارتفاعاً عن شهوات الحياة الدنيا وادياتها ، وتدريباً للعبد على التخفف منها ، والاكتفاء باليسير ، فلا يليق بالمتلبس بهذه العبادة أن ينشغل عنها بما نهى الله تعالى عنه ، إنه لا يكفي منك أن تُعرِض عن هذه المنهيات فحسب ، بل عليك أن تكون آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، إن حسن الخلق ، وطيب الكلام ، وإطعام الطعام ، من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل .

وإذا كان اقتراف المعاصي محرم في كل حين ، فإنها في مكة ، وفي حال الإحرام أشد تحريماً ، وهي أولى بالمنع والزجر والنهي عنها .

الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتب منها صاحبها :

أيها الأخوة في كل مكان ، لا يُعقل ولا يُقبل أن يذهب الحاج إلى بيت الله الحرام قبل أن يتفقه بأركان الحج ، وواجباته ، وسننه ، ومستحباته ، وصفة حجة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الحاج . لا يُعقل ولا يُقبل أن تُؤدى هذه العبادة الجليلة أداءً بعيداً عن مقاصدها وثمارها . لا يُعقل ولا يُقبل أن يعود الحاج من أداء هذه الفريضة كما ذهب . لا يُعقل ولا يقبل أن يُوجد الحاج في المشاعر المقدسة دون أن يشعر بأية مشاعر مقدسة . لا يعقل ولا يقبل أن يتحرى الحاج سنةً أو مستحباً ، ويرتكب من أجلها معصية ، أو أن يتجاوز فريضة . لا يُعقل ولا يُقبل أن يحدثك الحاج عن كل شيء في الحج إلا الحج . لا يُعقل ولا يقبل أن يرمي الحاج الجمرات تعبيراً عن معاداته للشيطان ، ويعود إلى بلده ليكون أُلعوبة بين يدي الشيطان . لا يُعقل ولا يُقبل أن يقتصر أمر الله في هذه الفريضة على أن يأتي الحاج من بلاد بعيدة ليجلس في المشاعر المقدسة ، يأكل ، وينام ، ويتكلم في شؤون الدنيا ، إن أمر الله في هذه العبادة ليس كذلك ، وهو أعظم وأجلّ من



أن يكون كذلك ، أن تأتي إليه من بلاد بعيدة لتحقق وجودك المادي في مكان ، تمضي هذا الوقت في غير ما أمرت به ، وليس هذا المستوى من الحج هو الذي تقوم به مصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم .

أيها الأخوة والأخوات ، يجب العلم اليقيني بأن الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتب منها صاحبها ، فالمقيم على ذنب ولم يتب منه ، وهو مستمر فيه ، فإن الحج لا يكفر هذا الذنب ، وإنما الحج كفارة وأجر للعبد التائب إلى الله ، الراجع إليه ، الراجي رحمته وعفوه ، والذي أقلع عن ذنوبه إقلاعاً لا رجعة بعدها . والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال أناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يا رسول الله : أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟! قال صلى الله عليه وسلم : أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام)).

[مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

الحج نوع من الجهاد :

مع أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، إلا أنه من أساء في الإسلام جوزي بعمله السيئ في الإسلام ، وما كان قبل الإسلام ، وكذلك الحال فيمن له معاصٍ لم يتب منها قبل الحج فإن الحج لا يهدم هذه المعاصي ، وهذا يعني أن الحج لا يفيد إلا التائب من الذنب ، والعائد إلى الله ، الراجع إليه ، المقلع عن ذنوبه ، وأما المقيم على معاصيه وذنوبه المستمر فيها ، فإن الحج لا يهدم ما كان قبله في هذه الحالة .

وقد ورد أن الحاج إذا حج بمال حرام ووضع رجله في الركاب ، وقال : لبيك اللهم لبيك ، نودي أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَعْنِي الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ)) .

[أخرجه أحمد في مسند بني هاشم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ)) .

[أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]



وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((**الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ**)) .

[أخرجه ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

هذه ميزة لا تُقدر بثمن ، أن تكون مُجاب الدعوة .

من مات ، ولم يجاهد ، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق ، فإن لم يُتح للمسلم الجهاد القتالي ، فقد أُتيح له جهاد النفس والهوى ، أتيح له الجهاد الدعوي ، وأتيح له الحج . والحج نوع من الجهاد وإليكم الدليل ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**)) .

[أخرجه النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي حديث آخر عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ**)) .

[أخرجه ابن ماجة وأحمد في المناسك عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ]

وفي حديث ثالث عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قُلْتُ :

((**يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**)) .

[أخرجه ابن ماجة وأحمد عَنْ عَائِشَةَ]

وصفٌ دقيقٌ من قِبَلِ الرسول لِمَا ينبغي أنْ يكون عليه المسلمون في شتَّى أقطارهم :

أيها الناس ، إن المسلمين يتفقون على أصول الدين ، وعلى المحاكمات القطعية التي جاء الدين بها ، هم يؤمنون بإله واحد لا شريك له ، في ذاته ، وفي أسمائه ، وفي صفاته ، وفي ربوبيته ، وفي ألوهيته ، فهو المستحق للعبادة وحده ، وهم يؤمنون بنبيّ واحد ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، جاء بأفضل الشرائع وآخرها ، وهو واجب الاتباع إلى قيام الساعة ، ويتجهون إلى قِبلة واحدة ، ويقرؤون قرآناً واحداً ، يقطعون كلهم بأنه محكم محفوظ من الزيادة والنقصان ، لم تَطُلْه يد التحريف والتبديل والتغيير في ألفاظه ومجملات معانيه ، ويصومون شهراً واحداً ويحجون بيتاً واحداً ، ويقفون بعرفة موقفاً واحداً ، تاريخهم واحد ، ومصيرهم ومستقبلهم واحد ، حتى التحديات التي تواجه المسلمين هي تحديات واحدة في الجملة .



فإننا نجد الأذى الذي يوجه إلى المسلمين كلهم ، يوجه إليهم شعوباً وأمماً ، بلا تمييز بين أقوياء الإيمان وضعفاء الإيمان ، وبين العلماء والجهلاء ، وبين الصلحاء والفاسدين ومع كل هذه المقومات فهم متفرقون ، متنازعون ، بأسهم بينهم ، تفرقهم الأهواء والمصالح ، وهذا يؤكد على الأمة ضرورةَ أن تعمل على تحقيق معنى هذا الانتماء ، ومعنى تلك الوحدة .

ومن أخطر توجيهات النبي الكريم في هذا الظرفِ الصعب الذي يُحَدِّق بالأمة العربية والإسلامية قولهُ :

((إِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ)) .

[السيرة النبوية لابن هشام]

أيْ لا يحق في المنهجِ الإسلاميِّ لفئةٍ أنْ تصطلحَ مع عدوٍّ بشكلٍ انفراديٍّ ، هذا وصفٌ دقيقٌ مِن قِبَلِ مبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون ، أو لِمَا ينبغي أنْ يكونوا عليه في شتَّى أقطارهم وديارهم ، مِنْ تعاوُنٍ وتناصُرٍ وتعاطُفٍ ، فهم كالجسدِ الواحدِ نَصَحَةٌ متوادُّون ، وهم بنيانٌ واحدٌ يشدُّ بعضُهم بعضاً ، هم يَدٌ على مَن سواهم ، سِلْمُهُم واحدةٌ ، وحَربُهُم واحدةٌ ، هذا ما ينبغي أنْ يكونَ عليه المؤمنون في شتّى أقطارهم وأمصارهم .

04 - الأمطار

تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز :

إن هطول الأمطار يوجب علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه العظيمة ، وعطاياه الجزيلة ، فقد ورد في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول :

((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)) .

[متفق عليه عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ]

إليكم هذا الخبر الذي يؤكد أن تقنين الله للأمطار لا يمكن أن يكون تقنين عجز كشأن البشر حينما يقننون ، ولكنه تقنين تربية وتأديب كما يظن المؤمنون .



أعلمت وكالة الفضاء الأوربية أن المرصد الفضاء الأوربي العامل بالأشعة تحت الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي ، يمكن لها أن تملأ محيطات الأرض ستين مرةً في اليوم الواحد بالمياه العذبة . وعلق أحد علماء الفلك أن المرصد عثر على غيوم للبخار في أكثر من مكان في الكون ، إلا أن هذه الغيمة التي اكتشفها مؤخراً ، تعد مصنعاً هائلاً لبخار الماء ، يمكنها أن تنتج من الماء ما يكفي لملء جميع محيطات العالم بالماء العذب ستين مرة في اليوم الواحد ، وهذا مصداق قول الله تعالى :

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

(سورة الحجر) .

وأما معنى التقنين التربوي أو التأديبي ، ففي قوله تعالى :

۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ

(سورة الشورى الآية : 27) .

وقال :

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

(سورة الجن) .

وقال :

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم

(سورة المائدة الآية : 66) .

فالجاهلون والشاردون يخوفون أهل الأرض مرةً بنقص الغذاء ، وأخرى بنقص الماء ، وتارةً باقتراب نضوب آبار النفط ، فيفتعلون حروباً من أجل المياه تارةً ، وحروباً من أجل القمح



تارةً أخرى ، وأحدث هذه الحروب من أجل النفط ، وفاتهم أن تقنين الله عز وجل هو تقنين تأديب لا تقنين عجز .

05 - الظلام في الفضاء الخارجي

كان هناك عالم من علماء الفلك في زيارة مركز من مراكز إطلاق المراكب الفضائية في بعض الدول المتقدمة، وهو في زيارة هذا المركز الذي ظل على اتصال مستمر بمركبة فضائية أُطلقت قبل زيارته، فإذا برائد الفضاء الذي على المركبة يتصل بمركز انطلاق المركبة، ويخبرها أنه أصبح لا يرى شيئاً ! لقد أصبحنا عمياً !! لا نرى شيئاً، والغريب أن المركبة قد انطلقت في وضح النهار، وبعد وقت قليل تجاوزت هذه المركبة الغلاف الجوي، ودخلت في منطقة لا هواء فيها، وأصبح الجو مظلماً ظلاماً كلياً، فصاح هذا الرائد: لقد أبحنا عمياً، لا نرى شيئاً، ما الذي حصل ؟ مركبة انطلقت في وضح النهار، وضح النهار في الأرض معروف، كل شيء مكشوف، وواضح بأشعة الشمس، أو من دون أشعة الشمس، لكن هناك أصبح الظلام مسيطراً، ولا يرى هذا الرائد شيئاً ! الذي حصل أن أشعة الشمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تتناثر، بمعنى أن كل ذرة في الهواء تعكس على أختها بعض أشعة الشمس ! فانتثار الضوء ظاهرة علمية، أساسها أن أشعة الشمس تنعكس على ذرات الهواء، وكل ذرة تعكس على أختها من أشعة الشمس شيئاً، في الأرض يوجد ظاهرة، أن هناك منطقة فيها ضياء، وليس فيها أشعة شمس، فنقول: فيها الجو نهار، ونرى كل شيء، والشمس في بعض الأماكن أشعتها، بينما في الفضاء الجوي لا هواء، أي لا انتثار للضوء، فالجو ظلام تام دامس، لا يرى في الفضاء الخارجي إلا قرص الشمس فقط، فحينما نظر هذا الرائد من نافذة المركبة فرأى ظلاماً دامساً مطبقاً فصاح: أصبحنا عمياً، لا نرى شيئاً، هذه الحقيقة، أن الفضاء الخارجي ليس فيه هواء، وبالتالي ليس فيه انتثار ضوء.

06 - الاستطاعة في الحج

في الإسلام ــ فضلاً عن العقائد التي هي أساس الدين ــ عبادات تنظم علاقة الإنسان بربه ، ومعاملات تنظم علاقة الإنسان بأخيه ، وإذا صحت العبادات ارتقت المعاملات ، وكان ارتقاء المعاملات مؤشراً على صحة العبادات ، والعبادات تهدف أول ما تهدف إلى السمو بالإنسان نفساً وقولاً وعملاً ، عن طريق الاهتداء بهدي رب العالمين وإحكام الصلة به ، والتنعم بقربه ، والتقلب



في رحمته ، وقطف ثمار فضله ، ومن هذا المنطلق شُرعت العبادات الشعائرية ، كالصلاة والصيام والحج .

الحج عبادة قولية ، وقلبية ، وبدنية ، ومالية ، وشعائرية ، تؤدى في أمكنة مُخصصة ، وفي أزمنة مُخصصة ، وبأعمال مُخصصة . والحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع ، مرةً في العمر كله ، يُكفَّر جاحده ، ويُفسَّق تاركه ، فَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)) .

[رواه الترمذي عَنْ عَلِيٍّ]

إذا كانت الصلاةُ تتكرّر في اليوم الواحد خمسَ مرات ، وفريضة الجمعة تُؤدَّى كلَّ أسبوع ، وفريضةُ الصوم تُؤدَّى في العام شهراً ، فإن فريضةَ الحج تجب في العمر كلِّه مرةً واحدة ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سَأَلَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّةً الْحَجُّ أَوْ فِي كُلِّ عَامٍ ؟ قَالَ : لَا بَلْ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَتَطَوُّعٌ)) .

[أخرجه أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

وهو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار ، ينتقل فيها المسلمُ ببدنه وقلبه إلى البلد الأمين ، الذي أقسم الله به في القرآن الكريم ، ليقف في عرفات الله ، وليطَّوَّف ببيته الحرام ، الذي جعله الإسلامُ رمزاً لتوحيد الله ، ووحدة المسلمين ، ففرض على المسلم أن يستقبله كلَّ يوم خمس مرات في صلواته .

ثمن الحج كما ورد في السُّنَّة النبوية :

مما تتميز به هذه العبادةُ ــ أي الحج ــ أنها تحتاج إلى تفرُّغ تام ، فلا تُؤدَّى إلا في بيت الله الحرام ، ولا بد من مغادرة الأوطان ، وترك الأهل والخِلاَّن ، وتحمُّل مشاقِّ السفر ، والتعرض لأخطاره ، وإنفاق المال في سبيل رضوانه ، وإذا صحَّ أنَّ ثمن هذه العبادة باهظُ التكاليف ؛ فإنه يصحُّ أيضاً أن ثمرةَ هذه العبادة باهرةُ النتائج ، حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)) .

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]



وقال أيضاً لعمرو بن العاص :

((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟)) .

[رواه مسلم عَنْ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)).

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

((الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ ؛ إِنْ سَأَلُوا أُعْطُوا ، وَإِنْ دَعَوْا أُجِيبُوا ، وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلِفَ عَلَيْهِمْ)) .

[البيهقي والمنذري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)) .

[رواه الترمذي والإمام أحمد عن ابن مسعود]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله)).

[أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن بريدة]

ثم فرض على المسلم أن يتوجَّه إليه بشخصه ، ويطوفَ به بنفسه ، في العمر مرة واحدة ، بشرط استمرار نتائجه .

الحكمة من وجود بيت الله الحرام في وادٍ غير ذي زرع :

أخوة الإيمان في كل مكان ، الحج رحلة إلى الله ، فقد شاءت إرادتُه لحكمة مطلقة ــ مراعاة للنزعة المادية في كيان الإنسان ــ أنْ يضع للناس في الأرض بيتاً له يُمكِّن المؤمنين به مِن أنْ يعبِّروا من خلال إتيانه مِن كل فَجٍّ عميقٍ أن يُعبِّروا عن حبهم لله ، وشوقهم إليه ، فالمؤمن يؤكِّد من خلال قصده البيتَ الحرامَ ، مُلبِّياً دعوةَ ربه ، أنَّ الله أحبُّ إليه مِن أهله وولده وماله وعمله وبلده والناس أجمعين ، فيتحمّل نفقاتِ الحجِّ التي ربما كانت باهظة ، ويتحمّل تركَ الأهل والولد الذي ربما



كان صعباً ، ويتحمّل تركَ العمل والكسب الذي ربما كان كثيراً ، كلُّ ذلك حُبّاً لله ، وطمعاً بالقرب منه .

وشاءت حكمةُ اللهِ أن يكون بيتُه الحرام في المنطقة الحارة من الأرض ، وفي وادٍ غير ذي زرع ، ليكون واضحاً لدى الحُجَّاج أنّ الاتصال الحقيقي بالله يحقِّق للمرء سعادةً ، يستغني بها عن كل الشروط المادية ، التي يتوهَّم أنها سبب سعادته ، وأنّ سعادةَ الإنسان تنبع من داخله لا مما يحيط به نفسَه من ألوان النعيم .

ولو كان بيتُ الله الحرام في المنطقة المعتدلة من الأرض ، حيث الجبالُ الخضراءُ ، والمياهُ العذبةُ ، والبحيراتُ الصافيةُ ، والبساتينُ الغناءُ ، والجوُّ اللطيفُ ، والنسيمُ العليلُ ، وكان الحجُّ على مدار العام دفعاً للازدحام ، لأقبل كلُّ الخلق إلى أداء الفريضة الممتعة ، طلباً للاستجمام ، لا حُبَّاً بخالق الأكوان .

فضلاً عن موقع البيت الحرام ، وعن طبيعة الجو فيه ، فإن الحاجَّ المحرمَ يُحظَر عليه لُبسُ المخيط من الثياب ، ويُحظر عليه التطيُّبُ بكل أنواع الطيب ، ويُحظر عليه الحلقُ والتقصيرُ ، ويُحظر عليه مقاربةُ المُتَعِ التي أُبيحت له خارجَ الحج ، كلُّ ذلك ليُحْكِمَ اتصالَه بالله ، وليسعد بقربه وحده ، بعيداً عن كل مداخلة من مُتع الأرض ، ليتحقَّق الحاجُّ أنه إذا وصل إلى الله وصل إلى كلِّ شيء ، وأنّ الدنيا كلَّها لا يمكن أن تُمِدَّ الإنسانَ بسعادة مستمرة ، بل متناقصة ، ولينطلق لسانُه بشكل عفوي قائلاً : يا رب ، ماذا فَقَدَ مَن وجدك ؟ وماذا وَجَدَ مَن فَقَدَك ؟

ومُجْمَلُ القول : إنّ الحجَّ عبادةٌ كبرى ، قِوامُها اتصالٌ متميِّزٌ بالله عز وجل ، وأساسُها معرفةٌ وقُرْبٌ ، وبَذْلٌ وحُبٌّ ، وسببُها نزعُ أقنعةِ الدنيا المزيفةِ ، وتجاوزُ الخلق إلى الخالق ، وخرقُ النعم إلى المنعم .

شروط قبول الحج :

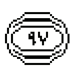
يا أيها الأخوة الكرام ، ولكي تؤدَّى هذه العبادة العظيمة على نحوٍ يقبلها الله ، ويرضى عنها ، ولئلا يُنفِق الإنسانُ المالَ الكثيرَ ، والوقتَ الثمينَ ، ويتجشَّم المشاقَّ ، ثم لا تُقبل حجَّتُه ، ويُقال له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجُّك مردود عليك ، لئلا تضيعَ حجّتُه سُدًى ، عليه أنْ يتوب قبْلَ الذهاب إلى الحج مِن كل الذنوب والآثام ، كبيرِها وصغيرِها ، جليلِها وحقيرِها ، فيجتنب كلَّ كسْبٍ حرام ، وكلَّ علاقةٍ متلبِّسة بالآثام ، وعليه أن يؤدِّيَ الحقوقَ التي عليه بالتمَّام والكمال ، وبخاصة تلك الحقوق



المتعلقة بالخلق ، لأن حقوق العباد مبنيةٌ على المُشَاحَحَةِ بينما حقوق الله مبنيةٌ على المسامحة ، فعليه أن يؤدِّيَ الحقوق ، ويُقلعَ عن الذنوب ، والأهمُّ مِن هذا أن يَعقِدَ العزمَ على ألاّ يعودَ إليها بعد الحجّ ، وإلاّ أصبح الحجُّ مِن الطقوس لا من العبادات ، فَمِنَ الخطأ الكبير ، والوهم الخطير أنْ يظنّ الحــاجُّ أنّ الحجَّ يهدمُ ما قبله من الذنوب كلِّها ، وفيه تُغفر كل خطيئة ، وقد أجمع العلماءُ على أنّ الأحاديثَ الشريفة التي تبيِّن أنّ الحاجّ يعود مِن الحجّ كيوم ولدته أمه ، وقد غُفرت ذنوبُه كلُّها ، هــذه الــذنوبُ التي أشار إليها النبيُّ صلى الله عليه وسلم هي الذنوبُ التي بين العبد وربِّه حصراً ، أمّا الذنوبُ التي بينه وبين الخلق ، والحقوقُ التي في ذمته ، والواجباتُ التي قصَّر في أدائها ؛ فهذه لا تَسقطُ ولا تُغفر إلا بالأداء أو المسامحة ، فالذنوب ثلاثة ؛ ذنب لا يُغفر وهو الشرك ، وذنب لا يُترك وهو ما كــان بين العبد والخلق ، وذنب يُغفر وهو ما كان بين العبد وربه .

أخوتي المؤمنين ، أعزائي المستمعين ، والاستطاعة التي وردت في الآية التي تعد أصلاً في فرضية الحج وهي قوله تعالى :

﴿ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾



(سورة آل عمران)

هي استطاعة بدنية ومالية وأمنية وإدارية .

الاستطاعة في الحج :

المسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمُّل أداء مناسك الحج بَغَلَبة يقينية أو بإخبار طبيــب متخصص مسلم حاذق ورع ، يُجزئه أن يُكلِّف من يحج عنه في حياته أو يوصي بحجة بــدل بعــد مماته ، وفق أحكام هذا النوع من الحج .

والمسلم الذي لا يملك المال الكافي الذي يغطي نفقات الركوب بأنواعها ، ونفقات السكن في مكة والمدينة ، وثمن الطعام والشراب فضلاً عن نفقات أهله وولده في غيبتــه لا يعــد عنــد الله مستطيعاً ، فلا ينبغي للمسلم غير المستطيع أن يبذل ماء وجهه من أجل جمع نفقــة الحــج ، ولا أن



يسلك المسالك الملتوية ، من أجل أن يحصل على نفقة الحج ، فإنه في الأصل ليس مستطيعاً ولا حجَّ عليه .

وحينما يقرر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظاماً يُتيح لمَن لم يحجّ أن يحجّ ، ويَمنع من حجّ حجة الفريضة من أن يحج ، حينما يكون الباعث على هذا التنظيم إفساحَ المجال للمسلمين الذين لم يحجّوا حجّة الفريضة أن يؤدُّوها بيسر وطمأنينة ، فلا ينبغي للمرء أنْ يرتكب معصيةً ليحجّ حجّة نافلة ، فالمسلم الذي لم يُسمح له أن يحج لا يُعَدُّ مستطيعاً .

وما دام الحج مِنَ العبادات المالية التي تستوجب إنفاقَ المال ، فلا بد في المال الذي سينفقه الحاجُّ في هذه الفريضة أنْ يكون مالاً طيباً وحلالاً ، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً**)) .

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((**إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ حَاجّاً بِنفقَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ** – ركاب الدابة – **فَنَادَى : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، نَادَاهُ مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، زَادُكَ حَلالٌ ، وَرَاحِلَتُكَ حَلالٌ ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ فنادى : فَنَادَى : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، نَادَاهُ مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : لا لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ ، زَادُكَ حَرَامٌ ، ونَفَقَتُكَ حَرَامٌ ، وَحَجُّكَ مَأْزُورٌ غَيْرُ مَأْجُورٍ**)) .

[رواه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وبما أنّ الحجّ فريضةٌ فرضها الله على المستطيع ؛ والفقير ليس مستطيعاً ، فلا ينبغي للفقير أن يقترض ليحجّ ، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال :

((**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَنِ الرَّجُلِ لَمْ يَحُجَّ : أَوَ يَسْتَقْرِضَ ؟ قَالَ : "لَا"**)) .

[رواه البيهقي من قول ابن أبي أوفى]

والمدين لا تُقبل حجته إلا بموافقة دائنه .

على الحاج أن يتفقه قبل أن يحج :

إنّ من بدأ حجه بتصريح كاذب ، أو انتحل صفة لا يتصف بها ، أو يتصف بها ، ولا يريد أن يقوم بها ، أو دفع مالاً غير مشروع لجهة غير شرعية تحول أداؤه لهذه الفريضة إلى عمل



محرم ، استناداً إلى القاعدة الفقهية الأصولية وهي أنَّ كل ما استلزم محرماً يصبح هو الآخر محرماً ، فالطريق إلى المحرم محرم ، فالمؤمنون عاداتهم عبادات ، والمنافقون عباداتهم سيئات .

أيها الأخوة حضوراً ومستمعين ، وبما أنّ عبادةَ الحجّ فرَضَها الله على المستطيع في العمر كله مرة واحدة ، فإنْ أخلَّ الحاجُّ بمناسكها ، فلم يؤدِ ركناً ، أو نسي واجباً ، أو تركَ سنَّةً ، أو حرص على سنة أدَّت إلى انتهاك حرمة ، أو اقترفَ معصية ، أو فَعَلَ محظوراً ، فَقَدْ أَبْطَلَ حجَّه ، أو لَزِمه الدمُ ، أو أساء ، أو قصَّر ، أو تركَ الأَوْلَى ، إنْ فَعَلَ هذا فقد ضيّع فرصة فريدة لا تتكرّر ، فرصة لمغفرة ذنبه واستحقاقه جنّةَ ربه ، كلُّ هذا بسببِ الجهل الذي هو أعدى أعداءِ الإنسان ، فالجاهلُ يفعل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله عدوُّه به ، لذلك نقول : أيها الحجّاجُ ؛ تفقَّهوا قبل أن تحجّوا ، فعالمٌ واحد أشدُّ على الشيطان مِن أَلْفِ عابدٍ ، وقليلٌ مِنَ الفقهِ خيرٌ مِنَ كثيرٍ مِنَ العبادة :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(سورة النحل) .

كما أن انتظار الصلاة يُعَدّ من الصلاة ، كذلك الإعدادُ الفقهيّ للحجّ فهو مِنَ الحجّ، فكم مِن حاجٍّ أهْملَ التفقُّهَ قَبْلَ الحج ، وعاد مِنَ الحجّ ، ولم يطف طواف الركن ، فبطل حجُّه ، وكم مِن حاجٍّ اجتاز الميقاتَ المكانيَّ غيرَ محرمٍ فلزمه الدم ، وكم مِن حاجٍّ وقع في محظورات الإحرام وهو يحسبُ أنه يُحسن صنعاً .

الله لا يقبل نافلةً أدَّتْ إلى تركِ واجبٍ :

مِن فقهِ الرجلِ أنْ يتحرّك في حياته وَفق سُلَّم للأوليات ، فإذا أدّى حجّةَ الإسلام وهي حجةُ الفريضة ، وتاقت نفسُه إلى أن يحجّ مرةً ثانيةً وثالثةً ، وكان مستطيعاً بماله وبدنه وموافقة أولي الأمر له ، ولم يسهم مِن خلال تصريحٍ غيرِ مطابق للواقع في حرمان مسلم مِن حجّة الفريضة ، وكان قد أدّى كلَّ ما عليه من واجبات تجاه والديه ، وأولاده ، وإخوته ، وأخواته ، وأصدقائه ، وجيرانه ، فلا عليه أنّ يحجّ ثانية وثالثة ورابعة ، فالحج جهاد لا شوكة فيه ، وهو جهادُ الكبيرِ ، والمرأةِ ، والضعيف ، وقد ورد في الحديث القدسي :

((إِذَا أَصْحَحْتُ لِعَبْدِي جِسْمَهُ ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ ، فَأَتَتْ عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَمْ يَفِدْ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ)) .



[البيهقي في السنن الكبرى ومسند أبي يعلى والترغيب والترهيب للمنذري]

لكن حينما يحجّ المسلمُ حجةَ الفريضةَ ، وله ولد في سنّ الزواج ، ويخشى عليه الانحرافَ ، فالأَوْلى أن يزوِّجه بدلَ أنْ يحجّ حجة النفل ، لأنّ دَرْءَ المفاسدِ مقدَّمٌ على جَلْبِ المنافع ، وأنّ الله لا يقبل نافلةً أدَّتْ إلى تركِ واجب :

وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ .

(سورة البقرة الآية : 269)

ومن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم :

((اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ)) .

[أخرجه ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

معنى هذا أن من انحراف الحاج عن قصده ، وعدم إخلاصه في عبادته أن يبتغي من حجه السمعة والرياء .

أيها الأخوة الأحباب ، ويجب أنْ يعلمَ المسلمُ أنّ الحجَّ لا يكفِّر الذنوبَ التي لم يَتُبْ منها صاحبُها ، فالمقيم على ذنبٍ ما لم يَتُبْ منه وهو مستمرٌّ فيه ، فإنّ الحجَّ لا يكفِّر ذنبَه ، وإنما الحجُّ كفارةٌ وأجرٌ للعبدِ التائبِ إلى الله ، الراجع إليه ، الراجي رحمتَه وعفوَه ، والذي أقْلَعَ عن ذنوبه إقلاعاً لا رجعة بعده ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا ، وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ)) .

[مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]

خطبة حجة الوداع خطبة جامعة مانعة :

أيها المسلمون ، خَطَبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم في حجّة الوداع خطبةً جامعةً مانعةً ، تضمنت مبادئَ إنسانيةً سيقتْ في كلماتٍ سَهلةٍ سائغةٍ ، كيفَ لا وقد أُوتيَ النبي صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم ، ولقد استوعبتْ هذه الخطبةُ جملةً مِنَ الحقائقِ التي يحتاجها العالَم الشاردُ المعذَّب ليرشُدَ ويسعَدَ ، قال تعالى :



فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

(سورة طه)

إن الله جل وعلا ربَّى محمّداً صلى الله عليه وسلم ليُربِّيَ به العــربَ ، وربَّـــى العــربَ بمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم ليُربِّيَ بهم الناسَ أجمعين ، قال تعالى :

وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ



ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(سورة الحج الآية : 78)

مبادئ انطوت عليها خطبة النبي الكريم في حجة الوداع :

من المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

1ـ الإنسانيةُ متساويةُ القيمةِ :

الإنسانيةُ متساويةُ القيمةِ في أيِّ إهَابٍ تَبَرَّزَ ، وعلى أية حالة كان ، وفوق أي مســتوى تَرَبَّعَ ، فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِــي وَسَــطِ أَيَّــامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ :

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...)) .

[أحمد عَنْ أَبِي نَضْرَةَ]

2ـ النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها ربما بَنَتْ مَجْدَهَا على أنقاض الآخرين :



النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها ، مؤمنةً بوعده ووعيده ، مؤمنةً بأنه يعلم سرَّها وجهرها ، تدور حول أثرتها ، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها ، فربما بَنَتْ مَجْدَهَا على أنقاض الآخرين ، وبنت غناها على فقرهم ، وبنت عزها على ذلهم ، بل ربما بنت حياتها على موتهم ، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع :

((... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ ثُمَّ قَالَ اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) .

[أحمد عن أبي حرة الرقاشي عن أبيه]

3ـ المال قوام الحياة :

المال قوام الحياة ، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس ، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في عِمارةِ الأرض ، وإغناء الحياة ، تجمّع في أيدٍ قليلة ، وحُرمت منه الكثرة الكثيرة ، عندها تضطرب الحياة ، ويظهر الحقد ، ويُلجأ إلى العنف ، ولا يلد العنفُ إلا العنفَ ، والربا يسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية ، التي تعود على المجتمع البشري بالويلات ، لهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع :

((...أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِباً فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ...)) .

[رواه الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ]

4ـ النساء شقائق الرجال :

النساء شقائق الرجال ، ولأنّ المرأةَ مساويةٌ للرجل تماماً ، من حيث إنها مكلفةٌ كالرجل بأركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، ومساويةٌ له من حيث استحقاقُها الثوابَ والعقابَ ، ومساوية له تماماً في التشريف والتكليف ، لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع :

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)) .



[رواه الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ]

ثم يُتابع خطبته فيقول :

((**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**)) .

[متفق عليه عن جرير بن عبد الله]

((**وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَداً ، وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَسَيَرْضَى بِهِ**)) .

[رواه مسلم عن جابر]

((**وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ؛ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ ،وَأَدَّيْتَ ، وَنَصَحْتَ ، ثُمَّ قَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**)) .

[رواه مسلم عن جابر]

07 ـ ماء زمزم ، طعام طعم ، وشفاء سقم

وصف النبي صلى الله عليه وسلم ماء بئر زمزم :

((**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**)) .

[رواه الإمام مسلم عن أبي ذر]

وزاد غير مسلم :

((**وَشِفَاءُ سُقْمٍ**)) .

[فيض القدير للمناوي عن صفية]

وعن ابن جريج : قال سمعت أنه يقال :

((**خَيْرُ مَاءٍ فِي الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ ...**)) .

[الطبراني في الأوسط والكبير عن ابن جريج]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**)) .

[ابن ماجه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

وزاد الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً :

((**فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ**)) .

[الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما]



وأخرج ابن ماجه في المناسك عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ جَالِساً ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : مِنْ زَمْزَمَ ، قَالَ : فَشَرِبْتَ مِنْهَا كَمَا يَنْبَغِي ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : إِذَا شَرِبْتَ مِنْهَا فَاسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ ، وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَتَنَفَّسْ ثَلَاثاً ، وَتَضَلَّعْ مِنْهَا ، فَإِذَا فَرَغْتَ فَاحْمَدْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ)) .

[ابن ماجه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ]

وقد حرص الصحابة والتابعون وكثيرٌ مِن علماءِ الأُمَّة وعامَّتُها على التَّضَلّع مِن ماءِ زمزمَ ، أي أنْ تملأ الضلوعَ منه ، واستحضار نيات معينة عند الشرب منه ، لأنّ الدعاءَ مستحبٌّ عند الشربِ من ماء زمزم ، فزمزمُ لِمَا شُرِبَ له ، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إذا شرب ماء زمزم دعا فقال : " اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة " ، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا شرب ماء زمزم قال : " اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء " .

فضل ماء زمزم وأهميته علمياً :

قال بعض العلماء : " ماء زمزم سيِّدُ المياه ، وأشرفُها ، وأجلُّها قدْراً ، وأحبُّها إلى النفوس ، وأغلاها ثمناً ، وأنفَسُها عند الناس ، وهو هَزْمَة جبريل ـ أي حفْره ـ وسقيا الله إسماعيل " .

هذا ما في السنة الصحيحة والحسنة والأثر عن ماء زمزم ، فماذا في العلم وتحليلاته الدقيقة عن ماء زمزم ؟

أُجريتْ في عام ألف وتسعمئة وثلاثة وسبعين وفي عام ألف وتسعمئة وثمانين تحاليل كيميائية من قبل شركات عالمية عملاقة ومتخصصة فكانت النتائج مذهلة ، حيث إنّ مياه زمزم خالية تماماً من أي نوع من أنواع الجراثيم المسببة للتلوث ، وتعد المياه معدنية ويتهافت الناس على شرائها إذا كانت نسبة أملاح المعادن فيها من مئة وخمسين إلى ثلاثمئة وخمسين ملغ في اللتر أما مياه زمزم فتبلغ نسب المعادن فيها ألفي ملغ في اللتر ، من أبرز هذه الأملاح المعدنية الكالسيوم ، والصوديوم ، والمغنيزيوم ، والبوتاسيوم وغيرها .

ويعد ماء زمزم من أغنى مياه العالم بعنصر الكالسيوم إذ تبلغ نسبته فيه مئتي ملغ في اللتر ، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يقول :



((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ)) .

[رواه الإمام مسلم عن أبي ذر]

وقد دلت البحوث العلمية الحديثة أن أمراض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً في الـذين شربوا مثل هذه المياه ، لقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال :

((شِفَاءُ سُقْمٍ)) .

[الجامع الصغير عن أبي ذر ، فيض القدير ، للمناوي عن صفية]

وتعد المياه غازية هاضمة إذا احتوت على ما يزيد عن مئتين وخمسين ملغ في اللتر من البيكربونات ، ومن أشهر المياه الغازية في العالم مياه نبع إفيان في فرنسا ، إذ تبلغ نسبة البيكربونات فيه ثلاثمئة وسبعة وخمسين ملغ في اللتر ، أمَّا ماء زمزم فتبلغ نسبة البيكربونات ثلاثمئة وستة وستين ملغ في اللتر ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ)) .

[ابن ماجه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

الأحاديث عن ماء زمزم من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم :

يذكر بعض علماء الطب في كتاب طبع عام ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين أن المياه المعدنية تفيد في علاج كثير من الأمراض الروماتزمية ، وزيادة حموضة المعدة ، والإسهال المزمن ، وعسر الهضم ، وهي ذات تأثير مدر وملين ومرمم لنقص المعادن في الجسم ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ)) .

[الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما]

ذلك لأن ماء زمزم ليس عذباً حلواً بل يميل إلى الملوحة ، والإنسان لا يشرب من هذا الماء الذي يميل إلى الملوحة إلا إيماناً بما فيه من البركة ، فيكون التضلع منه دليلاً على الإيمان .

لعلّ الله عزّ وجلّ لم يجعله عذباً حتى لا تُنْسي العذوبة فيه معنى التعبّد عند شُربه ولكـنَّ طعمه على أية حال مقبول ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ)) .

[ابن ماجه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ]



الآن نسأل : ما المؤسَّساتُ العلميةُ العاليةُ التي كانت على عهد النبي ﷺ والتي أعطتْهُ هذه الحقائقَ المدهِشةَ عن ماء زمزم ؟ ومَن هي هيئات البحوث المتخصصة التي توصلت إلى هذه النتائج الدقيقة عن هذا الماء ؟ وما نوعُ المخابرِ العملاقةِ التي حَلَّلَتْ واستنتجتْ نسبَ أملاحِ المعادنِ في ماء زمزم البالغةَ الدقة والتي اعتمد عليها النبيُّ في أحاديثه عن هذا الماء المبارك ؟ إنه الوحي ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، وإنّ هذه الأحاديثَ عن ماء زمزم من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

نسأل الله أن يسقينا من حوض نبيه الكريم يوم القيامة يوم العطش الأكبر شربة لا نظمأ بعدها أبداً .



الباب الثامن : العبادات التعاملية



01 - الذوق الإسلامي

الإسلام : عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وآداب .

وموضوع الخطبة اليوم ؛ بعض الآداب الإسلامية ، ولكن بمصطلح جديد شاع بين الناس ألا وهو **الذوق** .

ونقصد بالذوق :

أدبيات التعامل مع الناس .. جمال التعامل بأشكاله المتعددة .. النفس المرهفة الجميلة .. الموقف الجميل ، التصرف الجميل ، الحركة الجميلة ، اللمسة الجميلة ، الكلمة الجميلة ، جمال النظام ، جمال النظافة .. جمال الأناقة ، جمال التناسق والانسجام ، جمال في البيت ، جمال في مكان العمل ، جمال في الطريق ، جمال في الأماكن العامة .

ونقصد بالذوق :

النفس الشفافة التي تفهم الخطأ وتقدر وقوعها فيه من نظرة العين ، وابتسامة الوجه.

إن الحياء شعبة من الإيمان .. والحيي هو الذي يفهم خطاه من لمحة عابرة ، ونظرة حائرة .

الناس أجناس فمنهم من أعتقد خطأً أن الذوق ، والأدب ، والخلق الرفيع ، والرّقي الحضاري .. كل هذه قيم غربية خالصة ، ولا تكتسب إلا في المدارس الأجنبية .

ومنهم من تربى على الأدب والرقي والذوق ، وظنّ أن الإسلام عكس ذلك تماما ، فتراه حينما يسمع كلمة " متديّن " ينتظر منه عدم اللياقة .. وعدم النظافة .. وعدم النظام .. فصار الذوق عند هذا الإنسان الواهم حاجزا بينه وبين التديّن.

ومن الناس من ظن أن الإسلام في المسجد ليس غير.!! لذلك يقول " دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر " وبالتالي فالأدب والرقي والحضارة وكذلك إدارة الحياة جميعها .. ليس لهذا علاقة بالدين .. والحقيقة أن ما لله لله وما لقيصر لله!

وسنعرف من خلال هذه الخطبة ـــ إن شاء الله تعالى ـــ وسيتأكد لنا أن الذوق والأدب ، والرقي ، والحضارة ، والشفافية ، والجمال ، والنظافة ، والنظام هي أصول كبيرة من أصول هذا الدين . إن الإسلام جاء لتنظيم الحياة وإدارتها والسمو بها ، فالإسلام هو الحياة الكاملة .

والإنسان المتديّن الذي فهم الإسلام عبادة شعائرية ليس غير .. صلاة وصياما وذكرا وتسبيحا فهو حريص على هذه العبادة ، ولكنه لم يفهم أن الذوق جزء أساسي من أخلاق المسلم ،



وأن الله لا يرضيه أن يؤذي الناس بكلمة أو بتصرف ، فإذا عامل الناس بغلظة .. وبشيء من عدم الذوق ، فتكون النتيجة أنه يفتن الناس عن دينهم . فيصبح تديّنه سببا لبعد الناس عن الإسلام .. وتجد من حوله يقولون : منذ أن تديّن أصبح فظا .. . غليظا .. غير مهتم بمظهره .

فالنبي صلى الله عليه وسلم سيد الخلق ، وحبيب الحق ، أوحي إليه ، وأوتي القرآن ، وأوتي المعجزات ، تمثل فيه الكمال البشري ، حتى قال الله له مخاطباً : وإنك لعلى خلق عظيم ، وأقسم الله بعمره الثمين فقال : لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، النبي صلى الله عليه وسلم جميل الخلق حسن النطق ، أوتي جوامع الكلم ، عصمه الله من أن يخطئ في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي إقراره ، وفي صفاته .. . ومع كل هذه الخصائص ، ومع كل هذه الكمالات التي هي في القمم يقول الله له على الرغم من كل هذه الخصائص :

ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك

فكيف بإنسان ليس بسيد الخلق ، ولا بحبيب الحق ، ولم يوح إليه ، ولم يؤت جوامع الكلم ، وهو مع هذا فظ ، غليظ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، متجهم في نظراته ، قاس في تعليقاته

02 - الأدب مع الوالدين والذوق في التعامل معهما

في المنهج الإلهي إرشادات كثيرة جداً في التعامل مع الوالدين ، نكتفي بواحدة منها .

الاستئذان للدخول على الأب والأم ، تجسده آية في القرآن الكريم تبين أدب الدخول ووقته يقول الله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء

سورة النور 58.

آية في القرآن الكريم ، الذي تعبدنا بتلاوته إلى ساعة اليقين ، ترسخ قاعدة من قواعد الذوق ..

هل بعد ذلك نقول : إن الإسلام ينظم الحياة في المسجد ليس غير أم أنه ينظم الحياة كلها .. انه ينظم الحياة حتى في غرفة النوم !!

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " نعم " ، قال الرجل : يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " نعم " ، قال الرجل للمرة الثالثة : يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أتحب أن تراها عارية ؟ " قال : لا يا رسول الله ،فقال صلى الله عليه وسلم : " فاستأذن على أمك " .

البيهقي في السنن الكبرى 7\97.

03 - الأدب والذوق في التعامل مع الزوجة

وهناك توجيهات كثير في التعامل مع الزوجة نكتفي بواحدة منها :

ومن الأدب في التعامل مع **الزوجة** ، أو من قواعد الذوق في التعامل مع الزوجة

من الأزواج من يهدد زوجته مرارا وتكرارا .. هزلا وجدا .. قائلا : سأتزوج عليك .. أين الذوق في التعامل مع المرأة ؟ .. ومنهم من يعد هذا من المزاح .. في حين أن هذا الأمر يجرح المرأة جرحا شديدا ، ويرضها رضاً بليغاً ، ولا تنساه .. .

وإليك هذا الحديث الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم والسيدة عائشة .. فلقد جلست السيدة عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذت تقص عليه عشر قصص عن زوجات مع أزواجهن ، وظلت تحكي حتى وصلت إلى القصة الأخيرة ، قالت : وآخر الأزواج اسمه : أبو زرع ، كان رقيقا مع زوجته ، يحبها وتحبه ، عاشت معه أحلى الأيام ، ثم قالت السيدة عائشة : غير أنه طلقها .. فنظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها : " كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك ".

البخاري 5189 ومسلم 6255.

هذا ذوق رفيع في التعامل مع الزوجة .



سألته مرة : كيف حبك لي ، فقال لها كعقدة الحبل ، فكانت تسأله من حين لآخر : كيـف العقـدة؟ فيقول على حالها ، أراد أن يطمئنها .

04 - الذوق في الطريق

كنا في البيت مع الوالدين والزوجة فإذا خرجنا إلى الشارع فثمة ذوق:

05 - لا ترفعوا أصواتكم

من الذوقيات المفقودة في الشارع تلك الأصوات المزعجة لأبواق السيارات التي يتفاخر بها أصحاب السيارات ، صغيرة كانت أو كبيرة ، فتجد صاحب المركبة يقف أسفل البيت ، وينادي ببوق مركبته من في الطابق العلوي ، بدلا من أن يصعد إليه ، يريح نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيـه .. فيأتي الإسلام ويرد للشارع ذوقياته المفقودة .

يقول الله تعالى : وينبغي أن نفهم الآية على نحو موسع :
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(4)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(5)
نعم .. إن الآية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس.
إن من حق الناس عليك ألا تزعجهم فمنهم النائم .. ومنهم الطالب الذي يدرس .. ومنهم المـريض .. ومنهم الذي يصلي .. واعلم أن الشارع ليس ملكك وحدك.

06 - افسحوا الطريق

ومن التصرفات العجيبة .. أنك تجد سائق السيارة لا يسمح للسيارة التي خلفه أن تتجـاوزه .. وإذا سألته ما السبب لم يجب ، والأدهى من ذلك أن هذا التصرف أصبح عملاً لا شعورياً من كثرة مـا تعوّد عليه
ولكن الإسلام يعلمك الذوق في هذه المواقف.
يقول الله تعالى : وينبغي أن نفهم الآية بمعناها الواسع



يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(11)

افسحوا ليس في المجالس فقط ، ولكن في الطرق .. افسحوا يفسح الله لكم .. من قلة الذوق أنك تضيّق الطريق على الناس ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " ثلاث يصفينّ لك ود أخيك " .. منها " وأن تفسح له في المجلس " .

وإليك هذا الموقف الجميل ..

بينما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ جاء رجل من الأعراب فتزحزح له النبي صلى الله عليه وسلم (بالرغم من أن المسجد لم يكن ممتلئا) فقال هذا الأعرابي وقد لفت نظره هذا التصرف : يا رسول الله لم تزحزحت ؟ إن في المسجد سعة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " حق على كل مسلم إذا جاء أخوه أن يتزحزح له " .

من يقول بعد هذا : خذوا الذوق وتعلموه من الغربيين ؟!

07 - إماطة الأذى عن الطريق صدقة

هل من الأدب والذوق إلقاء القمامة في الشارع ؟ تجد الرجل ينظر يمينا وشمالا ويقول في نفسه : هل يراني أحد ؟ ويبدأ يختلس النظرات ، كالذي يسرق شيئا ، ثم يلقي بالقمامة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إماطة الأذى عن الطريق صدقة "

رواه مسلم 1668 وأبو داود 1285

فما بالنا بمن يلقي الأذى في الطريق .. !! يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق "

رواه البخاري 9 ومسلم 152

. ومعنى ذلك أن إماطة الأذى عن الطريق جزء من الإيمان.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، في حديث رائع رواه البخاري ومسلم :

" إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم "

فالمدخن مثلاً يؤذي من حوله إذن بناء على هذا الحديث الصحيح تتأذى منها الملائكة ، وقد ثبت أن الذي يجالس المدخن يتأذى بثلث أخطار التدخين.



08 - حق الطريق

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم والجلوس بالطرقات ، إذ أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه : غضّ البصر ، وكفّ الأذى ، وردّ السّلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .
رواه البخاري 2465 و6229 ومسلم 5528 و5613

يا الله .. الإسلام يضع لك منهجا .. للجلوس في الشارع مضطرا ..

09 – الاستئذان

خرجت من بيتك إلى الشارع ووصلت إلى بيت صديقك .

تقول : صديقي .. إنه أخي .. إننا هنا نتكلم عن الذوق في المعاملة .. نتكلم عن الأدب الذي علمنا إياه الإسلام .. والآن إليك كلام الله عز وجل :

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ النور 27. ومعنى (تستأنسوا) ، أي تتأكدوا أنهم مستعدون لاستقبالكم ، وتستأنسوا في القرن الواحد والعشرين معناها : أن تتصل به هاتفياً وتأخذ منه موعداً .. كلمة جميلة كلها ذوق .. (تستأنسوا) أي تضمن أنه سيأنس بك هذا الصديق

أحيانا تذهب من دون موعد تجده يعتذر لك .. أنه لن يستطيع أن يستقبلك ، فتغضب غضبا شديدا وتقيم الدنيا ولا تقعدها .. من الذوق ألا تغضب.

يقول تعالى :

وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

النور 28.

إياك أن تغضب إن اعتذر أخوك عن أن يستقبلك .. " هو أزكى لكم " .



10 - طريقة قرع الباب

ومن السلوكيات غير الطيبة والبعيدة كل البعد عن الذوق .. أن تجد مثلا من يدق جرس الباب ، ثم يقف في وجه الباب أمام العين السحرية ، ويضع يديه الاثنتين على الباب !!

وانظر إلى أدب الإسلام .. يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تقفوا أمام الباب ولكن شرّقوا أو غرّبوا " .

أخرجه الإمام أحمد 5\421.

11 - الحركة الرفيقة

هناك من الناس صنف لا يراعي الآداب العامة ، فتجده بعدما يدخل مكاناً .. سواء كان بيتا أو مصعدا ، أو سيارة .. يغلق الباب بشدة ، فتارة يكسر الزجاج ، وتارة يفزع الناس ..

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه " .

رواه الإمام أحمد 6\206.

بالله عليك .. اجعل هذا الحديث منهجاً لك

فهو طريقك إلى الذوق الرفيع.

12 - التطفل في الدعوة

أحيانا يدعوك أحد أصدقائك لطعام في يوم كذا ، وفي هذا اليوم تذهب لصديقك ولكن ليس بمفردك!! فتأخذ معك شخصا آخرفيصاب صاحب البيت بصدمة لهذا التطفل.



دعي النبي صلى الله عليه وسلم هو وخمسة من الصحابة عند رجل من الأنصار ، وفي أثناء ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم والخمسة إذا بصحابي آخر يتبعهم ويمشي معهم حتى وصلوا إلى البيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب البيت : " إنّ هذا تبعنا فإن شئت فأذن له وإن شئت فليرجع . قال الأنصاري الذي دعاهم : بل آذن له يا رسول الله. "

رواه البيهقي في السنن الكبرى 7\265 والطبراني في المعجم الكبير 17\198 و17\199

إنه موقف محرج وبخاصة لصاحب البيت وأهله .. فالطعام لعدد معين .. وقد تكون الأماكن عل الطاولة لعدد معين وإذا زاد هذا العدد فما العمل ! ؟ ولكن انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يضع صاحب البيت في مأزق وحرج ، فبادره وشرح له الموقف وخيّره.

أين هذه الذوقيات بيننا الآن! ؟.

13 - ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام

بعض الناس حينما يدخل بيت صديقه تجد عينيه تتحركان بسرعة تبحث عن الهاتف .. فإذا رآى الهاتف رفع السماعة وبعدها يستأذن من صديقه اتصالا واحداً سريعاً .. وهو يعلم أن صديقه لن يرفض له طلباً .. . فكيف يرفض وقد أمسك بالهاتف فعلا ؟ ثم يبدأ الاتصال .. فيتصل بجدة مثلا !! ويستمر هذا الاتصال نصف ساعة !! هل هذا من الذوق ؟؟

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام " .

وهل يراعي حياء الناس إلا من كان عنده ذوق ؟ فتجده يرى القلم في جيب زميله ثم يقول له : إنه قلم جميل (وإنها لكلمة لها معنى) فما على زميله إلا أن يقول : تفضل خذه !! فيأخذ منه القلم .

إلى هؤلاء نوجّه إليهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام " .



14 - طول المكث عند المضيف

أحيانا ينزل الإنسان عند أقاربه ضيفاً ، ويمكث يوما أو اثنين أو ثلاثة .. ويكرمه أهل البيت ، وتتفنن الزوجة في الضيافة ، وتجتهد لترضي ربها ، أولا ثم لترضي زوجها باستضافة أهله وإكرامهم .. وتكون الطامة حينما يمكث الضيف أسبوعا أو أكثر .. فيصبح هذا الضيف ثقيلا وإذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل ، ولكنه لا يعلم .

فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة نزل في منزل أبي أيوب الأنصاري ، لحين بناء المسجد النبوي ، وبناء بيته .. وكان بيت أبي أيوب يتكون من طابقين ، فقال أبو أيوب : " يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فكن أنت في العلوّ ، وننزل نحن إلى السفل " هل تعرف لماذا فعل أبو أيوب ذلك ، ولماذا كان هذا الاختيار ؟

حتى لا تكون قدماه فوق النبي صلى الله وسلم .. قمة في الذوق .. قمة الأدب في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم .. ولكن انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم وذوقه الرفيع .. قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أبا أيوب ، إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون نحن في أسفل البيت وتكون أنت في العلو . "

رواه ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق 2\498

15 - مكان جلوسك عند المضيف

من السنة ألا تجلس في بيت من تزوره إلا في المكان الذي يدعوك إليه ، فلا تجلس في مكان تختاره وتصر عليه إلا إن يؤذن لك ، فقد يكون المكان الذي اختاره الضيف يشرف على البيت كله ، وزوجته محجبة ، فكيف تتحرك في أرجاء البيت .. إنها والله آداب الإسلام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يجلس أحدكم على تكرمة الرجل إلا بإذنه " .. .



إن الحضارة ليست باستخدام الهاتف المحمول ، والدخول على مواقع الإنترنت ، وركوب المركبة الفارهه فقط ، إنما الحضارة بالأدب والذوق والرقي الأخلاقي ..

16 - عيادة المريض

ومن الذوقيات الإسلامية في عيادة المريض .. ألا تطيل الزيارة .. فمن الذوق أن تكون زيارة خفيفة إلا إذا كان المريض مستأنسا بك وسعيدا .. وهناك قصة لطيفة للإمام أبي حنيفة كان مريضاً وعاده أربعة رجال .. فكانت زيارتهم ثقيلة وأطالوا الجلوس والإمام مريض ، فضاق بهم ، وتعب تعبا شديدا ، ومع ذلك فهم ما زالوا يجلسون .. فماذا فعل الإمام ؟ قال لهم : قوموا فقد شفاني الله عز وجل .. !!

إن الإسلام يعلمنا ويربينا على أن نراعي ظروف المريض. وحالته الصحية ..

17 - الذوق مع الجيران

وننتقل الآن إلى الذوق والأدب مع الجيران .. يعلمنا الإسلام أننا إذا دخلنا البيت ومعنا فاكهة ، أو طعام نادر تحبه النفس .. فرآه أحد الجيران سواء كان صغيرا أو كبيرا فلا بد أن نقدم لهم منه طالما أننا لم نخبئه ..

ورد في الحديث ، حول الأدب مع الجار ... وإذا اشتريت فاكهة فأهد له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك (برائحة طعامك) إلا أن تغرف له منها

وبعض الناس يتعمد أن يري جيرانه ما يحمل من طعام لذيذ أو يتحدث عما في البيت من طعام طيب ، ولذيذ تفاخرا .. أو يتحدث عن رحلاته ، وإنفاقه .

هذا من قلة الذوق الذي نهينا عنه .. ؟!



كان هناك شاب يسكن في جوار الإمام أبي حنيفة .. يشرب الخمر ويغني طوال الليل وهو سكران ويقول : أضاعوني وأي فتى أضاعوا .. كل يوم على هذا الحال .. يقوم الإمام أبو حنيفة لصلاة الفجر فيزعجه هذا الشاب ، فكان أبو حنيفة يتحيّن الفرصة المناسبة ليعظ فيها هذا الشاب ، ويرقق قلبه للتوبة ، وفي يوم من الأيام قام الإمام أبو حنيفة ليصلّ الفجر، فلم يسمع صوت هذا الشاب ، فسأل عنه فعرف أنه قد قبض عليه .. !! لأنه ضبط يشرب الخمر .. فذهب أبو حنيفة إلى صاحب الشرطة وقال له : هلا أفرجتم عنه لي .. فقالوا : إنه شرب الخمر!! قال : أخرجوه من أجلي .. فأخرجوه .. فأخذه أبو حنيفة وجعله يركب خلفه على بغلته ، ولم يتكلم معه كلمة واحدة .. حتى وصل إلى البيت وحينها قال أبو حنيفة : هل أضعناك يا فتى : ؟ فقال : لا والله ولا أعود إليها أبدا ، إنه يشرب الخمر!! ؟ ولكن انظر إلى نتيجة اللطف والذوق ..

كثير من الشباب فطرتهم طيبة رغم كل ما يفعلونه ، ولكنهم لم يجدوا أمثال أبي حنيفة الذي يتحيّن الفرص ويتخيّر الوقت ويفتح بمفتاح الذوق أبواب قلوبهم المغلقة .. أو التي كنا نظنّ أنها مغلقة!!. انظر إلى نتيجة اللطف والذوق

18 - الذوق في المسجد

ومن الذوقيات والآداب التي علمها لنا الإسلام في المسجد وأصبحت من البديهيات : ألا نتخطى الرقاب ، وأن نجلس حيث ينتهي بنا المجلس ، وأن تفسح لإخواننا ليجلسوا ، وألا نجلس في مكان نسد بجلوسنا طريقاً ، وأن نجلس فيه جلسة تنم عن أدب جم ، فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ماداً رجليه قط ، وأن ندع كل حركة أو صوت يؤذي الجالسين وأن نحافظ على نظافة المسجد ، وعلى حرمته .. فلا نرفع أصواتنا فيه ، ولا نتكلم بشؤون الدنيا ، ، وأن نكون في أعلى درجات النظافة في البدن وفي الثياب ، وفي البعد عن كل أكلة تؤذي رائحتها رواد المسجد .



إنه بيت الله .. احرص أن تكون فيه في قمة الذوق وقمة الأدب .

الهاتف المحمول تتأذى منه الملائكة .. !! بدليل : أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن الذوقيات المطلوبة في القرن الواحد والعشرين : أن تغلق الهاتف المحمول وأنت ذاهب إلى بيت الله ، وهذا أمر مهم ، فأحيانا تكون في بيت الله ، وبعد مجاهدة في صلاتك تسعد بنفحات من الله وبأنس به ، وفجأة .. تسمع صوت المحمول الملعون !! .. فتذهب هذه النشوة ، لذلك اضطر أحد أئمة المساجد أن يقول قبل أن يبدأ بالصلاة :

استووا واعتدلوا ، وأغلقوا هواتفكم فإن إغلاق الهواتف من إقامة الصلاة .

لذلك ندعو كل متوجه إلى المسجد أن يغلق هاتفه المحمول حفاظا عليه من لعنة المصلين ودعائهم عليه ، فقد يقع منك ويتعطل !! فإن المصلين يتأذون منه ، وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

19 - الأدب في الدعوة إلى الله

وإليك هذا الموقف الطريف البسيط فإن له دلالات عظيمة .. أحيانا يتعوّد الناس على أشياء لم يرد لها أصل في السنة ، وحينما نريد أن نقومها يكون التقويم بشكل خاطئ .. وبشكل منفّر .. وقف شيخ كبير في الصلاة ، وكان بجواره شاب على وجهه علامة التدين .. وبعدما انتهى الإمام .. أعجب هذا الشيخ الكبير بالشاب ، وأعجب بخشوعه في صلاته ومدّ الشيخ الكبير يده لهذا الشاب داعياً له أن يرزقه الله حجة أو عمرة ليصلي في بيت الله الحرام فقال له مختصراً هذا الدعاء : حرماً .. . فنظر إليه الشاب المتدين بتجهم وغلظة قائلا : لم يرد في السنة حرما ! فقال الرجل الكبير : وهل قلة الذوق هي التي وردت في السنة !! ؟



ولكن لغياب الفهم .. ولغياب حسن التعامل مع النـــاس بالحكمـــة ، والموعظـــة الحسنة سيظل هذا الشيخ على موقفه بسبب هذا الشاب .

أيها الشاب افهم دينك . وتلطف مع الناس وتأدب في معاملتك معهم .. فالذوق مفتاح القلوب . وقلة الذوق تصد الناس عن سبيل الله .

ولنتعلم من الطفلين الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه قصة ينبغي أن يدرسها كل من يدعو إلى الله عز وجل ويجعلها دائما نصب عينيه.

ذات يوم وجد الحسن والحسين سبطا النبي صلى الله عليه وسلم وجدا رجلا لا يحســـن الوضوء .. فماذا فعلا ؟ انظر إلى فعلهما وتعلم الذوق في الدعوة إلى الله منهما.

ذهبا إليه .. فقال الحسن : يا سيدي ، أخي هذا يدّعي أنه يتوضأ أحسن منـــي ، وأنـــا أقسم أنني أتوضأ كما يتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحكم بيننا وانظر إلى وضوئه ووضوئي ، ثم قل أينا يتوضأ كما يتوضأ النبي صلى الله عليه وســـلم. فـــدخل الحســـن وتوضأ ، وأسبغ الوضوء وأحسنه ، ودخل الحسين وتوضأ مثل أخيه. فقـــال الرجـــل : والله إني لا أجيد الوضوء كما تتوضآن. ما رأيك في تصرف الحسن والحسين!! تعلـــم الذوق والأدب الرفيع من الحسن والحسين .. واقتد بهما تصل إلى مـــا تريـــد بـــأرق وألطف الأساليب.

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف



20 - الذوق في الحديث

وسننتقل إلىالحديث عن الذوق في الكلام مع الناس .. وفيها من اللطائف الكثير والكثير .. وأول الأشياء التي يقع فيها البعض هو المقاطعة وعدم سماع آراء الآخرين .. وهذه الأشياء تدل على قلة الذوق .

ولذلك .. إذا أردت أن يكرهك الناس فعليك بمقاطعتهم وعدم إعطائهم الفرصة ليعبّروا عن وجهة نظرهم .. وكلما عرضوا فكرة فقل لهم إنهم على خطأ وعندي أفضل منها .. دائما أوجد عندهم إحساسا بأنهم لا يفهمون ، دائما عليك بتوبيخهم .. إذا فعلت هذا سيكرهك جميع الناس ؟

أفرغت يا أبا الوليد .. ! ؟

هذه أشياء .. إن فعلتها يكرهك الناس ..

لنتعلم من نبيك صلى الله عليه وسلم كيف يحبك الناس ويقدرونك .. وإنها والله لكلمات تدرس ليتعلم الناس فن الكلام وأسلوب الحوار.

جاء عقبة بن ربيعة ممثلا لقريش ، وكان سيداً فيهم ، فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي اسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل بعضها ، فقال صلى الله عليه وسلم : " قل يا أبا الوليد ، أسمع " . قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .. !! ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا .. !! وإن كنت كان هذا الذي يأتيك رئيا لا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب.

إنها اختيارات سخيفة .. " مال ، ملك ، مداواة من مرض .. "



ولكن انظر إلى ذوق وأدب النبي فبدأه بكنيته (أبا الوليد) .. من باب التلطف ولين الجانب ثم قال له : " قل يا أبا الوليد اسمع " .. فلم يقاطعه النبي وبعد أن أنهى عتبة كلامه

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أفرغت يا أبا الوليد ؟ " قال : نعم. وللقصة تتمة ...

طالب جامعة بريطاني أسلم بسبب الذوق الإسلامي

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم .. **حينما نكون ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يؤذيه .**

لقد كان صديقان مسلمان يدرسان في بريطانيا ويتحدثان العربية والإنكليزية .. فكانا يتحدثان العربية طالما كانا بمفرديهما وحينما يأتي هذا الصديق الإنكليزي يتحولان إلى الإنكليزية .. حدث هذا عدة مرات .. فتعجبت هذا الصديق من ذلك الفعل أيما تعجب ، فأراد أن يستفسر ويعرف السبب .. فقالا له : نهانا نبينا أن نتحدث سويا بلغة لا يفهمها ثالثنا .. . فما كان منه إلا أن قال باللغة الإنكليزية ما معناه : " نبيكم هذا حضاري جدا " فأسلم هذه الصديق بعد ستة أشهر، وقد عكف على دراسة الإسلام ، وكان من كلامه : "أول شيء وقع في قلبي هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين " .

إننا نريد أن نخرج من خلق الذوق بشيء هام جدا .. ألا وهو عدم إيذاء شعور الآخرين أيا كان الفعل ، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنكر فعلا من إنسان ، لم يذكر اسمه صراحة ، بل تجده يقول : " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا "

ولا يصرّح حفاظا على شعور الآخرين ، فهذا من قمة الذوق ، فلتكن من الآن لماحا ، إذا أحسست أن الكلمة التي ستقولها ستضايق من أمامك ، فلا تقلها.



ومن تطبيقات خلق الذوق .. الذوق مع أصحاب المراكز العليا أمثال الملوك والأمراء والعلماء ، فمن السنّة أن ننزل الناس منازلهم إلا في حالة الحرب ، وتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم.

يبعث برسالة لكسرى ملك الفرس الذي يسجد للنار.

فيقول له : " من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس " .

ويبعث إلى هرقل ملك الروم ..

فيقول له : " من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم "

رواه البزار في مسنده 2374.

فهل كسرى وهرقل عظيمان عند رسول الله ؟

21 - الذوق والأدب مع أصحاب الفضل عليك

22 - أدب العباس مع النبي

أدب العباس :

كل من كان له فضل عليك .. كان له حق عليك ، وأول هذه الحقوق أن تتأدب معه ، وانظر إلى أدب العباس فمن المعروف أن العباس أكبر سنا من النبي صلى الله عليه وسلم.

فحينما سئل العباس : أأنت أكبر أم رسول الله ؟

فقال كلمات رقيقة .. كلها أدب وذوق وحب ..

قال : هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.



23 - أدب أبي بكر الصديق مع النبي

حينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وسيدنا أبو بكر .. . انتظره الأنصار على مشارف المدينة .. ولم يكن الأنصار يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأوا راحلتين قادمتين ، وكان سيدنا أبو بكر الصديق هو المتقدم ، لأنه كان خائفا على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يحميه فظن الأنصار أن الرسول هو أبو بكر الصديق فأسرعوا نحو ناقة أبي بكر وأخذوا خطامها.

إنه موقف حرج .. كيف تصرّفت فيه يا أبا بكر ؟ هل قلت لهم : لست أنا برسول الله إنني أبو بكر ؟ فإنك لو قلت هذا لما كانت لطيفة .. . فماذا فعلت يا أبا بكر! ؟

لقد خلع رداءه وأظل به رأس النبي صلى الله عليه وسلم فكانت لمحة طيبة وذوقا رفيعا فعرف الأنصار أنه ليس برسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

حقا .. . إنه أبو بكر الصديق.

24 - أدب الإمام الشافعي

أحيانا يزول حاجز الاحترام بينك وبين مدرسك وخاصة حينما تكونان في لقاء خاص. ولكن انظر إلى الإمام الشافعي وكيف كان يتأدب مع أستاذه يقول : " لا أستطيع أن أقلب الورق بصوت مرتفع بين يدي أستاذي كي لا أزعجه ، ولا أستطيع أن أشرب الماء أمام أستاذي إجلالا له " .

والله إننا نحتاج اليوم لأمثالك أيها الإمام الشافعي.

وتخيّل معي لو كان الإمام الشافعي بيننا الآن ..

ونظر إلى ما يحدث بين الطالب والمعلم ..

ماذا كان يفعل ؟



25 - المبالغة في الذوق من قلة الذوق

وأخيرا .. من الذوق في التعامل مع الناس نقطتان :

الأولى : أن **المبالغة في الذوق من قلة الذوق** .

بمعنى : ألا تتكلف في الذوق .. فمثلا عند عيادتك للمريض قلنا لا تطيـل إلا إذا أذن لك أو كان يأنس بك فيطلب منك أن تجلس ، ويقسم عليك .

فلا تبالغ في الذوق وتقول : لقد علمونا ألا نطيل على المريض ، أنا عندي ذوق .. المريض يقسم عليك ، وأنت مصر .. إن المبالغة في الذوق من قلة الذوق

إليك هذه المقولة للإمام الشافعي :

يقول : " أثقل إخواني على قلبي من يتكلف لي وأتكلف له وأحب إخواني إلى قلبي من أكون معه كما أكون وحدي "

الثانية : أن **المبالغة في الجدية من قلة الذوق** أيضا .. .

فعدم الضحك والمبالغة في الجدية ليس من الذوق في شيء .. فقد كان عليه الصلاة والسلام ، يضحك مما يضحك منه أصحابه ، و يتعجب مما يتعجبون ، إياك أن تفهم أن عدم الضحك من الذوق ، إنه من قلة الذوق أحياناً 0

لا بد للإنسان أن يفهم دينه فهما صحيحا .. لا إفراط ولا تفريط.

كتب رجل صالح قبل موته رسالة لابنته يقول فيها :

" بنيّتي لم أعد أفزع من الموت ، ولو جاءني اللحظة ، لقد أخذت من الحياة كثيرا. أقصد أعطيت كثيرا ، أحيانا يا بنيّتي يصعب التفرقة بين الأخذ والعطاء؛ لأنهما عند المؤمن لهما مدلول واحد ، في كل مرة أعطيت فيها أخذت منها؛ بل أخذت أكثر مما أعطيت " .



26 - عذراً يا صلاح الدين

نظراً لشدة الآلام التي تنتاب أمتنا ، لما جرى أخيراً ومؤخراً على الساحة العربية والإسلامية ، فنحن مضطرون أن نقدم اعتذارنا للبطل صلاح الدين الذي طرد الفرنجة القدامى من بلاد المسلمين ، ونحن بأخطاء كبيرة ارتكبها بعضنا أعدناهم إلى بعض بلاد العرب والمسلمين .

فعذرا لك يا صلاح الدين وألف عذر أنت الذي طردت الفرنجة القدامى من بلاد من الشام ومصر والعراق وأنت الذي حررت دمشق والقدس من أيديهم وقد قلت قولتك المشهورة (لن يرجعوا إليها ما دمنا رجالا) عذرا يا صلاح الدين لقد رجعوا في المرة الأولى بعد الحرب العالمية الأولى ولما دخل قائدهم إلى دمشق ووقف عند قبرك وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين فعذرا وألف عذر لك لقد رجعوا مرة ثانية ، بسبب أخطاء ارتكبناها بعضنا ولسان حالهم يقول ثانية ها قد عدنا يا صلاح الدين . ولئلا تقلق علينا كثيراً ؛ إنهم يقولون إنما عادوا كي ننعم بحرية كحريتهم ، وسلام كسلامهم ، وبرخاء كرخائهم . ولا أتمنى عليك أيها القائد الفذ أن تسأل أهم يحققون هذه الأهداف بوسائل من جنسها ، أم بوسائل مناقضة لها ، من أجل أن تكون مستريحاً .. . لا تسأل . إن وسائلهم إفقار ، وإضلال ، وإفساد ، وإذلال .
إنها ردّة ولا صديق لها ، إنها هجمة تترية ولا قطز لها ، إنها حملة فرنجية وأنت غائب عنها

عذرا يا صلاح الدين فلقد كنت دائما ترتسم معالم الحزن والأسى على وجنتيك ولم يكن للابتسامة مكان ولا نصيب على شفتيك فلما كنت تُسألُ لماذا لا تضحك يا صلاح الدين فكان جوابك المتكرر (إني أستحي من الله أن أضحك وما يزال المسجد الأقصى بيد المعتدين) .



عذراً يا صلاح الدين وأنت الذي وصلك خبر اعتراض أمير الفرنجة أرناط الذي احتل قلعة الكرك في الأردن ومن هناك راح يقطع الطريق على الحجاج المسلمين المتوجهين من الشام نحو الحجاز فكان يقتل الرجال ويسبي النساء وهو يقول لهم نادوا من ينتصر لكم ، فلما سمعت ما قاله بكيت وانسابت الدموع من عينيك وقد قلت قولتك المشهورة : أنا سأنوب عن رسول الله بنصرة أمته ، وهذا ما كان منك أيها البطل الذي ما هدأ لك بال ولا سكنت لك جارحة حتى وفيت بوعدك يوم حطين يوم انتصرت على ملوك أوروبا وأمرائها ، ويوم وقع أرناط في الأسر فمثل بين يديك وذكرته بما قال وقلت له يا أرناط أنا أنوب اليوم عن رسول الله بالدفاع عن أمته ، ولم تذكر الروايات التاريخية أنك تأكدت من شخصية أرناط بفحص حامضه النووي

عذرا يا صلاح الدين ، وأنت الذي كنت كل مساء بعد أن ترجع من قتال الأعداء القدامى يوم حطين فكنت تخلع عباءتك وعمامتك وتنفض ما علق عليها من غبار في كيس ، وتجمع ذلك الغبار حيث أوصيت أولادك أن إذا متَّ أن يضعوا هذا الغبار تحت رأسك حتى إذا جاءك الملكان في القبر يسألانك كما يُسأل كل إنسان عند موته في قبره فإذا رأيا ذلك الكيس من الغبار قالا ما هذا الكيس يا صلاح الدين فتقول لهم هذا غبار الجهاد في سبيل الله!!

يا سعد بلّغ خالدا إن القتال له رجال

عذرا يا صلاح الدين يا من هزمت الفرنجة القدامى في حتى أصبح اسمك على لسان النساء في أوروبا يخوفن بك أولادهن في الليلليناموا نم يا ولدي وإذا لم تنم فسيطلع علينا صلاح الدين لقد قذفت الرعب في نفوس أهل أوروبا وشكَّلت لهم عقدة نفسية اسمها صلاح الدين .

فعذرا وألف عذر يا أيها القائد الفذ ، لما حل بنا من بعدك ، ومن أجل أن تبقى منسجماً مع إيمانك الكبير بالله نقول لك :



هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله ، وقد تحققت نبوءة القرآن فينا : **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً** ... وقد لقينا ذلك الغي.

ومن أجل أن نطمئنك نذكرك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دافعت عن المسلمين نيابة عنه : " لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، ما يضرهم من كذبهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك ، فقال مالك سمعت معاذاً يقول : وهم بالشام .

رواه البخاري ومسلم

قال مستشارك ومرافقك كنت خاشع القلب ،عزيز الدمعة ، إذا سمعت القرآن أو تلوته دمعت عيناك ، وكنت رحمك الله كثير التعظيم لشعائر الدين كنت ناصرا للتوحيد وقامعا أهل البدع لا تؤخر الصلاة عن وقتها وكانت لك ركعات تصليها إذا في جوف الليل.

وكنت إذا سمعت أن العدو داهم المسلمين خَررتَ إلى الأرض ساجدا لله تدعو بهذا الدعاء : إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل .

الأمة العربية والإسلامية تمر بمحنة عظيمة ، نرجو أن تكون وراءها منحة ربانية لا شرقية ولا غربية ، ولكن علوية سماوية ، وتعاني هذه الأمة من شدة لم تشهد مثلها في التاريخ الحديث ، نرجو أن يعقب هذه الشدة شدة إلى الله عز وجل تستحق بعدها أن تستخلف ، وأن تمكن في الأرض .



وقد شرح هذه المحنة ، وتلك الشدة ، السيد الرئيس في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بكوالالامبور في ماليزيا مؤخراً ، قال سيادته قي خطابه :

في الثمانينات كانوا في الغرب يدعمون التطرف الإسلامي وليس الإسلام ، أما اليوم فهم يحاربون الإسلام لا التطرف الإسلامي 0ولو تساءلنا لماذا يحارب هؤلاء المتعصبون الإسلام وهو دين العدل والمحبة والتسامح لكان الجواب البديهي لأن الإسلام الحقيقي هو الذي يمنع التطرف ، لأنه دين الاعتدال ، من دون التنازل عن الكرامة ، وهؤلاء المتعصبون يتمنون ويعملون عكس ما يعلنون ، من انتهاك للسيادة ، والحصار الاقتصادي ، إلى الاجتياح الثقافي ، والتمويل السري لبعض الهيئات لاستمرار واتساع التطرف الإسلامي ، أو أي تطرف آخر ، لأنه المعادل الموضوعي لتطرفهم ، والمبرر الأكيد لبقائهم في مواقع السيطرة في مناطق عديدة في هذا العالم ، فالتطرف يعيش على تطرف مقابل وهو يضمحل في بيئة الاعتدال .

إن علينا أن نعزز الدين الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكا ففيه تحصين للإسلام والمسلمين وإضعاف لأعدائهم وهذا يبدأ بمكافحة وتجنب كل الممارسات الشاذة الناجمة عن فهم خاطئ للدين والتي تسيء إليه بشكل مباشر وتعطي الآخرين من أصحاب النيات السيئة الحجة والمبرر لوصف الإسلام بشتى الصفات السلبية واللاإنسانية. وان كنا نرفض وبقوة كل المحاولات التي تجعل من صفة الإرهاب خاصة بالدين الإسلامي فإننا نرفض وبنفس القوة كل محاولة لربط الممارسات الخاطئة لبعض الأفراد بديانة أو حضارة معينة. انتهى كلام السيد الرئيس .

وإننا نقول ما قاله صلاح الدين ونحن نرى جيوش الفرنجة من جديد تداهم أرض العرب والمسلمين اللهم وقد انقطعت أسبابنا الأرضية في نصرة دينك ولم يبق لنا إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك أنت حسبنا ونعم الوكيل ، فاللهم



ربنا اكفنا شرهم بما شئت ، اللهم ربنا رد عنا كيدهم ، اللهم ربنا إنهم قد استعلوا علينا بقدرتهم ، فأرنا فيهم قدرتك .

اللهم إنا نسألك بدموع الأطفال وبكائهم ، وبخشوع الشباب وتضحياتهم ، وببطولة الشابات واستشهادهن ، وصلاح الأمهات ووعـيهن ، وبركـوع الشـيوخ ودعـائهم ، وبشكوى البهائم التي أحرق كلؤها ، وبشكوى الأشجار التي اقتلعـت مـن جـذورها ، وبتسبيح الصخر التي تفتت أجزاوه .

اللهم إنا نسألك باستغاثة المستغيثين ، واستجارة المستجيرين ، والتجاء الملتجئـين ، وتسبيح المسبحين ، وحمد الحامدين ، وتهليل المهللين ، وبتكبير المكبـرين ، ورجـاء الراجين ، ألا تتخلى عنا ، ومنا من يفعل ما يوجب أن تتخلى عنا يا رب العالمين ، وألا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وأصلح لنا شأننا كله يا كريم .

اللهم إنك أنت القائل : **[وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ]** ، ونحن مؤمنون بـك ، مقصرون في عبادتك ، فإن كنا لانسحق أن تنصرنا بعدلك ، فانصرنا برحمتـك ، وإن كنا لانسحق أن تنصرنا استحقاقاً ، فانصرنا تفضلاً ، فنسألك اللهم بوعدك الذي قطعته على ذاتك العلية ، ونسألك اللهم بإيماننا بك ، أن تنتصر لنـا وتنتصـر لإخواننـا فـي فلسطين وفي كل بلاد العرب والمسلمين ، وأن ترد عنهم كيد الكائدين عاجلاً غير آجـل بما شئت ، وكيف شئت يا رب العالمين.

اللهم إنك أنت القائل: **[حَتَّى إِذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جـاءَهُمْ نَصْرُنا]** ، اللهم إنا لا نريد أن نصل إلى نقطة اليأس ، نحن لا نيأس ، نحن لا نظن بـك إلا النصر والتأييد ، فنسألك اللهم بحسن ظننا بك أن تنصرنا على أعدائنا يـا كـريم ، نسألك اللهم أن تكفَّ عنا بأس الذين كفروا، لأنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً .

اللهم إن أعداءك اليهود يعتمدون على حبل من الناس ، وإن عبادك المسلمين يقولون : إنهم يعتمدون عليك ، ويلتجؤون إليك ، وليس لهم غيرك، وقد تخلى عنهم أهل الأرض ، إلا من كلمات تردد لا تقدم ولا تؤخر ، أفتخذل عبـادك المـؤمنين يـا رب **العالمين ؟ أفتعرض عنهم يا أكرم الأكرمين ؟ أفتشمت بهم أعداءهم يا ناصر المستضعفين.**



27 - التنمية الأخلاقية

إن صناعة الإنسان الكامل ، وبناء الأسرة المتماسكة ، وإقامة المجتمع الفاضل ، هي من أسمى أهداف بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

لكن طوفان الفساد ، في آخر الزمان ، حمل من الأوبئة الخلقية الشيء الكثير ، حمل : الكذب والدجل ، والحسد والنفاق ، والفسق والفجور، والظلم والخيانة ، والحمية والعصبية ، والغش والتدليس ، والطمع والجشع ، والمكر والحيلة ، والفحش والخلاعة ، والحرص والبخل ، والترف والتبذير، وسوء الظن بالله والرياء ، وعقوق الوالدين وإهمال الأولاد ، وأكل السحت والمال الحرام ، وأكل مال اليتيم ظلماً .

إن ظاهرة النفاق التي تحدَّث عنها القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الصحيحة بشكل مطول تعني خللاً في مطابقة الأقوال للمعتقدات ، وهذا هو (**النفاق الاعتقادي**) الذي يخرج صاحبه من المِلّة ، أما التباين بين الأقوال والأفعال ، فيعبر عنه (**بالنفاق العملي**) ، وهذا شاع كثيراً في المجتمع،ومهمة التنمية الأخلاقية تطهير حياة المسلمين من كل هذا .

إن أهم مصدر للسعادة والهناء انسجام واقع المرء مع ما يعتقد ، حيث يشعر المرء بتيّار يجتاحه من البهجة والارتياح والأمن كلما تخطَّى عقبة من العقبات التي تحول بينه وبين (**التناقض**) مع مثله وقيمه العليا .

إن الملذات الحسية لا تخترق غشاء القلب ، بل ولا تحوم حوله ، لكن الذي يملأ كيان المرء كله بالسعادة والطمأنينة هو نشوة الانتصار على الأهواء والمغريات ، وضغوطات الشهوات والمصالح .

إن السعادة الحقة لا تجلب أبداً من الخارج ، وإنما هي شعاع من نور، يولد ، ويكبر في داخل الإنسان ، ويضيء جوانب الحياة كلها ، ويجعلها أكثر قيمة ومنطقية ، وأكثر



تهيّئاً للنمو والتقدّم والاستمرار ، وكل ذلك مرهون بأوضاع تسود فيها الأحكام الأخلاقية ، ويعلو فيها صوت الالتزام والاستقامة ، وترفرف في أرجائها إشراقات النفس !.

إن القاعدة النفسية الأخلاقية في أي مجتمع هي التي تتحمل الأثقال التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية ، وعن الانتكاسات التي تصاب بها الأمة في ميادين الحياة المختلفة .

إن هذه القاعدة هي التي تمكن الناس من تحمل الظروف الصعبة من دون أن يتحللوا أو أن ينحرفوا ؛ فحين يصاب الناس بضائقة اقتصادية شديدة فإن القاعدة الأخلاقية تدفعهم إلى إغاثة الملهوف وإطعام الجائع ، والصبر على المدين المعسر ، إلى جانب التماسك الشخصي ، وعدم الرضوخ لمقتضيات الظروف الصعبة ؛ فنجد المسلم الحق يمتنع عن كل أنواع الكسب الحرام مع فاقته الشديدة ، وذلك اتكاءً على ما لديه من قيم ومقاومة إيمانية لدواعي التحلل .

إن هذه القاعدة هي الرصيد الاحتياطي الضخم الذي تعتمد عليه الأمم في ترميم العديد من أنواع الخلل في حياتها .

ومن هنا ندرك حجم الجريمة التي ارتكبت في حق هذه الأمة حينما دُفعت دفعاً من قبل أعدائها على مستوى التنظير ، وعلى مستوى العمل إلى أن تجعل القيم الأخلاقية والنفسية في المرتبة الدنيا من اهتماماتها ؛ فلما واجه الناس ما واجهوه من ضائقات في العيش ، ومن شح في متطلبات الحياة الكريمة ، لم يجدوا لديهم سنداً خُلقياً كريماً يعتمدون عليه في الصمود أمام المغريات وأمام أسباب الانحدار المختلفة !.

إن الذين نكّن لهم عظيم الاحترام ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال أو الدهاء والمكر أو القوة الجسدية الخارقة ، وإنما نكن عظيم الاحترام لأولئك الذين يملكون خُلق.



(**التسامي**) وخلق الترفع عن سفاسف الأمور ، وأولئك الذين انتصروا على التحـديات داخل نفوسهم ، وأولئك الذين يملكون فضيلة الانتظار والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل ، والإيثار مع مسيس الحاجة إلى ما يؤثرونه ...

إنه بالإمكان أن نقول : إن طابع الرقي الحقيقي هو طابع إيماني أخلاقي ، أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً ، والجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى من تاريخ الإسلام تنبع بشكل أساسي من طابع الاستقامة والنبل والتضحية ... ولـيس مـن التفـوق فـي الحروب أو العلوم أو العمران .

ولعل الطريق الوحيد إلى كسر أغلال الشهوات يكون عن طريق إحداث (**انتفاضة**) إيمانية أخلاقية يستعلي بها المسلم على المعطيات المادية للوضع الحضاري الـراهن ، ويلتفت إلى إثراء حياته بوسائل كثيرة ، لا تحتاج إلى المال .

إن دراسة الحضارات توقفنا على حقيقة كبرى ، وهي أن مصير الإنسان كان يتوقف دائماً على أمرين : علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه الإنسان . والبعد النفسي والأخلاقي هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين . وحينما ينحطّ الإنسان يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته شهواته . وتعتمد علاقتَه بالآخرين على القوةُ لا على الرحمة ، وعلى العنـف لا على التفاهم ، وينصرف الإنسان عن العناية بالنفس إلى العناية بالجسد ، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة ، ويتحول المجتمع كله إلى غابة يحسّ كل واحد فيهـا أن من حقه افتراس الآخرين ، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة لأي واحد منهم !. هـذا هو مجتمع الغاب .

والطريق الوحيد للحيلولة دون هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتيـة ، وتعزيـز علاقة العبد بربه ـ جل وعلى ـ وتحفيز الإرادة الخيِّرة في الناس . وهذا الحـل وإن كان مكْلفاً على المدى القريب . فإنه سفينة نوح على المدى البعيد .



لن يكون في إمكان أفضل النظم الاجتماعية ، ولا في إمكان أقسى العقوبات الصارمة أن تقوِّم الاعوِّجاج ، ولا أن تملأ الفراغ الناشئ عن ذبول النفس ، وانحطــاط القــيم ؛ فالعقوبات الصارمة لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه . والنظم مهما كانت مُحكَمة ، ومتقَنــة لن تحول دون تجاوز الإنسان لها ، وتأويلها بما يجهضها ، وكل الحضارات المنــدثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها شاهدةً على نفسها بالعقم والعجز !.

لابدَّ أن نكون على يقين من أن تيار الشهوات والنزوات الجارف لا يمكن أن يقابل إلا بتيار إيماني متدفق من المشاعر والأحاسيس الإنسانية ؛ فوظيفة الفكــر الدلالــة علــى الطريق ، وعلى الأساليب والأدوات المناسبة للعمل ؛ ولكن الذي نستمد منه الطاقة على الاندفاع في طريق الخير، والقوة على كبح جماح الشــهوات هــو الإيمــان العميــق ، ورصيدنا من المشاعر الحميمة التي هي ثمرة الاتصال بالله !. وإن كثيراً من الشــباب الذين جرفهم تيار الجنس والمجون والخلاعة لم يكونوا بحاجة إلى أدلّة على فضل العفة والاستقامة ، وإنما كانوا بحاجة إلى شيء من المعاني التي تفيض على القلــب بســبب تذوق طعم العبودية الحقّة لله ،والإحساس الصادق بمعية اللّه تعالى لهم واطلاعه عليهم .

حين يبلغ التقدم التقني أقصى مداه ، ويشعر المرء بالتُخمة من أداوت (**التحكُّم عن بعد**) وكل ما يجعل الحياة خالية من التحديات حينئذ تنبعث في النفس أشواق قديمة جديــدة ، هي أشواق النفس إلى ما وراء المادة ، إلى عالم التراحم ، على عالم التعاطف إلى عالم التضحية ببعض المكاسب من أجل استمرار حياة الجميع .

إن الأخلاقيين اليوم هم القادة غداً ، وهل يعرف فضل الماء إلا عند اشتداد الظمأ .

إن الإسلام يعلمنا أن بالإِمكان تصحيح المسار قبل أن نرتطم بقاع الهاوية ، كما يعلّمنا أنه بالإمكان أن نتحول من الخسارة إلى الربح قبل أن يصبح الرصيد صفراً ؛ وذلك إذا أصغينا إلى نداء الفطرة في أعماقنا ، وضغطنا على بعض حاجات الجســد مــن أجــل إنعاش النفس ، وفكّرنا مَلياً بما هو آت !.



لابدَّ من القول : إن المسألة الحاسمة في مجال الأخلاق هي (**إطارها المرجعي**) بمعنى ما الجهة التي نستمد منها الحُكم على حُسن الخُلق أو قبحه ، وما الجهة التي ستتولى الإثابة أو المعاقبة على ذلك الخُلُق .

في العالم الغربي تحول الإطار المرجعي للأخلاق (**من الوحي**) إلى (**العقل**) ، وهذا العقل بعيداً عن الوحي يقود إلى مبدأ خطير جداً وهو مبدأ (**النسبية في الأخلاق**) ، حيث أصبح الطريق ممهداً لتحويل الرذائل إلى فضائل .

وأصبح النمو الاقتصادي صنماً يعبد من دون الله وتُقدّم له كل القرابين .

لاشكَّ أن علينا أن نبذل جهوداً ضخمة لإحياء أخلاق جديدة تلبي شروط العيش في عصر معقَّد ، وتستند في الوقت نفسه إلى المبادئ الإسلامية ، والقيم الإسلامية ، إلا أن التقدم الحاسم في المجال الأخلاقي ربما كان بحاجة إلى إحراز تقدم في المجالات السياسية والحضارية ، حيث أن (التخلُّف) نفسه يحول دون الإبداعات الأخلاقية الأصيلة .

ومما لا يخفى أن الثقافة العلمانية وكثيراً من الثقافات التي فرضت علينا أهملت الميدان الأخلاقي إهمالاً شبه تام ، وذلك نتيجةً للتأثر بفلسفة وضعية ، جعلت (العِلم المادي) هدف كل تقدم ، وصار هذا العِلم المادي علماً ، وأخلاقاً ، وأدباً وقيماً ! وصارت الأخلاق الأصيلة الإسلامية تُصوَّر على أنها قيود مفروضة بسبب الجهل ، وعطالة التقاليد ، وأنك ضعيف لأنك أخلاقي ، أو أنك أخلاقي لأنك ضعيف ، وأن أخلاق المسلمين أفقدتهم المقدرة على استيعاب الحضارة الحديثة ! وصارت الأخلاق كما تصورها التيارات العلمانية تعني سذاجة في الشخص ، وبساطة في تركيبه ، وتثير الشك في صدق موقفه ، بل ربما دفعت إلى اتهامه بشتى التهم .



نتيجة لتهميش كثير من كتَّابنا القضايا الأخلاقية ، ونتيجة لسوء التخطيط وسوء الظروف المعيشية لكثير من الناس ، سادت لدينا أمراض أخلاقية عديدة وخطيرة ، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

إن كثيراً من الناس يعيش اليوم دون أية أهداف سامية ، فتأمين الحاجات الضرورية هو شغل الناس الشاغل ، وامتلاك بيت صغير يعد نصراً كبيراً في معركة شرسة !.

وقد صار الواحد من الناس أشبه بالحيوان البرِّي الذي يقضي حياته في حديقة حيوانات ، فهو ليس معزولاً عن بيئته الطبيعية فحسب ، بل ,I معزول عن أعماق ذاته ، وعن هويته ، وعن سر وجوده ، وعن غاية وجوده !.

ويعاني السواد الأعظم من الناس من ضعف الإحساس بـ (**الواجب**) وهو المبدأ الذي يتجاوز المصلحة المباشرة والفردية ؛ ليعكس تسامي الإنسان أو قدرته على الالتزام تجاه غيره ، والتضحية من أجل غيره .

وما الشعور بالواجب إلا ثمرة للشعور بشرف الانتماء إلى الجماعة وبالرغبة في الذوبان فيها . فإذا عجز الإنسان عن الالتزام الجماعي أباح لنفسه كل ما استطاع أن يحرِّمه على غيره .

وهناك فريق من المسلمين من نوع آخر يعاني على الصعيد الحضاري من ذبول الروح الجماعية لديه ، وهو ينزع باستمرار إلى نوع من الانطواء على الذات والأسرة والحي والقرية والقبيلة ، وهو نزوع ذو أثر سلبي على الإحساس بمصلحة الأمة والحرص على تقدمها .

وإلى جانب ذلك هناك عادات سيِّئة عديدة تتعلق بالعمل والاستهلاك ؛ إذ أن كثيراً من الناس ينظرون نظرة ازدراء للعمل الإبداعي ، كما أن هناك رغبة قوية لشراء العقارات،وشراء السيارات الفاخرة،والإنفاق الترفي والبذخي الذي لا تتحمله موارد الأمة.



وهناك أمراض خلقية كثيرة على صعيد العلاقات بين الناس ، مثل قطع الرحم والجفاء بين الأهل والجيران ، ومثل الحسد والتكبُّر على الناس ، وحب الاستئثار، والانفراد بالخيرات العامة والمشتركة ...

وإن مشكلات الزحام وشح الموارد ، وتراجع التربية الخلقية ، وضعف الإحساس بالأهداف الكبرى ... سوف تولِّد المزيد من التأزّم النفسي ، والمزيد من الأمراض الخلقية ، وذلك يحتاج إلى تأمل عميق من المصلحين ، وإلى البحث عن سبل للعلاج والخلاص ...

إن الانحدار الأخلاقي كثيراً ما يكون صدىً لأزمات يمر بها المجتمع ؛ فقد تنتشر الجريمة بسبب ضائقة اقتصادية ، أو كبت شديد ، أو وجود نماذج اجتماعية مغرقة في البذخ والترف .

وهذا كله يوصلنا إلى قناعة بضرورة ألا نعزل معالجة القضايا الأخلاقية عن معالجة مشكلات الحياة الأخرى ، وهذا ما نغفل عنه في أحيان كثيرة ! .

لكن لا ينبغي أن نصرف انتباهنا عن حقيقة أخرى ، تتصل بالمسألة الأخلاقية ، وهي أن لكل أمة (**سلماً قيمياً**) ترتب فيه أخلاقها في ضوء أمرين : مبادئها وحاجاتها ؛ فظروف الصحراء والبداوة حملت العرب في الجاهلية على وضع الشجاعة والكرم في أعلى السلم القيَمي ؛ وحين جاء الإسلام لم يُخرج هاتين الخصلتين من سُلَّم الفضائل ، لكنه غيَّر من موقعها في التشكيل الجديد ، حيث صارت (**التقوى**) المعيار الأهم في الدلالة على الفضل والسبق .

وفي المجتمعات الصناعية الحديثة هناك ميل قوي إلى جعل الدقة والفاعلية والإنجاز والمهارة والنجاح في أعلى السلم القيَمي وهكذا ...

والذي نريد أن نقوله : إننا اليوم في أمس الحاجة إلى إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية ، يقوم على منح بعض الثوابت القيمية والأخلاقية معاني جديدة أو اهتمامات



خاصة ببعض مدلولاتها ، بغية التخفيف من حدّة وطأة التخلُّف الذي يجتاح حياة المسلم ، **فالتقوى** في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية ، مثل : الإسراع إلى العمل ، وإتقان العمل ، وتطوير العمل ، والمحافظة على الوقت ، وحسن إدارته ، والعمل المؤسساتي ، وترسيخ مفهوم فريق العمل ، والالتزام بالمواعيد ، وحسن التصرّف بالإمكانات المتاحة ، وترشيد الاستهلاك ... وكل هذه القيم المعاصرة لها أصول ثابتة في القرآن والسنة ،

ويمكن من خلال التربية والموعظة الحسنة أن نجعل المسلم يشعر بحلاوة الإيمان ، وحلاوة الالتزام من خلال القيام بهذه الأعمال التي تقتضيها طبيعة العصر ، كما يشعر تماماً عندما يضع صَدَقة في يد فقير ، أو عندما يقوم الليل والناس نيام !.

فالتجديد النفسي والأخلاقي ليس نسخ أخلاق وإحلال أخلاق أخرى في موضعها ، وإنما هو توسيع في مدلولات بعض المفهومات الأخلاقية ، ومنحها أهمية أكبر في النَسق الأخلاقي العام .

لا توجد أمة ليس لها مبادئ محددة ، تعوّل عليها في الضبط الاجتماعي ، وفي ترجيح ممكن على ممكن آخر . كما أنه ليس هناك أمة تخطط لجعل واقعها حرباً على مبادئها ، وقد ضربت أمة الإسلام أروع الأمثلة في هذا السبيل ، مما ليس له نظير !.

ومع الإدراك العميق للصعوبات الكثيرة التي تواجه مَن يريد إحداث تقدُّم أخلاقي ممتاز في وسط متأزِّم ، فلابد من ذكر بعض المبادئ والشروط والأساليب والوسائل التي نظن أنها ذات تأثير في تحسين المستوى النفسي والخلقي لأمتنا والرقي به :

وأمة الإسلام اليوم تحاول أن تنطلق نحو آفاق واسعة المدى ، عليها أن تجدد مضامين الانطلاقة الأولى التي أشعل شرارتها النبي صلى الله عليه وسلَّم وأهل القرون الخيّرة من بعده . وهذا في الحقيقة يحتاج إلى روّاد ، إلى دعاة ، إلى علماء من نوعيةٍ خاصّة ،



ومع أن كثرة عددهم أمر مهم جداً ، إلا أن نوعية المواصفات والأخلاق التي يجب أن يتحلّوا بها تظل أهم من كثرة عددهم ؛ فالصحابة الكرام الذين تلقّوا تربية مكثَّفة ومتميّزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد لا يتجاوزون بضعة ألوف ، ولكن خصوصية سماتهم وأخلاقهم جعلت منهم قدوة فريدة ، أمكنها أن تحمل بناء ضخماً متطاولاً ، ومازلنا إلى اليوم نقتبس من بركات تلك القدوة وهديها .

من سمات هذا الذي يريد أن يصلح من شأن الأمة :

28 - أ - صلة قوية بالله جل وعلا

تغمر كيان المسلم ، وتنقل إيمانه من حيِّز الدائرة العقلية والتصديق القلبي إلى حيز الشعور ، والمعبِّر عنه في حديث مسلم **بالإحسان** " **أن تعبد الله كأنك تراه.**" وهذا لن يتأتّى إلا من خلال العبادات المكثَّفة ، حيث إن الإيمان أشبه شيء بشجرةٍ وارفة الظلال ، وكلما أردنا لهذه الشجرة أن تكبر ، وأن تمد أغصانها في كل اتجاه ، كان علينا أن نسقيها أكثر ؛ وماؤها هو العبادات والنوافل والأذكار ...

وهذه السمة كانت واضحة جداً في حياة الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ والسلف الصالح عامةً .

إن الإيمان الحي المتدفق هو الطاقة العظمى التي نحتاجها في مرحلة الإقلاع ، وليس ثمة بديل لذلك.

29 - ب - الصبر وطول النفس

حيث إن الواقع الرديء الذي نعيشه ما هو إلا خلاصة لتراكمات أخطاء قرون عديدة ؛ وحتى يتحسَّن ذلك الواقع بصورة جيدة ، فإنه يحتاج إلى زمن وجهد . وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى حين قال :



وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا

سورة السجدة : من آية " 24 "

وأحياناً يسيطر على الناس اليأس بسبب طول الطريق ومشاقّه ، وبسبب شعورهم بأن التحسن ضعيف أو معدوم . أما الروّاد ، أما الدعاة الصادقون ، أما العلماء الربانيون فإنهم لا ينظرون أبداً إلى ما قطعوه من الطريق ، ولا إلى ما تبقّى منه ، وإنما يستغرقهم ، ويسيطر عليهم الانشغال بواجب الوقت ، والانشغال بتصحيح المسيرة ، وهم بعد ذلك يشعرون أنهم لم يقدّموا سوى جزءٌ يسيرٌ من المطلوب ، ولكنه جهدهم الذي يملكونه ، وينتظرون من الله ــ تعالى ــ أن يتقبَّله

30 - ج - الإعراض عن متاع الدنيا وشهواتها

ومع أن قدراً من ذلك مطلوب من كل مسلم ، إلا أن للروّاد شأناً آخر ، فهم أحق الناس بالتقلل ــ قدر الإمكان ــ من متاع الحياة الدنيا ، بما لا يصل إلى حد الحرمان ؛ ويظل المهم هو شعور الناس بتميّز هذه الفئة المباركة في أسلوب عيشها ،وفي مقاييسها للرقي الاجتماعي.

إن الأمة في هذه المرحلة بحاجةٍ ماسّة إلى المال ، كي تشيد المرافق العامة والمدارس والجامعات ... وهي بحاجة إلى مَن يوضِّح لها بطريقةٍ عملية منهجيَّةٌ جديدة في العيش بعيدةٌ عما اعتاده كثير من الناس من البذخ والترف وإنفاق المال بغير حساب ولا أدنى شعور بالمسؤولية !



31 - د - التضحية والعطاء السخي والكرم الذاتي

سمات مهمة فيمن يتصدى للنهوض بهذه الأمة ، فعلى الرغم من أن هذه المعاني عميقة في ثقافة المسلم ومتغلغلة في وجدانه إلا أن الناس يبحثون دائماً عن القـــدوة والنمـــوذج المحسوس . ولو أن المبادئ تُغيِّر حياة الناس لما بعث الله تعالى الرُسُـــل ، ولا أنـــزل الكُتُب ، لكن مضت سُنَّته في خلقه بأن لسان الحـــال أبلـــغ مِـــن لســـان المقـــال ، وأن المحسوس أسهل في الإدراك وأعظم في التأثير من المجرد . فحال موصول بـــالله فـــي ألف أبلغ من مقال ألف في واحد .

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طـــــاب مسكنه ... وإن بناها بشر خـــــاب بانيها

أيها الإخوة الأكارم ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبـــل أن تـــوزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخـــذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبـــع نفســـه هواهـــا وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل ، وسلم ، وبارك على ســـيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

إخوتي المؤمنين ، أعزائي المستمعين ..... إلى الموضوع الساخن الذي تعيشه أمتنا .



إنّ القضيةَ الأساسيةَ في التعاملِ مع الأحداثِ الجِسامِ ليس تصديقَ وقوعِها ، أو عــدمَ تصديقِه ، فطبيعةُ العصر مِن حيث التواصلُ الإعلاميُّ المذهِلُ ، وثــورةُ المعلومــات المتفجرة ، واجتماعُ الأممِ والشعوبِ في غرفةٍ إعلاميةٍ واحدةٍ ، يُلغي موضوعَ التصديقِ ، أو عدمِ التصديق ، ولكنّ العبرةَ في التعاملِ مع الأحداث الجِسامِ ، تحليلُهــا التحليــلَ الصحيح ، ثم اتخاذُ موقف ، والانطلاقُ لعملٍ مِن خلالِ هذا الموقفِ ، ولنضربْ علــى ذلك مثلاً .

لو أنّ صاحبَ سيارةٍ في أثناءِ قيادته لها تألّقَ ضوءُ أحمر في لوحةِ البياناتِ التــي أمامه ، فالمشكلةُ ليست في تصديقِ التألُّقِ ، أو عدمِ تصديقه ، لقد رأى تألُّقَ هذا الضوء بأمِّ عَيْنِه ، ولكنّ المشكلةَ في فَهْمِ هذا التألُّقِ ، وتحليلِه ، والسلوكِ الذي يُبنَى على هــذا الفَهْمِ والتحليل ، فلو فَهِمَ التألُّقَ على أنّه ضوءٌ تزينيٌّ ، فتابَع السَّيْرَ ، لاحترقَ المحرِّكُ ، وتكلّفَ لإصلاحه مبلغاً كبيراً ، وتعطّل سيرهُ إلى هدفه ، أما إذا فَهِم هذا التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ ، أوقفَ السيَّارةَ ، وأضافَ الزيتَ ، وسلِم محرِّكُ السيارةِ من الاحتراقِ ، وتابَعَ سَيْرَهُ إلى هدفه ، فالعبرةُ لا في التصديق وعدمِه ، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه .

ما هذا العالم !! ؟؟ إنه عالم أحمر من الدماء التي تسفك ظلماً ... ما هذا العــالم الذي ليس في قاموســـــه إلا (القتل ، التدمير ، والقصف ، والمداهمة ، والقــبض ، والاعتقال ، والتعذيب ، والاغتيال ، وأنهار من الدماء تجري ...) حتى إنك لتشك فــي إنسانية هذا العالم ، فضلاً عن قيمه وأخلاقه ودياناته ، بل إن الإنسان وهو يشاهد هــذه المشاهد الظالمة يخجل أن ينتمي إلى هذا الجنس البشري المتوحش .

هل هذه حياة تعاش ؟ هل هذه حضارة تثمن ؟

هل هذه دول متقدمة أم أنها أبت إلا أن تأخذ بنصيبها من التخلف والهمجية و إلا فبماذا تفسر تلك الأعمال الإجرامية العالمية والإرهاب الــدولي ضــد أبريــاء وعــزل وأصحاب حقوق سليبة ، و كرامات منتهكة ؟



إن حياة الغاب أرحم بكثير مما نشاهده في مسرحية (الحرية والديمقراطية ، وحقوق الإنسان) التي استمتعنا بالفصل الأول منها ، ونحن في غفلة ساهون ، وبكينا في الفصول اللاحقة ؛ كفصل (التطهير العرقي... ومكافحة الإرهاب ... بإرهاب يفوق حد الوصف) لكن المخرج المخادع حاول أن ينسينا فصول الجريمة بقضايا براقة من (العولمة ، التي لا تعني سوى الحيونة ، أي أن نثير في الإنسان الجانب الحيواني ليس غير) .

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها ، ولا تقدير ردود أفعالها ، وذلك أن ردود فعل المقهورين و المظلومين كشظايا القنابل تطيش في كل اتجاه ، وتصيب من غير تصويب

إن ردود أفعال المظلومين و الموتورين لا يمكن التحكم في مداها ولا في اتجاهها ، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول ، مخترقة شرائع الأديان ، وقوانين الأوطان ، وهي تكفر أول ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها ، فإن العلاج الأول والحقيقي هو نزع فتيل الظلم الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت ، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور ، والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

حين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا حقوقهم فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب توقعها .

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف ، إذن يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون،كما ترون وتسمعون .

أنت قويّ ، وهذا سر ضعفك ، وأنا ضعيف ، وهذا سر قوتي !



لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية بقنبلة الذُرية أي بتربية جيل مسلم ينهض بأمته .

مواقف العدو وسياساته تؤكد عقم التيارات التلفيقية والاستسلامية ، وتفتح الطريق واسعًا وبلا حدود أمام تيار المقاومة ولا سيما الملتزمة منها ، وهكذا فقد انتهى طريق الوهم ، وبدأ طريق النصر، إن شاء الله .

يقول السيد الرئيس في كلمته القيمة في مؤتمر القمة المنعقد في بيروت : "من لا يمتلك الفكر المضاد للإرهاب لا يستطيع أن يكافح الإرهاب ، ولا أن يتحدث عنه ، ولا نستطيع أن نرى الإرهاب الأصغر ، ونتعامى عن الإرهاب الأكبر ، وأي طرح للإرهاب في العالم ، ولا تكون إسرائيل هي محوره ،فهو طرح ناقص غير موضوعي .

صحيح أن هناك متغيرات دولية ولكن الأصح من ذلك أن هناك ثوابت إسلامية وأن الباطل الكثيف الذي يركب موجة هذه المتغيرات الدولية لا يمكن أن يلغي الحق الراسخ الذي تملكه أمتنا , فالمتغيرات الدولية تستوجب قدراً من التكيّف والمناورة في الوسائل والجزئيات ، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن نغيّر في الأهداف والمباد ئ . مثال ذلك : المسلم إذا سافر.

والسفر تغيير بالنسبة إلى المصلي هذا السفر يجيز للمصلي القصر والجمع في بعض الصلوات , لكن السفر لا يجيز له ترك الصلاة بحال من الأحوال .

تعلِّمنا الأحداثُ الدامية التي نشهدها كلَّ يوم في البلدين العربيين المحتلين أنّ القوةَ البشريةَ مهما عَظُمَتْ فهي محدودة ، وأنّ العلمَ مهما اتَّسع فهو قاصر ، وأنّ الإنسانَ المتأله مصيره القصم إنَّ اعتمادَ القوةِ وحدَها ، والحلولَ الأمنيةَ وحدَها ، لا يحقِّق الهدفَ ما لم يكن مصحوباً بدرجة عاليةٍ من الاستماعِ الجيّدِ إلى الطرَف الآخر ، وتَفَهُّمٍ دقيقٍ للرأي الآخر ، ومراعاةِ مصالحه وخصوصياته ، وتوفيرِ كرامته ، وما لم تحلَّ مشكلات المظلومين والمضطهدين في العالَم ، فإنّ المشكلة تبقى قائمة ، بل وربما



تفاقمتْ ، فالقوّةُ لا تصنع الحقَّ ، ولكنَّ الحقَّ يصنعُ القوةَ ، والقوةُ مِن دون حكمةٍ تــدمِّر صاحبَها ، قال تعالى :

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[3]

وهذه الأمة لا يمكن اختصارها في شخص واحد فإذا مـــا اغتالتــه يــد الغــدر تــوهم المتوهمون أن المقاومة ماتت بموته .

إن الأعداء يواجهون أمة استعصت على الاحتواء والترويض ، إن شـــاء الله ، عرفــت هويتها ، وحددت وجهتها ، وصمدت لقضيتها ، بعد هذه المحن التي أصابتها ، ووحدتها ولذا فإن دماء الشهداء ليست إلا وقوداً يخزن في شرايين الأجيال ، وإن مشاهد التشــييع الجنائزية ليست إلا حقناً للغضب العام ، ولئن نال الشيخ أحمد ياسين وصاحبه أمنيتهمــا في إحراز الشهادة ، التي يتمناها كل مسلم ، فإن رحم هذه الأمة ولــود لهــذا الــنمط الصعب من الرجال ، وسيخلفهم زحوف إثر زحوف.

قال طفل صغير بعفوية ، وهو يزاحم بجسده النحيل ، ويحاول شق طريــق لــه وســط الجموع الغفيرة التي أمّت مستشفى الشفاء في غزة : إن اغتيال هذا المجاهد الشهيد لــن يحبطنا ويكسر شوكتنا ، بل سيزيدنا قوةً وعزيمــةً علــى مواصلــــة درب الكفــاح والمقاومة ، حتى تحرير أرضنا.

ولله در من قال وقد صدق فيما قال:

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجا فلله أوس قادمـــــون وخـــــزرج

32 - متى تغضب

نظراً للمحن والشدائد التي تمر بها أمتنا ، والتي تنهد لهولها الجبال ، أخاطــب أولئك الذين لم يحملوا هموم أمتهم ، أينما كانوا في العالمين العربي والإسلامي ، ولــم يتألموا لآلامها ، ولم يحزنوا لأحزانها ، وتوهموا أن الذي يجري حولهم لايعنيهم ، وهم



غارقون في حفلات تقام في ردهات الفنادق ، وفي أبهاء المطاعم ، وفي حدائق المزارع ، وفي ألعاب تافهة ، وسباقات فارغة ، وفي برامج ساقطة مستوردة من عالم تتنـاقض قيمه ومبادئه مع قيمنا ومبادئنا ، تبثها بعض الفضائيات ، والتي تبـذل فيهـا الأمـوال الطائلة ، والأوقات الثمينة ، إلى هؤلاء الشاردين أقول :

أخي في الله أخبرني متى تغضبْ ؟

إذا انتهكت محارمنا

إذا نُسفت معالمنا ، ولم تغضبْ

إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا

إذا قامت قيامتنا ، ولم تغضبْ

فـــأخبرني متى تغضـــبْ ؟

إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا .

إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى .

وظلت قدسنا تُغصبْ .

ولم تغضبْ .

فأخبرني متى تغضبْ ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض .

يعبث في دمي لعباً

وأنت تراقب الملعبْ

إذا لله.. للحـــــرمات.. للإسلام لم تغضبْ

فأخبــــــرني متى تغضبْ ؟!

رأيتَ هناك أهوالا

رأيتَ الدم شلالاً

عجائز شيَّعت للموت أطفالاً

رأيتَ القهر ألواناً وأشكالاً



ولم تغضبْ

فأخبـــــــرني متى تغـــضبْ ؟

فصارحني بلا خجلٍ.. لأية أمة تُنسبْ ؟!

فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبا

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الهول

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحلِّ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالذلِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!!

ألم يهززك منظر طفلة ملأت

مواضعَ جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يستترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخـــــــرّ لوجهه ميْتـــــــاً

وخـــــــرّ أبـــــــوه يُحتـــــــضرُ

متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟

أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ

المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟

متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟



33 - صلة الرحم

في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ)) .

[رواه البخاري ومسلم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ)) .

[الترمذي ، ابن ماجه]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) .

[رواه البخاري ومسلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) .

[رواه البخاري ومسلم]

أمّةَ القرآن ، هذا شهر الصيام ، أحد أركان الإسلام ، فضله الله على شهور العام ، وأفاض فيه على المسلمين الخيرات والبركات ، وضاعف لهم فيه الحسنات ، وتجاوز فيه عن الذنوب والسيئات ، أقال فيه العثرات ، فهو شاهد للمحسنين ، وشاهد على المعرضين والمفسدين ، وأنتم معشر المسلمين في أوله ، وما أسرع انقضاء آخره ، فأروا الله من أنفسكم خيراً بالتوبة من المحرمات ، وبفعل الطاعات ، فإن هذا الشهر من أسباب مكفرات الذنوب ، والشفاء من العيوب ، فرض الله جل جلاله عليكم صيامه ، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه ، وبشر على القيام بذلك أعظم البشائر ، فاغتنموا هذا الشهر يا ذوي الألباب والبصائر .



وموضوعات رمضان الكبرى : التقوى ، وهي علة الصيام ، والقرآن حيث أنزل في رمضان ، وصلة الأرحام أفضل أوقاتها في رمضان ، ثم ليلة القدر ، والعتق من النار.

34 - صلة الرحم من العبادات التعاملية

إنّ رمضان شهرُ البرّ والصلةِ ، وشهر التعاطفِ والمرحمةِ ، فالقلوب تلين لـــذكرِ الله ، والنفوسُ تستجيبُ لداعي الله ، فلا ترى من جرّاء ذلك إلا أعمالاً زاكيات،وقرباً من ربّ الأرض والسماوات .

ذلك لأن الإسلامَ يهدِف إلى بناءِ مجتمعٍ متراحمٍ متعاطِف ، تسودُه المحبّةُ والإخاء ، ويهيمِن عليه حبّ الخيرِ والعَطاء ، والأسرةُ وحْدةُ المجتمع ، تسعَد بتقوى الله ورعايـــةِ الرّحِم ، لذلك اهتمّ الإسلامُ بتوثيق عُراها ، وتثبيتِ بُنيانها ، فجاء الأمر برعايةِ حقّها بعدَ توحيد الله وبرّ الوالدين ، قال جلّ وعلا :

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

[النساء : 36]

وقُرِنَت مع إفرادِ الله بالعبادةِ والصّلاةِ والزّكاة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ... فَقَالَ رَسُــولُ اللَّـــهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَــاةَ ، وَتَصِــلُ الرَّحِمَ**)) .

[متفق عليه]

وقد أُمِرَت الأمم قبلَنا بصِلة أرحامِها ، قال سبحانه :



﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

[البقرة : 83]

ودَعا إلى صِلتها نبيُّنا محمّدٌ ﷺ في مَطلعِ نُبوّته ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ : ((كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا ، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي اللَّهُ ، فَقُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ ...)) .

[رواه مسلم]

وسأل هِرقل أبا سفيانٍ عن النبيّ ما يقول لكم ؟ قال : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ : ((سَأَلْتُكَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، قَالَ : وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ)) .

[رواه البخاري ومسلم]

وأمَر بها عليه الصلاة والسلام أوّلَ مقدمِه إلى المدينة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ ، وَقِيلَ : قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، ثَلَاثًا ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) .

[رواه الترمذيّ وابن ماجه واللفظ له]

وهي وصيّة النبيّ ﷺ ، قال أبو ذر : ((أوصاني خليلي بصِلة الرّحم وإن أدبرَت)) .

[رواه الطبراني]

فصِلةُ ذوي القربَى أمارةٌ على الإيمان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ...)) .

[متفق عليه]



صلةُ الحرم عبادةٌ جليلة مِن أخصِّ العبادات ، يقول عمرو بن دينار : "ما مِن خَطْوةٍ بعد الفريضةِ أعظمُ أجرًا من خَطوةٍ إلى ذي الرّحم " .

ثوابُها معجَّل في الدنيا ، ونعيمٌ مدَّخرَ في الآخرة ، قال ﷺ : ((**ليس شيء أُطيعَ اللهُ فيه أعْجَل ثوابًا من صلِةِ الرحم**)) .

[رواه البيهقيّ]

والقائمُ بحقوق ذوي القربَى موعودٌ بالجنّة ، يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : ((... **وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**)) .

[رواه مسلم]

أمَرَ الله بالرّأفة بالأرحام كما نرأف بالمِسكين ، قال عزّ وجلّ :

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ

[الإسراء : 26]

وحقُّهم في البذلِ والعطاء مقدّمٌ على اليتامَى والمساكين ، قال سبحانَه :

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ

[البقرة : 215]

وللسخاءِ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ من ربِّ العالمين ، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**)) .

[النسائي وابن ماجه]

وأولُ مَن يُعطَى مِن الصدقة هم الأقربون مِن ذوي المَسكنَة ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : ((**كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ،**



فَلَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ ، فَقَالَ : بَخٍ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا ، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، قَالَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ ، وَبَنِي عَمِّهِ)) .

[متفق عليه]

فالباذلُ لهم سخيُّ النّفس ، كريم الشّيَم ، يقول الشعبيّ رحمه الله : " ما ماتَ ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلاّ وقضيتُ عنه دينه " .

35 - ماذا تعني كلمة (الأرحام)

المعنى الأول : رحم الدين ، وهي رحم عامة تشمل جميع المسلمين ، وتتفاوت صلتهم حسب قربهم وبعدهم من الدين ، وكذلك حسب قربهم وبعدهم المكاني .

ويدل على ذلك قوله تعالى :

إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ

[الحجرات : 10]

فأثبت الله الأخوّة الإيمانية لجميع المسلمين .

وقوله :

فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢

[محمد]

المعنى الثاني : رحم القرابة ، القريبة والبعيدة ، من جهتي الأبوين .

ولكل من هذين النوعين حقوق ونوع صلة.

الروابطُ تزداد وُثوقًا بالرّحم ، وقريبُك لا يَملّكَ على القرب ، ولا ينسَاك في البُعد ، عزّهُ عزٌّ لك ، وذلّه ذلٌّ لك .

قال القرطبي رحمه الله : " اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة ، وأن قطيعتها محرمة .



عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : ((**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**)) .

[أحمد]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ**)) .

[الترمذي]

36 - معنى صلة الرحم

الرحم العامة رحم الدِّين ، ويجب صلتها بملازمة الإيمان ، والمحبة للمؤمنين ، ونصرتهم ، والنصيحة لهم ، وترك أذيتهم ، والعدل بينهم ، والإنصاف في معاملتهم ، والقيام بحقوقهم الواجبة ، كتمريض المرضى ، ومواساة الفقراء ، من دون أن يمن عليهم ، ونصرة المظلومين ، وحقوق الموتى ، من غسلهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لأهل الإيمان 0

الرحم الخاصة رحم القرابة ، وتكون صلتها بزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، والسؤال عنهم ، والإهداء إليهم ، والتصدق على فقيرهم ، والتلطف مع وجيههم وغنيّهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتكون الصلة باستضافتهم ، وحسن استقبالهم ، وإعزازهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أتراحهم .

وتكون الصلة أيضاً بالدعاء للأرحام ، وسلامة الصدر لهم ، والحرص على نصحهم ، ودعوتهم للخير ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وإصلاح ذات البين إذا فسدت

وتكون الصلة أيضاً ببشاشةٍ عند اللّقاء ، ولينٍ في المُعاملة ، إلى طيبٍ في القول ، وطلاقةٍ في الوجه ، وزيارات وصِلات ، وإحسانٌ إلى المحتاج ، وبذلٌ للمعروف ، ونصحُهم ، والنّصحُ لهم ، ومساندةُ مكروبِهم ، وعيادةُ مريضهم ، الصفحُ عن عثراتهم ، وترك مُضارتهم ، والمعنى الجامِع لذلك كلِّه : إيصالُ ما أمكَن من الخير ، ودفعُ ما أمكنَ منَ الشرّ .



ثم إن الأقارب يختلفون في أحوالهم ، وطباعهم ، ومنازلهم ، فمنهم من يرضى بالقليل ، فتكفيه الزيارة السنوية ، والمكالمة الهاتفية ، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه ، والصلة بالقول ، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً ، ويلتمس المعاذير لأرحامه ، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة ، وبالاهتمام الدائم ، فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على حسن الصلة بهم ، واستيفاء مودتهم .

وبشكل مختصر تبدأ صلة الرحم بنوع من الاتصال الهاتفي أو البريدي ، ثم الزيارة ، ثم تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية ، ثم المساعدة بألطف أسلوب ، ثم الأخذ بيد القريب ، وأهله إلى الله ، وحملهم على طاعته ، والتقرب إليه ، وهذا تاجٌ تتوّج به هذه الصلة ، وعندئذ تكون هذه الصلة حققت هدفها الأكبر .

37 - كيف تعامل الرحم المسيئة

حتى لو كان الأقارب من النوع المتعب الذي يقابل الإحسان بالإساءة ، فلا يجوز أن تقاطعهم ، لأنك تتعامل مع الله تعالى طاعة لأمره ، والتزاما بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ذلك يجب على المسلم أن يسلك كل السبل ليصل أرحامه ، ويحسن إلى أقاربه وجيرانه .

إنّ ذوي الرّحِم غيرُ معصومين ، يتعرّضون للزّلَل ، ويقَعون في الخَلَل ، وتصدُر منهم الهَفَوات ، ويقَعون في خطيئات كبيرات ، فإن بَدَر منهم شيءٌ من ذلك فالزَم جانبَ العفوِ معهم ، فإنَّ العفوَ من شِيَم المحسنين ، وما زادَ الله عبدًا بعفو إلاّ عِزًّا ، وقابِل إساءَتهم بالإحسان ، واقبل عُذرَهم إذا اعتذروا ، ولك في النبي الكريم يوسف القدوة والأسوة ، فقد فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا ، وعندما اعتذروا قبِل عذرهم وصفَح عنهم الصفحَ الجميل ، ولم يوبِّخهم ، بل دعا لهم وسأل الله المغفرةَ لهم ،

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

[يوسف]

فغُضَّ عن الهفواتِ ، واعفُ عن الزّلاّت ، وأقِلِ العثرات ، تجْنِ الودَّ والإخاء ، واللينَ والصفاء ، وتتحقّقُ فيك الشهامةُ والوفاء ، وداوِم على صِلة الرّحم ، ولو قطعوا ، وبادِر بالمغفرة ، وإن



أخطؤوا ، وأحسِن إليهم وإن أساؤوا ، ودَع عنك محاسبةَ الأقربين ، ولا تجعَل عِتابَك لهم سبباً لبعدهم عنك ، وكُن جوادَ النّفس كريمَ العطاء ، وجانبِ الشحَّ ، فإنّه من أسباب القطيعة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**)) .

[أبو داود ، أحمد]

قيل لأحدهم : ما حقّ الرّحم ؟ قال : " تُستَقبَل إذا أقبلَت ، وتُتْبَع إذا أدبرَت " .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : ((**يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**)) .

[رواه مسلم]

أما إذا كانت الرحم فاجرة أو فاسقة ، فتكون بالعظة والتذكير ، وبألطف تعبير ، وبذل الجهد الكبير ، فإذا أعيتك الحيلة في هدايتهم كأن ترى منهم عناداً ، أو استكباراً ، أو أن تخاف على نفسك أن تتردى معهم ، وتهوي في حضيضهم فابتعد عنهم ، واهجرهم الهجر الجميل الذي لا أذى فيه ولا تحقير ، وردد هاتين القاعدتين ؛ " دع خيراً عليه الشر يربو " ، و " درء المفاسد مقدم على جلب المنافع " ، وأكثر من الدعاء لهم بالهداية ، وأعد الكَرة بعد الكَرة ، والمرة تلو المرة .

وإكرامُ ذوي القراباتِ مأمور به ، على ألاّ يكونَ في التّقديمِ بخسٌ لأحدٍ أو هضمٌ لآخرين ، قال سبحانه :

وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

[الأنعام : 152]

38 - ثمار صلة الرحم

صلةُ الرّحم تدفَع بإذن الله نوائبَ الدّهر ، وترفع بأمر الله عن المرء البَلايا ، قَالَ جبريل للنبي ﷺ : ((﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** ﴾ ، **فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا ، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**)) .



[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

لقد خلق الله الرحمَ ، وشقق لها اسمًا من اسمِه ، ووعَد ربُّنا جلّ وعلا بوصلِ مَن وصلَها ، ومَن وصلَه الرحيمُ ، وصلَه كلُّ خير ، ولم يقطَعه أحد ، ومن بَتَره الجبّار لم يُعلِه بشرٌ ، وعاشَ في كمَد ،

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ

[الحج : 18]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾**)) .

[متفق عليه]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**)) .

[مسلم]

صلةِ الرّحم ؛ محبّةٌ للأهل ، وبَسطُ الرّزق ، وبركةُ العمر ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ**)) .

[رواه أحمد]

وفي صحيح البخاريّ ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)) .

[متفق عليه]

صلةُ الرّحم أمارةٌ على كَرَم النّفس ، وسَعَةِ الأُفق ، وطيبِ المنبَتِ ، وحُسن الوَفاء ، ولهذا قيل : مَن لم يَصلُحْ لأهلِه لم يَصلُحْ لك ، ومَن لم يذُبَّ عنهم لم يذبَّ عنك ، يُقْدِم عليها أولو التّذكرةِ وأصحابِ البصيرة .

وصلة الرحم مدعاة لرفعه الواصل ، وسبب للذكر الجميل ، وموجبة لشيوع المحبة ، وعزة المتواصلين .



صلة الرحم تقوَي المودَّة ، وتزيدُ المحبّة ، وتتوثَّق عُرى القرابةِ ، وتزول العداوةُ والشّـــحناء ، فيها التعارفُ والتواصلُ والشعور بالسّعادة

39 - واقع معظم المقصرين

كثير من الناس مضيعون لهذا الحق ، مفرطون فيه ، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصـــلة ولا بمال ، ولا بجاه ولا بحال ، ولا بخلق ولا بود ، تمضي الشهور وربما الأعوام ولا يقوم بزيارتهم ، ولا يتودد إليهم لا بصلة ولا بهدية ، ولا يدفع عنهم مضرة ولا أذية ، بل ربما أساء إليهم ، وأغلـــظ القول لهم .

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم ، ولا يواسيهم في أتراحهم ، ولا يتصـــدق علـــى فقرائهم ، بل تجده يقدم عليهم الأباعد في الصلات والهبات .

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ، ويقطعهم إن قطعوه , وهذا في الحقيقة ليس بواصل ، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله ، وهو حاصل للقريب وغيره ، والواصل حقيقة هو الذي يتقـــي الله في أقاربه ، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**)) .

[البخاري]

ومن مظاهر القطيعة : أن تجد بعض الناس يحرص على دعوة الأباعد ، ويغفل أو يتغافل عـــن دعوة الأقارب ، وهذا مالا ينبغي ؛ فالأقربون أولى بالمعروف قال الله عز وجل :

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

[الشعراء :214]

40 - نتائج قطيعة الرحم

إنّ معاداة الأقاربِ شرّ وبلاء ، الرّابح فيها خاسِر ، والمنتصِر مهزوم ، وقطيعةُ الرّحم مِـــن كبائر الذّنوب ، وقبائح العيوب متوَعَّدٌ صاحبُها باللّعنةِ والثبور ، قال تعالى :



فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

[محمد : 22 ــ 23]

فالتدابرُ بين ذوي القربَى مؤذِنٌ بزوالِ النِّعمة وسوءِ العاقبةِ وتعجيلِ العقوبة ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**)) .

[رواه البخاري ومسلم]

فعقوبتُها معجَّلة في الدّنيا قبلَ الآخرة ، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ** ــ أي الظلم ــ **وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**)) .

[رواه الترمذي]

قطيعة الرحم سببٌ للذِلّة والصّغار ، والضّعفِ والتفرّق ، مجلَبةٌ للهمّ والغمّ ، فقاطعُ الرّحم لا يثبُت على مؤاخاة ، ولا يُرجَى منه وفاء ، ولا صدِقٌ في الإخاء ، يشعر بقطيعةِ الله له ، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتِقار ، مهما تلقّى من مظاهِر التبجيل ، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرّحم .

ومن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة ، وليعفُ وليصفح ،

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ

[الشورى : 40]

41 - الخطوة العملية

وإنّ لحُسنِ الخُلُق تأثيرًا في الصّلة ، والزَم جانبَ الأدَب مع ذوي القربَى ، فإنّ مَن حفِظَ لسانَه أراح نفسَه ، وللهديّةِ أثرٌ في اجتلابِ المحبّة ، وإثباتِ المودّة وإذهابِ الضغائن ، وتأليفِ القلوب .

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الخصام والخلاف والقطيعة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، يَلْتَقِيَانِ ، فَيَصُدُّ هَذَا ، وَيَصُدُّ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**)) .

[البخاري]



ويقول ربنا سبحانه وتعالى :

وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾

[فصلت]

يحذرنا صلى الله عليه وسلم من مصير قاطع الرحم ، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**)) . قَالَ سُفْيَانُ : يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ .

[متفق عليه]

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعة الرحم ، فإنها سبب للعنة الله وعقابه ، يقول الله عز وجل :

فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾

[محمد]

ويقول تعالى :

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ



[الرعد]



42 - من هدي النبي في صلة الرحم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس ، وأعفهم ، وأوصلهم ، وأحلمهم ؛ ولــذلك ذكــر الله خُلُقَه ومناقبه في القرآن ، فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

[القلم :4]

وقال له :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾

[آل عمران :159]

فقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً ، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ ، فمــا ســمعت الــدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم ، قام قرابته ــ أبناء عمه وأقاربه ــ فأخرجوه من مكة ، وطاردوه وشتموه وآذوه ، حاربوه في المعارك ، ونازلوه في الميدان ، وقاموا بحــرب عســكرية وإعلاميــة واقتصادية ضده ، فلما انتصر ماذا فعل ؟

((**دخل مكة منتصراً ، ووقفت له الأعلام مكبرة ، وطنت بذكر نصره الجبال والوهــاد ، فلمــا انتصر ، وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم منحنياً ، وهو يقول للقرابة وللعمومــة : ما ترون أني فاعل بكم ؟ فيتصورون الجزاء المر ، والقتل الحار ، والموت الأحمر ، فيقولون وهم يتباكون : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فتدمع عيناه ، ويقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء**)) !

[السيرة النبوية]

كأنه يقول : عفا الله عنكم وسامحكم .

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ، فيسمع بالانتصار ، وقد آذى الرســول عليــه الصــلاة والسلام ، وشتمه وقاتله ، فيأخذ هذا الرجل أطفاله ، ويخرج من مكة ، فيلقاه علي بن أبي طالــب ، ويقول : يا أبا سفيان ! إلى أين تذهب ؟ قال : أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعــاً وعريــاً! والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إرباً إِرباً ! فيقول علي ــ وهو يعرف رسول الله صــلى الله



عليه وسلم ـــ أخطأت يا أبا سفيان ! إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصل الناس ، وأبر النـــاس ، وأكرم الناس ، فعد إليه ، وسلم عليه بالنبوة ، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف :

تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

[يوسف :91]

فيأتي بأطفاله ، ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويقــول : يـــا رســـول الله! السلام عليك ورحمة الله وبركاته : ﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ، فيبكـــي عليـــه الصلاة والسلام ، وينسى تلك الأيام ، وتلك الأعمال ، وتلك الصحف السوداء ، ويقول : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

ويقول أبو سفيان بن حرب : يا بن أخي ، ما أوصلك ؟ ما أرحمك ؟ ما أحكمك ؟ ما أعقلك ؟

فهل من متسم بأخلاقه ؟ وهل من مقتد بأفعاله ؟ فإنه الأسوةُ الحقة ، وإن اتباعه نجاة من العـــار والدمار والنار.

تأتيه أخته من الرضاعة صلى الله عليه وسلم ، وقد ابتعدت عنه عقوداً عديدة ، فتأتيه وهـــو لا يعرفها ، وهي لا تعرفه ، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره ، فتأتي لتسلم علـــى أخيها من الرضاع ، وهو تحت سدرة عليه الصلاة والسلام ، والناس بسيوفهم بين يديه ، وهو يوزع الغنائم بين العرب ، فتستأذن ، فيقول لها الصحابة : من أنت ؟ فتقول : أنا أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أنا الشيماء بنت الحارث أرضعتني أنا وإياه حليمة الســـعدية ، فيخبـــرون الرسول عليه الصلاة والسلام فيتذكر القربى وصلة الرحم ، ويقوم لها ليلقاها في الطريق ، ويرحـــب بها ترحيب الأخ لأخته بعد طول غياب ، وبعد الوحشة والغربة ، ويأتي بها ويجلسها مكانه ، ويظللها من الشمس .

تصوروا رسول البشرية ، ومعلم الإنسانية ، ومزعزع كيان الوثنية ، يظلل هذه العجوز أختـــه من الرضاع من الشمس ، ويترك الناس وشئون الناس ، ويقبل عليها ويسألها ، ويقول لها : يا أختاه كيف حالكم ؟ : يا أختاه اختاري الحياة عندي ، أو تريدين أهلك ؟ فتقول : أريد أهلي ، فيمتعها بالمال ويعطيها مئة ناقة ، ليعلمِّ الناس صلة الأرحام .

يا سيدي ، يا رسول الله ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحـــب فطرتـــك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك !!!

يا سيدي يا رسول الله ، نقل عنك في أحاديثك الصحيحة ، أنك تقلق أشد القلق ، يـــوم القيامـــة على أمتك ، فتقول أمتي ، أمتي ، فيقال لك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ؟



يا سيدي يا رسول الله ، الذي أحدثوه بعدك أنهم قطعوا عماتهم وخالاتهم ، وبناتهم وأخواتهم ؟ وحرموهن من الميراث الذي فرضه الله لهن ، وقطعوهن من الصلة والزيارة ؛ حتى سمعنا ورأينا من الأمهات الفقيرات من تضطر الواحدة منهن أن تقيم دعوى على ابنها المترف من أجل أن ينفق عليها ، هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله

43 - أسباب قطيعة الرحم

وإذا أنعمنا النظر في أسباب قطيعة الأرحام ؛ وجدنا أن من تلك الأسباب :

1ـــ الجهل بعواقب القطيعة ، والجهل بفضائل الصلة ، والتفكر في الآثار المترتبة على الصلة ؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء ، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها ، وتمثلها ، والسعي إليها ، وكذلك النظر في عواقب القطيعة ، وتأمل ما تجلبه من هم ، وغم ، وحسرة ، وندامة ، ونحو ذلك ، فهذا مما يعين على اجتنابها ، والبعد عنها .

2ـــ ضعف التقوى ، والكبر ، فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً ، أو حاز مكانة عالية ، أو كان تاجراً ، أو مشهوراً ؛ تكبر على أقاربه ، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم .

ومما يحبب الإنسان لقرابته ، ويدنيه منهم تواضعه ولين جانبه :

من كان يحلم أن يسود عشيرة   فعليه بالتقوى و لين الجانب
و يغض طرفاً عن مساوي من أسا   منهم ويحلم عند جهل الصاحب

44 - الانقطاع الطويل الذي يقود إلى الوحشة واعتياد القطيعة

3ـــ الانقطاع الطويل الذي يقود إلى الوحشة ، واعتياد القطيعة .

4ـــ العتاب الشديد ، فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه ؛ أمطر عليه وابلاً من التقريع والعتاب على تقصيره في حقه , وإبطائه في المجيء إليه ؛ ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص ، والهيبة من المجيء إليه .

وعلاج ذلك تحمل عتابهم ، وحمله على أحسن المحامل ، فهذا أدب الفضلاء ، ودأب النبلاء ممن تمت مروءتهم ، وكملت أخلاقهم ، وتناهى سؤددهم ، ممن وسعوا الناس بحلمهم ، وحسن تربيتهم ، وسعة أفقهم ؛ فإذا عاتبهم أحد من الأقارب ، وأغلظ عليهم ، لتقصيرهم في حقه ؛ لم يثرّبوا



عليهم ، ولم يجاروه في عتابه بل يتلطفون به ، ويحملون عتابه على المحمل الحسن ، فيرون أن هذا المعاتب محب لهم ، حريص على مجيئهم ويشعرونه بذلك ، ويشكرونه ، ويعتذرون إليه ، حتى تخف حِدَّتُه ، وتهدأ ثورته ، فبعض الناس يقدر ويحب ؛ ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب ، والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء ، ولسان حالهم يقول : لو أخطأت في حسن أسلوبك ما أخطأت في حسن نيتك .

5ـ التكلف الزائد ، فهناك من الناس من إذا زاره أقاربه تكلَّف لهم أكثر من اللازم ، وخسر الأموال الطائلة ، وقد يكون – مع ذلك – قليل ذات اليد ، ومن هنا تجد أقاربه يقصرون عن المجيء إليه ، خوفاً من إيقاعه في الحرج .

6ـ وتجد من إذا زاره أقاربه لم يهتم بهم ، ولم يصغ لحديثهم ، ولا يفرح بمقدمهم ، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرودة ، مما يقلل رغبتهم في زيارته .

7ـ الشح والبخل ، فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تهرب من أقاربه ، حتى لا يرهقونه بطلباتهم المتنوعة .

وعلاج ذلك بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس ، أو الجاه ، أو المال ، وأن يدع المنة عليهم ، والتعاون على حل مشكلاتهم المادية والاجتماعية والدينية ، فإذا ما احتاج أحد من أفراد الأسرة مالاً لزواج ، أو نازلة أو غير ذلك ؛ قاموا بدراسة حاله ، ورفدوه بما يستحق ، فهذا مما يولد المحبة بين الأقارب .

8 ـ تأخير قسمة الميراث ، فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم ، إما تكاسلاً منهم ، أو قلة وفاق فيما بينهم ، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة ، وكثرت المشكلات ، وزاد سوء الظن ، وحلت القطيعة .

9ـ الشراكة بين الأقارب ، فكثيراً ما يشترك الإخوة أو غيرهم من الأقارب في مشروع أو شركة ما ، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة ، ودون أن تقوم الشراكة على الوضوح والصراحة ، بل تقوم على المجاملة ، والحياء ، وحسن الظن . فإذا زاد الإنتاج ، واتسعت دائرة العمل ؛ دب الخلاف ، وساد البغي ، ونزغ الشيطان، وحدث سوء الظن خصوصاً إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار ، أو كان بعضهم مستبداً برأيه ، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من صاحبه ، ومن هنا تسوء العلاقة ، وتحل الفرقة ، وربما وصلت بهم الحال ، إلى الخصومات في المحاكم ؛ فيصبحون سبّة لغيرهم .



وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ
لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ

[ص : 24]

10ـــ الاشتغال بالدنيا ، والانشغال بها عن أداء واجباته تجاه أرحامه ، لذلك وجب أن تكون لهم اجتماعات دورية شهرية أو نصف شهرية ، أو نحو ذلك .

11ـــ والطلاق بين الأقارب إذا لم يكن بإحسان .

12ـــ وبُعد المسافة ، والتكاسل عن الزيارة .

13ـــ وقد يكون التقارب في المساكن بين الأقارب مسبباً للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق ، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين

14ـــ قلة التحمل ، والصبر على الأقارب .

15ـــ ونسيانهم في الولائم والمناسبات ، فقد يفسر هذا النسيان بأنه تجاهل واحتقار ، فيقود ذلك الظن إلى الصرم والهجر .

ومن الطرق المجدية أن يسجل أسماء أقاربه ، وأرقام هواتفهم ، ثم يحفظها عنده ، حتى يستحضرهم جميعاً ، ويتصل بهم إما مباشرة أو عبر الهاتف ، أو غير ذلك .

45 - الإخلاص في صلة الرحم

يراعي في صلة الأرحام أن تكون الصلة قربة لله ، خالصة لوجهه الكريم ، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى ، ولا يقصد بها حمية الجاهلية .

46 - الجاليات الإسلامية وصلة الرحم

إنّ الجاليات الإسلامية والعربية منتشرة في شتى بقاع الأرض ، وبعض الجاليات في بعض البلاد الغربية القريبة والبعيدة تفوقت تفوقاً يلفت النظر ، فبينما لا يزيد عدد الحاملين للدكتوراه ، من السكان الأصليين على الثمانية بالألف نجد أن الذين يحملون الدكتوراه في الجاليات الإسلامية يزيد على ثلاثة



وثلاثين في الألف ، هؤلاء المتفقون علمياً تسلّموا مناصب رفيعة في بلاد المهجر في الطب والفلك والاقتصاد والذرة .

والآن ، ما علاقة أفراد الجاليات الإسلامية بموضوع الخطبة اليوم (صلة الأرحام) ؟

الحقيقة أن أفراد الجاليات الإسلامية والعربية هؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلاً لإسلامهم ولأوطانهم ، وهم إذ ينقلون للغرب القريب والبعيد حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه ، دعوة ، ويطبقونها منهجاً في حياتهم ، يأخذ الغرب من الإسلام موقفاً غير هذا الموقف الذي يؤلمنا أشد الألم ، وهم إذ ينقلون لأمتهم التي ترعرعوا في كنفها ، ونبت لحمهم من خيراتها ، وتلقوا العلم في جامعاتها ، أفضل ما في الغرب من علم ونظام وعمل دؤوب ، ولا ضير في ذلك ، لأن ثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي حصلته من أزهارنا ؟ فإن فعلت الجاليات الإسلامية والعربية ذلك تكون قد وصلت رحمها بطريقة معاصرة ، ولا أدل على ذلك من أن كبار مفكري الغرب يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على العالم .

يقول غوته : إن دين الإسلام دين إخلاص ، ودين اجتماع وأخلاق ، ورعاية لبني الإنسان .

ويقول برناردشو : الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها ، ولا نجد في الأديان حسناته .

ويقول غوستاف لوبون : إن الأمم لم تعرف بحق فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم .

ويقول ولي عهد بريطانية : إن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوربة العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي .

ويقول ديورانت : إن محمداً ـ ﷺ ـ كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي للناس ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانِه فيه أيّ مصلح آخر .

هذه هي منزلة صلة الرحم في الإسلام, وأكرم بها من منزلة وأعظم.



الباب التاسع : موضوعات تربوية



01 - تربية الأولاد في الإسلام

إن الأطفال غراس الحياة ، وقطوف الأمل ، وقرّة عين الإنسان ، وزهور الأمة المتفتحة ، والبراعم الإنسانية المتألقة ، عليهم المعوّل في الحفاظ على مكاسب الأمة ، واستعادة ماضيها المجيد ، وخوض معاركها الضارية والمصيرية ضد أعدائها 0

إنّ للطفولة في الإسلام عالمَها الخاص ، المفعم بالعناية والاهتمام ، وحديث **القرآن** عن الطفولة يفيض بالمودة ، فإنّ الله تعالى **يقسم** بالطفولة : ﴿**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ*وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ*وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾ .

[سورة البلد : الآية 1ـ3]

والأطفال هم **البُشرى** ، قال تعالى مبشِّرًا نبيَّه زكريا : ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ .

[سورة مريم : الآية 7]

وهم **قرة العين** ، لذلك أرشد الله عباد الرحمن إلى هذا الدعاء فقال : ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ .

[سورة الفرقان : الآية 74]

وهم **زينة الحياة الدنيا** ، قال تعالى :﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ .

[سورة الكهف : الآية 46]

وهم **المودة والرحمة** ، قال تعالى :﴿**وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ .

[سورة الروم : الآية 21]

قال بعض علماء التفسير : المودة والرحمة هما الطفل الذي يقوّي العلاقة بين الزوجين ، ويجعلها أكثر أمناً واستقراراً .

وفي **السنّة** الصحيحة يرسم لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عالم الطفولة ، وكأنه عالم قريب من عالم الجنة ، فعَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ تُوُفِّيَ ابْنَانِ فَقُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا تُحَدِّثُنَاهُ تُطَيِّبُ بِنَفْسِنَا عَنْ مَوْتَانَا قَالَ نَعَمْ : ((**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ ، يَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ أَوْ بِيَدِهِ ، كَمَا آخُذُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا ، فَلَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**)) .

[أخرجه أحمد في مسنده]



والدعاميص : هي نوع من الفراشات الجميلة .

ورعاية الأطفال واجبة ، وحبهم قربى إلى الله ، أليس الرسول الكريم هو القائل : **((لَوْلاَ شُيُوخٌ رُكَّعُ ، وَشَبَابٌ خُشَّعٌ ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ ، لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا))** .

مسند أبي يعلى الموصلي ، وسنن البيهقي الكبرى ، والطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة.

لقد كان حُبُّ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للطفولة يملأ قلبَه الشريفَ ، فعَنْ بُرَيْدَةَ يَقُولُ **((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ ، يَمْشِيَانِ ، وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمِنْبَرِ ، فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ ، وَيَعْثُرَانِ ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا))** .

[أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما]

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **((إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ))** .

[رواه البخاري]

أيها الإخوة المستمعون ، أيتها الأخوات المستمعات ، **أول حقوق الطفل على أبيه أن يحسن اختيار أمِّه** ، لأنّ الإسلام لم يهتمّ بالطفل بدءاً من مولده ، بل إنه يرعاه فكرة ، ويحضنه غيباً ، ويخطِّط مستقبلَه ، ولم يَزَلْ أمنيّةً هائمةً في ضمير الغيب ، فبمجرَّد تفكيرِ الأبِ في الزواج ، وتكوين الأسرة ، يحدِّد الإسلامُ له معالمَ الطريق ، والأسرةُ في الإسلام لها نظامٌ بديعٌ غايةً في الحسنِ والنقاء ، ولها خطورتُها ومكانتُها ، ولهذا كان لابدّ للإسلامِ أنْ يصحِّح أوّلَ لَبِنَةٍ من لبناتها ، والزواج مرحلةٌ أوَّليّةٌ في بناءِ الأسرة ، وعنايةُ الإسلامِ بهذه اللبنةِ تعني سلامةَ ما يترتبُ عليها من حياةٍ مستقرةٍ هانئةٍ سعيدةٍ لكلِّ أفرادها .

فالإسلام يأمر الرجلَ عند الزواج أن يختارَ الزوجةَ ذاتَ دِينٍ ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))** .

[أخرجه البخاري ومسلم]

فلا ينبغي حينئذٍ أنْ يكونَ جمالُ المرأة ، أو حسبُها ، أو مالُها هو كلَّ شيء ، بل لابد أنْ ينضم إلى كل ذلك الدينُ ، وأن تكون من بيت كريم ؛ لأنّ أولادَها سيرثون من أخلاقِها وصفاتِها وسلوكها الشيءَ الكثيرَ .

وبالمقابل أرشدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم أولياءَ المخطوبةِ إلى أنْ يبحثوا عن الخاطب الذي يرضَوْن دِينَه وخُلقَه ؛ ليرعى الأسرة رعايةً كاملةً ، ويؤدِّي حقوقَ الزوجة والأولاد ، قال عليه



الصلاة والسلام : ((**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ**)) .

[انفرد به الترمذي عن أبي حاتم المزني]

وانطلاقاً مِن هذا المبدأ أجاب الخليفةُ عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن سؤالٍ لأحدِ الأبناء حين سأله : ((**ما حق الولد على أبيه ؟ قال : أن يحسن انتقاء أمه ، وأن يحسن اسمه ، وأن يعلمه القرآن ..**)) .

[ذكره القرطبي في تفسيره ، وأخرج البزار نحوه ، انظرْ مجمع الزوائد للهيثمي]

ومن أجل ذلك وجَّهَ الإسلامُ عنايتَه إلى تربيةِ الأبناءِ حتّى يَسعدَ بهم المجتمعُ ، ويسعَدوا هم بـه ، والإسلامُ وهو ينظِّم حياةَ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ لا ينسى أنَّ هذه كلها أغصانٌ متشابكةٌ ، فأيّ تأثير في أحدها لابدّ أن يؤثِّر في الآخر ، فأخذتْ تعاليمُه السمحةُ تنسِّقُ الخطواتِ ، وتوضِّح المناهجَ ؛ لينشأ مِن مجموعها تقدمٌ متكاملٌ أساسُه الإيمانُ والرحمةُ والتعاطفُ والمحبةُ ، فالإسلامُ بهذا يسبق كلَّ محاولةٍ لتقويمِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ ، باعتبارِ أنّه يزاوج بين خطواتها في ثبات واتِّزان ، على أساسٍ مِن عقيدةٍ وإيمانٍ .

ويبدأ الإسلامُ بإعدادِ الفردِ لأنّه الخليةُ الأولى التي تُنسَج منها الأسرةُ والمجتمعُ والأمَّـةُ ، وهـو الوحدةُ الأساسيةُ التي تشكِّل العنصرَ الأولَ في التكوين العام ، والفردُ ما هو إلا طفلٌ في بدايتـه ، تشكّله فطرته ، ومكارمُ الأخلاق التي يُربَّى عليها في بيئته ، والقيمُ والمفاهيمُ الإنسانيَّةُ والحضـارية التي يتلقَّاها من مجتمعه ، فإذا ما تمَّ تكوينُه في الحياةِ على النَّسَقِ القويمِ ، وعلى الصراط المستقيم ، والنهجِ الحكيم ، كانت الأسرةُ وهي المجتمعُ الصغيرُ تامَّةَ التكوينِ ، متماسكةَ البنيانِ ، ثـم كـان المجتمعُ بعد ذلك متقدماً نحوَ أهدافِه ، وكانت الأمةُ قويةَ الدعائمِ ، ثابتةَ الأركانِ .

إخوة الإيمان في كل مكان ؛ **الوالدان والمعلِّمون لهما أكبرُ الأثَرِ فـي بنـاء نفـوس الأولاد** ، ويتأثّر الطفلُ أولَ ما يتأثّر بالوالدين اللذين يتَّخذُهما مثلاً أعلى في سلوكه وحياته ، ولذا وجَبَ على الوالدين ألاَّ يَظهرَا أمامَ أطفالهما إلا بالمظهر الحسن ، والخُلُق المستقيم ، وأن يضربا أمـامهم أكـرمَ الأمثلة في الأقوال والأفعال .

وقد وجَّه الإسلامُ إلى الوالدين إرشاداته السامية ؛ إذ أمَرَهما بالعناية بهم العناية الكاملة ، وكـان النبي صلى الله عليه وسلم أرحمَ الناس بالصبيان ، وقد ورد في السنة الشيءُ الكثيرُ ممَّا يحضُّ علـى العناية بالأطفال ، وحسن معاشرتهم ومعاملتهم ، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : ((**قَدِمَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ**)) .



[البخاري ومسلم]

وعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا **((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ))** .

[مسلم]

وَحَدَّثَ أَنسٌ **((أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ))** .

[رواه مسلم]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سفرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ))** .

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ **((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** .

[الترمذي]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ **((أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ))** .

[البخاري ومسلم]

قَالَ أَنسٌ **((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا))** .

[البخاري ، واللفظ لمسلم]

فما أروع ما تضمَّنته هذه الأحاديث :

الحـــب : وهو الرباطُ الروحي الذي يجمع كلَّ الناس على الخير ، ولاسيما أقارب الإنسان ، ومَنْ أولى مِنَ الولد ، فلذة الكبد بهذا الحب ؟

والرحمة : واحةٌ إنسانيةٌ عميقةٌ ، تجمع الناسَ في حضنها الحاني العطوفِ ، فتؤكِّد فيهم نوازعَ الخيرِ والإنسانيةِ .



والوفـــــاء : بالوعد مِن الوالدِ للولد ، دليلٌ على العواطفِ الصادقةِ النبيلةِ ، الوفاءُ بالوعــدِ واجــبٌ أخلاقي تحتّمه الشّرائعُ ، وتوجبُهُ فرائضُ الأديانُ ، إلا أنه للولد أوجبُ ما يكون ؛ لينظرَ إلــى أبيــه نظرةَ التقديرِ والإكبارِ .

وملازمةُ الوالدين لولدهم تغرسُ فيه نوازعَ كريمةً ، وتطبعُه بطابعٍ إنسانيٍّ نبيلٍ ، وتقوِّم طبعَه وخلقَه ، وتُنشِّئة تَنْشئةً صالحةً ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ قَــالَ : **((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُم))** .

[رواه ابن ماجه]

يريد الرسول بذلك ألاَّ تتركوهم هملاً دون راع ، أو تتركوهم وتدَعُوهم لغيركم ، فذلك حريٌّ أن يهزَّ معاييرَ الأخلاق بذواتهم ، ويبذر بذورَ الشر في نفوسهم .

ولا يقل دور المعلم الواعي لخطورة رسالته ، المخلص في أداء عمله عن دور الأب ، قال عتبة بن أبي سفيان يوصي مؤدِّب ولده : ((ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فــإن عيــونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح ما استقبحت)) .

وروى ابن خلدون أن هارون الرشيد قال لمعلم ولده الأمين : ((إنَّ أمير المؤمنين قد دفع إليــك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيَّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضــعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرِّفه الأخبار ، وروِّه الأشعار ، وعلِّمه السنن ، وبصِّــره بمواقــع الكلام ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياهــا ، من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تُمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ، ويألفــه ، وقوّمــه مــا استطعت بالحكمة والملاينة)) .

وقد نبَّه علماء التربية الإسلامية كالغزالي وابن خلدون على أهمية تربية الطفل في سنّه الأولــى لأنه في هذه الفترة تغرس فيه الأخلاق وتربي فيها العواطف والمفاهيم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّــهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَــى الْفِطْــرَةِ فَــأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِــهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ))** .

[أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما]

كما نبَّه القرآنُ على أنّ الإسلام هو دين الفطرة ، قال تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ .

[سورة الروم : الآية 30]



إنّ الأدبَ مطلوبٌ في فترة الطفولة ؛ لينشأ الطفلُ على محامدِ الأفعال ، ومكــارمِ الأخـــلاق ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَـــةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ .

[سورة التحريم ، الآية 6]

قال ابن عباس : في معنى قوله تعالى : ﴿ **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ ، أيْ أدِّبوهم وعلِّموهم ، وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**)) .

[أخرجه الترمذي وأحمد]

إنَّنا حين نؤدِّب أولادَنا إنما نقدِّم للحياةِ عنصراً نظيفاً ، وللمجتمع لَبِنَةً صالحةً ، وهذا ما تهـــدِفُ إليه التربيةُ الإسلاميةُ ، والإسلامُ بدوره يَعِدُ الآباءَ سعادةً في الدنيا ، وهي قُرَّةُ العَيْنِ ، قال تعـــالى :

﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ .

[سورة الفرقان : الآية 74]

ويَعِدُ الآباءَ جنّةً فِي الآخرةِ ففيها مَا لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بَشَـــرٍ ، قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِـــنْ عَمَلِهِـــمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ .

[سورة الطور : الآية 21]

إن الإسلام قَرَنَ تربيةَ الأولاد بهذين الوعدين الكبيرين في الدنيا والآخرة ؛ ليكونَ ذلـــك حـــافزاً للأبِ والأمِّ ، على أنْ يربِّيَا أولادهما ، وأنْ يُحْسِنَا تأديبَهما ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَـــنْ رَسُـــولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ**)) .

[انفرد به ابن ماجة]

ورحم الله مَن قال : ((لاعِبْ ولدك سبعاً ، وأدبْه سبعاً ، وصاحبْه سبعاً ، ثم اجعـــل حبلـــه علـــى غاربه)) .

حدث عبدُ الله بن عمر قال : سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابه : ((**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَاسْتَحْيَيْتُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَـــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ النَّخْلَةُ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : لَـــأَنْ تَكُـــونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا**)) .

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد]



02 - حق التعليم

ولأنّ الإسلام يرغّب في العلم والتعليم ، فطلبُ العلم فريضة على كل مسلم ما قال عليه الصلاة والسلام ، أي على كل شخص مسلم ، ، ذكراً كان أو أنثى ، فهو ليس وقفاً على جنسٍ دون جنسٍ ، ولا طائفةٍ دون أخرى ، إنه قدْر مُشاع ، ومصلحة لكلِّ مَن يتنسّم نسماتِ الحياة ، الذكرُ والأنثى فيه سواء ، والرجل والمرأة تجاهه سيّان ، والمجتمع الذي ينشأ أفرادُه على وعْيٍ ومعرفة ، وعلى هُدى وبصيرة ، وثقافة وعلم ، هو المجتمعُ الحقُّ الذي ينهض به أفرادُه ، وينهضُ هو بأفراده ، ومِن أجل ذلك كانت آدابُ الإسلام تهدف إلى العلم الذي يحقّق الفائدةَ للفرد ، والسعادة للجماعة ، والسلام للعالم ، فعلِّموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

يترآى للناس اليومَ أنَّ مَن مَلَك ناصيةَ العلمِ مَلَك ناصيةَ العالَم ، وما يجري في العالم اليوم يؤكد هذه الرؤيا ، فمَن مَلَك العلم ملَك القوة ، ومَن ملَك القوة فَرَضَ إرادته ـ وقد تكون ظالمةً ـ على العالم ، فالحقُّ عند الشاردين عن الله يعني القوةَ ، ليس غير ، والحق عند المؤمنين بالله فهو ما جاء به الوحي في تنزيله ، وما بينّه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته ، وينبغي أن يدعَّم بالقوةِ ، ودعمُه بالقوة أمرٌ تكليفيٌّ لا تكوينيٌّ ، قال تعالى : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ .

[سورة الأنفال ، الآية 60]

بل إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن القوةَ كلَّ القوةِ في إحكامِ الرمي ، وإصابةِ الهدف ، وهو مقياسٌ خالدٌ للقوة ، وعنصرٌ أساسيٌّ في كسبِ المعارك ، مهما اختلفت أنواعُ الأسلحة ، وتطورتْ مستوياتُها الفنيةْ ، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : ((**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**)) .

[رواه مسلم]

وعَنهُ أَيْضًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صُنْعِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنَبِّلَهُ**)) .

[رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه]

لكن العلم الذي يوصل إلى معرفة الله ، ثم يحمل على طاعته فرضُ عينٍ على كل إنسان ، كي يسلم ويسعد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ .

[سورة فصلت : الآية 30]



بل إنَّ وجودَ الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه ، ويؤكِّد هذا ترتيبُ الآيات في مطلع سورة الرحمن ، فتعليمُ القرآنِ جاء مقدَّماً على خَلْق الإنسان ، بترتيب رُتبي ، لا ترتيب زمني ، قال تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْءَانَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ .

[سورة الرحمن : 1-4]

والتعليمُ في نظر الإسلامِ يمتدُّ فيشملُ جميعَ المعارفِ الإنسانيةِ ، وكلَّ ما يقع تحت إدراك الحسِّ والعقل ، إذ ما أجملَ وصية الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((علِّموا أولادَكم السباحةَ والرمايةَ ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً)) .

[الإصابة عن عمر ، وانظر فتح الباري]

فالرمايةُ والتدرُّبُ على ركوب الخيل كانت عند العربي كلَّ حياته في ذلك الوقت ، ولو امتدَّ العمرُ بِعُمَرَ رضي الله عنه حتى اليوم ، لكان له مع هذا القول قولٌ وقولٌ ، ربما يقول : علموا أولادكم الكومبيوتر ، فهو سلاح العصر ، والأمِّي ـ اليوم ـ هو الذي لا يحسن استخدامه0

وينبغي أنْ نستعين على تربيةِ الطفلِ وتعليمِه بتحقيق اهتماماتِه وخصائصِ طفولته ، وفي سُنَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم العمليةِ ما يؤكِّد ذلك ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : ((**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشَاءِ ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ ، فَصَلَّى ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا ، قَالَ أَبِي : فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ، قَالَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**)) .

[أخرجه النسائي وأحمد]

إنَّ التُّحفةَ واللعبةَ تُدخِلان على الطفل الفرحةَ والسرورَ ، وتزرع على ثغره البسمةَ والسعادةَ ، وقد أصبحت وسيلةً لتنمية المعارف والمدارك ، فمَن دَخَلَ السوق ، واشترى تحفة ، فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور .

هذه هي تعاليم الإسلام الغراء ، ترشدنا إلى كل ما يسمو بنا وبأبنائنا نحو مراقي الفلاح والنجاح ، ما أَحْكَمَ هذه النظم الأخلاقية الحكيمة ، وما أسمى مقاصدها ، ولاسيما نحو قرَّة أعيننا ، وأعزِّ مَن لنا في الحياة ؛ ليخلق بذلك روحَ الكمال المنشود ، والخير المقصود ، فالولدُ الصالح امتداد لحياة أبيه



، وثمرة من ثمرات مجتمعه ، وأمل أمته ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : **((الْوَلَدُ الصَّالِحُ رَيْحَانَةٌ مِنْ رَيَاحِينِ الجَنَّةِ))** .

[فيض القدير]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **((قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ : لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا))** .

[البخاري ومسلم]

وهو حُبٌّ غريزيٌّ فطريّ لا يقدر إنسانٌ على دفعه ، أو منعه ، ولذلك كله وصَّى اللهُ الإنسانَ بوالديه ، ولم يوصِّ الوالدين بأولادهما ، لأن حبَّ الآباء للأبناء ورعايتهم طبع ، والطبع لا يحتاج إلى تكليف ، بينما رعايةُ الأبناء لآبائهم ليس طبعاً بل هو تكليف ، قال تعالى : ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ .

[سورة لقمان : الآية 14]

03 - الإسلام والمساواة بين الأبناء ونظرته للإناث

إن الإسلام الذي يجعلُ الأطفالَ قرةَ أعين لابد أنْ تؤكِّد شعائرُه وآدابُه هذه النزعةَ الإنسانيةَ ، فالمساواة بينهم حتى في التقبيل أمرٌ يحتِّمه الإسلام ، وتُقِرُّه أوامره السمحة ، فما بالك في المساواة في العطية ، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : **((انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي ، فَقَالَ : أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي ، ثُمَّ قَالَ : أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَلَا إِذًا))** .

[البخاري ، ومسلم ، واللفظ له]

أما الميلُ كلَّ الميل إلى طفل بعينه دون إخوته ، أو إلى جنس من الأولاد دون الآخر ، فذلك ينافي نظرة الإسلام ، ومبادئه الصحيحة ، ومنطق المساواة التي بنيت عليها تعاليمه ، فلا تفرقةَ في الإسلام بين فتى وفتاة ، ولا بين ولد أو بنت ، بل كلاهما في كِفَّتَيْ ميزان ، لا يرجِّح أحدهما على الأخرى إلا بمقدار العلم الذي يحصله ، والعمل الصالح الذي يقدمه ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ .

[سورة آل عمران : الآية 195]



إنّ الخروجَ عن منطق المساواةِ والحقِّ والإنصافِ ميلٌ عن الصراط المستقيم ، ولـذلك نـرى الإسلامَ يأمرُ بالمساواة بين الأولاد ، كما سبق ، حتى لا تتأذّى مشاعرُ بعضهم ، وعواطفُ بعضهم الآخر ، فيُضمِرون السوءَ ، ويحلُّ البغضُ مكانَ الحبِّ ، والخصامُ محلَّ الوئامِ ، فيكـون التعقيـدُ ، والانحرافُ ، والشذوذُ ، والعُقدُ النفسيَّةُ ، والكَبْتُ ، والعزلةُ القاتلةُ التـي تقتـل الإحسـاسَ ، وتَئِـد المشاعر .

وكثيراً ما نهى الرسولُ عن تمييز الذكور ، وتفضيلهم على الإناث دون موجب ، بل إنه يرفـع بذلك من شعور الإناث ، وإحساسهن بقيمتهن في الحياة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ))** .

[رواه مسلم]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))** .

[رواه أحمد ، وأبو داود

04 - الإعداد المادي والمعنوي

مرّ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ببلدةٍ مِن بلاد المسلمين في عهده ، فوجد فيهـا أن الفعاليـاتِ المعيشيةَ ليست بأيدي أبناءِ هذه البلدة ، فوبَّخهم ، وعنَّفهم ، وقال لهم : **((كيف بكم وقد أصبحتم عبيداً عندهم ؟))** ، لقد أدرك هذا الخليفةُ الراشدُ ــ ببُعْدِ نظره ــ أنَّ المنتجَ هو القويُّ ، وأنّ المستهلكَ هـو الضعيفُ ، ويمكن أنْ يُضافَ إلى ذلك أنّ التفوُّقَ العلميَّ سبيلٌ إلى امتلاك القوة ، وأنَّ صاحبَ الحقِّ لا يستطيع أن يحميَ حقَّه إنْ كان ضعيفًا ، وما يجري في العالَم اليومَ خيرُ شاهدٍ على ذلـك ؛ لـذلك أمرنا ربُّنا أنْ نعدَّ لأعدائنا ما نستطيع من قوة ، فقال تعالى :﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ .

[سورة الأنفال ، الآية 60]

وقوةٍ في العَدد ، وقوةٍ في العُدد ، وقوةٍ في التدريب ، وقوةٍ في التخطيط ، وقوةٍ في الإمداد ، وقـوةٍ في التموين ، وقوة في الاتصالاتٍ ، وقوة في المعلوماتٍ ، وقوةٍ في تحديد الأهداف ، وقوةٍ في دقـة الرمي ، وقوةٍ في الإعلام .

إن الله جل في علاه ــ رحمة بنا ــ لم يكلفنْا أن نُعِّدَ القوةَ المكافئةَ لأعدائنا ، ولكن كلفنا أن نُعِدَّ القوة المتاحة وهذا من رحمة الله بنا ، لأن الله وعد المؤمنين حقاً ، والمطبقين لمنهج الله ، والمخلصين له ، وعدهم بالنصر ، قال تعالى : ﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ .



[سورة إبراهيم : الآية 47]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)) .

[رواه مسلم]

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز : ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا**﴾ .

[سورة يونس : الآية 24]

يظن بعض أهلها اليوم أنهم قادرون عليها استطلاعاً وتدميراً ، وأن أية بقعة في الأرض تحت استطلاع أقمارهم ، وتحت مرمى طائراتهم ، لكن حين يتوهم أهلها أنهم قادرون عليها : ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾ .

[سورة يونس : الآية 24]

05 - حليب الأم

يؤكِّد علماءُ نفسِ الأطفال ، أنَّ الطفلَ حينما يولد لا يملك أيَّةَ قدرة إدراكية ، بل إنّ كلَّ ما يتمتع به الراشدُ مِن إمكانات وقدرات ، ومفاهيم ومعقولات ، وخبرات ومؤهلات ، إنما هي نتيجة تفاعله مع البيئة ، وهذا فحوى الآية الكريمة : ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ .

[سورة النحل : الآية 78]

لكن منعكساً ــ على حدّ تعبير علماء النفس ــ يولد مع الطفل ، ولا يحتاج إلى تعليم ، إنه منعكس المصِّ ، إذ لولاه لما وجدتَ إنساناً واحداً على سطح الأرض في قاراتها الخمس ، إنَّ الطفلَ الذي يولد من توِّه لا يستطيعُ أن يتلقَّى توجيهاتِ والدِه في ضرورة التقامِ ثديِ أمِّه ، وإحكام إطباقهما ، ثم سحْبِ الهواء ، كي يأتيَه الحليبُ ، لا يستطيع أن يتلقى هذه التوجيهات بالفهم فضلاً عن التطبيق .

إنّ حليبَ الأم من آيات الله الكبرى الدَّالةِ على عظمته ، فهو يتغيَّر تركيبُه خلال الرضعةِ الواحدةِ ، يبدأ حليبُ الأمِّ بماءٍ كثير ، يقلُّ الماء ، ويزداد الدسم ، إلى أن تصبح الموادُ الدسمةُ في



نهايةِ الرَّضعةِ أربعةَ أمثال ، فهل بالإمكان أنْ تغذّي طفلاً بقارورةٍ ، وتتغيَّر نِسَبُ الدسم ، والمــواد السكرية والمواد البروتينية في أثناء الرضعة الواحدة ؟

شيءٌ آخر ، تتغيَّر تراكيبُ مقوّماتِ لَبَنِ الأمِّ بالكميات المعادِلة لنموِّ الصغير ، فكلّما نما الصغير الرضيع ازدادتْ الأحماضُ الأمينية ، والأملاحُ المعدنيةُ ، والمعادنُ النادرةُ ، والفيتاميناتُ .

أما الشيءُ الذي يُلفِتُ النظرَ فهو أنّ هذا الطفلَ الذي خلَقَهُ اللهُ عزَّ وجل أَوْدَعَ فيه خمائرَ هاضمةً بمقاديرَ تتناسبُ مع حليب الأمِّ ، فلو أرضعناه حليبَ البقر ، ولو كان طازجاً ، أو كان مجففاً لَعَجَــزَ الطفلُ عن هضمه ، وتبقى كميّاتٌ كبيرةٌ من المواد الدسمة والبروتينيات والأحمــاض الأمينيــة دون هضم ، وطَرْحُ هذه الموادِ عن طريق الكُلْيَةِ يجْهِدُها ، لذلك نجد الطفلَ الذي يَرضعُ حليبَ البقر تجْهَد كُليتاه في طرح المواد الدسمة ، والأحماض الأمينية ، والبروتينات التي لم يستطع هضمها ، فخمائرُ الهضم عنده متوافقةٌ مع حليب الأمِّ ، وليست متوافقةً مع حليب البقر ، لأنّ في حليب البقــر أربعــةَ أمثالِ ما في حليبِ الأمِّ مِن الأحماض الأمينينة .

قال العلماء : إنّ ارتفاعَ نسبة الأحماض الأمينية في الدم تُسَبِّبُ للطفلِ الرضيعِ القصورَ العقلي ، والآفاتِ القلبيةَ ، والآفاتِ الوعائيةَ ، وأمراضَ جهازِ الهضمِ والكبدِ ، الأمراضَ المزمنةَ التي تــلازم الإنسانَ طوال حياته ، ولو سألتَ أطباءَ الأورامِ الخبيثةِ لأجابوك بقولهم : إنَّ المرأة التي تُرْضِع ابنَها مِن ثديها أقلُّ عُرْضةٌ للإصابة بورَم الثدي مِنَ المرأة التي لا تُرْضِع ابنَها مِن ثديها .. أي أن نســبَ أورامِ الثديِ الخبيثة في النساء اللواتي يُرضِعن أولادَهنَّ قليلةٌ جداً ، أما نِسَبُ الأورام الخبيثــة فــي النساء اللواتي لا يرضعن أولادهن فهي نِسَبٌ عاليةٌ .

إنَّ العطفَ والحنانَ الذي يتلقّاه الطفلُ مِن أمّه في أثناء الرضاعة يكسبه رحمةً في قلبه ، تنعكس على علاقاته بمَنْ حوله في مستقبل أيامه ، قال تعالى : ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ .

[سورة البقرة : الآية 233]

وصيغة (**يُرْضِعْنَ**) جاءت خبراً في معرض الأمر ، أي أيتها الوالدات أرضِعْن أولادكن ، وكــل أمر في القرآن يقتضي الوجوب ما لم تكن هناك قرينة تنصُّ على خلاف ذلك 0

وقد ألزمتْ حكوماتُ أكثرِ الدول معاملَ حليبِ الأطفالِ أنْ تكتب على كل عبوة : **لاشيء يعــدل حليب الأم** 0

وقد جرى بحثٌ علميٌّ تمّ في بلد متقدم ، قاسَ مستوى الذكاءِ الفطري لدَى عددٍ مِنَ الأطفــال ، مِن شعوبٍ متعددةٍ ، بالنسبة للإرضاع الطبيعي والصناعي ، فكانت النتائجُ مدهِشةً : أطفــالُ جُــزُرِ الباسيفيك (PACIFIC) يتمتَّعون بأعلى نِسَبِ الذكاءِ مِن بينِ مجموعةِ الأطفال الذين تناولَهم البحــثُ ،



وذلك بسببِ أنّهم لا يعرفون الإرضاعَ الصناعيِّ إطلاقاً ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ .

[سورة البقرة : الآية 233]

هذا منهج الله عزَّ وجل ، إنه تعليمات الصانع ، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ*وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ*وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ .

[سورة البلد : الآية 8-10]

وقد أحسن الشاعر حين قال :

***

تداركْتَنا باللطف في ظلمة الحشا	وخير كفيلٍ في الحشا قد كفلــتنا
وأسكنْتَ قلبَ الأمهاتِ تعطُّـــــفاً	علينا و في الثديين أجريتَ قُوتَنا
وأنشأْتَنا طفلاً ، وأطلقت ألســناً	تترجم بالإقرار أنك ربـــــــــنا
وعرّفتَنا إياك ، فالحمد دائـــــماً	لوجهك ، إذ ألهمتنا منك رُشْــدنا

06 - الامتحان الأكبر

الامتحان ، فبه يكرم المرء أو يهان ؛ الامتحان الأكبر (في الخطبة الأولى) ، والامتحان الأصغر (في الخطبة الثانية) .

تعيش البيوت في هذا الشهر أزمةً الامتحانات التي تطرق الأبواب كل عام ... وما إن يقترب هذا الموسم حتَّى ترى كثيراً من البيوت قد أعلنت عن حالة التأهب القصوى ، والاستعداد الكامــل ، لدخول معمعة الامتحان التي يكرم المرء فيها أو يهان ! وهذا جهدٌ مشــكور، وعمــلٌ مــأجور ، إذا صلُحت النيَّة ،وخلُص المقصِد لله ربِّ العالمين .

ولكننا لو تأملنا هذا الاهتمام ، من أجل هذا الامتحان ، ثمَّ نظرها إلى ضعف الاستعداد ، وقلَّة الاهتمام ، وشدَّة الغفلة ، عن ذلك الامتحان الرهيب ، الذي خلقنا الله تعالى من أجله ، وأنشأنا لــه ، لرأيت العجب العجاب .

قال تعالى : (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ...

وقال تعالى :(ولنبلونَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ..)



والفرق واسع ، والبون شاسع ، بين امتحان الدنيا ، وامتحان الآخرة ..
وإليكم أوجهاً من ذلك التباين ، والاختلاف بين الامتحانين ...

فمن حيث **الموضوع**:

امتحان الدنيا في جزءٍ من كتاب ، وفي ورقاتٍ معدوداتٍ ، في مجالٍ من مجالات الحيـــاة ، وضربٍ من ضروب العلم ؛ أمَّا امتحان الآخرة ففي كتابٍ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها ، قد حوى الأقوال ، وأحصى الأفعال ، وأحاط بالحركات والسَّكنات ، وألمَّ بالخطرات ، والزلاَّت !

قال تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنـــا مـــا لهـــذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا)

فالصغائر مسجلة به ، كما أنَّ الكبائر مدوَّنة في هذا الكتاب ، قال تعالى :

(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)

فالعباد يقولون ويعملون ، والكُتَّاب من الملائكة يكتبون ، ويوم القيامة يُخرجُون مـــا كـــانوا يحصون و يستنسخون .

قال تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقِّ ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

فتُنشر الفضائح ، وتَظهر القبائح ، ويبدو ما كان مخبوءاً من ذنوبٍ وعصيان ، تحت ركـــام الغفلة والنسيان ! ، قال تعالى :

(يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كلِّ شيء شهيد)

ومن حيث **الأسئلة**

امتحان الدنيا أسئلته محدودة في بعض مفردات الكتاب ، فلا يمكن للمعلِّم أن يسأل الطالـــب عن كلِّ دقيق وجليل من محتويات المنهج ، وربما تدركه الشفقة فيختار له من أسهل الأسئلة وأيسرها ، ولعلَّه يراجع مع الطالب الإجابة قبيل الامتحان بأيام مساعدةً له وتيسيراً عليـــه .

أما امتحان الآخرة فالأسئلة حاويةٌ لجوانب الحياة ، شاملة لدقائق العمر ..

أسئلة عن المعتقدات ..



و أسئلة عن الأقوال ..

و أسئلة عن الأفعال ..

و أسئلة عن الأموال ..

و أسئلة عن النيَّات ..

و أسئلة عن العبادات ..

و أسئلة عن الأوقات ..

و أسئلة عن الأمانات ..

سؤال خطير ؛ جِدُّ خطير ، عن كلِّ كبير وصغير ، وعظيم وحقير !

قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون)

إنه موقف السؤال والحساب بين يدي ملك الملوك ، وعلام الغيوب !

قال تعالى (وقفوهم إنَّهم مسئولون)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزُولُ قدَما ابن آدم مِن عند ربِّه حتَّى يُسألَ عن خمس : عن عُمرِه فيما أفناه ، وعن شَبابِه فيما أبلاه ، وعن مالِه من أين اكتسَبَه ، وفيم أنفَقَه ، وعن علمه ماذا عمل به "

قال أيضاً : " ألا كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مسؤُولٌ عن رعيَّتِهِ ، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته ، والرَّجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عن رعيَّته ، والمرأةُ راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجِها وولده وهي مسؤولةٌ عنهُم ، والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّده وهو مسؤولٌ عنهُ ، ألا فكُلُّكُم راع ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه "

وقال أيضاً : " إنَّ الله تعالى سائلٌ كلّ راعٍ عمَّا استرعاه : أحفِظَ ذلِك أم ضيَّع ؟ حتَّى يسأل الرَّجل عن أهلِ بيتِه "

ولو أنَّا إذا مِتنا تركنا ..... لكان الموتُ غاية كلَّ حيٍّ
ولكنَّا إذا متنا بعثنا ..... ونُسأل بعده عن كلِّ شيءٍ

ومن حيث **المكان**:

امتحان الدنيا في جوٍّ مهيأ ، ومكانٍ معدٌ ، فالكراسي مريحة ، والأنوار ساطعة ، والأمن والأمان متوافران في مكان الامتحان .

أما امتحان الآخرة ففي جوٍّ رهيب ، وموقفٍ عصيب ، ومكانٍ عجيب ..



قال تعالى:(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار)

أهوالٌ عظيمة ، وكرباتٌ جسيمة ، وأحوالٌ مفجعةٌ ، ومناظر مدهشةٌ ، ترتعد منها الفــرائص ، وتقشعرُّ منها الجلود ، وتتخلع لهولها القلوب ، وتشيب منها مفارق الولدان !

قال تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)

يوم يجمع الله الأولين والآخرين ، فإذا هم بالساهرة ، حفاةً بلا نعال ، عراةً بلا أردية ، غُرْلاً ، أي من دون ختان .

قال تعالى : (كما بدأنا أوّل خلقٍ نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين)

عن عائشة رضي الله عنها قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تُحشَــرُونَ حُفــاةً عُراةً غُرلاً " ، فقلتُ : يا رسولَ الله الرِّجالُ والنِّساءُ ينظُرُ بعضُهُم إلى بعضٍ ؟ فقال : " الأمرُ أشــدُّ مِن أن يُهِمَّهُم ذلك "

القبور تبعثرت ، والأفلاك تفجَّرت ، والنجوم تكدَّرت ، والسماء تفطَّرت ، والجبال سيِّرت ، والبحار سعِّرت ، والشمس كوِّرت ، والجحيم بُرِّزت ، والوحوش جُمعت ، وعلــى أرض المحشــر حشرت ...

قال تعالى : (يوم ترونها ، تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكنَّ عذاب الله شديد)

القلوب واجفة ، والأبصار خاشعة ، والأعناق خاضعة ، والأمم جاثية على الرُّكــب تخشــى العطب ، لِما ترى وتسمع ، من مهلكات وخطوب ، فالميزان منصوب ، والصــراط مضــروب ، والشهود تشهد ، والجوارح تفضح ، والصحائف تنشر !

وإلى الله يومئذٍ المستقر ! فأين المفر ؟!

قال تعالى : (يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء ، تودُّ لــو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذِّركم الله نفسه ، والله رؤوفٌ بالعباد)

ومن حيث **الزمـان**:

امتحان الدنيا إن طال زمانه ، وامتدَّ أوانه ، فهو في ساعةٍ من نهار ، وربما أكثر بقليل

أما امتحان الآخرة فهو في (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) 0



وعندما يعيش المجرمون ذلك اليوم الطويل ، بما فيه من خطبٍ جليل ، يقسمون الأيمان المغلظة ، ما لبثوا في الدنيا إلاَّ قليلاً ولا عاشوا فيها إلاَّ يسيراً .

قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، كذلك كانوا يؤفكون) فيفزعون نادمين ، وعلى أعمارهم متحسِّرين : إنما هو زمنٌ يسير ! وعمرٌ قصير! ثُمَّ كان حساب عسير وإلى الله المصير !

قال تعالى : (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ ، قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

والعاقل الحصيف ، يعلم علم اليقين أنَّما هي بضع سنين ، أو أقلُّ من ذلك أو أكثر ، ثمَّ يقبر ، ثمَّ ينشر ، ثمَّ يحشر ، فإذا به واقفٌ بين يدي ربّه في يوم العرض الأكبر!

فيستعدَّ لما أمامه ، من أهوال يوم القيامة ، فيغنم أيامه ولياليه ، فيما يقرِّبه من خالقه ومربيه .. بالمبادرة إلى الطاعات ، والأعمال الصالحات ، والمسابقة في الخيرات ، قبل أن تأتيه المنيَّة ، ويصاح في قافلة الهلكى : الرحيل ! الرحيل !

قال تعالى : (كأنَّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاَّ عشيَّة أو ضحاها)

ومن حيث **المراقب**:

المراقب في الدنيا مخلوقٌ مثلك ، محدود القدرات ، معدود الإمكانات ، ينسى ويغفل ، ويسهو ويتنازل ، وليس بالإمكان أن يحيط بقاعة الامتحان !

أمَّا الرقيب على امتحان الآخرة ــ وله المثل الأعلى ــ فهو الذي لا يضلُّ ولا ينسى ، قد أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرَّة ، ولا يغيب عن بصره شيءٌ من الأشياءِ في الأرض ولا في السَّماء .

قال تعالى : (الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ...)

عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : قامَ فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسِ كلماتٍ فقال :" إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، ... يُرفَعُ إليهِ عَملُ الليلِ قبلَ عَمَلِ النَّهار وعملُ النَّهارِ قبلَ عملِ الليل ... "

فأين تغيب عن سمعه وبصره ؟! وهو السَّميع البصير !

وأين تهرب عن علمه ونظره ؟! وهو العليم الخبير !

وأيُّ حجابٍ يواريك منه ويحجبك عنه ؟!



ومن حيث **النجاح** :

النجاح في امتحان الدنيا مؤدَّاه أن يرتقي العبد في مراتبها ويعتلي في درجاتها ..

وأيُّ درجة هذه ؟! وأيُّ مرتبة تلك ؟! والدنيا بما فيها من نعيم ولذَّة ، منذ خلقها الله تعالى ، وإلى أن يرثها ، وهو خير الوارثين ، نعيمها لا يساوي في نعيم الآخرة ، إلاَّ كقطرة أخذت من بحرٍ لُجيٍّ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والله ما الدنيا في الآخرة إلاَّ مثلُ ما يجعَلُ أحدُكُم أصبَعَهُ هذه ــ وأشار بالسَّبَّابة ــ في اليَمِّ ، فلينظر بم ترجعُ ؟ "

وقال صلى الله عليه وسلم : " .. ولموضِعُ قدَمٍ مِنَ الجنَّةِ ، خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها ، ولو أنَّ امرأةً مِن نساءِ أهلِ الجنَّةِ اطَّلَعت إلى الأرضِ لأضاءَت ما بين المشرق والمغرب "

أمَّا نجاح الآخرة فهو الزحزحة عن النَّار ، والدخول إلى الجنَّة ، فضلاً من الله ومِنَّة !

قال تعالى : (فمن زحزح عن النَّار ، وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور)

وتأمَّل فرحة المؤمن العارمة ، وسعادته الغامرة ، عندما يثقل بالصالحات ميزانُه ، وتثبت على الصراط أقدامُه ، فيأمن يوم الفزع الأكبر جنانُه ، ويُلقَّى حجَّته وبيانَه ، فيرفع كتابه فوق رأسه ، وينشره بين الخلائق ، ويستعلي بصوته ، وينادي على رؤوس الأشهاد ، في فرحٍ وسرور ، وبهجة وحبور : (هاؤم اقرؤوا كتابيه ، إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنَّة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)

وكما أنَّ النجاح يتفاوت في الدنيا ما بين مقبولٍ ، وجيد ، وجيد جداً ، وممتاز ، ثم تأتي مراتب الشرف ، وأوسمة التفوُّق ... درجاتٌ بعضها فوق بعض ...

كذلك يوم القيامة ، فدخول الجنَّة لا يكون إلاَّ بفضل الله ومنته ، ثُمَّ يكون التفاوت في الدرجات ، والتمايز بين أهلها في النعيم والخيرات ، على حسب أعمالهم الصالحة في الدنيا ، فكلَّما زادت حسناتهم زادت درجاتهم .. وكلما كثرت طاعاتهم ارتقوا في منازلهم ، وعظمت كرامتهم .. قال تعالى : (ولكلٍ درجات مما عملوا)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " في الجنَّةِ مئةُ دَرجةٍ ما بينَ كلِّ درجتين كما بينَ السَّماء والأرض ... "

فجدَّ ، واجتهد ، ولا يسبقنَّك إلى الجنَّة ــ مِمَّن عرفت ــ أحد !



ومن حيث **الرسوب**:

الإخفاق في امتحان الدنيا هيِّنٌ سهلٌ ، فهو خسارةٌ لدرجة ، أو لمرحلة ، أو لمرتبة من الدنيا ، لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحُلَيفَةِ ، فإذا هو بشاة ميتة ، فقال : " أتُرونَ هذهِ هيِّنَةً على صاحبِها ؟ فوالذي نفسي بيده ! للدنيا أهوَنُ على الله ، مِن هذهِ على صاحبِها ، ولو كانتِ الدُّنيا تَزِنُ عِند الله جَناحَ بعُوضَةٍ ، ما سقى كافراً مِنها قطرة أبداً "

وحسب الدنيا حقارةً ودناءة أن الله تعالى جعلها دار بلاءٍ وامتحان ، وموطن غفلةٍ ونسيان ، وموقع خطيئة وعصيان ، ولو كانت نعمة لساقها بين يدي رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الذي كان عيشه منها كفافاً .

أمَّا الرسوب في امتحان الآخرة ، فخسارة الأبد ، وحسرةُ السَّرمد ، وألم لا ينفد ، وندم لا ينقطع ، وعذاب لا ينتهي ، وعقاب لا ينقضي .

يوم يُكبُّ المجرم على وجهه في نارٍ تلظَّى ، لا يصلاها إلاَّ الأشقى ، فيخسر نفسه وأهله وماله .

قال تعالى : (قل إنَّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين)

وأيُّ خسارةٍ أكبر من أن يرى العبد غيره يساق ــ في سعادة ومسرَّة ــ إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض ، لينعم بما تلذُّ به العين ، وما تشتهيه النَّفس ، ويطرب له السمع ، ويسعد به القلب ، ثُمَّ يقاد هو ــ في ذِلَّةٍ وصغار ، ومهانةٍ وانكسار ــ إلى نارٍ وقودها النَّاس والحجارة ، حيثُ العقاب والعذاب ، والبلاء والشَّقاء ، والنَّكال والأغلال ، مما لا يخطر على البال ، ولا يوصف بحالٍ من الأحوال !

قال تعالى :(وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذلِّ ينظرون من طرفٍ خفيٍّ .)

والخسار الأكبر ، والحرمان الأعظم ، أن يحرم العبد من لذَّة النظر إلى وجه الله الكريم

قال تعالى : (كلاَّ إنَّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون)



وكما يرجع الطالب الخائب باللوم لنفسه ، والتقريع والتوبيخ لها ، والندم علــى تفريطهــا ، ينقلب الحال بأهل الرسوب في الآخرة إلى الأماني العقيمة ، ويركنون إلى الأحلام السقيمة ، ويتمنون أن يعودوا ليجدُّوا ويجتهدوا ...

قال الله تعالى عنهم :(يوم تقلَّب وجوههم في النَّار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرَّسولا) .

ومن حيث **فرص للتعويض**:

امتحان الدنيا أسوأ ما فيه الرسوب ، وغالباً يكون لدى الراسب فرصةٌ أخرى ، وكرَّةٌ ثانية ، حتَّى يتمَّ له النجاح ، أو تغيير مجال الدراسة والبحث ، ولعلَّ في ذلك خيراً كثيراً لا يدركه ، وفضلاً عظيماً لا يعلمه ...

فكم من بابٍ أغلق في وجه صاحبه ، وكان الخير في إغلاقه ، ولو أنَّه ولج فيه لوقــع فــي البلايا والمحن ، والرزايا والفتن .

قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكــم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

أمَّا امتحان الآخرة فلا فرصة ثانية ولا كرَّة آتية ..

وإنما هي رحلة عمل تنتهي لحظاتها ، وتنقضي أوقاتها ، ثمَّ تحين ساعة الانتقال إلى الكبيــر المتعال !

قال تعالى : (ثمَّ ردُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

وعند ذلك ينادي المفرِّط المخلِّط في كمد ونكد (ربِّ ارجعون)

لِمَ أيُّها الغافل ؟! (لعلي أعمل صالحاً فيما تركت)

فهل يجاب له سؤله ويحقق له أمله ؟!

(كلاَّ . إنَّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون)

وعندما يخفقون في الاختبار ، ويدخلون النَّار ، يُعذَّبون بها ، ويصلون سعيرها ، ويحرَّقــون بحرارتها ..

ينادُون (وهم يصطرخون فيها ، ربنا أخرجنا نعمل غير الذي كنَّا نعمل)

فيأتيهم التقريع والتوبيخ ، الذي يزيد في حسراتهم ، ويضاعف من لوعاتهم :

(أولم نعمرّكم ما يتذكر فيه من تذكر ، وجاءكم النذير)



والجزاء في يوم الجزاء : (فذوقوا فما للظالمين من نصير)
رحلة العمر انتهت ، وفرصة الزرع انقضت ، وقد حان أوان الحصاد !
فوا بشرى للزارعين بما حصدوا ..!
ووا أسفاه على الخاملين يوم جدَّ المشمِّرون وهم رقدوا ..!
وفاز بالغنائم طُلاَّبها ، وبالمعالي أربابها !
أمَّا أولئك البطَّالون فقد حيل بينهم وبين ما يشتهون ، فإنَّ الله الذي يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، يعلم أنَّهم لو ردوا إلى الدنيا ، وفسح لهم في الأجل ، لعادوا لما نُهوا عنه من المعاصي والموبقات والخمول والكسل !
قال تعالى : (ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنَّهم لكاذبون)
فيا لهذا الإنسان ؛ ما أشدَّ ظُلمه لنفسه ! وما أعظم جهله بعاقبة أمره !
(إنَّه كان ظلوماً جهولاً)

والخاتمة

وبعد ... نعتقد جازمين ، أنَّه لم يبق لنا بعد هذا البيان ، إلاَّ أن نستشعر أننا في امتحانٍ رهيب ، في كلِّ ما نأتي ونذر ، وفيما نحبُّ ونكره ، ونعتقد وننوي ، ونرى ونسمع ، ونعطي ونمنع ، ونأكل ونشرب ، ونسكن ونركب ، ونقول ونعمل ، وذلك على مدى الدَّهر ، وبطول العمر .

واليوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل !

فلنرِ اللهَ منَّا خيراً ، نُسرُّ به يوم نُعرض عليه ، ونقف بين يديه ، حيث تُعطى الجوائز لكلِّ فائز ، ويزج كلِّ خاسر إلى نار السَّموم،(يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (1)



وفي هذا بلاغٌ لقوم عابدين !

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ...... أنَّ السَّلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ...... إلاَّ التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه ...... وإن بناها بشرٍّ خاب بانيها

إن التعلم والتعليم قوام هذا الدين ، ولا بقاء لجوهره ، ولا ازدهار لمستقبله إلا بهما . والناس أحد رجلين : متعلم يطلب النجاة ، وعالم يطلب المزيد .. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس) .

[انظر إرواء الغليل للألباني 141/2 ط المكتب الإسلامي]

وتعلُّم العلوم المادية ، يحقق عمارَة الأرض ، عن طريق استخراج ثرواتها ، واستثمار طاقاتها ، وتذليل الصعوبات ، وتوفير الحاجات ، تحقيقاً لقوله تعالى :

هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..

[سورة هود]

وتعلم العلوم المادية ، والتفوق فيها قوة ، يجب أن تكون في أيدي المسلمين ، ليجابهوا أعداءهم ، أعداء الحق والخير والسلام ، تحقيقاً لقوله تعالى :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ....

[سورة الأنفال 60]

لأن قوة هذا العصر في العلم ، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين وسيفين ، بل هي حرب بين عقلين .

وبالتحرر من الجهل والوهم ، واعتماد النظرة العلمية ، واتباع الطريقة الموضوعية ، نستطيع أن نسقط كل الدعاوى الباطلة المزيفة ، التي يطرحها أعداؤنا ، أعداء الدين للنيل من إمكاناتنا وطموحاتنا ، فباعتماد النظرة العلمية تصح رؤيتنا ، وبإيماننا بالله واستقامتنا على أمره نستمد منه قوتنا ، قال تعالى :

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

[سورة آل عمران]



07 - توجيهات منهجية للطلاب

أخص طلابنا الأعزاء وطالباتنا العزيزات بهذه الخطبة الثانية على خلاف ما ألفــه رواد المســاجد ، ومستمعو الخطابات الدينية من موضوعات ، فالإسلام هو الحياة ، وأبناؤنا أهم ما في حياتنــا لأنهــم خير كسبنا ، وشبابنا وشاباتنا ... وهم أمل أمتنا ومستقبلها ... تفــوقهم فــي التحصــيل العلمــي ، وانضباطهم في الجانب السلوكي ، أحد أسباب انتصارنا أمام التحديات التي نواجهها .

إليكم ــ أيها الطلاب الأعزاء ــ بعض الحقائق العلمية في تحصيل المعرفــة والمتعلقــة بالدراســة والامتحان :

الدراسة التي ينتظر أن تحقق النجاح للطالب لها قواعد وأصول ، ومن هذه القواعد والأصول :

1. ثبت أن قراءة التصفح وأنت مستلق على مقعد مريح ، أو على فراش وثير ، أو على شــرفة تمتع النظر بالغادي والرائح ، أو في غرفة الجلوس مع أهلك وإخوتك الصغار مثل هــذه القــراءة ، وبهذه الطريقة لا تثمر شيئاً ، فأنت لا تذكر من الذي قرأته بعد حين أية معلومة اللهــم إلا انطباعــاً عاماً ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، وهل تعتمد امتحاناتنا ــ وهي لا تزال تقليدية ــ إلا على ما في الذاكرة من معلومات ، وإذا صح أن للجهد المبذول في فهم الكتاب المقرر ، والقدرة على الإجابة عن أسئلة الامتحان يقاس بوحدات كما تقاس الحرارة بالدرجات ، مثل هذه القراءة لا تحقق من وحــدات الجهد المئة التي تحقق النجاح إلا خمسة بالمئة ، وهي في قيمتها أرخص من الوقت الذي استغرقها .

2. أما حينما تجلس وراء طاولة بعيداً عن الضجيج ، والمناظر والأحاديث التــي تــدعو إلــى الشرود وتفتح الكتاب المقرر ، وتقرأ بتأن وتعمق وتضع علامة بقلم شفاف تحت كل فكرة رئيســة ، وخطاً بالرصاص تحت كل فكرة فرعية ، ثم تلخص الفقرة على الهامش ، وتضــع خطــاً بــاللون الأحمر تحت كل كلمة تحب أن تضيفها إلى قاموسك اللغوي ، وخطاً باللون الأحمر أيضاً تحت أيــة عبارة تحب أن تغني بها أساليبك التعبيرية ، ثم تضع إشارة بلون ثالث عند كل فكرة غامضة لتســأل عنها أستاذك ، أو صديقك المتفوق في تلك المادة ، وبعدها ترسم مخططاً للبحث الذي قرأته ، وتملأه بالأفكار الرئيسة ، ثم تسمعه لمن حولك ، أو تحاول أن تراجعه من ذاكرتك أو أن تكتبه على دفترك ، هذه القراءة بهذه الطريقة تساوي من الجهد المطلوب تسعين بالمئة ، ولا يبقى أمامك إلا مراجعــة سريعة ، وتحقق النجاح .



3. هناك مشكلة كبيرة يعاني منها الطلاب ؛ وهي أنهم يستمعون إلى الدروس كثيراً ويقــرؤون كثيراً أما إذا جلسوا في قاعة الامتحان يتعثرون في الكتابة ؛ ذلك لأن في الإنســان ذاكــرة تعرفيــة يغذيها جهد الأخذ كالقراءة والاستماع ، وفي الإنسان ذاكرة أخرى استرجاعية يغذيها جهــد العطــاء كإلقاء الدروس ، وكتابة البحوث ، والذاكرة التعرفية لا تفيد الطالب في الامتحان ، لأنهــا لا تســعفه بالمعلومات ، فلتوضيح ذلك : حينما تقرأ كلمة " علاقات وشيجة " مثلاً تعرف أنها تعنــي علاقــات متينة لأنها مخزنة في الذاكرة التعرفية ، أي تعرفها إذا قرأتها ، ولكنك لا تستطيع أن تستخدمها فــي الكتابة ، أي لا تستطيع أن تسترجعها لأنها ليست في الذاكرة الاسترجاعية ، فما لم تُلقِ المعلومــات المخزنة في الذاكرة التعرفية ، شفاهاً على صديق ، أو قريب ، أو ما لم تحاول كتابتَهــا فــإن هــذه الحقائق التي قرأتها ، أو استمعت إليها لا تستطيع أن تذكرها في الامتحان إلا إذا نقلتها من الــذاكرة التعرفية إلى الذاكرة الاسترجاعية عن طريق التسميع والكتابة ، وتلخص هذه القاعدة بالتعلم الرباعي : استمع واقرأ ، وسمع واكتب ، وهناك قاعدة التعلم الخماسي وهو : تصفح ، تساءل ، اقرأ ، سمّع ، راجع .

4. هناك مشكلة كبيرة تزعج الطلاب ، وهي أنهم يعانون من الملل والسأم والضجر من دراســة كتاب واحد لزمن طويل ، وهذا يجرهم إلى تضييع الوقت بشتى الحجج المفتعلة ، ويصابون بالحزن ثم الكآبة ، وهذا خطأ كبير في إعداد جدول المذاكرة ، ولشرح هذه المشكلة أسوق لأبنائنا المثل التالي : أنت إذا وضعت في كفك كيلو غرام معدني ، ورفعته إلى أعلى مرات ومرات ، فبعد عــدد مــن المرات وقد تصل إلى المئة تصاب عضلة اليد بالإعياء ، وهو التوقف عن الحركة ، لكن لو وضعت بعدها في يدك نصف كيلو... عندئذ تستطيع أن ترفعه مئة مرة أخرى بعد الإعياء ، من هذا المثــل نستنتج أنه بإمكان الطالب أن يتابع الدراسة من دون ملل أو سأم أو ضجر إذا صمم جدول الدراســة على أساس أن يقرأ فصلاً واحداً كل يوم من كل كتاب مقرر بحيث يرتب الكتب التي يقرؤهــا مــن حيث صعوبتها ترتيباً تنازلياً .

وبهذه الطريقة يستطيع الطالب أن يتابع الدراسة ساعات طويلة ، من دون أن يشعر بالسأم. والضجر،لأنه ينتقل كل ساعة من كتاب صعب إلى كتاب أقل صعوبة،وبهذا يتجدد نشاطه.

5. ثبت أن قوة أية إجابة في الامتحان ، وتحقيقها شروط النجاح تعتمد على صحة المعلومات ، وعلى وفائها بفقرات السؤال ، وعلى تحليلها ترتيبها ، ودعمها بالأدلة والشواهد ، وهذا هو المضمون



، و تعتمد على الأسلوب الذي يتألف من غزارة المفردات التي في مخزون الطالب ، ومن حسن انتقائها ، ومن متانة العبارات ، ومن روعة صورها ، وهذا هو الشكل ، وسواء رُصدت في سلم الدرجات علامات للأسلوب أو لم ترصد ، فإن المصحح يعطي علامة عالية لأي طالب قوي الأسلوب عن وعي أو عن غير وعي منه ، على الرغم من وجود سلم دقيق ، ولا سبيل إلى امتلاك قوة الأسلوب إلا بالقراءة الأسلوبية التي تعني أن تقرأ النصوص ذات الأسلوب القوي لا لتتبع الأفكار التي تنطوي عليه فحسب ، بل لتقف على الكلمات الجديدة التي لا تستخدمها أنت في أسلوبك ، أو لتقف على العبارات المتينة التي ينبغي أن تضيفها إلى أساليبك التعبيرية ، مثال ذلك : أغلب الطلاب يستخدمون كلمه **نظر** لشتى حالات النظر ، فيأتي أسلوبهم ضعيفاً ضبابياً ، ولو قرؤوا الكتب ذات الأسلوب الأدبي قراءة أسلوبية لأغنوا مفرداتهم ، ونوعوا أساليب تعبيرهم ، إن هنالك مدلولاتٍ دقيقه لمرادفات كلمة نظر منها .. **رأى** : تحتمل الرؤية القلبية ؛ كأن تقول رأيت العلم نافعاً ، **شاهد** : تضيف إلى النظر المسؤولية الجزائية ، **رنا** : تفيد النظر مع سكون الطرف والمتعة ، كأن تقول : رنوت إلى المنظر الجميل ، **حدّج** : نظر إلى الشيء مع المحبة ، وفي الحديث حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم ، **رمق** : نظر إلى الشيء من جانب أذنه . **لمح** : نظر إلى الشيء ثم أعرض عنه ، **لاح** : ظهر له شيء ثم خفي عليه . . **توضح** : نظر نظرة المستثبت . **استشرف** : نظر واضعاً يديه على حاجبيه ، **استشف** : نظر مع التفحص باليد ، **حدق** : فتح جميع عينيه لشدة النظر حتى اتسعت حدقة العين ، **حملق** : نظر وظهر حملاق العين الأحمر و هو باطن الجفن ، **نظر شزراً** : أعاره لحظ العداوة ، والازدراء . **شخص** : فتح عينيه وجعل لا يطرف من الخوف فأنت أيها الطالب لا يمكن أن تمتلك أسلوباً غنياً إلا بغنى المفردات التي في ذاكرتك الاسترجاعية .

6. الأفضل تحديد فترات للدراسة ، وأن تتخللها فترات للراحة ، فهذا يحول دون الشعور بالإحباط ، أو الإجهاد الذي قد يسببه التركيز لمدة طويلة .

7. خذ قسطاً من الراحة كافياً قبل وقت الامتحان ، وهذا يعينك على التذكر والتركيز .

8. وتناول الطعام المناسب قبل أن تذهب إلى الامتحان ليعينك على المتابعة وبذل الجهد.



9. اقرأ الأسئلة بتمعن وتؤدة حتى تتيقن من المطلوب من السؤال ، وابدأ بالأسئلة التي تعرفها جيداً ، ثم بالأسئلة التي لست متمكناً منها ، وبعدها أجب عن السؤال الذي لا تعرفه إجابة تخمينية ، فهذا أفضل من عدم الإجابة ، ولا تسلم الورقة قبل تنقيح الإجابة ، ولا تخرج من قاعة الامتحان قبل انتهاء الوقت لئلا تندم .

10. أيها الطالب الحبيب ... درست في الفيزياء أنك إذا وضعت ورقة في محرق عدسة تحت أشعة الشمس فإنها تحترق ، لكن الورقة هذه لا تحترق إذا وضعتها في أشعة الشمس من دون عدسة ! ما تفسير ذلك ؟ إن حزم أشعة الشمس التي انكسرت عبر العدسة تجمعت في محرقها فأحرقت الورقة ، وكذلك الطالب المؤمن بربه ، والمستقيم على أمره ، والمتوكل عليه وينبغي أن تعلم أيها الطالب أنه ما من شيء أكرم على الله من شاب تائب ، هذا الشاب الطاهر تتجمع قدراته ومهاراته واهتماماته وتتجه إلى بؤرة واحدة وهي الوسائل التي جعلها سلماً لهدفه الكبير ، لذلك يتفوق تفوقاً كبيراً ، ويحقق نجاحاً خطيراً ، ليكون شيئاً مذكوراً في أمته ، فشاب أو شابة من هذا النوع كألف ، وألف من المتفلتين والشاردين عن الله كأف ، لأن الله مع المؤمنين ، وهذه المعية معية خاصة ، فسرها العلماء بالتوفيق ، والتأييد ، والحفظ ، والنصر ، فإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ وقد قال الله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون.

08 - رجاء إلى الأهل والجيران

والآن نتوجه إلى كل الإخوة المواطنين بأعلى درجات الرجاء ، وبكل ما يتمتعون به من الشعور بالمسؤولية ، تجاه أبنائهم صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثا ، وتجاه أبناء جيرانهم أن يهيئوا الأجواء التي تعين أولادهم ، وأولاد جيرانهم على الدراسة التي هي قوام أمرهم في الدنيا وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه هذا المعنى حينما دعا فقال : أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا

ومن أهم أسباب تهيئة الأجواء التي تعين على الدراسة :

- أن يسمع المرء ما يحلو له وحده ، من دون أن يسمع غيره ما لا يحلو له ، ومن دون أن يعكر صفو الطالب أو الطالبة من جيرانه في أثناء الدراسة ، فهذا السلوك المنضبط سلوك إسلامي .



قال تعالى : لا ترفعوا أصواتكم

من الذوقيات المفقودة في البيوت رفع صوت المذياع أو التلفاز ، بحيث يعكر على الطلاب الذين يدرسون ، ومن الذوقيات المفقودة الشارع تلك الأصوات المزعجة لأبواق السيارات ، فتجد صاحب المركبة يقف أسفل البناء ، وينادي ببوق مركبته زوجته في الطابق العلوي ، بدلا من أن يصعد إليها ليعلمها بقدومه ، يريح نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيه .. فيأتي الإسلام ويرد للشارع ذوقياته المفقودة . وينبغي أن نفهم قوله تعالى على نحو موسع :

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

نعم .. إن الآية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس.

إن من حق الناس عليك ألا تزعجهم فمنهم النائم .. ومنهم الطالب الذي يدرس .. ومنهم المريض .. ومنهم الذي يصلي .. واعلم أن ما حول بيتك ليس ملكك وحدك.

• تأجيل المناسبات الاجتماعية الصاخبة التي تقام في البيوت ، رحمة بالطلاب والطالبات ، فمستقبلهم ، وجامعتهم ، وحرفتهم تتحدد في الأعم الأغلب في أيام الامتحان ، ومن أجل علامة واحدة ، يقبل ابن مدينة ما حيث أهله وبيته ، وحيث انضباطه ، في جامعة بعيدة في مدينة أخرى ، حيث السفر والإنفاق وضعف الانضباط .

• تجميد الخلافات الأسرية ، وإرجاء حسمها إلى ما بعد نهاية الامتحانات رحمة بالأولاد فلذات الأكباد .

• تأجيل الانتقال من بيت إلى بيت ، ومن محل إلى محل ، ومن حرفة إلى حرفة إلى ما بعد الامتحانات .

• تفرغ الأهل ، ولاسيما الأمهات ، والإخوة والأخوات الكبار ... تفرغهم للذين يؤدون الامتحانات من أفراد الأسرة ، وتأمين حاجاتهم ، والسهر على راحتهم ، والتدقيق في جدول امتحانهم ، وإيقاظهم على مواعيد امتحانهم .



- ولا تقل ليس عندي أولاد يؤدون امتحاناً فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

لا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه

09 - تحفظ لا بد منه

وفي الدعاء النبوي الشريف :

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن أذن لا تسمع ، ومن عين لا تدمع ، ومن نفس لا تشبع .

فبناء على هذا الحديث الشريف نقول :

العلم الذي نرتزق منه وكفى .. ليس إلا حرفة من الحرف .

العلم الذي لا يصل تأثيره إلى نفوسنا ، ومن ثم إلى سلوكنا ، ما هو إلا حذلقة لا طائل منها

العلم الذي يجعلنا نتيه به على غيرنا ، ما هو إلا نوع من الكبر .

العلم الذي يعطل فينا المحاكمة السليمة والتفكر السديد نوع من التقليد .

العلم الذي يوهمنا أننا علماء كبار ، هو نوع من الغرور ..

والعلم الذي يسعى لتدمير الإنسان ، والفتك به ، ويسعى لصناعة المرض نوع من الجريمة

والعلم الذي نستخدمـــه للإيقاع بين الناس ، والعدوان على أموالهم وأعراضهم ، نوع من الجنوح والانحراف .

والعلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا ، ودنيانا ، نوع من الترف المذموم ..



الباب العاشر : موضوعات دعوية

01 - الخطاب الإسلامي

02 - تجديد الخطاب الدعوي



01 - الخطاب الإسلامي

لست مبالغاً إذا قلت : إن الخطاب الإسلامي هو من أخطر القضايا في حياة المسلمين اليوم ؛ ذلك أن شيوع الأمية الدينية ، والغزو الثقافي الهادف ، والأزمات الاقتصادية الطاحنة ، واستعار الفتن الصارفة ، جعل المسلم المعاصر يبتعد عن ينابيع الإسلام الصافية ، لضيق الوقت ، وكثرة العقبات ، والصوارف ، ولم يبق له من صلة بحقائق الدين إلا الخطاب الإسلامي الذي يصله من خلال خطبة الجمعة ، أو من خلال التدريس الديني ، أو من خلال وسائل الإعلام ، وهذه حال الخط العريض في المجتمع الإسلامي ، وهذا لاينفي وجود قلة قليلة من الشباب طلبت العلم من ينابيعه الأصيلة ، ولم تتأثر بالخلل في الخطاب الديني .

وبناء على هذه المعطيات ، يتضح أن العالم الإسلامي في أمس الحاجة

إلى خطاب ديني ينطلق حقائق الدين الناصعة المأخوذة من محكم الكتاب ، والسنة الثابتة ، بالفهم الصحيح ، وبمعرفة مقاصد الإسلام الكبرى ، وهذا يشار به إلى الانعتاق من سلطة النفس ، ومحدودية التفكير ، والوعي بأصول الدعوة ، وطرائق معالجة الأوضاع المتردية ، ومراعاة السنن الشرعية والكونية في منهج التغيير والإصلاح .

من المهم كثيراً أن ندرك الإمكان الشرعي والواقعي الذي نعيش فيه ، ونعمل على إيجاد تطبيق للمعاني الإسلامية في هذه المجتمعات وبخاصة التي يمارس ضدها تغييب جاد لطمس هويتها ، لقد كان النجاشي في الحبشة ملكاً صالحاً ومؤمناً صلّى عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاته ، وأثنى عليه خيراً مع أنه لم يكن يحكم بين بالقرآن ، ولا يقيم كثيراً من شعائر الإسلام ، فهذا مبلغه من الإمكان .

من المهم أن يتخلص بعض دعاة الإسلام من هيمنة التشاؤم على منهجهم ولغتهم وتعاملهم مع عوام وسواد المسلمين ، إنه حينما يكون الداعية وطالب العلم مدركاً أنه لا يستعمل الأوراق الأخيرة والنفس النهائي في محاولات الإصلاح والدعوة فهو – هنا – يتخلص من كثير من الأخطاء .

من الحكمة الشرعية أن يتخلص الخطاب الإسلامي من التعامل بلغة واحدة ، حيث تجد بعض أهل الدعوة والعلم جمع أزمة الأمة في الواقع السياسي التي تعيشه ، فتراه لا يمارس إلا هذه اللغة !! وتجد نمطاً آخر من الخطاب الإسلامي لا يخاطب إلا أهل الصلاح والبر والتقوى ، يؤدبهم بالفضائل ، وربما يكون هذا الخطاب أداة لفصل المجتمع الإسلامي إلى طبقات تعيش العزلة والصراع



الشعوري 0

وهنا يفترض أن يكون دعاة الإسلام أكثر تأصيلاً وواقعية فإن تقدير دائرة ما يقبل الاجتهاد وما لا يسع فيه الخلاف وأمثال ذلك من أكبر مقاصد الشريعة ، وأخصّ مقامات العلم ، فهذا يستلزم أن تحكم هذه القضايا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع .

علماء الإسلام الكبار ودعاته يعرف لهم قدرهم وفضيلتهم لكن يعلم أن الهدي هدي رسول الله ، والدين هو ما شرعه الله ورسوله ، فأنْ يعرف لأحد حقه لا يعني أن كلامه لا يقبل النظر والمراجعة والخطأ بل الرد والترك إلى سنة ظهرت وحق بان بالدليل ، وما زال علماء الإسلام يتراجعون ويختلفون بل هذا هو الواجب على أهل العلم ورجال الدعوة .

ليكن همُّ كل واحد في هذه الأمة أن يبلِّغ عن الله ، ورسوله ، ولو آية أو حديثاً ، وألاّ يمتلكه الحزن الذي يقعد عن العمل لدين الله ، أو اتخاذ طريق ليست مشروعة في التعامل ، أو الشعور بعدم القدرة والاحباط فيميل إلى الصفائية والمثالية والانتقاء ، فيجد نفسه أخيراً مراجعاً لإخوانه الدعاة ، ثم قائماً عليهم حكَمَاً على أقوالهم وأعمالهم ، يحسب عليهم أنفاسهم ، وهنا ربما خالطه شعور أن هذه هي الأصالة والديانة.

02 - تجديد الخطاب الدعوي

فيما أعتقد لا يختلف اثنان في العالم الإسلامي في موضوع تجديد الخطاب الديني كأسلوب ليس غير ، بحسب المستجدات التي نعيشها اليوم ، وقد قدّمتُ بين أيديكم أربعة موضوعات :

الأول : عن أهمية الخطاب الديني ، فالخطاب الإسلامي من أخطر القضايا في حياة المسلمين اليوم ؛ ذلك لأن شيوع الأمية الدينية ، والغزو الثقافي الهادف ، والأزمات الاقتصادية الطاحنة ، واستعار الفتن الصارفة جعل المسلم المعاصر يبتعد عن ينابيع الإسلام الصافية لضيق الوقت ، وكثرة العقبات والصوارف ، ولم يبق له من صلة بحقائق الدين إلا الخطاب الإسلامي الذي يصله من خلال خطبة الجمعة ، أو التدريس الديني ، أو من وسائل الإعلام ، وهذا حالُ الخطِّ العريضِ في المجتمع الإسلامي ، غير أنّ ذلك لا ينفي وجودَ قلّة قليلة من الشباب طلبت العلم من ينابيعه الأصيلة ، ولم تتأثر بالخلل في الخطاب الديني .

والموضوع الثاني : تحدثت فيه عن الغلو في الدين ، وهو الذي يدعو إلى تجديد الخطاب الإسلامي ، معنى الغلو في الدين وأنواع الغلو الاعتقادي والعملي ، وأسباب الغلو ، وفي مقدمتها الجهل والهوى ، ومعالجة الغلو من قِبل المسلمين ومن قِبل أولي الأمر .



والموضوع الثالث : تحدثت فيه عن قواعد الخطاب الإسلامي ، ففي الخطاب الإسلامي قواعدُ إذا أردنا تجديده ، **فالقدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والتربية لا التعرية ، و الترغيب قبل الترهيب ، والتيسير لا التعسير ، ومخاطبة العقل والقلب معاً .**

وفي الموضوع الأخير تحدثت عن شروط الخطاب الديني الناجح .

هذه الموضوعات الأربعة بين أيديكم ، ولكن اسمحوا لي أيها الإخوة أن أتحدث عن موضوعات أخرى لا تخص هذا المؤتمر ، فإنّ ما يجري في العالم الإسلامي اليوم من مؤتمرات وندوات تحت اسم التجديد في الخطاب الديني أسلوب التفاتيٌّ لإلغاء الخطاب الديني ، أو لتفريغه من مضمونه ، حيث يصبح الدين متوافقاً مع مصالح القطب الواحد في السيطرة ونهب الثروات .

أيها الإخوة : الحقيقة المُرّة أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح ، هناك من ينادي بأن نضلَّ قبل أن نُجبَرَ على الضلال ، وأن نُذَلّ قبل أن نُجبر على الذل .

أيها الإخوة الكرام :آية واحدة في كتاب الله تلخِّص ما يجري في العالم الإسلامي ، الآية قوله تعالى :

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرٗا

[سورة الإسراء : 73-75]

هذه الآيةُ تنظّم علاقةَ الطرف الآخر بالمسلمين ، الهدفُ من عقد مؤتمرات في العالَم الإسلامي تحت اسم التجديد في الدين الهدفُ منها إلغاءُ الخطاب الإسلامي أو تفريغه من مضمونه .

أيها الإخوة الكرام : الخطابُ الديني فرضٌ عينيّ وفرضٌ كفائيٌّ ، أمّا كونُه فرضاً عينياً فلقوله تعالى :

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ

[سورة العصر : 1-3]



التواصي بالحق رُبْعُ النجاة ، التواصي بالحق من أجلِ الحفاظ على كيان الدين ، ومن أجــلِ نمــوِّ الدين ، ومن أجلِ أن تضيقَ دوائرُ الباطل ، فلابد من خطاب دينيّ كفرضِ عينٍ على كــل مســلم ، ولكن في حدودِ ما يعلم ، ومع من يعرف ، يؤكد هذا المعنى حديثُ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...**)) .

[البخاري ، الترمذي ، أحمد ، الدارمي]

كل مسلم مكلَّفٌ أن يُبَلِغ مَن حوله من أصدقائه وجيرانه وزملائه وأهله كلمةَ الحقِّ التي سمعها في حدود ما يعلم ، ومع من يعرف ، هذا فرضٌ عينيّ تؤكِّده آيةٌ ثانيةٌ :

قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ

[سورة يوسف : 108]

قالوا : البصيرة الدليل والتعليل :

أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ

[سورة يوسف : 108]

فالذي لا يدعو إلى الله على بصيرةٍ لا يتّبع النبيَّ عليه الصلاة والسلام ، وهو بالتالي لا يحبّ اللهَ ، قال تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

[سورة آل عمران : 31]

هذا الخطابُ الديني فرضُ عينٍ على كل مسلم في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، أما الخطــاب الديني فرضًا كفائيًّا فقد قال تعالى :

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ

[سورة آل عمران : 104]

هذا التفرغ والتعمق وامتلاك الأدلة التفصيلية هو فرض كفائي ، إذا قام به البعض سقط عن الكلّ .



أيها الإخوة الكرام : عالِمٌ من أمريكا هداه الله إلى الإسلام التقى بالجالية المسلمة في بريطانيا ، وقال كلاماً رائعاً ، قال : أنا لا أصدّق أن يستطيع العالَمُ الإسلامي في المدى المنظور أن يلحق بالعالم الغربي لبُعد الهوّة بينهما ، ولاتساع الهوّة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالَم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لأن في الإسلام خلاص العالم ، كان قبل حين ثلاث كتل من القيم والمبادئ ؛ قيم الشرق والغرب ، وقيم الإسلام ، قيم الشرق تهاوت من الداخل ، وانتهى الأمر ، بقيت كتلتان كبيرتان من القيم والمبادئ ، قيم الإسلام ومبادؤه ، وقيم الغرب ومبادؤه ، الغرب ذكي جداً ، وقوي جداً ، وغني جداً ، وقد طرح قيماً رائعة : الحرية ، الديمقراطية ، حقوق الإنسان ، تكافؤ الفرص ، العدالة ، حق المقاضاة ، ولكن هذا البناء الشامخ من قيم الغرب ومن مبادئه تهاوت عقب الحادي عشر من أيلول ، فلم يبق في الساحة إلا مبادئ الإسلام وقيمه ، وهذه فرصة ذهبية للمسلمين لنشرِ هذا الدين بأسلوب ، ماذا قال هذا العالِمُ الأمريكي ؟ قال : ولكن العالَمَ كلَّه سوف يركع أمام أقدام المسلمين إذا أحسنوا فهم دينهم ، وأحسنوا تطبيقه ، وأحسنوا عرضه للعالَم ، هذه واحدة .

الشيء الثاني أيها الإخوة : التعريفُ الدقيقُ الجامعُ المانِعُ للتجديد أن ننزع عن الدين كلَّ ما علق به مما ليس منه فقط ، لأنه دين توقيفي :

ٱلْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا

[سورة المائدة : 3]

قال علماء التفسير : الإتمامُ عدديٌّ ، والإكمالُ نوعيٌّ ، أي إنّ القضايا التي عالجها الدينُ تامٌّ عدداً ، وإن طريقةَ المعالجة كاملة نوعاً ، وأيُّ إضافةٍ تعني اتهامَ الدين بالنقص ، وأيّ حذفٍ يعني اتهامَ الدينِ بالزيادةِ ، فلما أضفْنا على الدين ما ليس منه تفرقنا ، وصار بأسُنا بيننا ، ولمّا حذفْنا من الدين أصبحنا في مؤخّرة الأمم ، إنْ أضفنا نتفرق ، وإنْ حذفْنا نضعف .

أيها الإخوة الكرام : كفكرة تمهيدية لحقيقة خطيرة ؛ أنّ كمالَ الخَلق يدلّ على كمال التشريع، أضرب لكم مثلاً سريعاً جداً ، البعوضةُ التي ذكرها الله في القرآن فقال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً

[سورة البقرة : 26]



ما من مخلوق أحقرُ على الإنسان من بعوضة ، **((لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى الكَافِرَ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))** .

[الترمذي]

البعوضة في رأسها مئة عين ، وفي فمها ثمان وأربعون سناً ، وفي صدرها ثلاثة قلوب ؛ قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، تملك البعوضة أجهزة لا تملكها الطائرات ، تملك جهاز استقبال حراري ، فهي ترى الأشياء بحرارتها لا بأحجامها ، ولا بألوانها ، ولا بأشكالها ، حساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية ، وتملك جهاز تحليل للدم ، فما كل دم يناسبها ، وتملك جهاز تخدير ، وتملك جهاز تمييع ، وفي خرطومها ست سكاكين ، أربع ساكين لإحداث جرح مربع ، وسكينان تلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم ، وفي أرجلها مخالب ومحاجم .

لمَ سقت هذا المثلَ ؟ الذي خلَق البعوضة على هذا النحو المعجز لا يمكن أن يحتاج دينُه إلى تبديل ، ولا إلى تعديل ، ولا إلى استدراك ، ولا إلى تجديد ، ولا إلى تطوير ، أنا قلت في بادئ هذه المحاضرة : لا يختلف اثنان في العالم الإسلامي على وجوب التجديد في طريقة العرض والأسلوب ، في الدين قيم ثابتة ، ومبادئ ثابتة ، سمِّها إنْ شئت الثوابت ، هذه مغطاة بنصوص قطعية الدلالة ، وفي الإسلام متغيرات مغطاة بنصوص ظنية الدلالة ، هي محلُّ الاجتهاد ، ومحلُّ التجديد والتطوير ، والمشكلة أننا مكلَّفون أن نتبع في عقائدنا وعبادتنا ، وأنْ نبتدع في دنيانا ، الذي حدث أننا ابتدعنا في عقائدنا ، وفي عباداتنا ، وقلّدنا في دنيانا ، فكنا في مؤخرة الأمم .

أيها الإخوة الكرام : أعيد معنى التجديد : وهو أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، الأزمة كما أراها ليست في تجديد الخطاب الديني ، بل في مصداقية الخطاب الديني ، قبل أيام جاءتني رسالة بالبريد الإلكتروني ، وهي قصة قصيرة ، إمام مسجد في بريطانيا نُقل إلى بلدة في ظاهر لندن ، فاضطر أن يركب المركبة العامة كل يوم ، ومن غرائب الصدف أنه يركب المركبة نفسها مع السائق نفسه ، في إحدى المرات صعد المركبة ، وأعطى السائق ورقة نقدية ، ردّ له السائق البقية ، عندما عدّها وجدها تزيد على ما يستحق عشرين سنتاً ، فقال : أنا كَوْنِي مسلمًا ينبغي أن أردّ هذه الزيادة ، ثم قال : هي زيادة طفيفة ، والشركةُ عملاقة ، ودخلها فلكيّ ، ولا تتأثر بهذا المبلغ الزهيد ، هو هبة من الله إليّ ، وهذا طبعاً خطأ، فلما جاء وقت نزوله من المركبة وقف أمام السائق ، ودون أن يشعر أعطاه العشرين سنتاً ، فابتسم السائق ، وقال له : ألست إمام هذا المسجد؟ قال : بلى ، قال : والله حدَّثتُ نفسي أن أزورك في المسجد لأتعبد اللهَ ، ولكنني أردت أن امتحنك ، هذا الإمام وقع على الأرض لهول الصدمة ، فلما استعاد وعيَه وقف ، وأمسك بعامود ، وقال : يا رب كدت أبيع الإسلام كله بعشرين سنتاً ، كم من مسلم يبيع دينه كله بشركة ، بحصته من شركة ،



باستعصائه في بيت ، بكذب ، باحتيال ، الأزمة اليوم أزمة مصداقية الخطاب الديني ، لماذا فعَلَ الأنبياء شيئاً لا يكاد يصدَّق ، وآلاف الدعاة لا يفعلون شيئاً ؟ لأن الأنبياء فعلوا بسلوكهم ما قالوه بألسنتهم ، سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته ، وقال : " إني قد أمرتُ الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناسُ كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايمُ اللهِ لا أوتيَنّ بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني " .

سيدنا عمر رأى إبلاً سمينة فقال : لمن هذه الإبل ؟ قالوا : هي لابنك عبد الله ، قال : ائتوني به ، وغضب ، فلما جاء ابنه عبد الله قال : لمن هذه الإبل ؟ قال : هي لي يا أبت ، اشتريتها بمالي ، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن ، فماذا فعلت ؟ قال : ويقول الناس : ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين ، واللهِ الذي لا إله إلا هو لو فهِم الصحابةُ الكرام الإسلام كما نفهمه نحن ما خرج من مكة ، وصل إلى أطراف الدنيا بالقيم والمبادئ ، النبي عليه الصلاة والسلام حينما أرسل صحابته إلى الحبشة سأل النجاشيُّ سيدَنا جعفرًا فقال : حدثني عن الإسلام النجاشي قال : " أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وعفافه ونسبه وصدقه ، فدعانا إلى الله لنعبده ، ونوحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرَنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .

الآن افهموا معي هذا الحديث الشريف : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ...))** .

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أحمد]

أين الإسلام ؟ هذه الخمس أم هذا الذي بني عليه مجموعة قيم إسلامية ، الإسلام هو الخُلق كما قال ابن القيم رحمه الله ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين .

أيها الإخوة : الأزمة ليست في تجديد الخطاب الديني ، ولكن في مصداقية الخطاب الديني .

شيء آخر : الأزمة ليست في شبهة في الرؤوس ، ولكن في النفوس ، بنت فرعون لها ماشطة ، في أثناء تمشيط شعر بنت فرعون وقع المشط فقالت : بسم الله ، قالت ابنة فرعون لماشطتها : ألكِ ربّ غير أبي ؟ قالت : الله ربي وربك ، ورب أبيك ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا**



هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ : نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا ، فَقَالَ يَا فُلَانَةُ ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؟ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ ؛ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ)) .

[أحمد]

حلاّقة عندها هذا الثبات ؟ ونستمع كل يوم من أعلى مراتب دينية فتاوى تتناقض مع جوهر الدين أليس كذلك ؟ تسمعون كل يوم فتاوى إرضاء للأقوياء ، من أجل أن يتماشى الدين مع مصالحهم .

أيها الإخوة الكرام : آخر كلمة أقولها : أنا والله لا أصدق ، ولا أملك إلا الدليل المنطقي أن جهة في الأرض مهما بدت قوية لا تستطيع أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، لكنهم يتكلمون ، ويهددون ، لكن الحقيقة لو أن الله أسلمنا إلى غيره لا يستحق أن نعبده :

وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ

[سورة هود : 123]

متى أمرك أن تعبده ؟ بعد أن طمأنك :

وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ

[سورة هود : 123]

